

المنافذ الثقافية

مجلة ثقافية فصلية مُحَكَّمة / العدد الثالث والخمسون / شتاء / ٢٠٢٦

السيميائية في تراثنا الأدبي	عمر شبلي
أثر الربيع العربي في صورة رجل السياسة في الزاوية العربية	د. هدى الزروق
أخطاء صرفية لا تُعدّ ولا تُحصى في المواقع الإلكترونية	د. زياد قسطنطين
تقنيات التعبير الفني في المدرسة الكلاسيكية بين الأدب والفن التشكيلي	د. غسان أقون
الرموز والصور الشعرية مرآة الاغتراب النفسي في "لم يلدني شجر قط"	د. نعيمة شكرون
الالتزام عند غسان كنفاني دراسة موضوعاتية تحليلية	د. أحمد أقون
الثورة الرقمية وأثرها في المجتمعات مقارنة بالثورات التاريخية الكبرى	د. أحمد حمزة
مستقبل التفكير النقدي في البيئة التربوية الرقمية	د. ميشال عون
منابر الشارع الغائب: في جدوى المظاهرات ومآلاتها في نصرة غزة	د. محمود سمهون د. ربيعة الزروق
الترجمة والبحث العلمي في ضوء منظومات الذكاء الاصطناعي	أ.د. ليال مرعي د. ايليان مهنا
Challenges in Translating the Meaning in Political Slogan	Dr. Dana El Ahmar/ Sabriya Hamadeh
Les mesures de la démesure dans L'interdit de Joumana Mouawad	DR. Marie Manassa



– موقف "المنافذ الثقافية"
من قضايا الانتماء الفكري
والأدبي والروحي
للأمة العربية والاستجابة
الإيجابية للتحدي

مجلة فصلية ثقافية محكمة

المنافذ الثقافية

العدد الثالث والخمسون / شتاء / ٢٠٢٦



9 772708 430007

المنافذ الثقافية
مجلة ثقافية فصلية محكمة تُعنى بأحوال الثقافة والفكر والأدب

العدد الثالث والخمسون - شتاء 2025

رئيس التحرير
عمر محمد شبلي

نائب رئيس التحرير
أ. د. درية كمال فرحات

المدير المسؤول: علي حمود

الهيئة الثقافية والإدارية

د. هالة أبو حمدان	أ.د. عماد هاشم	د. علي أيوب
أ.د. عيداً زين الدين	أ.د. زهور شتوح (الجزائر)	أ.د. منى دسوقي
د. دلال مهنا الحلبي	د. رضا العليبي (تونس)	أ.د. جمانة أبو علي
د. منال شرف الدين	د. ندى الرمح	د. سميرة طليس
د. ربي شوكت محسن	د. أناند فرح	د. رولا الحاج حسن
د. زينب راضي	أ. حكمت حسن	أ. سوزان زعيتر
أ.رانية مرعي	أ. مروان درويش	
تدقيق لغوي د. فاطمة البزال. د. سامي التراس / د. ربيعة الرزوق د. سمر بحمد		
مسؤولة القسم الانكليزي د. إيمان صالح		

اللجنة المحكّمة

أ.د. ديزيريه سقال	أ.د. حمدة فرحات	أ.د. محمد فرحات
أ.د. فؤاد خليل	أ.د. لارا خالد مخول	أ.د. علي حجازي
أ.د. جمال زعيتر	أ.د. مها خير بك ناصر	أ.د. محمد عواد
أ.د. عائشة شكر	أ.د. أحمد رباح	أ.د. يوسف كيال
أ.د. ماغي عبيد	أ.د. سعيد عبد الرحمن	أ.د. درية فرحات

تصميم المجلة وإخراجها: دار النهضة العربية

ISSN 2708-4302



موقع المجلة الإلكتروني – www.al-manafeth.com

تطلب المجلة من دار النهضة العربية – بيروت – شارع جامعة بيروت العربية

للمراسلات: 00961 1 833 270

darnahdainfo@gmail.com

الاشتراكات السنوية:

لبنان للأفراد 20 دولار – للمؤسسات 40 دولار

باقي الدول العربية:

للأفراد 100 دولار – للمؤسسات 200 دولار

للمراسلات: chebli_omar@hotmail.com

almanafeth.2025@gmail.com

5..... عمر شبلي

أثر الرِّبيع العربيّ في صورة رجل السِّياسة في الرِّواية العربيّة (رواية جُمُلكيّة آرابيا أنموذجاً)

8..... د. هدى محمّد الرّزّوق

أخطاء صرفيّة لا تُعدّ ولا تُحصى في المواقع الإلكترونيّة العربيّة الإخباريّة

30..... د. زياد قسطنطين

تقنيّات التّعبير الفنّي في المدرسة الكلاسيكيّة التّقليديّة بين الأدب والفنّ التّشكيليّ دراسة نقدية مقارنة

46..... د. غسان نديم أمّون

الرموز والصّور الشعريّة مرآة الاغتراب النّفسيّ في قصيدة «لم يلدني شجر قط» للشّاعر شوقي بزيّع

62..... د. نعيمة شكرون

أبعاد التّفاؤل الوطنيّ والإنسانيّ في شعر فؤاد الخشن

93..... د. محمّد حبّاص

الالتزام عند غسان كنفاني دراسة موضوعيّة تحليليّة

112..... د. أحمد نديم أمّون

الثّورة الرّقميّة وأثرها في المجتمعات مقارنة بالثّورات التّاريخيّة الكبرى

127..... د. أحمد حمزة

مستقبل التّفكير النّقديّ في البيئة التّربويّة الرّقميّة (مقاربة نقدية لعلاقة الذّكاء الاصطناعيّ بالتّربية النّقديّة)

161..... د. ميشال كميل عون

منابر الشّارع الغائب: في جدوى المظاهرات ومآلاتها في نصرّة غزّة

178..... د. محمود أحمد سمّهون د. ربيعة الرّزّوق

موسميّة قطاع الخدمات في المناطق الجبلية المتوسطة الارتفاع في لبنان (بلدة برمانا نموذجاً قضاء المتن)

199..... د. إيلي شديد

التّرجمة والبحث العلميّ في ضوء منظومات الذّكاء الاصطناعيّ - دراسة استشرافيّة

226..... أ.د. ليال مرعي د. ايليان مهنا

الحواريّة في القرآن الكريم بين الصّراع وتقبّل الآخر

277..... محمد عباس حشوش

من حَبَائِلِ الياسمين

297 الشّاعر جعفر ابراهيم

- Challenges in Translating the Meaning in Political Slogan

Dr. Dana El Ahmar/ Sabriya Hamadeh.....1

-A Linguistic Analysis of Euphemistic Expressions in President George Bush's Speeches: A Critical Discourse Analysis

Samar El Hachem.....29

-Les mesures de la démesure dans L'interdit de Joumana Mouawad

Dr Marie L. Henri Manassa60

السِّيميائية في تراثنا الأدبي

عمر شبلي

معظم الدارسين العرب أجمعوا على أنّ السِّيميائية التي تقوم على العلامات، هي مولود جديد، وأنّ أول من بشرَ بولادتها هو النّاقّد «دوسوسير» في محاضراته الصّادرة سنة 1916، حين قال: «اللّغة نظام من العلامات التي تعبّر عن الأفكار». هذا التّحديد تطوّر ليشمل مجمل المعارف الإنسانيّة ودلالاتها وما يتفرّع عنها، وبهذا تصبح ذات دلالات بعيدة التّأويل غير محصورة في النّتاج الأدبيّ وحده.

صحيح أنّ علم السِّيميائية تطوّر كثيرًا، وأضيفت إليه علامات ودلالات كثيرة، لكنّها تظلّ حصرية بين الدّال والمدلول عليه، ومن هذا المنطلق سأحصر كلامي في الجانب الأدبيّ للسِّيميائية، وتحديدًا سأركّز على الجانب الإهماليّ الذي ارتكبه الدّارسون والنّقاد في تراثنا الأدبيّ الذي رافقه السِّيميائية من نشأته الأولى حتى العصر الذي نحن فيه أدبيًّا، وأرى أنّ هذا يُشكّل إهمالًا لتراثنا الأدبيّ، ويدلّ على عدم إحاطة وعدم فهم لتاريخنا الأدبيّ الثّر بعبثائه السِّيميائي.

إنّ تراثنا العربيّ مزدهم بالسِّيمياء، ومزدهم بعمق دلالات هذه السِّيمياء، ولنبدأ بأخذ أمثلة من شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر، تقول الخنساء في رثاء أخيها:

طويل النّجاد رفيع العماد كثير الرّماد إذا ما شتا

هذا نسَمِيه كناية في بلاغتنا العربيّة، ولفظة الكناية في دلالتها اللفظيّة تعني أنّك تكني بشيء تعبيرًا عن شيء آخر، بروابط عميقة الدّلالة والإيحاء بين الدّال والمدلول عليه، في هذا البيت تريد الخنساء أن تقول: إنّ أخاها كان شجاعًا، فلم تتبّع أسلوب التّعبير المباشر، بل لجأت إلى الكناية، وقالت: إنّ سيف أخيها كان طويل النّجاد، وطول حمائل السّيف توحى أنّ صاحب هذا السّيف شجاع، وهذه الكنائية هي سيميائية بدقّة، والكناية في هذه الصّورة هي نفسها ما نسَمِيه سيميائية في النّقد الحديث. وحين كانت تريد أن تخبرنا أنّ أخاها كان سيّد قومه قالت: إنّ رفيع العماد، فقد كانت أعمدة خيمة سيّد القوم أعلى الأعمدة في ذلك الزّمان البدويّ، لقد عبّرت عن سيادته قومه بصورة موحية يحسّها

البدوي، ويعرف سيّد القوم دون أن يسأل عن مضاربه، فأعلى المضارب في القبيلة تكون لأمير القبيلة، وفي هذه الكناية العميقة الدلالة سيميائية موحية ودالة على مدلولها، وهي بعيدة عن المباشرة وسطحية الأسلوب المباشر، وحين أرادت أن تقول لنا: إن أخاها كان كريماً لجأت إلى الكناية التي هي علامة سيميائية، إن أخاها كان في الشتاء يُبقي ناره مشتعلة ليراها الناس. إن أصعب وسائل الضيافة تكون في فصل الشتاء، فإشعال النار هو إعلان لاستقبال الضيوف الوافدين. هذه الصورة نسميها كناية، وكان التعبير العربي في منتهى الدقة حين استعمل هذه العلامات الكنائية. لأنها تكني بشيء عن شيء آخر، وأهمية الكناية في الشعر العربي منذ القدم هي في كونها رمزاً، وعلامة موحية، وتدع الذهن يعمل لاكتشاف دلالة العلامة، وهي تثير الوجدان بمقدار ما تثير الكشف عن إحياءاتها، ولنذكر بيتاً آخر للخنساء قائم على الكناية التي أسميها سيمياء في محتواها الأدبي، نقول الخنساء في رثاء أخيها صخر تكني بها أيضاً:

هَبَّاطُ أوديةِ حمّالِ أُلويةٍ شَهَادُ أُنْدِيَةِ للجيشِ جرّارِ

في البيت أكثر من علامة سيميائية تكني بها الخنساء عن جسارة أخيها حيث هو «هَبَّاطُ أودية»، وهو يتولّى حمل لواء القوم في الشدائد «حمّالُ أُلويةٍ»، وهو غنيّ وذو مجالس لهو وشراب «شَهَادُ أُنْدِيَةِ»، والملاحظ في هذه العلامات السيميائية أنها تلجأ إلى العلامات المادية للتعبير عن صفات نفسية، وهنا تغدو دلالة العلامة ذات حسّ بصريّ أيضاً. وبهذا تكون العلامة هي كشف المستتر وتكون مغرية بالدخول إلى أبعد مما هو مكتشف.

لقد استعمل العرب الكناية كعلامات سيميائية لأسباب كثيرة، ولعل أبرز استخدامات هذه العلامات الدلالية هو ما ارتبط بإيحائية النص وإعطائه حضوراً شعرياً يغري ببلاغة الأداء والإغراء بالنقصي الإيحائي الذي يوجد لذة في النص المقروء. واستُخدمت الكناية للتعبير عن وضع نفسيّ مضمّر، ومثالنا على ذلك قول امرأة فقيرة دخلت على الأمير لتطلب منه مساعدتها فقالت للأمير: «أيها الأمير أشكو إليك قلة الفئران والجرذان في بيتي» ففهم من قولها أنه لا يوجد عندها غذاء في بيتها، فأمر بإعطائها ما تحتاجه.

العلامات السيميائية تتوب في الشعر عن قصور اللغة في أداء الفكرة والإحساس في آن. ولا تزال الكناية الدلالية بعلاماتها المتعددة تُستعمل إلى اليوم في شعرنا العربيّ

لأغراض شتى، ولعل قصيدة الشاعر المصري أمل دنقل «لا تصالح» من أوضح الأدلة على الغايات البعيدة للكناية السيمائية. لقد أراد الشاعر أمل دنقل أن يهاجم الصلح وإقامة علاقات مصريّة مع إسرائيل، فاستوحى وصية كليب وائل لأخيه المهلهل، حيث كتب لأخيه وصية بدمه يطلب منه ألا يصالح قاتليه، وكان للقصيدة قوة تأثيريّة عميقة في النفس العربيّة وقتئذٍ. وكان لها رمزيّة موحية لا نزال نحسّها إلى اليوم. لقد كانت تحمل علامات سيمائية مؤثرة.

أردتُ من خلال هذه المقدمة أن أخاطب النقاد العرب ليعودوا إلى تراثنا الأدبيّ، ولا يمكن لأي ناقد أن يكون حديثاً إلا إذا صعد إلى حدّاته عبر تراثه الذي لا يمنع حدّاته أبداً.

أثر الربيع العربي في صورة رجل السياسة في الرواية العربية

(رواية جُمْلُكِيَّة آرابيا أنموذجًا)

The Impact of the Arab Spring on the Image of the Political Man in the
Arabic Novel: (Jumlukeyya Arabia as a Case Study)

د. هدى محمد الرزوق

Dr.Houda Mohamad AL-Razzouk

تاريخ القبول 2025 /8/18

تاريخ الاستلام 2025 /7 /23

الملخص

يتناول هذا البحث أثر الربيع العربي في تشكيل صورة رجل السياسة في الرواية العربية، مع التركيز على رواية «جُمْلُكِيَّة آرابيا» كنموذج يعكس التحوّلات العميقة التي اجتاحت المجتمعات العربية خلال تلك المدة.

يسعى البحث إلى الكشف عن الأبعاد السردية والفكرية التي عبّرت من خلالها الرواية عن رؤية نقدية لدور رجل السياسة، مستندًا إلى المنهجين الوصفي التحليلي والموضوعاتي؛ فيبرز البحث العلاقة الوثيقة بين الانهيار الاجتماعي والسياسي وصورة رجل السياسة المتورّط في تلك الأزمات، كما يكشف البحث كيف استطاعت الرواية العربية أن تحاكي بوعي عميق تلك التحوّلات التاريخية، لنقد صورة ناقدة وحادة لرجل السلطة، الذي بات رمزًا لانهيار القيم والمسؤول عن قيادة الشعوب نحو مصائر مأساوية.

الكلمات المفتاحية: الربيع العربي - رجل السياسة - السلطة - الفساد - السياسة.

Abstract

This study explores the impact of the Arab Spring on shaping the image of the political figure in the Arabic novel, with a focus on "Jumlukeyya Arabia" as a model that reflects the profound transformations that swept through Arab societies during that era. The research seeks to uncover the narrative

and intellectual dimensions through which the novel conveys a critical vision of the politician's role, employing descriptive-analytical and thematic approaches. It highlights the close relationship between social and political collapse and the portrayal of the politician entangled in these crises. Moreover, the study reveals how the Arabic novel, with deep awareness, mirrored these historical shifts, offering a sharp and critical portrayal of the figure of authority, who has become a symbol of the collapse of values and is held responsible for leading nations toward tragic destinies.

Keywords: Arab Spring – Political figure – Authority – Corruption – Politics.

المقدمة

لم يكن الجامع بين العرب اللغة والتاريخ المشتركين فقط، بل تعدّاه إلى أبعد من ذلك، فمعظم الشعوب العربيّة تعاني من الظلم والمعاناة والقهر؛ فنتج عن ذلك حالة غضب وغليان شعبيّ في بلدان عربيّة متعدّدة، بدأت بتونس، ثم طالت العديد من الدّول، (مصر، ليبيا، اليمن....)، ولم تنته حتّى الآن.

كلّ هذه الأوضاع أثّرت في النّاتج الأدبيّ، وعلى الرّواية تحديداً، فالأدب هو انعكاس للمجتمع الذي يعبر عنه، وتتّوّع أغراضه وأشكاله، إلّا أنّها تصبّ جميعها في تحقيق التّعبير عن قضايا الوطن، ودفعه نحو النّقد. وفي خضمّ هذه الأحداث التي يعيشها العالم العربيّ، كان من البدهيّ أن يشتبك مع القضايا السياسيّة التي تعنى بالحالة العامّة في أيّ مجتمع، كالحقوق والحريّات العامّة، والقانون... ويكون ذلك من خلال معالجة أدبيّة لهذه القضايا من خلال إطار اجتماعيّ وعلى لسان الشّخصيّات.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبعاد صورة الرّجل السّياسيّ في الرّواية العربيّة، مطلع الرّبيع العربيّ، وذلك من خلال دراسة رواية «جملكيّة أرابيا» للكاتب «واسيني الأعرج»؛ إذ شكّل هذا الرّبيع نقطة محوريّة، ولحظة تاريخيّة في حياة الشعوب العربيّة، فقد أسّس لمرحلة جديدة، تختلف عمّا قبلها، وأثّرت سلّبا وإيجابا، في الصّعديين الدّاخليّ

والخارجي، في الدّول العربيّة، بأبعاد مختلفة سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً...

أهميّة البحث

تتجلّى أهميّة هذا البحث في كونه يسعى إلى استكشاف الأثر العميق الذي خلّفه رجال السياسة في وطنٍ أنهكته الفتن وأحرقت حروبه الأخضر واليابس، فهدمت أركانه وقادته إلى حافة الهاوية. ويتناول البحث العلاقة الوثيقة التي تربط بين فساد الرّؤية السياسيّة وهشاشة القرارات المصيريّة وبين انحدار الوطن والمواطنين في دوامة لا تنتهي من الأزمات المتفاقمة على مختلف الأصعدة. كما يكشف البحث عن الدّور المظلم الذي أدّته السياسات الفاشلة في تعميق جراح الوطن، في إشارة إلى أنّ مسؤوليّة القيادة لم تكن مجرد خيار بل كانت المحكّ الذي فصلت عليه مصائر الشّعوب والأمم.

الإشكالية

ويفرض هذا البحث الإجابة عن الإشكاليّة الآتية:

كيف صوّرت الرّواية العربيّة دور رجل السياسة مع مطلع الرّبيع العربيّ؟ وهذه الإشكالية يتقرّع منها تساؤلات عدّة:

- إلى أي مدى أسهمت الرّواية العربيّة في تعرية الفساد أو الإشادة بالإصلاح في شخصيّة رجل السياسة خلال فترة الرّبيع العربيّ؟
- هل صوّرت الرّواية العربيّة رجل السياسة كجزء من الحلّ أم كجزء من المشكلة التي دفعت الشّعوب إلى الثّورة؟
- هل أظهرت الرّواية العربيّة تحولات في وعي رجال السياسة أنفسهم خلال مرحلة الرّبيع العربيّ؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف تصوّرت تلك التّحوّلات؟

المنهج

في هذا البحث، اعتمدت **المنهج الوصفيّ التحليلي** لدراسة أثر الرّبيع العربيّ في صورة السّياسيّ في رواية جملكيّة أرابيا، إضافة إلى أنّني استخدمت **المنهج الموضوعاتي** للتركيز على الموضوعات المتكرّرة في الرّواية، مثل الفساد والسّلطة، واستكشاف كيفيّة تصوير السّياسيّ وتأثير الأحداث السّياسيّة على المجتمع. هذان المنهجان سيسهمان في

فهم أعمق لأثر الرّيع العربيّ في صورة السّياسيّ في الرّواية العربيّة.

المبحث الأول: أثر استبداد رجال السّياسة في نظام الحكم في رواية جملكيّة آرابيا

عرّف «عبد الرّحمن الكواكبي»¹ الاستبداد بما يلي: «هو صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً التي تتصرّف في شؤون الرّعيّة كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب»². ويكون الحكم ديمقراطياً «إذا حكم الشّعب نفسه بنفسه من خلال اختيار ممثّليه بالانتخاب المباشر، وكانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم مقيّدة لشرعة أو عقد يسمّى الدّستور (...) وفيما عدا ذلك تصبح كلّ أشكال العلاقة بين الحاكم والمحكوم في السّياق التّاريخيّ استبداديّة»³.

ولا يخفى على أحد أنّ المجتمعات العربيّة، تعيش تحت نير الظّلم والاستبداد من السّلطات الحاكمة، منذ قرون عديدة، وتقوم بين الحين والآخر حركات ثوريّة لتحقيق مطالب عدّة من أبرزها الحرّيّة والعدالة التي هي نقيض الاستبداد.

ومن البدهيّ، في مرحلة الرّيع العربيّ، أن يتناول الرّوائيّون هذه الظّاهرة (الاستبداد) التي أسهمت في تفهقر الدّول العربيّة، فجعلتها في آخر الرّكب الحضاريّ؛ وقد تناول «واسيني الأعرج» في روايته «جملكيّة آرابيا» رجال السّياسة، ووصف نظام حكمهم، وكيفيّة تمكّن رجال السّلطة من الإمساك بزمام الأمور من خلال منطق الاستبداد والقوّة.

المطلب الأول: تقييد المشاركة السّياسيّة

المشاركة السّياسيّة هي «تلك الأنشطة الإداريّة التي يشارك بمقتضاها أفراد المجتمع في اختيار حكامه وفي صوغ السّياسة العامّة بشكل مباشر أو غير مباشر»⁴، فالمشاركة السّياسيّة هي مساهمة أفراد المجتمع في توجيه سياسات مجتمعهم ونظامهم الحاكم نحو أسس سياسيّة ومبادئ لتنمية مجتمعهم وعيشهم بكرامة وبشكل يتناسب مع تطلّعاتهم، فنترسخ المبادئ الدّيمقراطيّة، ويتداول مبدأ تداول السّلطة عن طريق المشاركة في صنع

1- عبد الرّحمن الكواكبي (130 - 271هـ / 1854 - 1902 م): ولد ونشأ بحلب على عهد خضوعها لسلطان العثمانيين. نزح إلى الحرّية مبكراً، فارتاد ميدان العمل الصحفي الذي قاده للسّياسة ومحاربة الظلم فجرّ عليه السجن والاضطهاد. هاجر إلى مصر عام 1899 م، وفيها استقر. ووجد فكره القومي العربي الذي كان رائده في عصرنا الحديث. (عبد الوهّاب الكيالي، الموسوعة السّياسيّة، 3/ 829).

2- عبد الرّحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 12.

3- خلدون حسن النّقيب، الدّولة التّسلطيّة في المشرق العربيّ المعاصر، ص 19.

4- طارق محمّد عبد الوهاب، سيكولوجيّة المشاركة السّياسيّة، ص 107.

القرار من خلال الانتخابات، ومحاسبة المسؤولين في حال أخلّوا بالدستور. أما الموضوعات التي عالجتها الرواية تحت عنوان المشاركة السياسية فهي:

الموضوع الأول: الانتخابات

يعدّ الانتخاب أحد مظاهر المشاركة السياسية في الأنظمة الديمقراطية، أما في البلدان الاستبدادية، فتجري الانتخابات بشكل دوريّ ولكن بشكل صوريّ. ثم «بدأت التحوّلات في بلدان الرّبيع العربيّ بعد أن تشكّلت الأحزاب السياسية وأُجريت انتخابات لحكومات جديدة»¹، ف سابقاً، كانت عملية الاستفتاء بلا قيمة، فهي شكلية، ونتيجتها معروفة مسبقاً، ويمكن لأيّ إنسان أن يعرفها حتّى قبل أن تجري؛ ومن جهة أخرى، فلا يمكن لحزب أن يمسك كلّ مقاليد وزمام الأمور، ويمتلك السّطة والمؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الأمنية، أن ينافسه أشخاص مستقلّون وخصوصاً على مستوى انتخابات رئاسة الجمهورية. نجد الحاكم في رواية «جُمُكِيّة آرابيا» لا يهتمّ بالانتخابات، إذ يعيّن النّواب والوزراء ويعفيهم من منصبهم متى شاء، ومن ينتفض منهم أو من عائلاتهم أو يثور، أو يعص له أمراً، فمصييره الموت:

«عند مدخل داره، وجد ابنه أزرق مثل الورم، مخنوقاً بالطريقة نفسها التي يقتل بها عادة أعضاء الحكومة والحزب السابقين منذ الحقبة التركيّة. في الجرائد المسائيّة لليوم نفسه، قرأ خبر موت ابنه، مدبّجاً بصورته وهو يحمل المسدس، والتعليق الصّغير من تحت: وزير الثقافة والاتّصال يُعزل من منصبه بسبب قتله لابنه في لحظة هستيريا وجنون أدّت به إلى ارتكاب الزّلة الكبرى»². فنرى أنّ وزير الثقافة والاتّصال «الطاووس» عُزل من منصبه؛ لأنّه رفض قتل ابنه الوحيد المعارض للسّطة.

يتّضح لنا أنّ الانتخابات في العالم العربيّ دكتاتورية وصوريّة، فلم يخل قانون انتخابات عربيّ من قيود وشروط قانونيّة، وأخرى خفيّة ذات طابع سياسيّ تفرغ فكرة التعددية من مضمونها، فقد وُضعت خصيصاً بهدف إخراج الانتخابات على مقاس أشخاص معيّنين، فالمنطقة العربيّة من أكثر مناطق العالم التي لا زالت تشهد حتّى الآن بقاء رؤساء في الحكم مدّة طويلة.

1- سلمان شيخ وشادي حميد، بين التّدخل والمساعدة، ص 1.

2- واسيني الأعرج، جُمُكِيّة آرابيا، ص 272.

الموضوع الثاني: تداول السّطة

الانتخابات التّزيمية وتداول السّطة وجهان لعملة واحدة، يبطلان مع تزوير إرادة النّخبين؛ وتداول السّطة من أهمّ الرّكائز للأنظمة الدّيمقراطيّة، فهو موضوع متعدّد الجوانب، له تأثير في الحياة السّياسيّة للدّولة، ويعرّف على أنّه «خلافة سياسيّة، ويقصد بها انتقال وتداول السّطة بين الحاكم والأفراد أو بين الحكومات المتعاقبة، أو بين الأحزاب السّياسيّة، أو بين النّخب السّياسيّة، وعلى أكثر من مستوى على الجهاز الحكوميّ، الجهاز الإداريّ، الجيش على كافّة المستويات في الدّولة»¹. فهو يعبر عن استقلال النّظام السّياسيّ، ويرتبط بتوافر مجموعة من القواعد السّياسيّة كالتّعددية الحزبيّة والانتخابات الدّوريّة؛ وهذا يعطي للمؤسسات السّياسيّة حصانة واستقراراً.

ونجد أنّ مبدأ تداول السّطة في الرواية مفقود؛ والاستبداديّون يعدّلون القانون على هواهم، فهمهم الأوّل التّشبّث بكرسيّ الرّئاسة على حساب الجميع، فيلجأون إلى كتابة الدّستور كما يناسبهم، أو تعديله حين يتعارض مع سلطتهم أو تعليقه، فالأنظمة الاستبداديّة «غالبا ما تصوغ دستوراً للدّولة يكرّس سيطرتها على مقاليد الحكم في الدّولة»². وفي رواية جُمليّة آرابيا لا يختلف الأمر كثيراً، فشهر يار هو الحاكم الأوّل والأخير في جملكيّته، فهذا الدّكتاتور العربيّ لم يشوّه فقط القيم المحليّة القادمة من بعيد ولا الإنسانويّة وحدها، ولكنّه مسّ جوهر الأشياء، فأنتج أنموذجاً غريباً لا هو جمهوريّة ولا هو ملكيّة: جُمليّة. مسخ مزيج بين أسوأ ما في النظامين، جاء في الرواية:

«اعتذر في البداية على عدم ارتدائه اللّباس العسكريّ الأخضر الوطنيّ؛ لأنّ البلاد في حالة استنفار والحساد كثيرون، والذين يكيدون المكائد لحكمها الرّاشد والنّموذجيّ الجمهوريّ والملكيّ في الآن نفسه، كثيرون ولهذا وجب عدم كشف الأسرار بما فيها اللّباس العسكريّ والنياشين التي كان يخبّئها تحت المعطف الملون»³. فالحاكم يعدّل القوانين على هواه، ظلّاً منه أنّه يخدع الشّعب، فديمقراطيّته مزيفة، «وإذا كان الحاكم لا يلتزم بقانون، وإنّما قوله وفعله بمثابة القانون فهو حكم استبداديّ»⁴.

1- صلاح سالم زرنوقة، أنماط الاستيلاء على السّطة في الدّول العربيّة، ص 64.

2- أحمد أبو دية وآخرون، الفساد السّياسيّ في العالم العربيّ، ص 5.

3- واسيني الأعرج، جُمليّة آرابيا، ص 186.

4- خلدون حسن النّقيب، الدّولة التّسلطيّة في المشرق العربيّ المعاصر، ص 21.

أوضح «واسيني الأعرج» أنّ التّداول السّلميّ للسلّطة يكاد يُلخّص سمات النّظام الدّيمقراطيّ، ونستطيع القول إنّهُ معدوم في العالم العربيّ قبل ربيعهِ؛ لأنّه يستلزم وجود تعدّد حزبيّ وتنافس سياسيّ حقيقيّ وانتخابات دوريّة حرّة ونزيهة ورأي عامّ قويّ وقادر على التّأثير ووسائل إعلام تقوم بدور رقابيّ فاعل في محاسبة القائمين على السّلطة.

وصل الحاكم في رواية «جُمْلَكِيّة آرابيا» إلى السّلطة عبر الوراثة، ويقوم هذا الحكم على أساس فكرة «أنّ شخصاً معيّناً من أسرة معيّنة لها حقّ ذاتيّ في تولّي الحكم، وأساس هذا الحكم هو حقّ الإرث، ويعدّ الحكم تركة تنتقل من الموروث إلى الوارث وفق أحكام الوراثة التي تحكم توريث الحكم»¹. والحكم بالوراثة يعني «انتقال سلطة الحكم من إنسان إلى آخر بحكم رابطة الدّم أو القرى، حيث تنتقل السّلطة من السّلف إلى الخلف لكون الأخير هو وريث شرعيّ أي أنّ صاحب السّلطة الجديدة لا يحصل على السّلطة لكفّاعته أو لثقة الشّعب فيه إنّما لحقّه الشرعيّ المستمدّ من الإرث»².

ولكنّ شهریار لم ينتظر حتّى يتوفّى والده، بل قتله ليصبح الخليفة والحاكم بشكل أسرع، فالمستبدّ يعمد إلى «ممارسات عنيفة مقنّنة أحياناً (بقانون) مثل شرعنة القوّة والاعتقال والقتل كجزء من إجراءات نقل السّلطة أو في حال وراثة العرش»³، فلم يتورّع عن قتل والده ليخلفه؛ جاء في الرواية:

«لم أخطئ عندما نزعت رقبتَه الواطئة التي اختبأت بين كتفيه. يومها حين اقتربت من والدي وهو بين أفخاذ المحظيّات، كان في البداية يسخر منّي قبل أن يرتجف مثل الدّودة عندما أدرك بأنّ عمره انتهى، وأنّ النّصل الحادّ لمع في عينيه مكشّراً عن لحظة الموت التي لم يكن من الممكن تفاديها»⁴.

إذاً، نلاحظ أنّ المناصب الأساسيّة في العالم العربيّ تأتي عن طريق الوراثة، وتصل حدّ الإبادة الجماعيّة في سبيل السّلطة والثّروة والتّوريث، فأصبحت جزءاً من العادات والتّقاليد المتعارف عليها، وعلى الرّغم من أنّها عمليّة تبعث على الاستقرار السّياسيّ إلّا أنّها غالباً ما تتسبّب في صراعات دمويّة بين أفراد الأسرة الحاكمة (شهریار - والده - ابنه) من أجل الحكم والسّيطرة عليه.

1- إبراهيم درويش، النّظام السّياسيّ، ص 98.

2- كمال الأسطل، محاضرات في النّظرية السّياسيّة، ص 24.

3- حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السّياسيّ في الأنظمة العربيّة، ص 50.

4- واسيني الأعرج، جُمْلَكِيّة آرابيا، ص 493.

من خلال دراسة هذين الموضوعين، نلاحظ أنّ مشاركة الشعب بالشؤون السياسيّة في الرواية شبه معدومة، فحزب واحد يحكم البلاد، وغاب مبدأ تداول السّلطة، ووجدنا أنّ الحكم وراثيّ، والولد يقتل والده ليصل إلى سدّة الحكم، وقد قتل ابنه عندما خاف منه، فكيف لمن يقتل أفراد أسرته للحفاظ على المنصب أن يقبل بالتعدديّة السياسيّة، ويقبول الطرف الآخر؟

المطلب الثّاني: صلاحيّات رجل السياسة المستبدّ

في الدّول المستبدّة، نرى الشعب فقيرًا، لا يملك أدنى الحقوق وأبسطها، ولكنّ السّلطة التي تحكم تتمتع بصلاحيّات كبيرة، واندرج تحت هذا العنوان موضوعين:

الموضوع الأوّل: الرّئيس والحكم.

في رواية جُمُلكيّة آرابيا، نرى شهريار يتمتّع بسلطة مطلقة، وينفرد برأيه، فوظائف وزرائه ونوابه شكليّة، ينفذون ما يُطلب منهم من دون نقاش، فيظلمون ويبيطشون ويكّمون الأفواه؛ يقول وزير الثقافة في الرواية:

«قلتم قصّ المقالات، قصصتها. أمرتم بمصادرة الكتب صادرتها»¹؛ فالحاكم بأمره حكم جُمُلكيّة آرابيا «بيد من رصاص، وعقل من رماد، بعد أن أخصى كلّ رجالها، واختبر الدّنيا والعباد والنّفوس المغلقة، قبل أن يجزم بأنّ كلّ ما حوله غبيّ ولا يستحقّ إلّا حياة الدّل»².

وشهريار مستعدّ لأن يسفك دماء ابنه الوحيد؛ ليبقى في سلطته، يقول: «على آرابيا أدمّر العروش والبشر وأكل رأس ابني الوحيد. على آرابيا لن أرحم لا أمّي ولا أبي ولا حتّى ابني إذا ركب رأسه ورأى أهليّته فيها»³.

نلاحظ أنّ شهريار يعاني من جنون العظمة، فلديه تقدير مبالغ فيه للذّات، ويؤمن بعظمته، وأهميّة شخصيّته، فهو يبالغ بوصف نفسه بما يخالف الواقع، فيدّعي امتلاك قابليّات استثنائيّة وقدرات جبّارة ومواهب مميّزة، وما يوضّح لنا ذلك، قول دنيازاد له في الرواية:

1- واسيني الأعرج، جُمُلكيّة آرابيا، ص 272.

2- م. ن.، ص 20 - 21.

3- م. ن.، ص 57.

«مسكين أنت يا سلطاني. الغباء بليّة من بليّات الحكم. كنت تريد أن تكون عالماً، منحناك الفرصة، منظرًا للنظام الجمليّ، عقدنا لك الندوات العلميّة لنظريّتك الثالثة عن النّظام الذي شمل مزايا الجمهوريّة ومزايا الملكيّة. شاعرًا، وزمّرنا لعظمة صورك، روائياً، جلبنا لك كلّ نقّاد بلاد المغرب والمشرق من التّاريخيّين والبنويّين والسّمائيّين وقلنا لهم اضربوا على طبل الرّفعة، فأعلوك في السّماء العاشرة. لم تكن في ذلك أسوأ من الذين سبقوك»¹.

شخصيّة شهريار هي تجسيد للحاكم العربيّ، ورأى «واسيني الأعرج» بشخصيّة كلّ حكام العرب، فالاستبداد -بحسب رأيه- متجذّر في العالم العربيّ؛ يقول على لسان البشير المورو:

«ما الذي تغيّر من الرّمن القديم حتّى اليوم؟ ما الفرق بينه وبين محاكم التّقشيش المقدّس في وظيفة الموت التي يمارسها كلّ واحد مثلما يشتهي ويلصقها بغيره؟»².

أصبح الشّعب العربيّ يعيش في ذلّ وخنوع بسبب ممارسات الحكّام المستبدّين ممثّلين بشهريار، والأقرب إلى الصّواب أنّ المواطن العربيّ وحاكمه مصابان بأمراض نفسيّة، ضمنت توافق العلاقة بين الطّرفين على مبدأ السيّد والعبد، فكلّهما مصاب بعصابيّ التّسلّط والخضوع، و«الاضطرابات العصبيّة التي تشكو منها الشّعوب في وطننا العربيّ ناجمة عن أنّ التّسلّط في مجتمعاتنا تحكمه علاقة هرميّة ثابتة، بمعنى أنّ الأعلى يُسيطر على الأدنى منه، وأنّ اللاّواقعيّة في تقييم الأحداث تُفضي إلى الشّعور باليأس والاستسلام لواقع ضاغط»³. فشهریار خائف على كرسيّ حكمه، وملتصق به، لذلك مارس جميع أنواع الظّلم والاستبداد على شعبه، وبنى آليّة تمكّنه من بثّ الخوف والهيبة فيهم وفي الشّعب بأكمله، لإشعار النّاس بالعجز عن التّغيير. جاء في الرّواية:

«كيف كنّا عبيدًا على مدار عشرات السّنين، وربّما القرون المتهالكة التي ربّت فينا حاسة الذّلّ لدرجة أن أصبحت سادس حواسّنا؟ كيف قبلنا أن نضع أحلامنا وأجسادنا في ظلّ الحكيم، الحاكم بأمّره، سيّد آرابيا، سلطان السّلاطين، وملك ملوك العرب وأفريقيا والبربر...؟ كيف صممتا على يد قاتلة، كانت في كلّ لحظة تضغط على الأعناق بكلّ

1- واسيني الأعرج، جُمليّة آرابيا، ص 587.

2- م. ن.، ص 106.

3- مجموعة مؤلّفين، العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التّغيير، ص 104.

ما أوتيت من إيمان وقوة...؟ لكنّ الجسد لم يعد يسعف مثلما كان الحال في الزمن المنسحب. أصبح أكثر التصاقاً بالأرض»¹.

«على آرابيا أدمّر العروش والبشر وأكل رأس ابني الوحيد. على آرابيا لن أرحم لا أُمي ولا أبِي ولا حتّى ابني إذا ركب رأسه ورأى أهليّته فيها»².

ولأنّ شهريار أتى رغماً عن إرادة الشعب فكان يعيش في خوف دائم، فهو يمثّل صورة الانهزام، والأمثلة في الرواية كثيرة، منها:

«بدا ارتباك الحاكم بأمره واضحاً. ابتسم بشير المورو منتشياً بإحساس عميق»³، و: «ارتبك وجه الحاكم بأمره من جديد، وبدأ الدّم يغيب من ملامحه...»⁴.

وصل إلى سدة الحكم بقوة السّلاح والمال بمساعدة أيدٍ خارجيّة (حلفائه الشماليين)، وأخطر ما في الأمر اعتماده على سطوة المنصب، فنقرأ في الرواية عن والد شهريار وهو ينصح ابنه، يقول: «ستفرض احترام شعبك لك، عندما تحترم هذه الطّقوس، اللباس العسكريّ الأخضر المطرز الذي يوحى للنّاس بأنّ البلاد تتعرّض لعدوان غير محدود. الاستنفار الدائم ضدّ عدوّ يضرب ويهرب»⁵.

جاء في الرواية: «لولا نصيحة أصدقائي الشماليين، لأحرقت الدّنيا بمن فيها، وامتنطيت طائرتي الخاصّة باتجاه الشمال ولتنته الدّنيا بعد هذا. صبرت كثيراً. لولا محاولاتهم لرفع معنوياتي، لذبحته في تلك اللّحظة»⁶.

كما أنّه يمثّل صوت السّذاجة والبلادة والعناء، فبعد أن انتظر دنيازاد لسرد نهاية الحكاية، ثمّ التّخلّص منها، يتفاجأ بخطة موازية تنفّذها دنيازاد ببراعة فائقة وبمساعدة الأصدقاء الشماليين؛ ومن جهة ثانية، نراه يشكّ بأبوته لقمر الزّمان؛ فعاش في حيرة قاتلة لمعرفة أبيه الحقيقيّ من دون أن يشكّ لحظة بأنّ مؤرّخه هو والده على الرّغم من الشّبه الكبير بينهما:

1- واسيني الأعرج، جُمليّة آرابيا، ص 8.

2- م. ن.، ص 57.

3- م. ن.، ص 467.

4- م. ن.، ص 467.

5- م. ن.، ص 503.

6- م. ن.، ص 504-505.

«مسكين أنت يا سلطاني. الغباء بليّة من بليّات الحكم. كنت تريد أن تكون عالمًا، منحناك الفرصة، منظرًا للنظام الجمليّ، عقدنا لك النّدوات العلميّة لنظريّتك الثالثة عن النّظام الذي شمل مزايا الجمهوريّة ومزايا الملكيّة (...) لم تكن في ذلك إلا مغفلاً، أسوأ من الذين سبقوك»¹.

وجاء أيضًا: «كان الحاكم بأمره فاغر الفم، لا يصدّق ما كان يدور أمام عينيه، كأنه في كابوس. يتأمل تارة وجه قمر الزّمان، وتارة أخرى وجه المؤرّخ. كيف غاب هذا الشّبه؟»².

كان من البدهيّ أن تكون نهاية شهريار الموت على يد ابنه، فهذا هو قد قتل والده للوصول إلى الحكم، ثمّ جاء قمر الزّمان - ابن شهريار - وقتله؛ ليجلس على كرسيّ الحكم مكانه: «وعلى ظلام الآخرة واليوم الآخر، كان قمر الزّمان، بسرعة برقيّة يسمّيها ضربة السّاموراي، قد قطع رأسه ورماه بعيدًا داخل القاعة الواسعة»³.

شهريار هو رمز لكلّ حاكم عربيّ، مستبدّ، يظلم شعبه، يعيش في خوف دائم من أن يُسلب من كرسيّ الحكم، يخاف من كلّ شيء، فينشر الرّعب والقتل والدّم في نفس المواطن؛ وصل إلى سدّة الحكم عبر الدّم والقتل، فكان مصيره القتل على يد ابنه؛ فالحكّام المستبدّون إمّا أن يقتلوا على يد أحد أبنائهم أو على أيدي شعوبهم. ويمكننا القول إنّ شخصيّة الحاكم العربيّ تشوبها «اضطرابات الشّخصيّة»⁴، فأخذ من نمط الشّخصيّة النّرجسيّة شعارها «أنا مميّز»، ما يعني أنّه على يقين تامّ بأنّه أكثر فهمًا ووعيًا من الآخرين، وأنّ حسبهم أن ينفذوا أوامره؛ وأخذ من الشّخصيّة السيّكوباتيّة السّاديّة العنف والقسوة مع الخصوم وعدم الشّعور بالذّنب حين يعذب الآخرين أو يُصفيهم جسدًا ويتلذّد بآلامهم. وأخذ من الشّخصيّة البارنويّة الشّكوك من غير أدلّة كافية، والانشغال في ارتيابات غير مبرّرة، في نوايا المحيطين به... على أنّ هذه «المرضيّة» يتّصف بها معظم الحكّام العرب⁵.

1- م. ن.، ص 587.

2- م. ن.، ص 588.

3- م. ن.، ص 593.

4- اضطرابات الشّخصيّة: نمط ثابت من السلوك غير المرن، والمفرط في التّصلّب.

5- يُنظر: مجموعة مؤلّفين، العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التّغيير، ص 104 - 105.

من خلال ما سبق، نرى أنّ رجال السّلطة في العالم العربيّ على اختلاف خلفيّاتهم، يقومون باتّخاذ القرارات بشكل منفرد وسريع وغير مدروس، لخدمة مؤسسات أو جماعات محدودة، وعادة ما يتمّ ذلك بالاعتماد على الإلهام الشّخصيّ للرّعيم أو القائد السّياسيّ، الذي يعمد هو وعدد محدود من المحيطين به على إبعاد أو تعذيب أيّ فرد يفكر في التّغيير.

الموضوع الثّاني: الاستعانة بالأجنبيّ

يشير الأعرج إلى مسألة مهمّة وهي الاستعانة بالأجنبيّ، فشهریار، لتثبيت دعائم حكمه، استعان بأصدقائه الشّماليّين، وأغراهم بخيرات البلاد وطمّعهم بالمال، للوقوف إلى جانبه ومساندته للبقاء في الحكم، يخاطبهم شهریار في الرّواية:

«أنتم أعرف وأنبل. وفاؤكم ليس للأفراد ولكن للمصالح. ضمنت لكم قرناً من استغلال آبار النّفط والغاز بأثمان زهيدة تتجاوز بقليل فقط أسعار التّكلفة»¹.

وهنا لا بدّ من القول: «إنّ كثرة من نظم الحكم العربيّة لم تنبثق من إرادة شعوبها، فاحتمت بالخارج وسيّدت مصالحه على مصالح ناسها. وقد اتّسعت الهوة بينها وبين النّاس. ولجأت هذه النّخب إلى القمع والفساد للسيطرة عليهم»².

ونرى في الرّواية بأنّ ما يسمّى بالأصدقاء الشّماليّين يتدخّلون في كلّ كبيرة وصغيرة في الحكم، ويلجأ إليهم شهریار متى وقع في مأزق: «على كلّ لن أجعل منه شهيداً في غير وقته. فكرة الشّماليّين جيّدة (...)، يطلّون رابضين هنا بالقصر، يتأمّلون الصّغيرة والكبيرة ويكتبون التّقارير لمن ينتظرونهم من وراء البحر. وظيفتهم الاستشارة. حتى أنّ بعضهم تحوّل فجأة إلى محافظ لوحات فنّية يعرف الرّائف منها من الصّحيح (...)». ليكن، فهم على الأقلّ يوفّرون لنا الحماية عند الضّرورة»³.

وعلى الرّغم من المكانة التي كانوا يتمتّعون بها في ظلّ حكم شهریار، يساعدون ابنه «قمر الزّمان» في الوصول إلى الحكم بقتل والده، فيستلم مكانه: «لم يسمع شيئاً منهم. انكسر نهائياً حينما وقف الشّماليّون بين دنيازاد وابنها قمر الزّمان. وحينما تيقّن من

1- واسيني الأعرج، جُمُعيّة آرابيا، ص 590.

2- ربما خلف وآخرون، الظلم في العالم العربيّ والطّريق إلى العدل، ص 5.

3- واسيني الأعرج، م. س.، ص 498.

نهايته الوشيكة، طلب منهم أن يتركوه حتّى الصّباح إذ لم تبق إلا ساعات قلّائل على بدء النّهار. لم يتكلّموا أشروا فقط برؤوسهم أن لا»¹.

وبذكر لنا الأعرج أيضًا كيف باع والد شهريار العرب، وخان قضيتهم، فقد أسهم في انتصار اليهود عليهم: «مما كشفته وثائقهم السّريّة هي أنّ الفضل الكبير يعود لوالدي في انتصار اليهود على العرب في حربي 1948 و1967 بواسطة المعلومات الكافية التي سلّمتها لجيوش الإنقاذ العربيّة، والبنادق المحشوّة بالنّخالة التي استوردها خصيصًا لهذه الحرب المقدّسة»².

الدّعم الأجنبيّ الرّسميّ للحاكم المستبدّ المتسلّط على شعبه أحد أسباب استمرار القمع والقتل والتّهجير، فالمصالح لدى الغرب تتفوّق على القيم والمبادئ، فهو يقدّم لهم خيرات بلاده وولائه لهم، مقابل دعمهم لاستمرار حكمه، فما هو الجنرال حوحو يسأل دنيازاد عن موقف الشّماليّين في ما يحصل، فتجيبه أنّهم مؤيّدون؛ جاء في الرّواية:

«- والشّماليّون؟

- في الجيب»³.

يمكننا القول إنّ العالم العربيّ من أكثر مناطق العالم استجابة للمؤثّرات الاستراتيجيةّ الغربيّة منذ أن دخل إليها غازيًا ومستعمرًا وحتّى اللّحظة الرّاهنة، وهذا في تصوّرنا نتيجة عجز الشّعوب وفقدانها لروح الفعل الجماعيّ من ناحية، ولقوّة الأنظمة السياسيّة واستخدامها القمع والقوّة في مواجهة شعوبها، مع ضعفها وخضوعها لمشية القوى الأجنبيّة (الأصدقاء الشّماليّون)، لذلك لا يجد الغرب صعوبة عندما يحاول استثمار التّمايزات في مجتمعنا.

إذًا، نرى في الرّواية، أنّ من يتمتّع بالسلّطة له صلاحيّات غير محدودة، ويسعى الجميع لإرضائه، هذا وأشار الأعرج إلى أنّ الحاكم يتمتّع بسلطة مطلقة، وأنّ الوزراء والنّواب يطبّقون فقط أوامره، ولكنّه بدوره ينفذ أوامر الدّول الخارجيّة الذين يعملون لمصالحهم الشّخصيّة، مقابل أن يضمنوا له بقاءه في سدّة الحكم.

1- واسيني الأعرج، جُمُعيّة آرابيا، ص 590.

2- م. ن.، ص 568.

3- م. ن.، ص 558.

من خلال ما سبق، نرى أنّ الاستبداد متجذّر في العالم العربيّ، والحكّام يقبضون على السّلطة بيد من حديد، ويستعملون العنف والرّعب لضمان بقائهم في مناصبهم، ويستمدّون قوّتهم من الخارج، ومن يعبر عن رأيه فمصيره الموت أو النّفي أو غياهب السّجون. من جهة ثانية، نرى أنّه لا مكان للمشاركة السّياسيّة في البلاد، جراء سيطرة حزب واحد على الحكم، ممّا أدّى إلى غياب مبدأ تداول السّلطة. فالانتخابات صوريّة، هدفها ادّعاء الديمقراطيّة فقط.

من هنا، نجد أنّ الرواية المعاصرة وصّفت الواقع العربيّ برؤى متخيّلة، نقلت من خلالها تهميش الفئة الشّابة المنتجة، وإبعادها عن سلطة القرار ممّا أودى بالعالم العربيّ إلى الحضيض. ولقد عمد الحاكم العربيّ إلى تلقين المواطنين مبدأ تقديس الشّخصيّات، وبتّ فيه الشّعور بالقلق والخوف من الآخر، والضعف، سعيّاً منه إلى زعزعتهم، وإحكام السّيطرة عليهم.

وبرأينا، فشلت الأنظمة العربيّة كافّة في تحقيق القدر الأدنى من التّ تنمية والاستقرار، إضافة إلى انتهاجها الاستبداد مبدأ، ممّا دفع شعوبها إلى رفض قبول الأوضاع المزريّة التي تقبع بها، ولجأت إلى الثّورة.

المبحث الثّاني: أثر التّربيع العربيّ في رجال الحكم في الرواية

السّلطة هي «القدرة أو القوّة التي تمكّن من السّيطة على النّاس ومن الضّغط عليهم ورقابتهم للحصول على طاعتهم والتّدخل في حرّيّتهم وتوجيه جهودهم إلى نواحي معيّنة»¹. ولكنّا نرى في كثير من الدّول أنّ السّلطة تتجاوز حدودها، فتلجأ الشّعوب إلى القيام بثورات للمطالبة بحقوقها. وفي عام 2011م «اندلعت الثّورات العربيّة بحركات احتجاجيّة بدت معها الإمكانية التّاريخيّة للتّحوّل من النّظم التّسلّطيّة إلى الديمقراطيّة ممكنة. وفاجأت سرعة انتقالها من تونس إلى بلدان عربيّة أخرى وارتفاع تأثيرها واتّساع حجم القاعدة الاجتماعيّة التي انخرطت فيها النّخب والقوى والأحزاب التّقليديّة في المعارضة، سواء أكانت في فضائها أم في السّلطة، إذ إنّ سرعة تطوّراتها وأفكارها وشعاراتها الجديدة وزخمها الجماهيريّ الذي كان الشّباب قوامه الاجتماعيّ الدينامي،

1- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، ص 228.

تجاوزت توقّعات تلك القوى و«سقوفها» السياسيّة «السّابقة»¹.

فكيف تجلّت آثار الثّورات العربيّة في رواية جُمْلِكِيّة آرابيا؟

المطلب الأوّل: علاقة الاختناق السياسيّ بالثّورة

في رواية جُمْلِكِيّة آرابيا نجد أنّ القبضة الحديديّة لم تتجح في إسكات الشّعب، بل زادت من حدّة المظاهرات، ورفض الشّعب للنّظام، ولقد أدّت جهود قمر الزّمان الرّامية لإخماد الاحتجاجات ضدّ سلطته إلى موت الملايين من البشر ومعاناتهم، وتدمير المدن. فقد لجأ إلى العنف الوحشيّ المفرط؛ جاء في الرواية:

«ثمّ أعطى الأوامر الصّارمة لقصف كلّ الأحياء الشّعبية، بالمدمعيّة والطّيّران والسّفن الحربيّة. تدمير كلّ السّاحات العامّة، التّحرير، الثّورة، الجوهرة، وبالخصوص ساحة الشّهداء التي انطلقت منها الشرّارة الأولى للجنون المعّم. وأمر أيضاً بالسّحل في الشّوارع، وإعطاء درس لكلّ من تشمّ فيه رائحة الثّورة، وإعطاء درس لكلّ من تسوّل له نفسه الإخلال بالنّظام العامّ»².

جاء في الرواية أيضاً:

«سيارات الإسعاف كانت تشقّ ميدان التّحرير بعد أن حرّرت الكثير من الطّرقات من ردم البيوت المنهارة، مسرعة نحو مستشفيات المدينة. زادت الحركة بشكل متواتر من خلال الجنازات التي كانت تسير باتّجاه المقبرة»³.

يتّضح لنا أنّ الدّول التي تحكمها أنظمة دكتاتوريّة تتسمّ بالجمود السياسيّ. ولقد أثبتت رواية «جُمْلِكِيّة آرابيا»، أنّ ثورات الرّبيع العربيّ قادت أنظمة القبضة الحديديّة إلى الزّوال؛ فالاحتجاجات المفاجئة ستعمّ في المجتمعات التي يسودها الظّلم، وستقتل الدّول في ممارسة وظائفها، إذ لا بُدّ للمواطنين من الانتفاض للمطالبة بحقوقهم بعد نفاذ صبرهم، فالشّباب يرفضون الدّكتاتوريّة بقوة، إذ «ليست إلّا مرضاً من أمراض السّلطة وليست ظاهرة طبيعيّة»⁴.

1- أحمد دلال وخليخ العناني وآخرون، الثّورات العربيّة عسر التّحوّل الديمقراطيّ ومآلاته، ص 17.

2- واسيني الأعرج، جُمْلِكِيّة آرابيا، ص 602.

3- م. ن.، ص 597.

4- مورييس ديفرجيه، الدّكتاتوريّة؛ تر هشام منوّلي، ص 36.

بناءً على ما سبق، نتبين أنّ واسيني الأعرج رأى أنّ الشعب العربيّ لم يشهد في تاريخه ثورة غيرت مجرى التاريخ قبل الربيع العربيّ، وفيه استعملت السلطة العنف بشكل وحشيّ، فالتحق قسم من الجيش بالنوّار، فصارت الثّورة مسلّحة، ودفع المواطنون أثماناً باهظة جرّاء محاولتهم الحصول على حرّيتهم والتّخلّص من أنظمة قمعيّة جاثمة على صدورهم؛ ولكن على الرّغم من كلّ ما حدث استطاع الشعب تحقيق مطالبه، فانهارت السلطة الدّكتاتوريّة، وما كان قبل الربيع العربيّ لن يكون كما بعده.

المطلب الثّاني: الثّورة وسعي رجال الحكم إلى الإصلاح السياسيّ

نلاحظ في رواية جُمليّة آرابيا أنّ الحاكم بأمره لم يخطر بباله يوماً أن يثور الشعب عليه، فدائماً كانت دنيازاد تحدّره من خطر حدوث مفاجأة ما، ولكنّه كان يستهزئ بها؛ وعند نشوب الشّرة تسارع إلى الادّعاء بقيامه بإصلاحات جذريّة تقلّب حال البلاد، فنقول لمستشاريه:

«سيدّ البلاد يهَيّئ لإصلاحات سياسيّة ودستوريّة هامّة، ويحتاج أكثر إلى راحة البال. هناك تغيير حكوميّ يلوح في الأفق. سيترك بموجبه وزارة الدّفاع لرجل مدنيّ أو شبه عسكريّ استجابة للمطالب الجماهيريّة الواسعة»¹.

ولكنّا في الواقع أمام تعديلات شكلية لم تمسّ الجوهر، فالدّولة بقيت عسكريّة ولكن بثياب مدنيّة، فالسلطويّة في العالم العربيّ غير مستعدّة لأن تتغيّر، بل لا تستطيع أن تتغيّر لأنّها تفتقر أصلاً إلى وسائل التّغيير ومقوماته الفكريّة الصّحيحة، فتعيد اختراع نفسها بوسائل شتى لإبقاء استحواذها على السّلطة، عبر إصلاح زائف، إذ «إنّ تجسيد القيم المدنيّة لا يتمّ خارج هياكل ومؤسسات تداوليّة انتخابيّة تضمن حقوق النّاس في الاختلاف والتّعدديّة، من خلال فصل حقيقيّ بين السّلطات، وعبر مدوّنة تنظيميّة محكمة توفّر مقياساً عملياً دقيقاً لتقويم الفعل السياسيّ»²، فدنيازاد لم تُشرك أيّ قوى سياسيّة لها في الحكم، ولم تجرِ تغييرات جذريّة، فعندما سأل الجنرال حوحو من سيتسلّم المنصب، قالت:

1- واسيني الأعرج، جُمليّة آرابيا، ص 557.

2- السيّد ولد أباه، الثّورات العربيّة الجديدة المسار والمصير، ص 151.

«المواصفات تنطبق على عدد لا بأس به من الأشخاص المقربين، من الذين يأتونني بكلّ الأخبار قبل أيّ شخص آخر»¹.

ثمّ مات الحاكم بأمره بعد انقلاب ابنه وزوجته عليه، فتولّى السّلطة قمر الزّمان، من دون الالتفات إلى سنّه. وتجدر الإشارة إلى أنّ من يحكم العالم العربيّ متقدّمون في السنّ، وعند موتهم تنتقل السّلطة إلى الابن وراثيًا ولو كان صغيرًا وغير كفء؛ ولكنّ المشكلة الحقيقيّة لا تقتصر على السنّ، بل هي أعمق من ذلك بكثير، هي مشكلة عمر الأفكار والنّوّجات التي يحكم بموجبها، فهي قديمة يجب أن تكون المجتمعات العربيّة قد تجاوزتها إلى أفق أرحب من الحداثة والتّطوّر. فالهرم في العالم العربيّ ليس هرم الحكّام فحسب، بل هرم السياسات العامّة. إنّ هـرم السّياسة لا بل موتها، فالولد يسير على خطى والده ويحكم من دون النّظر إلى المستقبل، وحينئذ يتوقّف التّجدّد في الحياة العامّة، فالسّلطة تحرص على أن تولي عناية بالمظهر المنضبط على حساب سلامة الجوهر، فتعتمد في صورتها على الاستعراضات بدلًا من الإنجازات، يقول:

«السنّ لم يكن مهمًّا أبدًا. العبرة في استيعاب الميراث الذي تفخر به الأمّة. ثمّ أظهره التّلفزيون في مكتبه البيضاويّ يتّصل بالتّلفون الأحمر بكلّ الأم؛ ليخبرها بالتّغيير الجلل الذي حدث في البلاد. كلّ المكالمات كانت واضحة. تبارك له الإصلاحات الجزئيّة، وتترحم على فقيد آرابيا الذي قدّم ما عليه لأمتّه»².

حاول قمر الزّمان استمالة الشّعب عن طريق إجراء تعديلات شكليّة: «وكان من بين القرارات المستعجلة التي اتّخذها قمر الزّمان هي إفراغ السّجون من المعتقلين السّياسيين. كان البشير المورو على رأسهم»³، لكنّ النّظام الحاكم لم يفلح هذه المرّة في السيطرة على الأمور، إذ بات الشّعب يعي أنّ «المجتمع الانضباطيّ (...) يقوم على مبدأ تنويع السّلطات، وليس تفريع سلطة واحدة»⁴.

إدّا، إنّ الإصلاح والتّغيير من شأنهما أن يطبّلا عمر النّظام، ولكن لم تظنّ الدّكتاتوريات إليهما إلّا عندما انتفضت الشّوارع، فهما يحتاجان إلى مقدّرات ومكوّنات غير متوفّرة في هذه النّظم التي تعمد إلى إظهار ديمقراطيّتها صوريًّا فقط، عبر إصلاحات واهية.

1- واسيني الأعرج، جُمُعيّة آرابيا، ص 558.

2- م. ن.، ص 600.

3- م. ن.، ص 600.

4- ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن؛ تر علي مقداد، ص 35.

المطلب الثالث: هروب الحاكم وأعوانه

مهما حاول المستبدّ التّشبّث بالسلطة فإنّ مصيره الزّوال لا محال، ومهما تأخّرت الثّورة ستجيء حتمًا، فالمجتمعات العربيّة لم تعد ترى في أنظمة الحكم سوى عصابات ولصوص، بعدما انعدمت قنوات التّواصل بينها وبين الأجيال الشّابة، وما يميّز الرّواية العربيّة قُبيل ومطلع الرّبيع العربيّ هو استئصالها لأنظمة الحكم، وبتر أوصال التّدخّلات الخارجيّة في المنطقة، إذ «إنّ الثّورات العربيّة لم تكن ضدّ الاستبداد والفساد الدّاخليّ فقط، ولكن أيضًا ضدّ تبعيّة متعدّدة الأبعاد من أجل الاستقلال الوطني»¹. أمّا مصير الحكّام فليس متشابهًا، فقرّرت دنيا زاد الهرب مع أصدقائها الشّماليّين إلى خارج البلاد:

«خرجت مسرعة، تحت هدير الأصوات التي كانت تقترب من قصر عزيزة، وإلحاحات أحد الشّماليّين: بسرعة يا مدام... كان الورّاق، وزير الدّفاع، ومؤرّخ الجُمليّة جاهزًا وينتظر الأوامر بعد أن تنكّر في ألبة مدنيّة شعبيّة»².

وقد حاولت إقناع ابنها بالهرب معها، ولكنّه صمّم على عدم مغادرة البلاد، فترجّسّته لا تسمح له بتركها لمن هم دونه فلم يعد يرى الحقائق، إذ كان يعيش في انتصارات وهميّة، «إذ نمة مرض سيكولوجيّ مُصاب به الحاكم العربيّ، وهو أنّه يعدّ السلطة ملكًا خاصًا به وحقًا أبدئيًا له إلى أن يموت أو يُزاح»³؛ جاء في الرّواية:

«ولكنه تعنّت وركب رأسه، لأنّ المعلومات التي كانت تصله من حين لآخر، تتيح إمكانيّة الأمل وتدمير معاقل الثّوار بعد أن أضعفهم.

- البلاد ليست لهم ولن أسلمها للرّعيان على طبق من ذهب.

- وبين مخك؟ القذائف أصبحت تخترق قصر عزيزة وأنت تحدّثني عن زمام المبادرة؟ والطّرق السّت المؤدّيّة إلى المطار أصبحت محتلّة على الرّغم من المقاومة. لم يبق أماننا إلّا طريق واحد ووحيد سيصبح مستحيلًا اليوم أو غدًا»⁴.

1- نادية مصطفى، الثّورات العربيّة في النّظام الدوليّ، ص 7.

2- واسيني الأعرج، م. س.، ص 630.

3- مجموعة مؤلّفين، العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التّغيير، ص 103.

4- واسيني الأعرج، جُمليّة آرابيا، ص 629.

فاختار قمر الزّمان الانتحار، فقد عانى من «تخطيم ذاتي كلي»¹، بعد أن انتصر الشعب واقتحم القصر، فهرب الحاكم من المواجهة، وقرّر أن يموت بالطريقة نفسها التي كان يقتل بها محظياته؛ جاء في الرواية:

«المارشال قمر الزّمان. كان يتراجع إلى الوراء بحيث يصبح تمامًا بمحاذاة الرّ الذي يفتح تحت رجليه سرداب الأسود. سمع زئيرها فتخيّلها تذهب وتجيء في انتظار قسطها اليوميّ من اللحم البشريّ كما عوّدها الحاكم بأمره بمحظياته المقتولات»².

إدّا، لقد مات الطاغية الذي استبدّ بالعالم العربي قرونًا عدّة من الزّمن، وكان سقوطه صدمة للتّاريخ الإنسانيّ بعامّة، فأحد لم يتوقّع هذا؛ انهيار بسبب صمود شعب قرّر النهوض وبناء مستقبله، فكان عبرة لكلّ الأجيال، بأنهم إذا أرادوا أمرًا ما، فبإمكانهم تحقيقه، فهم من يوصلون الرّؤساء والرّعاء إلى سدّة الحكم:

«من كان يقول إنّ طاغية عاش قرونًا متتالية في قمة سلطانه وظلمه، يسقط من الضّربة الأولى، ويستسلم للهزّات الصّاعقة؟ هل جوهر كلّ طاغية، نمر من ورق؟ من كان يقول إنّ هذا قصر عزيزة الذي دارت فيه كل مكائد الدّنيا، سيتحوّل في جزئه الشرقيّ إلى رماد، وفي جانبه العلويّ والغربيّ إلى مرتع للغربان والصّقور والجوارح الثّقيلة»³.

يتّضح لنا أنّ الاستبداد جريمة كبرى، ولا ينتهي بزوال المستبدّ، بل قد يستمرّ مع الشّعوب، لذلك لا بدّ من انتزاعه من عقول وقلوب الشّعوب المستعبدة، وذلك من خلال عمليّة بناء تحتاج خطّة وإعدادًا وتأهيلًا نفسيًّا وعقليًّا، وهو ما يتحقّق عن طريق إجراء انتخابات نزيهة وشفافة يشارك بها جميع فئات الشّعب، فنجاح الثّورة يتعرّز بحريّة التعبير التي من دونها تبقى الأشياء ناقصة ومشوّهة، فهي التّربة الخصبة التي تتشطّ المجتمع وتعيد إليه عافيته وتساعد في تطوير الإصلاح والديمقراطيّة وازدهارهما، فلا يمكن الحديث عنهما من دون توفير الحدّ الأدنى من الحريّات الأساسيّة.

بعد قراءة الرواية، نلاحظ أنّ الثّورة في الرواية استطاعت أن تحقّق مرادها، انهارت سلطة قمر الزّمان في آرابيا بعد قرون عديدة من الاستبداد، وذلك بعد أن دفع الشّعب ثمنًا باهظًا من دماء أبنائه.

1- Paul Bernard et Simone Trouvé, *sémiologie psychiatrique*, P. 126.

2- واسيني الأعرج، م. س. ص 630 - 631.

3- واسيني الأعرج، *جُمليّة آرابيا*، ص 601.

نرى أنَّ الثَّورة حملت في الرواية تحدّيات وجوديّة، وضّحت علاقة الحُكّام بالمحكومين، ومكّنت الشُّعوب من الانتصار، فالكااتب استطاع التَّعمّق في التَّاريخ للكشف عن ضرورة تغيير الأنظمة العربيّة، ووضع حدّ لفشلها المتجدّر، وأظهر أنَّ ادّعاءات الأنظمة العربيّة بالسَّير في عمليّة الإصلاح زائفة، فثورة الشَّعب هي التي قدّمت اجتهادات وجيهة في محاولة للتصدّي لأزمات المجتمعات العربيّة المؤسّسيّة، أمّا ما تقدّمه سلطة الحكم فلا يتعدّى البطش والتَّكيد بمعارضيتها.

يمكننا إذا القول: إنّ الهاجس الثَّوريّ يورّق الكاتب ويقضّ مضجعه، ووضع الأمّة العربيّة السّياسيّ يحيا في كيانه ويؤلمه، فصاغ جراحه أيقونات، مثّلت كلّ أيقونة جانباً من جوانب الأزمة السّياسيّة التي تعيشها الأمّة العربيّة.

خاتمة

من خلال ما سبق، نبيّن أنَّ واسيني الأعرج رصد الأحداث السّياسيّة في العالم العربيّ، فأظهر تدهور الحال السّياسيّة في البلاد، مؤضّحاً الأسباب الدّافعة إلى الثَّورة التي اندلعت بعد أن ضاق الشَّعب من استبداد السُّلطات الحاكمة؛ فالعالم العربيّ يقع تحت نير الظّلم والهوان، إذ إنّ الحكم وراثيّ، ومن يحكم البلاد مستعدّ لفعل أيّ شيء كي يبقى في منصبه، والانتخابات مزيفة، ووسائل الإعلام ناطقة باسم السُّلطات لا باسم الشُّعوب، والمواطن محروم من أبسط حقوقه السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، ومن يفكر في التّعبير عن رأيه ومعارضة السُّلطة، فمصيره: الموت - النّفي - السّجن حيث يتعرّض لأقسى أنواع التّعذيب.

كما يرى «الأعرج» أنَّ الاستبداد متجدّر في تاريخ الأمّة، ولكنّ الشُّعوب العربيّة لم تقم بثورات غيرت مجرى التّاريخ، إلى أن جاء البشير المورو - رمز الرّبيع العربيّ - قادماً من هزائم غرناطة، فحينها استيقظ الشَّعب من غفوته، وبدأت الثَّورة المسلّحة، وأصبحت النّيران داخل القصر، فسقط الملك والتّالي الاستبداد، وهرب الدّعم الأجنبيّ للسُّلطة التي لم تكن لتستمرّ لولا وجوده.

بالنسبة إلينا، لا تكمن أهمّ وأخطر نقاط إخفاق الأنظمة السّياسيّة العربيّة في استبدادها وعدم وفائها بوعود التّحديث لشعوبها فحسب، بل إنّ الإخفاق الأعظم يتمثّل في أنّ هذا

الاستبداد عطل ديناميّة بناء الدّولة - الأمّة التي بدأت قبل الاستقلال، وهي ديناميّة كانت قاب قوسين أو أدنى من تفويض البنى التّقليديّة الأوليّة وإقامة سلطة مركزيّة ديمقراطيّة، يلتفّ حولها الجميع ويشعرون بالانتماء إليها.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، حسنين توفيق. ظاهرة العنف السياسي في الأنظمة العربية. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م.
2. أبو دية، أحمد وآخرون. الفساد السياسي في العالم العربي. لا ط. بيروت: منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة، 2014م.
3. الأسطل، كمال. محاضرات في النّظرية السياسيّة. ط 1. القاهرة: جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1999م.
4. الأعرج، واسيني. جُمليّة آرابيا. ط 1. بيروت- بغداد: منشورات الجمل، 2011م.
5. بدوي، أحمد زكي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة. ط 1. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1986م.
6. خلف، ريماء وآخرون. النّظّم في العالم العربيّ والطّريق إلى العدل. القاهرة: الإسكوا، 2011م.
7. درويش، إبراهيم. النّظام السياسيّ. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1998م.
8. دلال، أحمد والعناني، خليل وآخرون. الثورات العربية عسر التحول الديمقراطي ومآلاته. ط 1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018 م.
9. ديفرجيه، موريس. الدّكتاتوريّة؛ تر هشام متولّي. لا ط. بيروت: دار عويدات، 1989م. ص 36.
10. زرنوقة، صلاح سالم. أنماط الاستيلاء على السّلمة في الدّول العربيّة. ط 2. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1993م. ص 64.
11. شيخ، سلمان وحמיד، شادي. بين التّدخل والمساعدة: سياسة الدّعم الدّوليّ في مصر وتونس وليبيا. لا ط. الدّوحة: مركز بروكنجز، 2012م.
12. عبد الوهاب، طارق محمّد. سيكولوجيّة المشاركة السياسيّة. ط 1. القاهرة: دار غريب، 2000م.
13. فوكو، ميشيل. المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن. تر علي مقداد. لا ط. بيروت: مركز الاتّحاد القومي، 1990م.

14. الكواكبي، عبد الرحمن. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. لا ط. القاهرة- بيروت: دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، 2011م.
15. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون. الموسوعة السياسية. لا ط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر- دار الهدى، لا تاريخ.
16. مجموعة مؤلفين. العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير: أربع سنوات من الربيع العربي. ط 1. بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 1436هـ- 2014م.
17. مصطفى، نادية. الثورات العربية في النظام الدولي. ط 1. القاهرة: دار البشير - مركز الحضارة، 2014م.
18. النقيب، خلدون حسن. الدولة السلطوية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م.
19. ولد أباه، السيد. الثورات العربية الجديدة المسار والمصير: يوميات من مشهد متواصل. ط 1. بيروت: دار جداول للنشر، 2011م.
20. Bernard, Paul et Trouvé, Simone. **sémiologie psychiatrique**. Paris: edition Masson, 1977.

أخطاء صرفية لا تُعدّ ولا تُحصى في المواقع الإلكترونية العربية الإخبارية

Countless morphological mistakes in the Arabic news websites

د. زياد قسطنطين¹

Dr. Ziad Constantine

تاريخ القبول 2025 /9/10

تاريخ الاستلام 2025 /8 /5

ملخص

حين نتصفح المواقع الإلكترونية الإخبارية التي تتخذ العربية لغةً لها ولموادها، يُطالعنا وبشكلٍ مستمرٍّ عددٌ غير قليل من الأخطاء اللغوية. في هذا البحث سيوضع عدد من الأخطاء الصرفية التي ترد في تلك المواقع تحت المجهر لتسليط الضوء عليها وستُصحّح، إذ إنه سيُذكر الاستخدام الصائب مباشرةً بعد ورود الخطأ في الجملة.

الهدف من هذه الدراسة أكاديميٌّ بحث، إذ إنّ كاتب هذه السطور لا يودّ إظهار أيّ من المواقع الإلكترونية الإخبارية بمظهر الضعيف لغويًا أو البعيد كلّ البعد عن اللغة العربية السليمة، وإنّما الهدف هو محاولة حتّ القائمين عليها ومحرّريها ومصحّحيها على بذل المزيد من الجهود لإعداد محتوى خالٍ من هذه الأخطاء إن كان هذا الأمر ممكنًا.

صحيح أنّ موضوع هذا البحث ليس جديدًا، لكنّ المهمّ فيه هو بعث رسالة مفادها أنّ هناك دومًا من لا يكتفي بمطالعة الأخبار وقراءة المقالات، بل تصادفه أخطاء لغوية وتحديدًا الصرفية منها، ينبته إليها ولا يستطيع تجنبها لأنّه يراها بأمّ عينيه وهو يعلم جيّدًا أنّها لا تمتّ إلى الصواب بأيّ صلة.

إنّ علم الصرف واسع جدًّا، ولا يمكن ذكر سوى عدد قليل من الأخطاء الصرفية في بحثٍ مؤلّف من عدد قليل من الصفحات، لكنّ الأخطاء التي يحويها هذا البحث يمكن أن نصادفها مرارًا وتكرارًا في المواقع الإلكترونية الإخبارية التي تعتمد اللغة العربية، بمعظمها.

1- دكتور في اللغة العربية وآدابها، باحث ومدقق لغويّ منذ أربعة عشر عامًا.

الكلمات المفاتيح: مواقع، عربيّة، أخطاء، صرف، أخبار، مقال، تصحيح.

Abstract

In our daily life, when we browse the Arabic news websites, most of the times we encounter all kinds of mistakes: Grammatical, morphological... Here, in this research paper, I will show the reader some morphological mistakes found in many Arabic news websites. These mistakes are committed in general by journalists(editors) who "suffer" from linguistic weakness.

The aim of this research paper is not to criticize editors or even some proofreaders, but to highlight these mistakes, and to motivate the reader to avoid them if he/she could.

So, I will mention every morphological mistake and I will write after it the correct word, hoping that this research paper will be in the hands of readers who will learn more about linguistic mistakes, specifically here the morphological ones.

I know that this topic is not new, because many researchers have written papers and articles about it, but the importance of such a research paper is in sending a simple message: We can make huge progress if we seek to learn more about the Arabic language.

Keywords: Arabic, website, morphology, mistakes, news, articles.

مقدمة

مَنْ مَنَّا لَا يَتَصَفَّحُ المواقع الإلكترونية الإخبارية؟ أيّ حدث يقع في أيّ بقعة في العالم، ندري به بعد لحظات أو دقائق معدودة. هذا البحث سيسلّط الضوء على الأخطاء الصّرفيّة التي نَجدها يومياً في هذه المواقع التي لغتها هي العربية. والمقصود هو الأخطاء التي تُرتكب في ما يخصّ أبنية الكلمة العربية وأحوالها وأحكامها غير الإعرابية. إذ «يَتَنَاول عِلْمُ الصَّرْفِ أبنية الكلمة، فيبيّن ما لأحرفها من أصاله، وزيادة، وصحّة، وإغلال، وما يطرأ عليها من تغيّر من حالة إلى أخرى، إمّا لتبدّل في المعنى، وإمّا لتسهيل في اللفظ،

وإمّا للأمرين معاً¹». وهو يبحث في صيغ الكلمات وأوزانها، شرط أن تكون أسماء معربة أو أفعالاً متصرفة، ويقوم على تبيان وزن الكلمة المفردة وعدد حروفها. وهنا لا بدّ من الإضاءة على معنى «الصيغة»، ف«في الصّرف: صيغة من الصّيع: مُوازنة على وزن مُفاعلة، ما بنّت عليه العرب أشعارها: أوزان البحور الشعريّة، وزن بيت شعر: تقطيعه قياساً على تقاعيله»².

فما هي أبرز هذه الأخطاء الصرفيّة؟ وإذا لم تُصحّح ويتمّ تجنبها، فما هو تأثيرها على اللّغة العربيّة وقرائنها وكتّابها؟

في ما يأتي نماذج مختارة عن أبرز الأخطاء الصرفيّة، التي نصادفها في المواقع الإلكترونيّة الإخبارية العربيّة:

كبرتان أو كبريان؟

- في السادس والعشرين من شهر آذار/ مارس عام ألفين وتسعة عشر، ورد في موقع alalam.ir خبر عنوانه «معركتان كبرتان قادمتان في سوريا». إنّ مثني كلمة «كبرى» هو «كبريان» لا «كبرتان»، لأنّ الألف المقصورة تُقلب ياءً.

دعوتان أم دعويان؟

- في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني/ يناير عام ألفين وثلاثة وعشرين، ورد في موقع emaratallyoum.com خبر تحت عنوان «دعوتان قضائيتان على تويتر لسادات متأخرات إيجارية». إنّ مثني كلمة «دعوى» هو «دعويان» لا «دعوتان».

مدّيت أم مددت؟

- في الرابع من شهر أيلول/ سبتمبر عام ألفين وثمانية عشر، ورد في موقع alseyassah.com خبر بعنوان «وائل كفوري: مدّيت يدي لأقرب الناس... عضّها». يوجد في هذه الجملة خطأ صرفيّ واضح، إذ إنّ الفعل «مدّ» في الماضي تصريفه كالآتي: «أنا مددتُ» وليس «أنا مدّيتُ».

1- المعجم الأدبي، ص158، مادة صناعة.

2- المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص1523، مادة وزغ-وزن.

إنتشار أو انتشار؟

- في السابع من شهر كانون الثاني/يناير عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع janoubia.com خبر تحت عنوان «الجيش اللبناني يوسّع إنتشاره جنوباً...» وزيارة أميركيّة فرنسيّة لقيادة اللّواء الخامس في البياضة». إنّ الفعل «انتشر» خماسيّ، لذلك فإنّ همزته هي همزة وصل لا قطع، بالتّالي فإنّ كلمة «انتشار» تُكتب من دون همزة.

إستخدام أم استخدام؟

- في الثّاني والعشرين من شهر نيسان/إبريل عام ألفين وسبعة عشر، ورد في موقع lebanon24.com خبر عنوانه «دبلوماسيّ غربيّ لـ«اللّواء»: إستخدام عون للمادّة 59 فراغ صغير». إنّ الفعل «استخدم» سداسيّ، لذلك فإنّ همزته همزة وصل وليست همزة قطع، بالتّالي لا تُكتب.

إلتزام أم التزام؟

- في الثامن والعشرين من شهر آذار/مارس عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع nna-leb.gov.lb خبر تحت عنوان «اللّواء: سلام يدعو سعيد لإلتزام سياسة الحكومة الماليّة ويتمسّك بحقوق المودعين». إنّ الفعل «الترم» خماسيّ، لذلك لا تُكتب همزته، والسّبب أنّها همزة وصل لا قطع.

إستعمال أو استعمال؟

- في الثّلاثين من شهر آب/أغسطس عام ألفين وثلاثة وعشرين، ورد في موقع aliwaa.com.lb خبر عنوانه «سليمان الخائف من إستعمال ورقة النّازحين السّوريين: لبنان منهار على كافّة الأصعدة بإستثناء الأجهزة الأمنيّة». إنّ الفعلين «استنتى» و«استعمل» سداسيّان، لذلك فإنّ همزة كلّ منهما هي همزة وصل لا قطع، وبالتالي لا تُكتب.

إستقبال أم استقبال؟

- في الخامس من شهر نيسان/إبريل عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع mtv.

com.lb خبر تحت عنوان «انطلاق عملية إستقبال الترشيحات للانتخابات البلدية والإختيارية في قضاء الشوف». إن الفعل «استقبل» سداسي، والفعل «انتخب» خماسي والفعل «اختار» خماسي أيضاً. لذلك، فإنّ الهمزة في كلّ من هذه الأفعال الثلاثة لا تُكتب.

إجتماع أم اجتماع؟

- في الخامس من شهر نيسان/ إبريل عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع aljadeed.tv خبر عنوانه «خلوة سبقت الإجتماع.. هذا ما دار بين عون وأورتاغوس». إنّ الفعل «اجتمع» خماسي، لذلك فإنّ همزته همزة وصل، وبالتالي لا تُكتب.

إبنة أم ابنة؟

- في التاسع عشر من شهر آذار/ مارس عام ألفين وتسعة عشر، ورد في موقع al-akhbar.com خبر بعنوان «إبنة ديك المحدي تتجلى على مسرح الذاكرة». إنّ الهمزة في كلمة «ابنة» هي همزة وصل وليست همزة قطع، وبالتالي فإنّها لا تُكتب.

الإتصالات أو الاتصالات؟

- في الثامن من شهر شباط/ فبراير عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع lebanon24.com خبر تحت عنوان «أول تعهّد من وزير الإتصالات.. هذا ما أعلنه!». إنّ الفعل «اتّصل» خماسي، لذلك فإنّ همزته لا تُكتب لأنّها همزة وصل.

على حدى أو على حدة؟

- في السابع والعشرين من شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ألفين واثنين وعشرين، ورد في موقع akhbaralyawm.com خبر عنوانه «LBCI: وقع لبنان وإسرائيل كلّ على حدى اتفاق التّرسيم البحريّ». إنّ كلمة «حدى» تجسّد خطأ صرفياً، فهي لا تنتهي بالألف المقصورة بل بالتاء المربوطة كالآتي «حدة»، لذلك يجب أن يقال «على حدة».

إتفاقية أم إتفاقية؟

- في الثالث عشر من شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ألفين واثنين وعشرين، ورد في موقع lbcgroup.tv خبر عنوانه «الرئيس عون يعلن الموافقة على اعتماد الصيغة النهائية للرسم: هذه الإتفاقية تحفظ حقوقنا كاملة». إنّ الفعل «اتّفق» خماسي، لذلك فإنّ همزته لا تُكتب لأنّها همزة وصل لا قطع.

صبورة أو صبور؟

- في السادس من شهر أيلول/ سبتمبر عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع alanba.com.kw خبر بعنوان «نادين نجيم: أنا صبورة.. وأكره هذه الصفات في الرجال!». إنّ الوصف إذا جاء على وزن «فعل» بمعنى فاعل، فإنّه يستوي فيه المذكر والمؤنث، لذلك يقال «أنا صبور» حتّى لو كان المتكلّم أنثى.

حنونة أو حنون؟

- في الرابع من شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر عام ألفين وأربعة وعشرين، وردت في موقع almasryalyoum.com قطعة ثقافية عنوانها «امرأة حنونة وذكية». كما الكلمة السابقة، يتجلّى خطأ صرفي، إذ إنّ كان يجب القول «امرأة حنون وذكية».

مرآب أم مرأب؟

- في الثامن من شهر كانون الأوّل/ ديسمبر عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع Aljazeera.net خبر تحت عنوان «فيديو لمرآب سيّارات الرئيس المخلوع بشار الأسد». يوجد خطأ صرفي في كلمة «مرآب»، يكمن في أنّ الألف همزتها ممدودة، أمّا الكلمة الصحيحة فهي كالآتي «مرأب».

عصاتان أم عصوان؟

- في الثامن من شهر حزيران/ يونيو عام ألفين وثمانية عشر، ورد خبر على موقع akhbarona.com عنوانه «شرطيّ يحمل مسنّاً على ظهره». في نصّ هذا الخبر، ورد ما يأتي: «أظهر فيديو رجل شرطة صينيّاً... وكان المسنّ يستند على عصاتين أثناء سيره ببطء شديد...». إنّ في هذا الخبر خطأ صرفيّاً يتجلّى في تنثية

كلمة «عصا» على «عصاتين»، أمّا الصّحيح فهو أن تُنْتَى كالأتي: في حالة الرّفْع «عصوان»، وفي حالتي النّصب والجرّ «عصوين».

هاذان أم هذان؟

- في العاشر من شهر شباط/ فبراير عام ألفين وخمسة وعشرين، وردت في موقع barakanews.dz مقابلة عنوانها «المتوكّل طه: هاذان العاملان هما من أنتج لي قديمين، في بحر الكتابة والشّعر». في هذه الجملة خطأ صرفيّ فادح وهو إضافة الألف إلى اسم الإشارة «هذان» فأصبح «هاذان».

هتان أم هاتان؟

- في الثلاثين من شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر عام ألفين وواحد وعشرين، ورد في موقع elnashra.com خبر بعنوان «قبيسي: الانتخابات النّيابيّة هي صراع بين مشروعين...». في نصّ الخبر ورد الآتي: «هتان الكلمتان يمثّلان نهجًا سياسي...». عدا عن الخطأ النّحويّ المتمثّل في عدم نصب كلمة «سياسي» مع أنّها نعت، يوجد خطأ صرفيّان: يتجلّى الأوّل في استخدام كلمة «هتان» مع العلم أنّها تُكتب كالأتي «هاتان»، أمّا الثّاني فيمكن في القول «يمثلان» مع أنّ الحديث كان يدور عن كلمتين وبالتالي فهما في حالة التّأنيث، لذلك كان يجب القول «هاتان الكلمتان تمثّلان».

كلمة «بئر» مذكرة أم مؤنّثة؟

- في الثّالث والعشرين من شهر آذار/ مارس عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع lebanondebate.com خبر تحت عنوان «تحضير لمخطّط... العثور على أسلحة وذخائر في بئر قديم بريف حمص». إنّ تذكير كلمة «بئر» خطأ صرفيّ، «ويقولون: هذا البئر عميق». والصّواب: هذه البئر عميقة، لأنّ كلمة (بئر) مؤنّثة¹.

«الفخذ» مذكر أم مؤنّث؟

- في الخامس من شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر عام ألفين وعشرين، ورد في موقع

1- محمد العدناني، معجم الأخطاء الشّائعة، ص33.

alghad.com خبر عنوانه «تأكد إصابة جوردي ألبا في عضلة الفخذ الأيمن الخلفية»، في هذه الجملة خطأ صرفيَّ يتمثل في تذكرير كلمة «فخذ»، إذ إنّ «ج أفخاذ. ما بين الركبة والورك. مؤنثة¹».

هذا القدم أم هذه القدم؟

- في الخامس والعشرين من شهر أيار/ مايو عام ألفين وثلاثة وعشرين، ورد في موقع cnbcarabia.com خبر تحت عنوان «بمساحة تبلغ 190 ألف قدم مربع.. قصر بوتين السري». في هذا العنوان خطأ صرفيَّ جسيم يتمثل في تذكرير كلمة «قدم»، إنها مؤنثة.

كلمة «رأس» مذكرة أم مؤنثة؟

- في الحادي والعشرين من شهر نيسان/ إبريل عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع al-ain.com خبر رياضيّ بعنوان «الرأس الذهبية.. شياخة يتوهج بهدف جديد في الدنمارك (فيديو)». إنّ كلمة «رأس» في صيغة المذكر لا المؤنث.

ما جمع كلمة «نُصب»؟

- في الحادي عشر من شهر تموز/ يوليو عام ألفين وخمسة عشر، ورد في موقع petra.gov.jo خبر تحت العنوان الآتي «أوباما ينشئ 3 نصب تذكارية وطنية». إنّ استخدام كلمة «نُصب» للدلالة على الجمع يشكّل خطأ صرفيًّا يجب تلافيه. «النُصب: (جمع أنصاب) الشّيء الذي نُصِبَ، ما يُبنى من حجر تخليدًا لذكرى الشهداء، التمثال الذي يُعبَد²».

هذا الذراع أو هذه الذراع؟

- في السابع والعشرين من شهر نيسان/ إبريل عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع almarkazia.com خبر بعنوان «القبض على الذراع الميدانيّ لسهيل الحسن». إنّ تذكرير كلمة «ذراع» خطأ صرفي فهي مؤنثة.

1- جبران مسعود، الزائد، ص1106، مادة فَحَرَ.

2- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ص580، مادة النَّصاع- النَّصْناص.

يأوي أم يؤوي؟

- في السادس من شهر أيار/ مايو عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع almodon.com خبر عنوانه «مجزرة جديدة بالبريج: 22 شهيداً بقصف مدرسة تأوي نازحين» إنَّ استخدام الفعل «تأوي» في هذه الجملة يشكّل خطأ صرفياً، فالفعل «أوى» في الماضي مضارعه «يؤوي»، لذلك كان يجب القول «... مدرسة تُؤوي نازحين». «أوى يؤوي، المصدر إيواء، اسم الفاعل مؤوٍ، اسم المفعول مؤوًى¹».

بديا أم بدوا؟

- في السابع من شهر آذار/ مارس عام ألفين وثلاثة عشر، وردت في موقع al-akhbar.com مقالة للكاتب جان عزيز بعنوان «عن حكمت الشهابي وثوار الأرز». ورد في نصّها «بديا متجهّمين». إنَّ في هذه الجملة خطأ صرفياً يكمن في استخدام الفعل «بديا» في صيغة المثنى والذي هو «بدا» في المفرد، فكانت تجب كتابة «بدوا» لأنَّ الفعل «بدا» للمفرد يصبح «بدوا» للمثنى.

ما مضارع الفعل الماضي «دعا»؟

- في التاسع عشر من شهر شباط/ فبراير عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع almanar.com.lb خبر تحت عنوان «الحزب السوري القومي الاجتماعيّ يدعو إلى أوسع مشاركة في تشييع الأمينين العامّين لحزب الله». في هذا العنوان خطأ صرفيّ يتجلّى في إضافة الألف إلى الفعل «يدعو»، فالفعل الماضي «دعا» مضارعه «يدعو» في صيغة الغائب.

ما مضارع الفعل الماضي «صبا»؟

- في السابع عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ألفين واثنين وعشرين، ورد في موقع e.gov.kw خبر عنوانه «أمانة الأوقاف: استمرار التعاون بين دول الخليج في المجال الوقفيّ». في نصّ الخبر وردت الجملة الآتية «وأضاف السّجاريّ (...) لتحقيق الطّمّوحات التي يصبّون إليها في الاجتماع...». إنَّ في هذه الجملة خطأ صرفياً، وهو إضافة الألف للفعل «يصبو»، فالفعل الماضي «صبا» مضارعه «يصبو».

1- دانيال ريغ، ألف ألف فعل... وفعل كتاب التصريف، ص 81.

مصان أم مصون؟

- في الرَّابِع عشر من شهر أيلول/ سبتمبر عام ألفين واثنين وعشرين، ورد في موقع omandaily.com مقال بعنوان «بشفافية: الحقوق مصانة»، كتبه سهيل النّهدي. يحوي هذا العنوان خطأ صرفياً ألا وهو استخدام كلمة «مصانة». فالفعل «صان» في الزّمن الماضي مضارعه «يصون»، لذلك فإنّ اسم المفعول منه هو «مصون» لا «مصان».

أعيره أم أعير له؟

- في الرَّابِع من شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر عام ألفين وواحد وعشرين، ورد في موقع alqabas.com مقال في الصّفحة الثّقافيّة عنوانه «لِمَنْ أُعِيرُ كِتَابًا؟»، بقلم رحاب حسين. إنّ الفعل «أعار» لا يتعدّى بحرف اللام وإتّما بنفسه. لذلك، كان يجدر القول «مَنْ الَّذِي أُعِيرُهُ كِتَابًا؟».

غالي أم غال؟

- في الأوّل من شهر أيلول/ سبتمبر عام ألفين وثلاثة وعشرين، ورد في موقع lebanon24.com خبر عنوانه «ثمنه غالي جدّا.. هذا سعر «مايوه» هيفا في أحدث جلسة تصوير لها على المسبح». في هذه الجملة خطأ صرفيّ يكمن في كلمة «غالي»، إنّهُ اسم منقوص؛ ففي حالّتي الرفع والجرّ يجب حذف الياء، وكلمة «غالي» كان يجب حذف يائها لأنّها خبر مرفوع، لذلك يقال «ثمنه غالٍ جدّا».

ساعيين أم ساعين؟

- في السّادس من شهر أيلول/ سبتمبر عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع alwatannews.com خبر بعنوان «مصطفى حسني يكشف أسرار ثلاثة أوقات لاستجابة الدعاء في يوم الجمعة». ورد في نصّ الخبر ما يأتي: «في كلّ جمعة تتجدّد آمال المسلمين في اغتنام ساعة استجابة الدّعاء (...) ساعيين إلى اقتناصها...». في هذه الجملة خطأ صرفيّ يتجلّى في إضافة «ياء» إلى كلمة «ساعين». إذ إنّ اسم الفاعل من الفعل «سعى» هو «ساعٍ»، وحين يُجمع جمع مذكّر سالماً يصبح «ساعون» في حالة الرفع و«ساعين» في حالّتي النّصب والجرّ.

الدّاعيين أم الدّاعين؟

- في أحد أيام الجمعة (التّاريخ لم يحدّد على الموقع الّذي سيُذكر) من شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع alyemenialjadid.net خبر بعنوان «أطقم حوثيّة ترفع خيام المعتصمين الدّاعيين للقبض على قتلة الشّيخ صادق أبو شعر في ميدان السّبعين». في هذا النّصّ برز خطأ صرفيّ، عبر إضافة «ياء» إلى كلمة «داعين»، فالفعل الماضي «دعا» يكون اسم الفاعل منه «داعون» في حالة الرفع و«داعين» في حالتي النّصب والجرّ.

توفّي أم تُوفّي؟

- في الرّابع عشر من شهر أيار/ مايو عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع skynewsarabia.com خبر بعنوان «وفاة أفقر رئيس في العالم». ورد في نصّ الخبر ما يأتي: «توفّي رئيس أوروغواي الأسبق خوسيه مويكا، الّذي اشتهر بلقب أفقر رئيس في العالم، عن عمر 89 عامًا». في هذا الخبر خطأ صرفيّ يكمن في استخدام الفعل «توفّي»، إذ إنّ الصّحيح هو أن يُقال «تُوفّي».

أفخاخ أم فخاخ؟

- في السّادس عشر من شهر أكتوبر/ تشرين الأوّل عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع asharq.com خبر تحت عنوان «توغّل إسرائيليّ في جنوب لبنان... محاولات إعادة التّشكيل تصطدم بأفخاخ عسكريّة وطبيعيّة جبليّة». في هذا العنوان خطأ صرفيّ واضح، يتجلّى في استخدام كلمة «أفخاخ»، إذ إنّ كلمة «فخّ» تُجمّع على «فخاخ» لا «أفخاخ». «الفخّ: آلة يُصاد بها. قال الخليل هي من كلام العجم. ج فخاخ وفُخوخ¹».

ما مضارع الفعل الماضي «نعي»؟

- في الثّامن عشر من شهر نوفمبر/ تشرين الثّاني عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع arabic.news.cn خبر عنوانه «حزب الله ينعي مسؤوله الإعلاميّ محمد عفيف بعد اغتياله بغارة إسرائيليّة على بيروت». الخطأ الصّرفيّ في هذا العنوان

1- بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 679- مادة فح.

يتجلى في استخدام الفعل «ينعى»، فالفعل «نعى» في الماضي مضارعه «ينعى».

مباع أم مبيع؟

- في الثالث والعشرين من شهر أيار/ مايو عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع bna.bh (وكالة أنباء البحرين) خبر تحت عنوان «ترامب يهدد بفرض رسوم جمركية بنسبة 25% على أبل إذا لم تُصنّع الآيفون في أمريكا». في نصّ الخبر ورد الآتي: «هدّد الرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب شركة أبل بفرض رسوم جمركية بنسبة 25% على أجهزة الآيفون المباعة في الولايات المتحدة...». إنّ استخدام كلمة «مباعة» يشكّل خطأ صرفيًّا، فالفعل «باع» مضارعه «يبيع»، وبالتالي اسم المفعول منه «مبيع» و«مبيوع».

مغفون أم مُغفون؟

- في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر/ تشرين الأول عام ألفين وأربعة وعشرين، ورد في موقع shorouknews.com خبر بعنوان «الداخلية تدعو الأجانب المغفّين من تراخيص الإقامة... لتوفيق أوضاعهم». إنّ الفعل «أعفى» في الماضي مضارعه «يُعفي»، واسم المفعول منه «مُعفى»، لذلك يُقال «المُغفّن» لا «المغفّين» في حالتي النّصب والجرّ و«المُغفّون» في حالة الرّفْع.

ما الصّواب، نعيش أوقاتٍ أو نعيش أوقاتاً؟

- في الثّامن والعشرين من شهر فبراير/ شباط عام ألفين وخمسة وعشرين، ورد في موقع youm7.com خبر بعنوان «أحمد عمر هاشم: نعيش أوقات مباركة وكلّنا في الله أمل أن يرفع الغمّة عن الأمّة». إنّ في هذه الجملة خطأ صرفيًّا يتجلى في اعتبار كلمة «أوقات» جمع مؤنّث سالماً، فهي جمع تكسير. لذلك كان يجب القول «نعيش أوقاتاً مباركة...».

ما الصّحيح، نسمع أصواتٍ أم نسمع أصواتاً؟

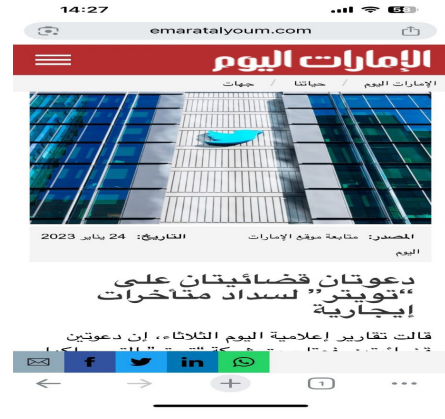
- في الحادي والعشرين من شهر آذار/ مارس عام ألفين وواحد وعشرين، ورد في موقع annahar.com خبر عنوانه «هل تسمع أصوات في منزلك ليلاً؟ تعرّف على الأسباب». يكمن خطأ صرفيًّا في هذا العنوان في اعتبار كلمة «أصوات» جمع

مؤنث سالمًا، إنَّها جمع تكسير، الصَّحيح: «هل تسمع أصواتًا في منزلك ليلاً؟».

خلاصة واستنتاج

في هذا البحث، وُضع جزء من الأخطاء الصَّرْفِيَّة تحت المجهر، لأنَّ هذه الأخطاء تشكّل نسبةً غير قليلة من الأخطاء الشائعة في اللّغة العربيّة. الهدف الأساسيّ منه تسليط الضّوء على عدد من الأخطاء الصَّرْفِيَّة الّتي لا تزال حتّى يومنا هذا تنتشر كالنّار في الهشيم. وللأسف الشديد، فإنّ كُثُرًا من النّاس يستخدمونها ولا يدرون أنّها أبعد ما تكون عن الصّواب. صحيح أنّه من المستحيل معالجة هذه المشكلة جذريًّا، وصحيح أيضًا أنّ عدم الوقوع في شرك هذه الأخطاء يشكّل أمرًا أكثر من صعب، لكنّ المرتجى من هذا البحث هو الإضاءة على هذا الموضوع، وأن يبلغ سمع أكبر عدد ممكن من الأشخاص، وذلك لكي يصبح بإمكان هؤلاء تمييز الخطأ من الصّواب. في هذا البحث تمّ تسليط الضّوء في أغلب الأحيان على الأخطاء الصَّرْفِيَّة الّتي وردت تحديدًا في عناوين الأخبار والمقالات الصحافيّة في المواقع الإلكترونيّة الإخبارية الّتي تتخذ العربيّة لغةً لها.

نماذج عن الأخطاء الصَّرْفِيَّة كما وردت في المواقع الإلكترونيّة الإخبارية





لائحة المصادر والمراجع

1. أحمد سيّد نصّار، محمّد مصطفى، درويش محمّد، عبدالله أيمن، **المعجم الوسيط**، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2014.
2. البستاني بطرس، **محيط المحيط**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، لا ط، 1998.
3. العدناني محمّد، **معجم الأخطاء الشّائعة**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2008.
4. مجموعة مؤلّفين، **المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة**، بيروت، دار المشرق، ط3، 2008.
5. مسعود جبران، الرّائد، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1964.
6. عبد النّور جبور، **المعجم الأدبيّ**، بيروت، دار العلم للملايين، لا ط، لا ت.
7. ريغ دانيال، **ألف ألف فعل... وفعل كتاب التّصريف**، باريس، ميزونوف لا روز، 1984.

لائحة المواقع الإلكترونيّة

1. www.alalam.ir
2. www.emaratallyoum.com
3. www.alseyassah.com
4. www.janoubia.com
5. www.lebanon24.com
6. www.nna-leb.gov.lb
7. www.aliwaa.com.lb
8. www.mtv.com.lb
9. www.aljadeed.tv
10. www.al-akhbar.com
11. www.akhbaralyawm.com
12. www.lbcgroup.tv
13. www.alanba.com.kw
14. www.almasryalyoum.com
15. www.Aljazeera.net

www.akhbarona.com	.16
www.barakanews.dz	.17
www.elnashra.com	.18
www.lebanondebate.com	.19
www.alghad.com	.20
www.cnbcarabia.com	.21
www.al-ain.com	.22
www.petra.gov.jo	.23
www.almarkazia.com	.24
www.almodon.com	.25
www.al-akhbar.com	.26
www.almanar.com.lb	.27
www.e.gov.kw	.28
www.omandaily.com	.29
www.alqabas.com	.30
www.alwatannews.com	.31
www.alyemenialjadid.net	.32
www.skynewsarabia.com	.33
www.asharq.com	.34
www.arabic.news.cn	.35
www.bna.bh	.36
com.shorouknews.www	.37
com.youm7.www	.38
www.annahar.com	.39

تقنيات التعبير الفني في المدرسة الكلاسيكية التقليدية بين الأدب والفن التشكيلي دراسة نقدية مقارنة

Artistic expression techniques in the traditional classical school

د. غسان نديم أمّون¹

Dr. Ghassan Nadim Ammoun

تاريخ القبول 2025/9/21

تاريخ الاستلام 2025 /9/5

ملخص

يعالج هذا البحث موضوع تقنيات التعبير الفني في المدرسة الكلاسيكية التقليدية بين الأدب والفن التشكيلي، وقد تمّ التطرّق لهذا الموضوع من أجل الكشف على تقنيات التعبير الفني في المدرستين الكلاسيكية الأدبية والتشكيلية، فضلاً عن دراسة أوجه التشابه والاختلاف بينهما، والجديد في هذا البحث هو دراسة التقنيات المختلفة بين المدرستين، وإجراء مقارنة وصفية تحليلية بينهما، أما فرضيات البحث فتعتبر أنّ المدرسة الكلاسيكية (بنوعيتها) هي مدرسة محافظة وتركز على المحاكاة والتقليد، كما أنّه لكل مدرسة تقنيات خاصّة تميّز بها عن المدرسة الأخرى، كما تُعتبر بأنّها أساس لبقيّة المدارس التي أتت بعهدّها، أمّا أهداف الدراسة فتتمحور حول الكشف عن خصائص الكلاسيكية (الفنية والأدبية) فضلاً عن دراسة بعض النماذج، ودراسة أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ولقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بدراسة الظاهرة الأدبية، دراسة شموليّة ووصفها وتحليلها، والوقوف على مختلف جوانبها، وينقسم البحث إلى عدّة محاور، يسلّط الضّوء في المحور الأوّل على المدرسة الكلاسيكية في الأدب، أمّا المحور الثّاني فيتناول المدرسة الكلاسيكية في الفن التشكيلي، في حين يتناول المحور الثّالث تقنيات التشابه والاختلاف بين المدرستين الكلاسيكية الأدبية والتشكيلية، وقد وضع الباحث في نهاية البحث عدّة توصيات وخاتمة

1- غسان نديم أمّون، باحث وشاعر وفنان تشكيلي، له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في لبنان وخارجه. ammounghassan@gmail.com

تتضمن أبرز النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة.
الكلمات المفتاحية: المدرسة الكلاسيكية، تقنيات التعبير، الفن التشكيلي، الأدب، المحاكاة.

Abstract

This research deals with the subject of artistic expression techniques in the traditional classical school between literature and plastic art. This subject was addressed in order to reveal the artistic expression techniques in the classical literary and plastic schools, as well as to study the similarities and differences between them. What is new in this research is the study of the different techniques between The two schools, and conduct a descriptive and analytical comparison between them. The research hypotheses consider that the classical school (of both types) is a conservative school and focuses on imitation and tradition. Also, each school has its own techniques that distinguish it from the other school. It is also considered to be the basis for the rest of the schools that came in its era. As for the objectives of the study, they revolve around revealing The characteristics of classicism (artistic and literary) as well as studying some models, and studying the similarities and differences between them. In this study, the researcher adopted the descriptive analytical method that is concerned with studying the literary phenomenon, a comprehensive study, describing and analysing it, and examining its various aspects. The research is divided into several axes, the first axis highlights the first axis deals with the classical school of literature, while the second axis deals with the classical school of fine arts, while the third axis deals with the techniques of similarity and difference between the classical literary and fine arts schools. At the end of the research, the researcher put forward several recommendations and a conclusion that includes the most prominent results that this study reached.

Keywords: Classical school, expression techniques, visual art, literature, imitation.

المقدمة

تعدّ المدرسة الكلاسيكيّة من التيارات الأدبيّة والفنيّة التي ظهرت في أوروبا وتركت وراءها إنتاجاً عظيماً من الإبداع الإنسانيّ سواء على صعيد الأدب أو الفنّ التشكيليّ، وقد تأثّرت المدرسة الكلاسيكيّة بالإنتاج الثقافيّ والفنيّ للعصرين الإغريقيّ والرّومانيّ، فجعلت من العقل ركيزة أساسيّة للعديد من الأعمال الأدبيّة والفنيّة، كما ركزت على مفاهيم المثاليّة والتّوازن العقليّ بعيداً عن العواطف والانفعالات.

لقد قامت الكلاسيكيّة على مبدأ المحاكاة والتّقليد، والحفاظ على التّراث والمبادئ والقيم الأخلاقيّة المتنوّعة، واشتهرت بالوضوح والبساطة بعيداً عن التّعقيد والإيحاء، ففي الفنّ التشكيليّ ركّزت على إبراز الكمال الجماليّ بما يتعلّق بشكل الإنسان الجسمانيّ، فأظهرت الأجساد بأشكال متناسقة ومثاليّة وفقاً للمثُل الهرميّة على خلاف بقيّة المدارس التي تعتمد على التّشويه البصريّ وفقاً لقواعدها الخاصّة، كما حافظت على شكل خطوط حادّة ولجأت إلى الطّبيعة كعنصر إلّهام للعديد من الأعمال الفنيّة فضلاً عن اختيار الإضاءة والألوان وطريقة توزيعها بطريقة متناسقة والابتعاد عن المسطّحات اللّونيّة الموحّدة والجامدة أمّا على صعيد الأدب فقد حافظت هذه المدرسة على الوحدات الثّلاث (الزّمان والمكان والموضوع) ووضعت قواعد صارمة على صعيد الشّكل، فحافظت على الشّكل العروضيّ على صعيد الوزن والقافية الموحّدة، فضلاً عن الدّعوة إلى التّمسك بالتّراث الأدبيّ والبعد عن الغموض في التّعبير.

أمّا إشكاليّة هذا البحث فتتمحور حول التقنيّات التّعبيريّة للمدرسة الكلاسيكيّة الأدبيّة والفنيّة، وقد نفّرت عن هذه الإشكاليّة عدّة تساؤلات أبرزها:

ما هي المدرسة الكلاسيكيّة الأدبيّة وما هي أبرز خصائصها؟

ما هي المدرسة الكلاسيكيّة التشكيليّة وما هي أبرز خصائصها؟

ما هي أبرز نقاط التّشابه والاختلاف بين المدرسة الكلاسيكيّة الأدبيّة والمدرسة الكلاسيكيّة الفنيّة؟

هذا قد اعتمد الباحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي يسعى إلى وصف الظّاهرة وتحليلها والوقوف على مختلف جوانبها من ناحية شموليّة.

وإنَّ أهميّة هذا البحث تكمن في دراسة الخصائص الفنيّة للمدرستين الكلاسيكيّة الفنيّة والكلاسيكيّة الأدبيّة، والوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بين المدرستين.

أولاً: المدرسة الكلاسيكيّة في الأدب

تمثّل المدرسة الكلاسيكيّة تيّاراً فكريّاً أدبيّاً ، ظهر في أوروبا في القرن السّابع عشر، وهو يقوم بشكل أساسي على العقل بعيداً عن الانفعالات العاطفيّة، ويدعو إلى التمسك بالوضوح والمنطق والابتعاد عن الغموض والتّعابير الرّمزيّة الإيحائيّة، بالإضافة إلى الالتزام بالوحدة العضويّة (خاصة في المسرح) ومن خصائص الكلاسيكيّة أيضاً التّركيز على القيم والمبادئ الأخلاقيّة، والعودة إلى التّقاليد القديمة كالأدب اليونانيّ والرومانيّ القديم «وعلى الإجمال من الممكن الكلام عن الأدب الكلاسيكيّ أنّه أدب العقل، والصنعة الماهرة، وجمال الشّكل، واتّباع الأصول الفنيّة القديمة للأدب»¹

تاريخياً بدأ العصر الكلاسيكيّ بالنّزعة «الإنسانيّة» في إيطاليا، «وقد كانت هذه النّزعة حركة عقليّة امتدت إلى الحياة الاجتماعيّة، وكان ممثلو هذه النّزعة يعيشون في بلاط الأمراء وأعوانهم، وكان لهم تأثير كبير في كلّ عناصر المجتمع، وسرعان ما امتدّ هذا اللون الحضاريّ إلى فرنسا في بلاط الأمراء. وتمثّل بخاصّة في بلاط «مارغريت دي نافار» وقد كان هذا الاتّجاه اجتماعيّاً، ولم تكن له أول الأمر علاقة مباشرة بالأدب، وهو وإن كان حقّاً لم ينتج أدباً من الطّراز الأول، فإنّه لولا هذه الحركة لما كان من الممكن أن تكتب الأعمال الفنيّة الكلاسيكيّة الرّائعة»².

إنّ العقل مقدّس لدى الأدباء الكلاسيكيّين، فالعقل عندهم «أساس لفلسفة الجمال لأنّه يعكس الحقيقة، والعقل هو الذي يحدّد الرّسالة الإنسانيّة (الاجتماعيّة) التي يؤدّيها الشّاعر، والعقل هو الذي يعرّز القواعد الفنيّة ويقوّيها، والعقل هو عماد الخضوع للقواعد العامّة، والعقل هو الذي يوجد بين المتعة والمنفعة، وبقدر اتّباع الأقدمين للعقل تكون صحّة المحاكاة لهم»³

1- عزّ الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط9، 2013، ص30 (بتصرّف)

2- المصدر نفسه، ص30-29

3- رفعت زكي محمود عفيفي، المدارس الأدبيّة الأوروبيّة، دار الطّباعة المحمديّة، القاهرة، ط1، 1992م، ص20

من أبرز الرواد الغربيين للمدرسة الكلاسيكية: « الكاتب الفرنسي موليير (1622م-1673م) وهو مسرحي أيضاً، وُلد في عائلة كانت تعمل في البلاط الملكي، والأديب الفرنسي لافونتين (1621م-1695م) وهو أديب وشاعر فرنسي وُلد لعائلة برجوازية، واشتهر بأعماله الخرافية التي تهدف إلى تعزيز القيم التربوية في حياة الأطفال، إضافة إلى الأديب البريطاني جون أولدهام (1653م-1683م) الذي يُعتبر رائد المدرسة الكلاسيكية، وقد وُلد أيضاً في عائلة ثرية، واشتهر بشكل الرثاء، وقد شكّل شعره صوتاً للتعبير عن القضايا العامة».¹

أما عربياً فإنّ بعض الأدباء العرب تأثروا بالكلاسيكية الغربية وأخذوا عنها، وهم الأدباء الذين أُتيحت لهم فرصة الاطلاع على ما عند الأوروبيين من ثقافة أدبية ونقد، وهم أولئك الذين تعلّموا اللغات الأوروبية وتمكّنوا من القراءة أو الزيارة أو الاطلاع ما عند الغربيين من اتجاهات ثقافية وأدبية² ومن أبرز أدباء المدرسة الكلاسيكية في الأدب العربي الحديث «الشاعر محمود سامي البارودي (1839م-1904م)، وهو شاعر عربيّ معاصر حافظ على أغراض الشعر الجاهليّة (الفخر والمدح والغزل..)، والتزم بالأوزان العروضيّة التقليديّة للشعر، والشاعر أحمد شوقي (1868م-1932م) وهو شاعر مصريّ لُقّب بأمير الشعراء، جمع بين الحضارة العربيّة والتطوّر الغربيّ، والشاعر حافظ إبراهيم (1872م-1932م) وهو شاعر مصريّ أيضاً، تناول قضايا ذات أهمية للشعوب العربيّة في العصر الحديث، وكان من رواد النهضة العربيّة. والشاعر معروف الرصافي (1875م-1954م) وهو شاعر وكاتب مصريّ يُعتبر من رواد المدرسة الكلاسيكية العربيّة، تمحور شعره حول التعبير عن مشاعر إنسانية عميقة دون انغماس في العواطف المفرطة، برزت النزعة الكلاسيكية في الكثير من قصائده»³

1 - خصائص المدرسة الكلاسيكية الأدبية

إنّ المدرسة الكلاسيكية الأدبية تتميز بالعديد من الخصائص نذكر منها: «متانة

1- سامي الجندي، رواد المدرسة الكلاسيكية وأثرهم في الأدب العربيّ،

<https://terjatev.si/post107335/>

نُشر بتاريخ 04-01-2025، تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 21-06-2025 (بتصرّف)

2- رفعت زكي محمود عفيفي، المدارس الأدبية الأوروبية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1992م،

ص31

3- سامي الجندي، مرجع سابق.

الأسلوب والعناية به عناية كبيرة، فضلاً عن محاكاة الأقدمين من الشعراء، وعدم الخروج عن قواعد اللغة التقليدية، إضافة إلى الحفاظ على الشكل التقليدي للقصيدة العربية، فاستخدموا الشعر العامودي ذا الزويّ الواحد والقافية الواحدة والوزن الواحد، إضافة إلى الحفاظ على أغراض الشعر القديمة كالمدح والرثاء والغزل والهجاء...مع البساطة في الأسلوب والجزالة في اللغة، فضلاً عن الدعوة إلى الحفاظ على المبادئ والقيم الأخلاقية»¹

ومن نماذج الأدب الكلاسيكيّ الغربيّ: قصيدة لافونتين «الغراب والتعلب:

السيد غراب، على شجرة كان واقفاً

كان مطبقاً على جبهة بمنقاره

السيد ثعلب، جذبته الرائحة فجاء طامعاً

وجه له كلاماً من هذا القبيل: «آه! صباح الخير، سيدي غراب

ما أجملك! كم تبدو لي في غاية الحسن!

بدون ادعاء، لو أنّ زقرقتك جاءت

مناسبة لريشك، لكنك ملك ضيوف هذا الغاب"

لم تسع الدنيا فرحة الغراب، ولكي يُظهر جمال صوته

فتح منقاره عن آخره، فسقط منه صيده

النقطة الثعلب، وقال «يا سيدي النية، لتعلم أنّ كلّ مداهن

يحيا عل حساب من استمع إليه

ثمن هذه النصيحة بدون شكّ جبهة

استبدّ الخجل والارتباك بالغراب

1- ياسر نديم القاسمي، المدرسة الكلاسيكية في الأدب العربي الحديث (شوقي والرافعيّ نموذجين). (د.ت)
<https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives1009/>

تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 22-06-2025 (بتصرّف)

وقطع على نفسه عهدًا، لن يُخدع مرة أخرى.¹

بالنظر إلى القصيدة أعلاه، فإنها تنتمي إلى المدرسة الكلاسيكية في الأدب العربي، ومن خصائص المذهب الكلاسيكي التي تتوقّر في هذه القصيدة: البساطة في الأسلوب، والوضوح في التعبير، والبعد عن الرموز والإيحاءات التعبيرية، إضافة إلى انعدام الانفعالات النفسية الجامحة، فضلًا عن المحافظة على الوحدات العضوية الثلاث، فهي تتمحور حول موضوع واحدة وهو خداع الثعلب للغراب، وحول مكان واحد وهو الغابة، وحول زمان واحد وهو زمن وقوع الحدث، إضافة إلى وجود الهدف الأخلاقي المتمثل بالعبرة من القصيدة، وهي عدم انخداع الإنسان بالمديح، وعدم الثقة التامة بكلام الآخرين.

ومن أمثلة الأدب الكلاسيكي العربي: قصيدة « كم ذا يكابد عاشق ويلاقي للشاعر أحمد شوقي حيث يقول:

لا تحسبن العلم ينفع وحده	ما لم يتوجّ ربه بخلاق
كم عالم مدّ العلوم حبالًا ثقت	لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظلّ يرصدُ فقهاء	لمكيده أو مُستحلّ طلاق
يمشي وقد نُصبت عليه عمامة	كالبرج لكن فوق تلّ نفاق
يدعونه عند الشقاق وما دروا	أنّ الذي يدعون خدُن شقاقي
وطبيب قوم قد أحلّ ليطبه	ما لا تحلّ شريعة الخلاق
قتل الأجنة في البطون وتارة	جمّع الدوانق من دم مُهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه	يومَ الفخار تجارب الحلاق

أول ما يلفت انتباه القارئ لهذه القصيدة هو الشكل العامودي التقليدي للشعر العربي، فهو من أبرز خصائص المذهب الكلاسيكي في اللغة العربية، حيث يحافظ على قافية واحدة وروي واحد، ولغة جزلة فصيحة قريبة من اللغة التي كانت منتشرة في عصر

1- ترجمة عبد الحميد بورايو، أستاذ التعليم العالي بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر

الجاهليّة والإسلام وما تبعهما من عصور كالعصر العبّاسيّ والأمويّ... إضافة إلى محافظة القصيدة على الوحدة الموضوعيّة، فالقصيدة هي بمعظمها تدور حول الوعظ والدّعوة إلى التّمسّك بالأخلاق، والتّحذير من استخدام العلم لغايات غير أخلاقيّة، وقد صبّت هذه القصيدة جام غضبها على العلماء المنحرفين الذين أضاعوا الأمانة، فانقدت ضلالهم وقللت من قدرهم، إضافة إلى حضور العديد من المصطلحات والألفاظ البيانيّة القديمة مع الرّخرفة الفنيّة المتمثّلة بالتّشبيه والكناية فضلاً عن استحضار القيم الدّينيّة والدّعوة إلى التّمسّك بالشرعية الإسلاميّة، هذا وقد استخدم الشّاعر الأسلوب الواضح والعبارات الشّفافّة إضافة إلى الأسلوب الخطابيّ الذي كان يهدف إلى إيصال فكرة ما أكثر من التّركيز على الرّخرف والبيان والمتعة.

ثانيًا: المدرسة الكلاسيكيّة في الفنّ التشكيليّ

إن مصطلح «كلاسيكيّة» ليس حكرًا على الأدب والفنّ، بل قد يطلق على كلّ ما هو قديم محافظ، وهو أشبه بإطار يحافظ على نمط ما ويدعو إلى التّمسّك به وعدم الخروج عن قواعده، وكلمة «كلاسيك» ترجع إلى لفظة إغريقيّة وتعني الطّراز الأوّل أو الممتاز أو المثل التّمودجيّ؛ حيث اعتمد الإغريق في فنّهم على الأصول الجماليّة المثاليّة، فقد كانوا ينحتون ويرسمون الإنسان في وضع مثالي وينسب مثاليّة، فظهر الرّجل في أعمالهم الفنيّة وكأنّه عملاق أو بطل لكمال الأجسام، وظهرت النّساء وكأنّهن ملكات جمال، فالمفهوم الكلاسيكيّ كان عندهم هو الأفضل والأمتل والأكثر جودة¹

وكلمة كلاسيك هي في الأصل كلمة يونانيّة بمعنى الطّراز الأوّل، أو الطّراز الممتاز، أو الطّراز التّمودجيّ، وتعود هذه التّسمية إلى كون اليونانيّين متمسّكين للغاية بالأسس التّمودجيّة الجماليّة، وهذا الأمر واضح بشكل كبير في منحوتاتهم البشريّة التي يطغى عليها الكمال الجسمانيّ، فالمفهوم الكلاسيكيّ في الفنّ كان له قدسيّة كبيرة لتأتي الجودة في المرتبة الثّانية².

1- محمد مصطفى عزّت، قصّة الفنّ التشكيليّ، دار المعارف، مصر، 1964م، ص 63

2- ميس الصّالح، ما هو الفنّ الكلاسيكيّ وكيف نشأ على مرّ التاريخ؟ نُشر بتاريخ 25 اغسطس 2022
https://www.cultural-mix.com/2022/08/blog-post.48_html#google_vignette

تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 22-06-2025

إنّ الفنّ الكلاسيكيّ يعكس اعترافاً داخلياً بالقيمة المعنويّة للنمط المُنبع، فالكلاسيكيّة - بشكل عامّ - وإن تأخرت في الظهور كتنّيار فكريّ يدعو إلى التمسك بالعادات والتقاليد والقيم السائدة إلّا أنّها كانت موجودة منذ القدم، فقد تمّ استخدام الفنّ الكلاسيكيّ قبل أن يخرج إلينا بصفته مصطلحاً، وكان ذلك في القرن الثامن عشر، فقد كان الفنّ الكلاسيكيّ قد ظهر من جديد في إيطاليا، وكان موجوداً منذ القرن الخامس عشر، فقد كان هناك وقتها نهضة شاملة في الميادين العلميّة كلّها، وقد شملت من ضمنها الفنّ، وخاصة فنّ الرّسم والنّحت، كما كان التّركيز في ذلك الوقت على الأصول الاغريقيّة في الفنون الجميلة، ومن بعدها قام عدد من الفنّانين بالمناداة مرة أخرى لاسترجاع تقاليد الإغريق وأيضاً اليونانيّة، مع الإشارة إلى أنّ آثارها موجودة في النّحت والعمارة وأيضاً التّصوير، وهي الأشياء الّتي كانت منتشرة في جميع انحاء إيطاليا¹

تعدّ المدرسة الكلاسيكيّة واحدة من أقدم المدارس الفنيّة على الإطلاق، وأكثرها قرباً واستساغاً للمتلقّين، وذلك لنقلها التّفاصيل الدّقيقة بشكل مبسّط وواضح، مع إضافة الطّابع الجماليّ السّاحر بعيداً عن الرّموز والتّعقيد والانفعالات الجامحة المُبالغ حفيها، فهي تركز على العقل والمنطق، وكانت ركيزة أساسيّة للمدارس التّشكيليّة الّتي أتت بعدها، والّتي ظهرت مع التّحوّل المجتمعيّ في التّغيير، فالمدرسة الكلاسيكيّة «تعتمد بشكل كبير على الرّسم الدّقيق للأشكال، وعادة ما تكون الموهبة هي المتحكّمة فيها، ونرى أنّ الفنّ الكلاسيكيّ قد اعتمد بشكل كبير على الأصول الجماليّة، فنرى في جميع الأعمال الكلاسيكيّة مجسّمات للرّجال ذوو كمال الأجسام، وفي النّساء نرى الجمال المثاليّ أيضاً لهم، فقد كان اليونانيّون متمكّنون في عمليّة نحت أو رسم الشّخص في وضع مثاليّ للغاية وبالتّسب المثاليّة، فقد اعتادوا أن يقوموا بإظهار الجمال في أعمالهم الفنيّة على أنّهم عمالقة، و على أنّه بطل في كمال الاجسام، وكانوا يظهرن النّساء على أنّهن ملكات للجمال، وكان مفهوم الكلاسيك عند اليونان هو المثاليّة والجودة»² وكغيرها من المدارس تزخر الكلاسيكيّة الفنيّة بالعديد من الفنّانين التّشكيليين كالرّسام الشهير ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci المعروف بالتّصوير والرّسم والذي

1- إيمان محمود، خصائص المدرسة الكلاسيكيّة في الفن، نشر 13 ديسمبر 2022
<https://www.almrsal.com/post831833/>

تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 2025-06-22. (بتصرّف)

2- إيمان محمود، المرجع نفسه.

تميّز بأعماله الكلاسيكية الشهيرة: لوحة الموناليزا والعشاء الأخير، إضافة إلى الفنان ميكيلانجيلو بورناروتي Michelangelo Buonarroti فضلاً عن الرسّام نيكولا بوسان Nicolas poussin والرسّام الفرنسيّ جاك لوي دافيد Jacques-Louis David وغيرهم من الفنانين الذين برعوا في مجال الفنّ الكلاسيكيّ آنذاك.

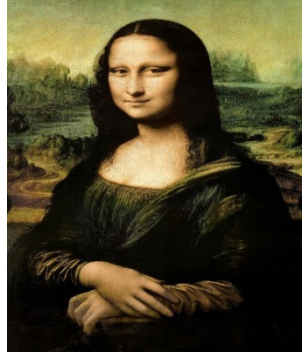
أمّا عربياً فقد تأثّر العديد من الفنّانين التشكيليين بالمدرسة الكلاسيكية فيم بعد ولكن لم يكن لهم صدى كبيرٌ مقارنةً بالفنّانين الغربيين الأوائل، نذكر منهم: الفنّان المصري محمود سعيد، والفنّان اللبّانيّ مصطفى فروّخ، والرسّام العراقيّ عبد القادر الرسّام وغيرهم...

1 - خصائص المدرسة الكلاسيكية التشكيلية

بما أنّ الكلاسيكية مدرسة في الرّسم فهي تتمتع بالعديد من الخصائص والمميّزات، فالعقل يشكل محوراً أساسياً للعمل الفنّي، «حيث تُعتبر الكلاسيكية نموذجاً للفكر العقليّ والتأمليّ، فيكون العقل فيها هو الحكم النهائيّ في جميع جوانب الفنّ، كما تعتمد الكلاسيكية على قواعد صارمة في العمل الفنّي، فهي تسعى إلى إبراز الواقع كما هو، بعيداً عن الخيالات والانفعالات والتّجريد فضلاً عن البحث عن المثاليّة حيث تسعى هذه المدرسة إلى تجسيد الجمال بطريقة مجرّدة ونقيّة خالية من خيالات غيبية أو تعبيرية زائدة، خاصّة في تصوير الأجسام بطريقة مثاليّة جماليّة، مع الاعتماد على قاعدة التّكوين الهرميّ الهندسيّ كطريقة لتشكل جسم الإنسان، كما تعتمد الكلاسيكية على الطّبيعة في عمليّة التّشكيل، فتتّظر إلى الطّبيعة باعتبارها مصدر إلهام لاكتشاف جماليّتها الداخليّة أمّا على صعيد الخطوط والأبعاد فهي تتميّز ببنيانها الهندسيّ الممتاز ودقّة الخطوط الحادّة والواضحة، أمّا فيما يتعلّق بالألوان والإضاءة فإنّ المدرسة الكلاسيكية تستخدم مجموعة متنوّعة من الألوان لتوفير عمق وتنوّع بصريّ أكثر ثراءً وتبتعد عن استخدام المساحات الملونة الموحّدة الضّخمة، إضافة إلى توزيع الضّوء والظّل بطريقة منطقيّة مدروسة لإبراز التّفصيل الدّقيقة.»¹

1- صفاء العبادي، خصائص المدرسة الكلاسيكية في الفنّ التشكيليّ: جوهر المنطق والإبداع المتّزن، نُشر 26 مارس 2025،

2 - لوحة الموناليزا (ليوناردو دافنشي)



تتنمي هذه اللوحة إلى المدرسة الكلاسيكية في الفن التشكيلي، وهي تحمل العديد من الخصائص الفنية لهذه المدرسة نذكر منها:

2-1 العقلانية والوضوح

إنّ اللوحة تجسّد مشهداً لامرأة تجلس بطريقة مثالية، وخلفها يبدو مشهد طبيعي يتكوّن من سماء وأشجار وبحيرة وطريق، فالمشهد يبدو عقلانياً، نستطيع من خلاله إدراك المغزى بسهولة، وهو يخلو من الرموز، والإيحاءات، والإشارات والعواطف الجامحة.

2-2 المثالية

قام الفنّان بتشكيل واقعيّ لوجه المرأة، هذا التشكيل جاء ممزوجاً بالمثالية المفرطة التي يسعى الفنان إلى إيصالها، وذلك من خلال وضعيّة المرأة وطريقة جلوسها، فضلاً عن ملامحها الجميلة واللباس المتألّق الفخم، بالإضافة إلى الخلفيّة الطّبيعيّة التي تضفي جمالاً إضافياً على اللوحة، ويجسّد الفنان بهذا المزج بين صورة المرأة والطّبيعة نوعاً من الانسجام المثالي بين الشّخصيّة وعالمها الخارجيّ.

2-3 الخطوط

على عكس الخصائص الكلاسيكية يعتمد دافنشي الخطوط الناعمة في تشكيل عناصر لوحته، باستثناء تلك الخطوط التي تشكّل رأس المرأة وشعرها وكتفها، فهي تبدو خطوطاً حادة تظهر التباين الواضح بين الصّورة والخلفيّة، فضلاً عن خطوط اليدين، إضافة إلى اعتماد قاعدة التكوين الهرميّ في تشكيل جسم المرأة، حيث يبدأ هذا التشكيل من الرأس

وينتهي عند أسفل البطن.

التوازن: هذا التوازن يتجلى في المشهد الطبيعي الهندسي، الذي يمثل قواعد المنظور بأبعاده المختلفة وهو ما يميز هذه المدرسة.

4-2 الألوان

استخدم دافنشي التدرج اللوني في تصوير لوحته، وذلك من أجل تشكيل مشهد متنوع ذي عمق بصري وهو ما يُعرف شعبياً بمصطلح (التعتيق) مبتعداً عن المساحات اللونية الموحدة والجامدة.

الإضاءة

قام دافنشي بالدرجة الأولى بتسليط الضوء بشكل مباشر على المرأة من أجل شدّ المتلقّي إلى الرسالة الأساسية التي يريد إيصالها من خلال هذا العمل، ثم قام بتسليط الضوء بطريقة متدرجة على معظم مساحات اللوحة من أجل خلق أبعاد متنوعة وثلاثية الأبعاد، وهذه الطريقة الفنية تعدّ من التقنيات المميزة في المدرسة الكلاسيكية.

ثالثاً: تقنيات التشابه والاختلاف بين المدرستين الكلاسيكية الأدبية والتشكيلية

إنّ الأدب والفنّ التشكيليّ هما أداتان للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الوجدانية، وإنّ لكلّ منهما أدواته الخاصة التي تعتمد على الموضوع أو الفكرة التي يريد إيصالها، وكلّ شيء في الحياة يتفرع الأدب والفنّ إلى مدارس وطرق مختلفة في التعبير، يعتمد بعضها على التقليد ويعتمد البعض الآخر على النّوّة والتّجديد، وإنّ بحثنا اليوم يركّز على التقليد التعبيريّ في مجاليّ الأدب والفنّ التشكيليّ لا سيّما المدرسة الكلاسيكية التي تضمّ كلا من الفنّين، فقد «يشارك الأدب بمختلف أجناسه مع الفنون بمختلف تفرعاتها في كونهما أداتين للتعبير عن الإنسان في حالاته المتعدّدة، كما يشتركان في نقطة تتجاوز التعبير إلى توثيق التاريخ البشريّ. وإنّ كان الأدب يمثّل حالة إبداعية تتركز في تجسيدها على الكتابة النصّية أو الخطيّة، فإنّ الفنّ يمثّل كلّ ما لا يتجاوز إمكانيّات المبدع في التعبير عنه نصّاً مثل النّحت والرّسم. كما تقف بعض الفنون على نقطة تماسّ بين الكتابة الإبداعية والإخراج الفنّيّ مثل النّصّ المسرحيّ الذي يتجسّد على الخشبة، أو النّصّ

الشّعريّ الغنائيّ الذي يكتب ليصاحب بلحن موسيقيّ يحولّه إلى ما يعرف بالأغنية¹.

لذلك يرتبط الأدب بالفنّ التشكيليّ «ارتباطاً وثيقاً، فقد اجتمعا في أشكال عديدة موضوعيّة من حيث أن يكون موضوع العمل الأدبيّ متعلّقاً بالفنّ التشكيليّ أو العكس، أو بجمع المبدعين بين الأدب والتّشكيل، أو مرافقة أحدهما للآخر، أو تأثير أحدهما على بنية الآخر².

إنّ هذا التقارب بين الأدب والفنّ التشكيليّ دفع بالعديد إلى إجراء محاولات عديدة من أجل الجمع بين أنواع الفنون جميعها لا سيّما الأدب والفنّ، ولكنّ ذلك لم يتكرّس على أرض الواقع «وبخاصّة عندما نشب التّضارب فيما بين الفنون المختلفة من حيث التسلسل التاريخيّ لأطوار كلّ منها، من ذلك أنّه بينما يحدّد بعض الأدباء فرنسا كمهد الكلاسيكيّة، إذ بطائفة من مؤرّخي الفنّ التشكيليّ يعزّون عودة المبادئ الكلاسيكيّة إلى ظهور تلك الآثار الفنيّة التي أسفر عنها التّقيّب في أطلال «هيراكولانوم» و «بومبي» ثمّ إلى قيام النّوّة الفرنسيّة وإلا ما استتبع ذلك في انتعاش الفكر في المجتمع الحديث³ ثمّ نقوم بإجراء مقارنة بسيطة نحدّد من خلالها نقاط التّشابه والاختلاف بين التّقنيّات الكلاسيكيّة المختلفة في التّعبير الوجدانيّ على صعيد الأدب والفنّ التشكيليّ.

1 - أوجه التّشابه

- إنّ المدرستين تقومان على المحاكاة والتّقليد، ويعود كلّ منهما إلى العصر الإغريقيّ والرومانيّ القديم.
- إنّ العقل هو العنصر الأساسيّ الذي تقوم عليه المدرستان، بعيداً عن الانحدار نحو هوّة الخيال والتّطرّف العاطفيّ.
- على صعيد التّصوير المثاليّ تسعى كلّ من المدرستين إلى إبراز الكمال الجماليّ والذي يتعلّق بشكل الإنسان على الصّعيد الخارجيّ (الجسمانيّ) والداخليّ (النّفسيّ).

1- صفاء البيلي، انفتاح الأجناس الأدبيّة على الفنون.. «الرواية.. الموسيقى... التّشكيل والمسرح» نُشر 27 سبتمبر <https://4f6d0/cl.n9/> تمّ الاطّلاع عليه بتاريخ 2025-06-22

2- صفاء البيلي، المرجع نفسه.

3- طارق مراد، الكلاسيكيّة وفنون عصر النّهضة، موسوعة المدارس الفنيّة للرّسم، دار الرّاتب الجامعيّة، ط1، 2005م، ص53

- كلتا المدرستين تقومان على إيصال الرّسائل الأخلاقيّة من خلال نقل القيم والمبادئ العقلانيّة والأخلاقيّة.
- إنّ المدرستين تقومان على البساطة والوضوح، والبعد عن التّعقيد الفكريّ، ممّا يجعلهما أكثر شعبيّة وقرباً من النّاس.

2 - أوجه الاختلاف

- اختلاف التّقنيات التّعبيريّة، حيث تقوم الكلاسيكيّة الأدبيّة على اللّغة والشّعْر أمّا الكلاسيكيّة الفنّيّة فتعتمد على الرّسم والنّحت والتّصوير.
- إنّ طريقة التّلقّي تختلف من مدرسة إلى أخرى، ففي المدرسة الكلاسيكيّة الأدبيّة يحتاج الإنسان إلى مدّة من الزّمن من أجل الإلمام بالصّورة الفنّيّة، لاسيّما في قراءة الشّعْر والأعمال المسرحيّة، وذلك يحتاج إلى جهد عقليّ بينما يتطلّب العمل الفنّي الكلاسيكيّ بضع لحظات من أجل فهم الفكرة كاملة، حيث إنّنا من أوّل مشاهدة للوحة نفهم الموضوع ونحيط به من مختلف جوانبه وذلك يعتمد يحتاج إلى ملاحظة بصريّة مع تركيز ذهنيّ واعٍ.
- تستخدم المدرسة الكلاسيكيّة الأدبيّة أساليب فنّيّة تقوم على الصّور والمحسنات والبلاغة، بينما تعتمد الكلاسيكيّة الفنّيّة على الخطوط والألوان والإضاءة والحركات، والمنظور.
- إنّ الكلاسيكيّة الأدبيّة تسلّط الضّوء على القيم والمبادئ الأخلاقيّة، بينما تهتمّ الكلاسيكيّة التشكيلية بالتركيز على الكمال الجسمانيّ والشّكل الخارجيّ المثاليّ.

رابعاً: التّوصيات

إنّ لكلّ قديم قيمة خاصّة، تمثّل الجذور لكلّ ثقافة، ومن ليس له ماضٍ ليس له حاضر، فالحفاظ على القديم ليس تخلفاً، بل سعيّاً للحفاظ على كنز مليء بالعديد من الإيجابيّات التي نكاد نفتقد إليها في عصرنا الحاليّ، لذا يجب التمسك بالمبادئ الكلاسيكيّة وإعادة إحيائها بما يتناسب مع مقتضيات العصر، وذلك من خلال خلق نوع من التّوازن يحفظ لكلّ مدرسة خصوصيّتها، إضافة إلى تشجيع الأدباء والفنانين على الحفاظ على خصائص الكلاسيكيّة الأصليّة كالوضوح، والالتزام والحفاظ على القيم

والمبادئ الأخلاقية الراسخة، والهدف من جميع هذه التوصيات هو خلق عملية توازن بين ما هو تقليدي أصيل وبين ما هو عصري مرّن.

خامسًا: الخاتمة

إنّ المدرسة الكلاسيكية في الأدب والفنّ التشكيليّ تقوم بشكل أساسيّ على قواعد العقل، وتتبع قوانين صارمة من حيث الحفاظ على الشكل والمضمون، فلا وجود للخيالات والانفعالات الجامحة، إنّما تحافظ على الواقعية في التعبير، وهي تعدّ من المدارس الأساسية والرائدة في عوالم الفنّ التشكيليّ والأدب العربيّ والعالميّ، وقد توصلّ البحث في هذا المجال إلى عدّة نقاط، أبرزها:

1 - إن المدرستين الكلاسيكية الأدبية والفنية يعودان إلى العصر الإغريقيّ والرومانيّ القديمين.

2 - هناك العديد من وجهات التشابه والاختلاف في تقنيّات التعبير بين الكلاسيكية الأدبية والكلاسيكية الفنية التشكيلية.

3 - يعدّ التقليد (المحاكاة) العنصر الأساسيّ الذي تقوم عليه الكلاسيكية في الفنّ والأدب.

4 - إنّ المدرسة الكلاسيكية (الأدبية والفنية) تقدّسان العقل وتبتعدان عن المراوغة والإيحاء في التعبير.

5 - تلتزم كلتا المدرستين بقواعد صارمة ولا تخرجان عن الأطر المرسومة في التعبير.

6 - تحافظ المدرسة الكلاسيكية في الأدب على الأوزان العروضيّة والقافية الواحدة، وتعتمد على الألفاظ الجزلة والأسلوب الواضح وتتأثّر بالشعر الجاهليّ والإسلاميّ بمختلف أنواعه.

7 - تركّز الكلاسيكية الأدبية على القيم والمبادئ الأخلاقية، بينما تركّز الكلاسيكية الفنية على الخطوط والمشاهد، والألوان، والإضاءة، والمنظور.

8 - اختلاف طريقة التلقّي بين المدرستين، فالمدرسة الأدبية تقوم على بذل جهد ووقت من أجل قراءة وفهم النصوص والمشاهد المسرحيّة، بينما يحتاج العمل الفنّيّ

إلى جهد قليل ولحظات قليلة من أجل فهم المعنى.

9 - تتقاطع الخصائص الكلاسيكية الأدبية والفنية في البساطة والوضوح، والمثالية.

المصادر والمراجع

الكتب:

- 1 - إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه. دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2013 (بتصرف).
- 2 - عفيفي، رفعت زكي محمود. المدارس الأدبية الأوروبية. دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1992م.
- 3 - عزت، محمد مصطفى. قصة الفن التشكيلي. دار المعارف، مصر، 1964م.
- 4 - مراد، طارق. الكلاسيكية وفنون عصر النهضة، موسوعة المدارس الفنية للرسم، دار الزائت الجامعية، ط1، 2005م.

المراجع الإلكترونية.

- 1 - البيلي، صفاء. افتتاح الأجناس الأدبية على الفنون.. «الرواية.. الموسيقى... التشكيل والمسرح» نُشر 27 سبتمبر

<https://n9.cl4/f6d0>.

- 2 - الجندي، سامي. رواد المدرسة الكلاسيكية وأثرهم في الأدب العربي،

<https://terjatev.si/post107335/>

نُشر بتاريخ 2025-01-04.

- 3 - الصالح، ميس. ما هو الفن الكلاسيكي وكيف نشأ على مر التاريخ؟ نُشر بتاريخ 25 أغسطس 2022

https://www.cultural-mix.com/2022/08/blog-post.48_html#google_vignette.

- 4 - العبادي، صفاء. خصائص المدرسة الكلاسيكية في الفن التشكيلي: جوهر المنطق والإبداع المتميز، نُشر 26 مارس 2025،

<https://n9.cl/h9wle7>.

- 5 - القاسمي، ياسر نديم. المدرسة الكلاسيكية في الأدب العربي الحديث (شوقي والرافعي نموذجين). (د.ت)

<https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives.1009/>

- 6 - محمود، إيمان. خصائص المدرسة الكلاسيكية في الفن، نشر 13 ديسمبر 2022

<https://www.almrsal.com/post.831833/>

الرموز والصّور الشعريّة مرآة الاغتراب النفسي في قصيدة

«لم يلدني شجر قطّ»

للشاعر «شوقي بزيع»

Les symboles et les images poétiques comme miroir de l'exil
psychologique dans le poème «Aucun arbre ne m'a jamais enfanté »

du poète Shawqi Bazi

د. نعيمة حسين شكرون

Dr. Naïmah Hussein Chakroun

تاريخ القبول 2025 / 9/21

تاريخ الاستلام 2025 / 8 / 1

الملخص

تُعدّ قصيدة «لم يلدني شجر قطّ» للشاعر اللبناني «شوقي بزيع» من أبرز النصوص الشعريّة التي تكشف عن توتر الذات الإنسانيّة بين جدليّة الوجود والعدم، والانتماء والاعتراب. تتفتح القصيدة على أسئلة الهوية والمصير، حيث يقدّم الشاعر صورة الكائن الممزّق بين الرّغبة في الارتقاء والاصطدام بعبثيّة الوجود. ومن خلال بنية رمزيّة مكثّفة، يعكس النّص تجربة وجوديّة تعبّر عن انكسار الذات المعاصرة في مواجهة الفراغ الرّوحيّ. ويأتي البحث ليحلّل الأبعاد الرّمزيّة والدّلاليّة في النّص، استنادًا إلى المنهج النّفسيّ-الوجوديّ، للكشف عن تجلّيات الاعتراب والبحث عن المعنى في القصيدة، وما تحمله من صور شعريّة كثيفة ومرايا لغويّة تعكس مأزق الإنسان الحديث.

الكلمات المفتاحيّة

شوقي بزيع، لم يلدني شجر قطّ، الاعتراب الوجوديّ، الصّور الشعريّة، الرّموز، الموت والعدم، البحث عن المعنى، المنهج النّفسيّ الوجوديّ.

Résumé

Le poème « Je ne suis né d'aucun arbre » du poète libanais Chawki Bzeih constitue l'un des textes poétiques les plus significatifs qui révèlent la tension de l'être humain entre la dialectique de l'existence et du néant, de l'appartenance et de l'aliénation. Le poème s'ouvre sur les questions de l'identité et du destin, où le poète offre l'image d'un être déchiré entre le désir d'élévation et la confrontation avec l'absurdité de l'existence. À travers une structure symbolique dense, le texte reflète une expérience existentielle qui exprime la fracture du moi contemporain face au vide spirituel. Cette recherche analyse les dimensions symboliques et sémantiques du texte, en s'appuyant sur la méthode psycho-existentielle, afin de mettre en lumière les manifestations de l'aliénation et de la quête de sens dans le poème, ainsi que les images poétiques intenses et les miroirs linguistiques qui traduisent l'impasse de l'homme moderne.

Mots-clés

Chawki Bzeih, Je ne suis né d'aucun arbre, aliénation existentielle, images poétiques, symboles, mort et néant, quête de sens, approche psycho-existentielle.

المقدمة

يحتلّ «شوقي بزيع» موقعاً متميّزاً في الشعر العربي الحديث، إذ انشغل في قصائده بأسئلة الإنسان الكبرى: الهوية، والزمن، والمصير، والموت. وتأتي قصيدته «لم يلدني شجر قطّ» لتجسّد إحدى التجارب الشعريّة التي تتقاطع مع الفلسفة الوجوديّة، عبر رصدها لحالة اغتراب الذات وانكسارها أمام أسئلة الحياة والموت؛ فالقصيدة تتشكّل من شبكة من الصّور التي تعكس صراع الشّاعر الداخليّ بين الرّغبة في التّجدد والحياة، وبين الإحساس بالوحدة والعبيثيّة.

إنّ دراسة هذا النّص تكشف عن الصّور البيانيّة ودلالاتها من جهة، وعن حضور البنية الرّمزيّة من جهة أخرى، فتصبح القصيدة مجالاً خصباً للتحليل النّفسي-الوجودي. ومن هنا، يهدف البحث إلى تفكيك الدّلالات العميقة للنّص، مع إبراز كيفية تحوّل اللّغة

الشعرية إلى مرآة للفلق الإنساني والبحث عن المعنى.

إشكالية البحث

تطرح قصيدة شوقي بزيع «لم يلدني شجر قط» مجموعة من الأسئلة الكبرى المتعلقة بالذات الشاعرة وتجربتها الوجودية: كيف يعكس الشعر تجربة الاغتراب النفسي والوجودي؟ وما الدور الذي تؤديه الرموز والصور الشعرية في تجسيد هذا الاغتراب؟ وكيف يتداخل التراث الديني والأسطوري والتاريخي مع التصورات الفردية للمعاناة، والفقد، واليأس؟

فرضية البحث

تفترض هذه الدراسة أنّ الرموز والصور الشعرية في قصيدة شوقي بزيع «لم يلدني شجر قط» لا تقتصر على التزيين اللغوي أو الجمالي للنص، بل تمثل أدوات جوهرية لتجسيد الاغتراب النفسي والوجودي للذات الشاعرة، فالصور الشعرية من استعارات وتشابيه وكنائيات تعمل على تكثيف الانفعالات الداخلية، أمّا الرموز الدينية، والتاريخية، والأسطورية فتعكس الصراع بين الرغبة في الانتماء والأمل من جهة، وبين الإحساس بالعجز والفقد من جهة أخرى.

كما تفترض الدراسة أنّ تداخل هذه الرموز مع الصور البيانية يخلق فضاء شعريًا يعكس الانفصال عن العالم والآخرين، والانكسار أمام المصاعب الوجودية، فيصير النصّ الشعريّ مرآة صافية لتجربة الإنسان في مواجهة الصراع النفسي والوجودي، ويتيح فهم العلاقة بين الشكل الشعري والمعنى العميق للاغتراب.

أهمية البحث

1- الأهمية الأدبية: يسهم هذا البحث في تقديم قراءة معمّقة للقصيدة من خلال تحليل الرموز والصور الشعرية، بما يثري الدراسات النقدية للشعر المعاصر، ويبرز الأساليب التي يوظفها الشاعر في التعبير عن التجربة الإنسانية المكثفة.

2- الأهمية النفسية والوجودية: يوضح البحث كيف يمكن للشعر أن يكون وسيلة لتصوير الاغتراب النفسي والوجودي، ممّا يتيح للدارس فهمًا أعمق للصراعات الداخلية للذات الشاعرة وعلاقتها بالواقع والحياة.

3- الأهمية الرمزية: يسلط الضوء على دور الرموز الدينية والتاريخية والأسطورية في الشعر الحديث، وكيفية توظيفها لنقل رسائل وجودية مركزة، فتبرز قيمة الشعر كأداة لفهم المعاني العميقة والتجارب الإنسانية المعقدة.

4- الأهمية النقدية والمنهجية: يقدم البحث نموذجًا لتحليل الرموز والصّور البيانية ضمن إطار أكاديمي متكامل، مما يساعد الباحثين والطلّاب على تطوير مهارات القراءة النقدية الدقيقة وربط الجانب الجمالي بالشعور النفسي والوجودي.

أهداف البحث

1- تحليل الرموز والصّور الشعرية في قصيدة شوقي بزيع «لم يلدني شجر قط»، ودراسة دورها في تجسيد التجربة الوجودية والنفسية للذات الشاعرة.

2- كشف العلاقة بين الرمزية والاعتراّب النفسي والوجودي، من خلال توظيف الرموز الدينية والتاريخية والأسطورية، وربطها بالصّور البيانية المستمدة من الطبيعة والجسد والفضاء.

3- توضيح وظيفة الصّور الشعرية من استعارات وتشابيه وكنائيات في نقل الصّراعات الدّاخلية والانفصال عن العالم والآخرين، وإبراز العجز الفردي أمام المصاعب والخذلان.

4- تقديم رؤية أكاديمية شاملة حول كيفية استخدام الشعر المعاصر للرموز والصّور في التعبير عن التجربة الإنسانية، وتطوير أدوات تحليلية تمكّن الباحثين من فهم البعد النفسي والوجودي للنصوص الشعرية.

الإطار النظري للمنهج النفسي الوجودي

1 - تعريف المنهج النفسي الوجودي

المنهج النفسي الوجودي هو إطار تحليلي يجمع بين مفاهيم التحليل النفسي من جهة، والفلسفة الوجودية من جهة أخرى؛ ليفسّر التجارب الإنسانية العميقة من حيث الصّراعات الدّاخلية، البحث عن المعنى، والاعتراّب الوجودي. يركّز هذا المنهج على دراسة الذات في علاقتها مع الوجود، حيث يواجه الإنسان قضايا مثل الحرية، والعدم،

والموت، والقلق الوجودي¹.

2 - المحاور الأساسية للمنهج النفسي الوجودي

- الاغتراب: يشير إلى شعور الإنسان بالعزلة والبعد عن ذاته، والآخرين، والعالم من حوله، مما يؤدي إلى أزمة هوية وصراع داخلي².
- اللامعنى: تعبير عن حالة التناقض بين رغبة الإنسان في إيجاد معنى لحياته، وبين غياب هذا المعنى في العالم المحيط به، وأن ماهيته إنما تكمن على الأرجح في أن عليه في كل مرة أن يكون كينونته بوصفها الكينونة التي تخصه³.
- الحرية والمسؤولية: «الحرية جوهر الوجود»⁴، وحرية الإنسان تكمن في اختيار طريقه ومسؤولية هذا الاختيار أمام ذاته، على الرغم قسوة الواقع والضغوط المحيطة.
- القلق الوجودي: «هو الإدراك التأملي للحرية نفسها»⁵، وهو حالة من التوتر وعدم الاطمئنان ناتجة عن مواجهة الإنسان لحقيقة وجوده، ومحدوديته، ومصيره المحتوم⁶.
- الموت: يُعدّ الموت أحد المحاور الأساسية في الفكر الوجودي، حيث يعي الإنسان مصيره الحتمي، مما يدفعه إلى البحث عن معنى في الحياة⁷.

وفي تحليل النصوص الأدبية، خاصة الشعرية منها، يتيح المنهج النفسي الوجودي قراءة أعمق للصراعات الداخلية للشخصيات أو الذات الشاعرة، ف «الشعر لغة الشعب البدئية. فيها يتم الانكشاف إلى الوجود الذي ينفث عبرها»⁸، إذ يفسر الدلالات النفسية والفلسفية وراء الرموز والصّور، ويربطها بأسئلة الوجود الكبرى مثل الهوية، والحرية، والموت.

كما يُمكن من التعرّف على التّوترات النفسيّة الوجوديّة التي تعبّر عنها اللّغة الشعريّة

1- بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص20

2- النوري، قيس، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، ع 1، وزارة الاعلام، 1970، ص18

3- مارتين هيدغر، الكينونة والزمان، تر. فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2012، ص64

4- بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، م.س، ص144

5- سارتر، الوجود والعدم، تر. عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1966، ص102

6- بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، م.س، ص136

7- Heidegger Martin, Les hymnes de Holdrin, N.R.F, Gallimard, Paris, 1988, p. 126

8- أيوب، نبيل، نص القارئ المختلف²، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2011، ص219

من خلال الرموز والتراكيب الفنية، مما يتيح فهماً شمولياً لتجربة الاغتراب والبحث عن المعنى.

الشاعر شوقي بزيع: نبذة موجزة

شوقي بزيع (مواليد 1951) هو شاعر لبناني معاصر¹، ينتمي إلى فئة قليلة من الشعراء الذين وسّعوا أفق النصّ الشعريّ العربيّ، وجعلوه مختبراً للأصوات والألوان والمعرفة والصمت كامتداد عميق لطبيعة الحياة اليومية في تعدّدها وزخمها وفوضاها في محاولة إلى أخذ القصيدة إلى مكان أكثر استقلالاً لأبعادٍ جماليةٍ تنتصر للإنسان واللغة والشعر بشكل أساسي، ودوافعه كانت بشكل أكبر معرفيّة وتاريخيّة؛ ممّا يؤكّد المكانة التي يحتلّها بزيع داخل الثقافة العربيّة، لا بوصفه شاعراً أو مدوّناً، بل ككاتب ومتقّف يحمل مشروعاً معرفياً يوازي بين رقة الإبداع ورحابة التكوين المعرفيّ وحدة الموقف، وأصعب شيء بالنسبة إليه كشاعر أن يستطيع امتلاك تلك الخلطة السحرية التي يوثّق من خلالها عناصر الكتابة المختلفة، أي بين أن يحضر في تاريخ الشعر كطاقة لغويّة تعبيرية وجمالية من جهة، وأن يحفر في تربة الدّاخل الإنسانيّ بسلاسة ومن دون تعسّف.²

وهو يُعدّ من أبرز الأصوات الشعريّة التي تناولت موضوعات الوجود، والاعتراب، والهوية في سياق التجربة اللبنانيّة والعربيّة. وتتميّز أشعاره بالإحساس العالي، واستخدام الرموز والصّور الشعريّة المعبرة عن الصّراعات النفسيّة والوجدانيّة؛ وقصيدة «لم يلدني شجر قطّ» تعكس جانباً من أزmate الوجوديّة، وتعبّر عن حالة اغتراب عميقة يعيشها كشاعر وإنسان.

نشأة القصيدة والسّياق الثقافيّ

نشرت القصيدة في مجلة الآداب، العدد 11، عام 1993³، وهي تعكس تأملات ذاتيّة وشخصيّة حول الهوية، الانتماء، والبحث عن معنى وسط واقع متشابك مليء بالتحدّيات، ويمكن وصفها أنّها تعبير عن تجربة فريديّة، ولكنّها تحمل أبعاداً وجوديّة

1- Wikipedia.org

2- www.aljazeera.net أشرف الحساني 4/10/2021

3- Alsharekh.org

عامّة تعكس حالة الإنسان المعاصر في مواجهته للفراغ والاعتراب.

مفهوم الاعتراب في المنهج النفسي الوجودي

الاعتراب هو حالة شعورية ووجودية يعيشها الفرد نتيجة انقطاع الصلة بينه وبين ذاته أو محيطه الاجتماعي أو الكوني¹، ويولد لديه إحساساً بالعزلة واللاجدوى وفقدان الانتماء²؛ ويتجلى هذا المفهوم في الفلسفة الوجودية بوصفه مأزق الإنسان في مواجهة عبثية العالم، كما يرتبط في التحليل النفسي بحالات الانقسام الداخلي والاعتراب عن الهوية الأصلية³.

وفي الشعر يشكّل الاعتراب محوراً للتعبير عن التمزّق النفسي والروحي، حيث تُستثمر الصور البيانية والرموز؛ لتصوير غربة الشاعر عن العالم وعن ذاته معاً، فهي عنصر تكويني، ومن دونها ينحدر الشعر إلى تجريد خالص أو إلى ثرثرة فارغة⁴؛ ومن هذا المنطلق، كان لا بدّ من التوقّف عند هذا المفهوم في قصيدة «لم يلدني شجر قطّ».

قراءة أوليّة للقصيدة: الموضوع والمضمون

تسود أجواء القصيدة مسحة من اليأس والخذلان، إذ يستسلم الشاعر لقدر محتوم، فيشبه ذاته بنبتة ذابلة يخبو نورها، إيذاناً بالأفول؛ ويتجسّد الموت في التّصّ كزائر يطرق بابه، ويحرّك أمامه «مناديل الرّحيل»، إيحاءً بالوداع الأخير؛ وفي استعارته لنفسه طائرًا يتخبّط في الأودية المظلمة، تتضح صورة التّيّه والبحث العبثي عن مخرج في غياب الدليل. أمّا الأرض، فتغدو شاهدة على تاريخ طويل من الخراب، إذ شاخت بفعل القرون ودفنت في ترابها جثث الماضي، فلا يبقى في فضاءها سوى نبض محدود، وتقدير في العطاء، وكأنّها تبخل على أبنائها بغير الخسارات والضحايا.

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت - باريس، ط2، 2001، مج 1، ص43

2- بركات، حليم، الاعتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الخلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص37

3- هيجل، فنومينولوجيا الروح، تر. ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2006، ص514

4- Heidegger Martin, Les hymnes de Holdrin, N.R.F, Gallimard, Paris, 1988, p.115

بيدي الشاعر رغبة جامحة في أن يتحوّل إلى نار؛ فأوحى بعملية تحوّل كيميائي أو طاقي ترفعه من حالة الجمود الترابي إلى مستوى الإشعاع والحركة، كما يتمنى أن يكون لقاحاً يهيئ لخصوبة الأرض وتجدد الحياة، لتغدو كعروس تستعدّ للحمل والولادة، في إشارة إلى دورة بعث جديدة؛ غير أنّ هذا الأمل يتبدّد أمام صورة الموت التي يجسدها الشاعر كحيوان مفترس يفغر فاهه لالتهامه، فيستسلم له من دون مقاومة. وفي استعارة التئويج بـ «الإكليل»، تتداخل رمزية الموت مع الولادة الثانية، إذ يسعى الشاعر إلى أن تمتزج ظلمات الموت بدم آخر، بما يتيح ولادة حياة أخرى، وصنع بديل من نقيضه، في حركة جدلية بين الفناء والتجدد.

وتبلغ القصيدة ذروتها عند لحظة الاعتراف بالاستسلام للمشئنة الكونية، فيقول الشاعر: «ردني طيناً كما كنت»، طالباً العودة إلى الحالة الأولى، ما قبل المعاناة والتجارب والانكسارات، إلى مرحلة الفناء والتحرر من ثقل الوعي، أو إلى إعادة التكوين من جديد. هذه العودة المرجوة تهدف إلى استدعاء «لهبه» نحوه، في إحالة إلى الشغف الداخلي، وإلى رمز الروح أو الطاقة الحيوية التي بُنيت فيه أول مرة، في عملية خلق ثانية ترتقي به بدلاً من التشتت أو الانطفاء الذي يعيشه حالياً. ومن هنا يشيع الشاعر من قبل «قرائينه» قائلاً: «فترثيني قرائيني»؛ وكلمة «قرائيني» جمع «قرين»، وهو المرافق الدائم، سواء كان إنساناً أم فكرة أم ظلاً معنوياً. وفي التراث الديني والأسطوري، القرين هو الروح المرافقة أو النظير الروحي للإنسان؛ ويقصد الشاعر بها الذات الأخرى التي يحملها في داخله، أي أنه المتعددة، أو الأشخاص والأفكار التي تتقاطع معه في المصير والمعاناة، أو حتى تجسّدات وجوده عبر الأزمنة. وكأنّ كلّ قرين يمثل نسخة منه في مرحلة أو عالم مختلف، فيغدو القرين أكثر من مجرد اسم؛ بل امتداداً لهويته المتشظية.

وتتحوّل الأحجار، في بعدها الرمزي، إلى أدوات لقراءة الزمن الداخلي للشاعر؛ فهي ليست مجرد عناصر طبيعية يتلمس بها نبض الفصول، بل إشارات دالة على ذكريات وتجارب ومحطات حياتية مكنته من الإحساس بإيقاع الزمن وتقلباته: الربيع، الصيف، الخريف، والشتاء. وفي خضمّ هذا الوعي الزمني، ينفي الشاعر انتماؤه إلى أي أصل أسطوري، معلناً أنّه لم يكن مولود الشجر، ولم تمنحه قوى الرعد اسمه؛ ليؤكد بذلك افتقاره إلى الجذور الخارقة أو الحكاية المؤسسة التي تمنح الكائن هوية أسطورية، مكتفياً بواقع وجوده الإنساني المجرد.

وتتزامم الصّور في ذهن الشّاعر، فتطلّ «رايات» لا تكفيها السّهول، في استعارة مكثّفة توحى بانّساع الرّؤيا وضيق الفضاء أمام طموحها. ويتجلّى الشّاعر كنهر الحياة الجاري نحو «بحر ميّت الموج»، في صورة تجمع بين حركيّة الحياة وجمود الموت؛ ليشكّل التّناقض بينهما محورًا دلاليًا للصّراع الوجودي. وفي هذا الفضاء المتوتّر، تختلط المعاني بالأسماء، فيقف الشّاعر عند الرّمز؛ ليحمّله طاقات وإحياءات تجسّد رحلة الحياة مع الإنسان، بين أهوال الحروب وتقابلات العناصر: الماء والنّار، الصّعود والهبوط، الخير والشرّ. وفي ذروة الغوص في أعماق التّجربة، لا يبصر الشّاعر إلّا ما يعنيه، ظلام الحيرة واليأس والإحباط، في انعكاس لحالة الاغتراب النّفسيّ والروحيّ التي تخيم على النّصّ.

ومن هذا المنطلق، يتطلّع الشّاعر إلى الانفلات من حدود الوجود الراهن نحو أفق غير محدود، حيث تتعافى الخسارات، ويخضرّ العشب في ربوع بلاده، وتحمله الرّياح إلى صباحات جديدة وحياة أخرى، يهّل فيها لهدم ما مضى فوق أبراج الحطام والخراب. وفي هذه الرّؤية، يستعدّ الشّاعر لصورة «القرى البيضاء» كرمز للنّقاء والبدائية، ويعود إلى الينابيع والجذور الأولى، مؤمنًا بأنّ الحياة، بالرّغم من اليأس، تتجدّد في سلسلة ودّامة لا تنتهي. وعلى الرّغم من تصويره لذاته وهو يمشي مطأطيء الرّأس «كغراب رابط الجأش» في إشارة إلى العزلة والاغتراب، فإنّه يسلم بأنّ هذه الحركة الدائريّة هي سنة الحياة. ويختتم نصّه بوصيّة أخيرة يودعها لمن يرفع «الصّخرة» من بعده، وكأنّها إقرار بأنّ صراع الإنسان مع الحياة قدر لا فكاك منه.

البناء الفنّي للقصيدة: الصّور الشعريّة والرّموز

يتجلّى في النّصّ الشعريّ تداخلٌ عضويّ بين الرّمز والصّور البيانيّة، حيث تتجاوز التّشابه والاستعارات والكنائيات وظيفتها التّصويريّة المباشرة؛ لتغدو حوامل دلاليّة عميقة تُشيد المعنى الرّمزيّ، فتتعاوض الصّور البيانيّة مع البنية الرّمزيّة، لتكوين خطاب شعريّ تتشابك فيه الحسيّات والمجردات، ويغدو المشهد الفنّي مرآة للاغتراب النّفسيّ والوجوديّ معاً، حيث تتحوّل كلّ صورة إلى علامة مشحونة بطاقة رمزيّة، لا توضّح ولا تفسّر، إنّما تحجب، ولا تجعل الشّيء مألوفًا، بل تبقّيه متميِّزًا غريبًا¹، وهذا يغني التّجربة الشعريّة،

1- Heidegger Martin, Les hymnes de Holdrin, N.R.F, Gallimard, Paris, 1988, p. 115

ويفتحها على آفاق تأويلية لا نهائية، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال:

التشابه

1- «كأني طائر يخط في أودية عمياء»

الطائر في هذا التشبيه يرمز إلى الذات الشاعرة، وهو كائن معروف بالحرية والقدرة على التحليق، لكنه هنا عاجز، وهذا يعكس شعور الاغتراب والعجز لدى الشاعر الذي ينغمس في الوجودية ف «الحقيقة المحزنة هي أن حياة الإنسان الفعلية تتكون من مركب من الأضداد التي لا علاج لها - ليل ونهار، ميلاد وموت، سعادة وشقاء، خير وشر... إن الحياة ساحة عراك»¹، والحرية المادية أو الروحية موجودة بالاسم، لكن الواقع يمنع تحقيقها، ويعزز ذلك «الفعل: يخط»، إذ يوحي بالعشوائية والارتباك، وهو يعكس صراع الذات مع محيطها غير المعلوم أو المربك، فالطائر لا يطير بسلام، بل يصطدم ويخفق، مما يرمز إلى العجز عن الوصول إلى غاياته أو فهم واقعه، وهو يخط في الأودية العمياء التي ترمز إلى الانغلاق والغموض واللّوجهة، أي المسارات التي لا تؤدي إلى خلاص أو اكتشاف. وهذا يعكس شعور الشاعر بالتيه النفسي، إذ لا يجد سبيلاً للتواصل أو الاستقرار، سواء على مستوى الذات أم العالم الخارجي.

2- «كأن الأرض شاخنة من قرون»

الأرض هنا ليست مجرد فضاء طبيعي، بل هي كائن حي يمثل التاريخ والزمن والوجود الإنساني، واستخدامها يضفي على المشهد بعداً رمزياً، إذ تصبح الأرض شاهدة على الأحداث والتحوّلات عبر العصور.

الفعل «شاخنة» يرمز إلى التقدّم في العمر، والانكسار، والضعف بعد طول صبر وتحمل، وهذا يعكس حالة الانكسار والهبوط التي يمكن إسقاطها على الشاعر أو على الإنسانية بشكل عام، كأنها تشارك الذات الشاعرة شعور اليأس والتعب من الزمن.

وإضافة «من قرون» تضيف بعداً تاريخياً ووجودياً، فتؤكد طول المعاناة والاستمرار في الفناء الرمزي، وأن هذا الانكسار ليس لحظة عابرة بل تراكم طويل للآلام والتجارب.

1- كارل يونغ، الإنسان ورموزه، تر. عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، سوريا، ط1، 2012 ص104

التشبيه كله يحول الأرض إلى رمز للقدم والفناء والاعتراب التاريخي، حيث يظهر عالم متعب ومنهك بفعل الزمن، كما يعكس شعور الشاعر بالارتباط بالزمن والمكان من خلال تجربة مستمرة من الانكسار والاعتراب، فهو إنسان اليوم الذي «يشعر بأنه معزول في الكون، نظرًا لأنه لم يعد على علاقة بالطبيعة»¹، والأرض هنا ليست حيادية، بل تعكس حالة الذات النفسية والوجودية، فتتوازى مع شعور الشاعر بالضّعف والانقطاع عن الحياة المثمرة، وبالنّيه والضياع داخل عالم لا يقود إلى الأمان أو الإشباع.

3- «وأنا النّهر الذي يدفعه المجرى لكي يبلغ بحرًا ميت الموج»

النّهر هنا يرمز إلى الذات الشاعرة، إلى الحركة المستمرة والسعي نحو الغاية؛ فالنّهر ككائن حيّ يحمل الماء، ويجري نحو مصّبه، يعكس النشاط الداخلي، والرغبة في الحركة، والسعي لتحقيق الذات أو الوصول إلى معنى في الحياة، والمجرى يمثّل القوّة أو الظروف الخارجية التي تحدّد مسار النّهر، أي أنّ الذات لا تتحرّك بحريّة كاملة، بل يجبرها السياق أو الأحداث على السير في طريق محدّد؛ وهذا يرمز إلى شعور اللاّحرية والاعتراب الإجماليّ، حيث تتحرّك الذات وفق قوانين العالم الخارجيّ من دون القدرة على اختيار الاتجاه النهائيّ، والبحر «الميت الموج» يشير إلى نهاية بلا حياة أو فاعليّة، على الرّغم من الحركة المستمرة للنّهر.

هنا تكمن المفارقة: الجهد والسعي مستمرّ، «والإنسان ليس سوى ما يصنعه بنفسه»²، لكنّ الغاية فارغة من الحيويّة، ما يعكس شعور الاعتراب الوجوديّ واليأس، إذ إنّ الوصول إلى الهدف لا يمنح الإشباع أو الحياة.

إنّ التشبيه يصوّر الذات الشاعرة ككائن يسير بلا قدرة على التّحكّم في مساره، مدفوعًا بالقوى الخارجيّة نحو غاية عقيمة أو ميتة؛ فالنّهر والمجرى والبحر رموز للاعتراب النفسيّ والوجوديّ، إذ يشعر الشاعر بأنّه عالق بين حركة لاختيار محدود ووجهة بلا حياة، فيعكس صراع الذات المستمرّ مع الواقع والقدر.

1- كارل يونغ، م.ن، ص117

2- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر. عبد المنعم الحفني، الدار المصرية، ط1، 1964، ص14

4- «كأني مدن مذبوحة في الشمس من دون غطاء»:

المدن هنا ترمز إلى الذات أو الوجود الاجتماعي والثقافي للشاعر، كونها «مدناً» يضيف بعداً جماعياً أو وجودياً، وكأنّ الذات ليست فردية فقط، بل جزء من كيان أوسع معرض للخطر والضّياح، وتعبير «مذبوحة» يوحي بالعنف والاضطراب والخراب، ويعكس شعور الشاعر بالعزلة والتّهديد النفسيّ.

هنا تتحوّل المدن إلى رموز للانكسار والاغتراب العميق، وكأنّ كلّ الحياة فيها معرضة للفناء، ولا يمكن حماية الذات من المعاناة، و«التّعرّض للشمس بلا غطاء» يزيد من الإحساس بالعري والانكشاف، ويضيف بعداً من القسوة والتّجرد من الحماية؛ وهذا يعكس شعور الشاعر بالعزلة التامة والانفصال عن الأمان والطّمانينة، حيث لا ملاذ أو مأوى من المعاناة أو الصّراع النفسيّ.

إنّ هذا التّشبيه يجمع بين الانكشاف، والعنف، والانهيّار، ليصوّر حالة اغتراب نفسيّ وجودي؛ ف «المدن المذبوحة في الشمس» تصبح استعارة للذات المعزولة والمفتوحة على الألم، والغياب الكامل للملاذ أو الحماية، وهو تصوير شعريّ قويّ لحالة الانفصال عن العالم الطّبيعيّ والاجتماعيّ والنفسيّ، ويبرز شعور الشاعر بالضعف والهشاشة أمام قسوة الواقع.

5- «أسند كالنّخلة جدران السّماء»

النّخلة رمز للتّبات والعلوّ والصّبر، فهي شجرة طويلة ترتفع نحو السّماء بجذعها القويّ؛ واستخدامها هنا يرمز إلى الذات الشاعرة أو الإنسان الباحث عن السّند والارتقاء، والفعل «أسند» يوحي بمحاولة الدّعم أو التّبات، أي أنّ الذات الشاعرة تحاول مواجهة الضّغوط أو الصّعوبات عبر الارتكاز على شيء أعلى أو أكثر ثباتاً.

وربط النّخلة بـ «جدران السّماء» يخلق صورة رمزيّة قويّة للاتّصال بالعلوّ والروحانيّة، لكنّه أيضاً يشير إلى الوحدة والاغتراب، إذ إنّ السّند الذي تلجأ إليه الذات ليس ملموساً، بل مجرد امتداد رمزيّ أو خياليّ، لا يمنح حماية فعليّة، ممّا يعكس شعور الشاعر بالعزلة على الرّغم من البحث عن الدّعم.

إنَّ التشبيه يصوِّر الذات الشاعرة كشجرة صامدة، تحاول الارتكاز على شيء أعلى من نفسها، لكنَّ هذا السند رمزيّ وغائب، فيعكس الاغتراب النَّفسيّ والوجوديّ. إنَّه تصوير شعريّ للتّوازن بين الرّغبة في الثّبات والعلوّ، والشّعور بالعزلة وعدم الاكتمال، ف «الإنسان لن يحقّق لنفسه الوجود، ولن يناله، إلّا بعد أن يكون ما يهدف إلى أن يكونه»¹، وبذلك تصبح الذات معرّضة للانفراديّة والغربة على الرّغم من صلابتها الظّاهريّة.

6- «شبق كامرأة تمتحن النّهر بساقيها»

المراة هنا ترمز إلى الرّغبة أو الطّاقة الحسيّة، وهي كائن حيّ يتحرّك ويتفاعل مع المحيط، واستخدام المراة يضيف بعداً إنسانياً وحسبياً على المشهد، ويحوّل الطّبيعة إلى فضاء للتّفاعل العاطفيّ والجسديّ، والفعل «تمتحن» يوحي بالاختبار والاستكشاف، وهو فعل دقيق وحذر يعكس تفاعل الذات مع المحيط، واختبار حدودها؛ والنّفس أو الرّغبة الشّاعرة تتفاعل مع «النّهر» لمعرفة قدراتها أو تأثيرها على الواقع المحيط.

والنّهر يرمز إلى الطّبيعة، والزّمن، أو الحياة نفسها، أمّا «بساقيها» فيوحي بالاختراق الجزئيّ والمباشر للفضاء الطّبيعيّ، أي محاولة التّمرّكز والسيطرة أو التّفاعل مع العالم من خلال الجسد أو الفعل.

إنَّ التشبيه يصوِّر الرّغبة والبحث عن التّوازن بين الذات والعالم، حيث تصبح الذات الشّاعرة عاملة في فضاء طبيعيّ يرمز إلى القوى الخارجيّة والزّمنيّة، إنَّه تصوير شعريّ للتّوتّر بين الرّغبة والسيطرة والاعتراب، إذ تعكس المراة في هذا التشبيه محاولات الذات للتّفاعل مع العالم، لكنّها تصطدم دائماً بالحدود الطّبيعيّة، فتعكس شعور الانفصال والاعتراب النَّفسيّ والوجوديّ.

7- «ناء كربيع لم تعد أزهاره من كربلاء»

الرّبيع يرمز عادةً إلى الحياة، والتّجدد، والخصوبة، والفرح؛ وفي هذا السّياق، يُستعمل ليقابل حالة الافتقاد أو الخواء، فهو يشير إلى موسم كان يمكن أن يكون مليئاً بالحياة والجمال لكنّه فقد ذلك في واقعه الذي لا يجد فيه «غير لحظة لامتناهية في الصّغر»².

1- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص15

2- سارتر، الوجود والعدم، م.س، ص 222

والتعبير «ناء» يوحي بالبعد، والغربة، أو الانعزال، والرَّبيع هنا بعيد أو مبتعد عن ذاته الطَّبِيعِيَّة، فيعكس شعور الشَّاعر بالاغتراب والخواء، وكأنَّ الجمال والحياة التي يمثِّلها الرَّبيع غير متاحة له؛ أمَّا الإشارة إلى «كربلاء» فتضيف بعدًا تاريخيًا وروحيًا، إذ تُحيل إلى المأساة والمعاناة، فالعبارة توحى بأنَّ الجمال فُقد نتيجة الصِّراع والمعاناة، ممَّا يزيد من إحساس الغربة والفراغ.

إنَّ التشبيه يصوِّر حالة اغتراب عاطفيٍّ وروحيٍّ، حيث يصبح الرَّبيع الَّذي يرمز إلى الحياة والجمال بعيدًا ومبتورًا، وهو انعكاس للانقطاع النَّفسيَّ عن مصادر الفرح والاكتمال، كما يدمج النَّصَّ البعد التاريخيَّ والوجوديَّ للمعاناة، فيجعل الغربة في النَّصِّ متعدِّدة المستويات: نفسيًّا، ووجوديًّا، وروحيًّا.

8- «ها أنا ألتف كالحرير على عنق انكساراتي»

الحرير، في هذا التشبيه، رمز للاختناق أو الحصار، وهو يحمل دلالات العنف النَّفسيِّ والضَّغط الداخليِّ؛ فتشبيه الذات بالحرير يوحي بشعور شديد بالاختناق والانغلاق على الذات، أي أنَّ الشَّاعر يربط نفسه بمعاناته بدلًا من التحرُّر منها.

والفعل «ألتف» يدلُّ على الحركة الدَّائرية والاحتباس، أي أنَّ الذات تدور حول نفسها في الحاضر، متأثرة بانكساراتها الدَّاخِليَّة، و«الحاضر هروب مستمرٌّ في وجه الوجود»¹، وهذا يعكس حلقة مغلقة من الألم واليأس، حيث يصبح الانكسار جزءًا من كيان الذات الَّذي يصعب الخروج منه؛ أمَّا «عنق انكساراتي» فيحدِّد مكان الضَّغط النَّفسيِّ، فهو يشير إلى النِّقطة الحيويَّة في الذات الَّتِي تتحمَّل أثقل المعاناة؛ وتشبيه الانكسارات بالعنق يبرز قوَّة الألم وتأثيره المباشر على حياة الذات النَّفسيَّة، ويعكس شعور الشَّاعر بالاغتراب الدَّاخِليَّ نتيجة تراكم الصَّدَمات والانكسارات.

هذا التشبيه يصوِّر الذات في حالة انعزال نفسيٍّ شديد واغتراب داخليٍّ، حيث تتحوَّل الانكسارات إلى قيد يحيط بالذَّات ويخنقها؛ إنَّه تصوير شعريٍّ للمعاناة الدَّاخِليَّة المستمرة، ويؤكد الاغتراب النَّفسيَّ العميق الَّذي يعيشه الشَّاعر، إذ تتداخل الذات مع ألَمها بطريقة تكاد تمنعها من التحرُّر أو التَّواصل مع العالم الخارجيّ.

1- سارتر، الوجود والعدم، م.س، ص 227

9- «أقعي مثل برج خرب فوق حطامي»

الفعل «أقعي» يوحي بالانكماش والانطواء على الذات، والشاعر - الإنسان «لو لم يعزه شيء لوقع في الوجود، وفقد حتى الحضور في الوجود، من أجل الحصول - في مقابل ذلك - على عزلة الهوية الكاملة»¹، وهو وضع جسدي يعكس حالة نفسية من الانكسار والعجز، حيث ينكمش الإنسان أمام ثقل الهزيمة أو الألم؛

والبرج عادة يرمز إلى القوة والعلو والمراقبة، لكن وصفه بـ «الخرب» يبدد هذه المعاني، فيحوّله إلى رمز للتصدّع والانهيار وفقدان الجدوى، فيتحول البناء الشامخ إلى أطلال، تمامًا كما تتحوّل الذات القويّة إلى كيان هشّ.

أمّا «حطامي» فيشير إلى الركام الناتج عن الانهيار، «والسقوط فرار من القلق»²، سواء كان ماديًا أم نفسيًا، ووجود الذات «فوق» الحطام يوحي بأنها تحيا وسط آثار دمارها الشخصي، «إنّه النقص بما هو كذلك الذي يمكنه من أن يكون حضورًا»³، أي أنّ الشاعر يظلّ جالسًا فوق أنقاض ذاته، شاهداً على ما فقده، غير قادر على مغادرة مساحة الخراب.

إنّ هذا التشبيه يختزل صورة الاغتراب النفسي العميق؛ فالذات لم تعد برجًا شامخًا، بل برجًا خربًا لا يؤدي وظيفة الحماية أو الارتفاع؛ وهذا المشهد يدمج بين العزلة (القعود) والانكسار (الخراب) والاستسلام (البقاء فوق الحطام)، فيعكس إحساسًا باللاجدوى وفقدان المعنى.

10- «ها أنا افترش الرّيح كحطّاب»

يوحي الفعل «أفترش» بالانكشاف والاستسلام للأرض أو للواقع، وهو فعل يُظهر الذات في حالة ضعف وعزلة، مع تعرّضها لقوى خارجة عن إرادتها (الريح)؛ والحطّاب رمز للجهد الشاقّ والتعرّض للعوامل الطبيعيّة في أثناء العمل، فهو كائن عاديّ معرّض للخطر والتعب، وتشبيه الذات بالحطّاب يوحي بأنّ الشاعر محاصر بالقسوة، مضطرّ لمواجهة العالم من دون حماية أو ملجأ، أي أنّه في حالة اغتراب نفسيّ وجسديّ متواصلة.

1- سارتر، م.ن، ص 230

2- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 35

3- سارتر، الوجود والعدم، م.س، ص 230

وترمز الريح هنا إلى الظروف المحيطة القاسية أو القوى الخارجية التي تؤثر على الذات الشاعرة، سواء كانت اجتماعية أم وجودية؛ فيوحي تعبير «أفترش الريح» بالتعرض المباشر لهذه القوى، أي أن الذات تعيش في فضاء غير مستقر، معرض للضغط والانكسار.

هذا التشبيه يصور الذات الشاعرة في حالة انكشاف وعزلة متطرفة، حيث تتحول الحياة إلى مواجهة مستمرة مع القوى المحيطة؛ إنه تصوير شعري للاغتراب النفسي والوجودي، إذ يشعر الشاعر بالانفراد وعدم الانتماء، ويضطر لمواجهة الواقع القاسي كما يفعل الحطاب مع الطبيعة، من دون دعم أو حماية.

11- «سأمشي نحو ياسي كغراب رابط الجأش»

يوحي الفعل «سأمشي» بالحركة والإرادة في المستقبل الذي يريده الشاعر من أجل تشكيل إطاره الوجودي: «يصبح وجودًا كغراب محدث للحاضر»¹، لكنه مرتبط باليأس، أي أن الذات تتحرك على الرغم من إدراكها للفشل والانكسار؛ فالحركة هنا ليست نحو الهدف أو الأمل، بل نحو حالة الاغتراب واليأس الداخلي. والغربان عادة رموز للموت، والحزن، أو الشر، وهي طيور تتجول في العالم بعيون مراقبة وحذرة، وتشبيه الذات بالغراب يعكس حالة الانعزال والاعتراب النفسي، إذ يتحرك الشاعر ككائن يتصف بالمراقبة والانطواء، بعيدًا عن الحميمة والانتماء. أما تعبير «رابط الجأش» فيوحي بالنبات والصبر على المحن، أي أن الغراب لا يتحرك عشوائيًا بل مستعد لمواجهة المصاعب، فيرمز إلى ثبات الذات وسط الإحباط واليأس؛ وهنا يجمع التشبيه بين اليأس والانكسار وبين الصبر والتحمل، في صورة مركبة تعكس الصراع النفسي العميق للذات.

هذا التشبيه يصور حركة الذات نحو اليأس كحركة متعمدة، على الرغم من إدراكها لحجم الفقد والمعاناة؛ فالغراب رمز الانعزال والاعتراب، و«رابط الجأش» يبرز الصبر على المعاناة؛ فيخلق التشبيه بهما صورة شاعرة للاغتراب النفسي والوجودي، حيث تمشي الذات بين الانكسار والنبات، بين العزلة والإرادة المحدودة، في عالم يعكس فقدان الأمل والانتماء.

1- سارتر، الوجود والعدم، م.س، ص 235

الدلالة العامة للتشابه

تظهر هذه الشبكة من التشابه أن الاغتراب في النص متعدد الأبعاد:

- نفسيًا: من خلال العزلة، والانكسار، والاستسلام.
- وجوديًا: عبر الفناء الرمزي، وفقدان الهدف، والانقطاع عن الحياة المليئة بالمعنى.
- رمزيًا وطبيعيًا: الطبيعة والعناصر المحيطة تعكس الانفصال والاغتراب.
- اجتماعيًا/ تاريخيًا: عبر إشارات (مثل كربلاء) تربط التجربة الشخصية بالمأساة الجماعية.

وبهذا، تصبح التشابه في قصيدة «شوقي بزع» أداة لإظهار التجربة الشعورية العميقة للاغتراب النفسي والوجودي، حيث تتقاطع الذات مع العالم والزمان والمكان بطريقة تكثف شعور الانفصال والفقد.

الاستعارات

1 - «لم يلدني شجر قط»

الشجر هنا يُرمز به إلى الحياة، والخصوبة، والنمو، والانتماء إلى الطبيعة؛ وإن الذات الشاعرة تصف نفسها ككائن محروم من النمو الطبيعي أو الحياة المتجددة، أي شعور بالاغتراب والفقد منذ البداية، معزولة عن الطاقات الحيوية المحيطة بها.

2 - «مطفأ صدي»

الصدر عادة يرمز إلى مركز العاطفة والحياة الداخلية؛ ووصفه بأنه «مطفأ» يشبه النفس بالشيء الذي فقد قدرته على الإشراق أو الانطلاق، في إشارة إلى الجمود العاطفي واليأس النفسي، حيث غابت الحرارة والنبض الداخلي، وكأن الذات عاجزة عن التفاعل مع العالم أو التعبير عن مشاعرها.

3 - «كي تؤاخي وحشتي القاع»

القاع يرمز إلى الفراغ المكاني أو النفسي، و«تؤاخي» تعني الارتباط أو المجاورة؛ فالذات الشاعرة تبحث عن تواصل أو تعاطف مع فراغها الداخلي، لكنها تواجه وحشة

هذا الفراغ، أي حالة اغتراب داخلي حيث المكان نفسه لا يعكس الأمان أو الانتماء.

4 - «يرتاب ظلامي بي»

إنّ الظلام هنا ليس مجرد غياب الضوء، بل يمثل الحيرة، والغموض، والانكسار النفسي؛ ووصفه بأنّه «يرتاب» يوحي بأنّ الظلام نفسه يراقب الذات ويشكك بها، في إشارة إلى التوتّر الداخلي والاعتراب النفسي، حيث الذات لا تجد وضوحًا أو هدوءًا في عالمها الداخلي، ويصبح الظلام صديقًا وخائنًا في الوقت ذاته.

5 - «أيها الموت ... يفرغ فاه»

الموت هنا مصوّر ككائن حيّ يفتح فاه، أي أنّه فاعل نشط قادر على المبادرة، يوحي بالتهديد المستمرّ واللامفرّ منه، فيصبح حضوره ملموسًا في تجربة الذات، وهو تعبير عن الاغتراب الوجودي أمام الفناء المحتوم.

6 - «توجني زوج ظلماتي»

الظلمات تمثل القوّة القهرية أو الحزن المكثّف، و«زوج» يوحي بشراكة أو اقتران دائم؛ فالذات الشاعرة محاطة بالظلام والمحنة، وكأنّها مرتبطة بالموت بشكل لا فكاك منه، فتعكس الاغتراب النفسي والعيش في وحدة عاطفية مظلمة.

7 - «مازجني - امتزج فيّ - تناوبني - ردني»

المزج والامتزاج يرمزان للتداخل بين الذات وظروفها، أو بين الحياة والموت، أو بين الدّاخل والخارج، وهذا يشير إلى شعور الذات بالاستلاب والانصهار في تيّارات الحياة أو الألم، أي فقدان الاستقلالية الذاتية، فيعكس الاغتراب النفسي العميق والانقسام الداخلي.

8 - «مدن مذبوحة»

المدن تمثّل المجتمع أو الفضاء الحضاريّ، ووصفها بـ «مذبوحة» يرمز إلى الدمار والخراب والانكسار الاجتماعيّ والوجوديّ، حيث يجد الشاعر نفسه مغترّبًا عن بيئته أو محيطه الاجتماعيّ، في عالم مليء بالفقد والهشاشة.

9 - «لم تعد تحلم بي أرض لكي أوسعها موتاً»

الأرض هنا ككائن حيّ كان من الممكن أن تمنح الذات مجاًلاً للنمو، لكنّها أصبحت مكاناً للموت.

وتشير هذه الاستعارة إلى فقدان الأمل في الحياة والتّجدّد، أي الاغتراب عن الطّبيعة والحياة نفسها، بحيث يتحوّل الفضاء الحيّ إلى فضاء خاوٍ ومميت.

10 - «جدران السّماء»

السّماء ليست مجرّد فضاء عالٍ، بل جدران تشير إلى الحبس أو القيد، فالذّات الشّاعرة محاصرة حتّى في العلوّ أو الرّوحانيّات، أي الاغتراب حتّى عن الفضاءات الرّوحية أو الرّمزية، حيث لا وجود للرّية المطلقة.

11 - «خشب الوهم»

الخشب هنا رمز للدّعمة أو السّنْد، ولكنّه وهميّ، فالذّات تعتمد على شيء غير متين، تبحث عن دعم أو معنى غير واقعيّ، ممّا يعكس الاغتراب النّفسيّ والعجز عن الثّبات أو الاستقرار.

الدّلالة العامّة للاستعارات

جميع هذه الاستعارات تعمل معاً على إظهار شبكة الاغتراب النّفسيّ والوجوديّ:

- الموت والظّلمات يرمزان للانكسار واللاجدوى.
- المدن المذبوحة تمثّل الضّغوط المحيطة والهشاشة الاجتماعيّة.
- الأرض والجدران والخشب الوهميّ تشير إلى فقدان الاستقرار الرّوحيّ والماديّ.
- المزج والامتزاج يظهران تفكّك الذات وانعدام القدرة على التّحكم في مسارها.

تُظهر الاستعارات في قصيدة «شوقي بزيع» قوّة التّعبير عن الاغتراب النّفسيّ والوجوديّ للذّات الشّاعرة، إذ تتحوّل عناصر الحياة والطّبيعة والموت إلى رموز مكثّفة للحالة الشّعورية، فتعكس فقدان الاستقلاليّة والانصهار في معاناة مستمرّة؛ فيبرز اغتراب الذّات عن البيئة الاجتماعيّة والطّبيعيّة، حيث يتحوّل الفضاء الذي من المفترض أن

يمنح الحياة والدّعم إلى رموز للخراب والفناء، وتظهر العزلة الروحية والاعتماد على دعائم غير واقعية، فيتجسّد اغتراب الذات حتّى عن الفضاءات الرمزية والروحية.

وبالتالي، تكوّن هذه الاستعارات شبكة دلالية متكاملة تُظهر الذات في مواجهة اليأس، والفراغ، والانكسار، وعدم الانتماء، وتجعل الاغتراب النفسي والوجودي محور التجربة الشعورية في النصّ، حيث تتحوّل المعاناة الفردية إلى تجربة شعورية واسعة الأبعاد، ف«الإنسان ليس سوى سلسلة مشاريع. وهو مجموع، ومنظّم وحاصل العلاقات التي تكوّن هذه المشاريع»¹، حيث تتقاطع فيها الذات مع الطبيعة والزمن والمجتمع والموت.

الكنايات

1 - شجر

وهو يرمز إلى الأصل والجذور والانتماء، حين يقول الشاعر «لم يلدني شجر» فهو يكتفي عن انقطاعه عن الجذور وغياب الحاضنة الأولى، فيتجلّى اغترابه الوجودي عن المكان والأصل.

2 - ذبولي

يوحي بانطفاء الروح وخفوت الحياة، كما تذبل النباتات بعد فقد الماء والضوء، وهو كناية عن الانهيار الداخلي وفقدان الحيوية، وهو مظهر من مظاهر الاغتراب النفسي.

3 - الماء

يرمز للحياة والنقاء والتجدد؛ وحضور الماء أو غيابه في النصّ يعبر عن فقدان منابع الحياة الروحية أو التوق لاستعادتها، فيبرز صراع الذات مع الفراغ.

4 -رحيلي

الرحيل ليس مجرد سفر، بل كناية عن الموت أو الانسحاب الوجودي من الحياة، وهو يعكس إحساس الشاعر بعدم الانتماء، واختياره الهروب من عالم لا يجد فيه مكانه.

5 -طائر

يرمز للحرية والانطلاق، وفي النصّ، يظهر الطائر في فضاءات عمياء، فيصبح رمزًا

1- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 41

لحرية منقوصة ووجود مرتبك.

6 - حبل

وهو يوحى بالربط والتقييد أو بالشنق والانتحار، وهو كناية عن ثقل القيود الداخلية أو الانكسارات التي تخنق الذات.

7 - ضحاياها

يرمز للثمن البشري الذي تدفعه الذات أو الجماعة، وهو يوحى بتحميل الذات أو الآخر نتائج الصراع، فيبرز الاغتراب عن الآخر والمجتمع.

8 - نار

ترمز للعذاب أو الثورة أو الشغف المدمر، وتأتي النار في النص لتعكس صراع الذات بين الاحتراق الداخلي والرغبة في التجدد.

9 - لقاء

يوحى بالتكاثر والنماء والإخصاب، وتبرز الدلالة مفارقة بين إمكانية الحياة وواقع الانطفاء.

10 - مخدعها الأبيض

يرمز للنقاء أو البراءة أو الفضاء الحميم، وهو رمز لملاذ مفقود أو وهمي، فيتجسد بحث الذات عن أمان لا تجده.

11 - ممراً للخيول

يرمز إلى الحركة السريعة والقوة والانطلاق، وهو يوحى بعبور الزمن أو الفوضى العارمة، مما يربط بمشهد العالم الذي يعبر من أمام الذات من دون أن تنتمي إليه.

12 - خمرتي

كناية عن النشوة أو اللذة الروحية والفكرية، وهي تشير إلى مصدر الإلهام أو الحياة، وفي سياق الاغتراب، ترمز إلى نشوة ضائعة أو متعدرة.

13 - طينًا

كناية عن الأصل الترابي والخلق الأول للإنسان، وهو يوحى بالتذكير بالهشاشة والفناء، وهو إحساس وجودي بالعودة إلى العدم.

14 - أقرع طبولي

كناية عن إعلان موقف أو إثارة حدث، وهي تعكس محاولة الذات أن تصرخ في فراغ العالم؛ لسمع صوتها، فالوجودية «هي التي تدفع الإنسان إلى العمل»¹، الذي يعدّ سبب استمراره في الحياة، وعمل الشاعر هو إبداعه الشعري، و«ليس الشعر شيئاً آخر غير إنشاء الكينونة، إنه استشعار، وحدث، وانتظار، ورؤية، ووصول...»².

15 - راياتي

كناية عن المواقف والمبادئ والانتصارات الرمزية، وهي تصوّر القيم أو الأحلام المرفوعة التي تتهاوى مع الهزيمة الوجودية.

16 - سهولي

كناية عن المساحات الداخلية المنبسطة، ورمز الانفتاح والصفاء، وهي تصوّر الفراغ الداخلي القاحل بغياب النماء.

17 - سماواتي

كناية عن الطموحات والمثالية والامتداد الروحي، وحضورها في النصّ يوحى بعلو القيم والأحلام التي تصطدم بواقع من الانكسار.

18 - هطولي

كناية عن العطاء والانهمار الوجداني أو الفكري، وهي تشير إلى فيض داخلي يواجه صحراء العالم من حوله.

19 - بئر عمائي

كناية عن الغموض الداخلي أو الغرق في العتمة النفسية، وهي صورة قويّة للاغتراب

1- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 44
2- أيوب، نبيل، نص القارئ المختلف²، م.س، ص 224

النَفْسِيّ، حيث تتحوّل الذات إلى بئر بلا قاع من الضياع.

20 - شعوب من مرارات

كناية عن تراكم الأحزان والخيبات، وهي تمثل ذاكرة جماعية من الألم تحيا داخل الذات.

21 - تعدو أبجديات من الخوف ورئي

كناية عن ملاحقة الهواجس والمخاوف للذات، وهي توحى بأن اللغة نفسها تتحوّل إلى أداة رعب، وهذا يعدّ أقصى درجات الاغتراب اللغويّ والنَفْسِيّ عند الشاعر الذي يخرج عن سياق المألوف هارباً من الأبجدية، فمهمته لا تكمن في سكب قصائده في محتوى تقليديّ، من غير اختلاف، وإلاّ فلا نميّز عمله عن عمل الصحافي¹.

22 - قمح

كناية عن الحياة والرّزق والنّماء، وهو يوحي في سياق النّص بأمل مفقود أو محصول لم يُحصَد.

23 - ينابيع

كناية عن منابع الخير أو العاطفة أو الإبداع الشعريّ، وإذا كانت ينابيع جافة أو مهدّدة، فهي ترمز إلى انقطاع مصادر الحياة الدّاخلية.

الدلالة العامة للكنايات

في بنية النّص، تتشكّل الكنايات مثل (خمرتي، وطينا، وأقرع طبولي، وراياتي، وسهولي، وسمواتي، وهطولي، وبئر عمائي، وشعوب من مرارات، وتعدو أبجديات من الخوف ورئي، وقمح، وينابيع)؛ لتشكّل فضاءً دلاليّاً مشبعاً برموز الحياة والموت، العطاء والجذب، النّشوة والانكسار. فالخمر، والقمح، والينابيع، والسّهول، والسمّوات، والهطول، جميعها تحمل في أصلها دلالات الخصب والنّماء والانفتاح، لكنّها في سياق النّص تكتسب بعداً مأزوماً، إذ تتجاور مع صور البئر المعتمة، والشّعوب المتقلّة بالمرارات، واللّعة الّتي تتحوّل إلى مصدر خوف، فتخلق مفارقة بين المعنى الأصليّ للكناية وظلالها الموحية بالانطفاء والخيبة.

1 - Heidegger Martin, Les hymnes de Holdrin, N.R.F, Gallimard, Paris, 1988, p.232

هذه المفارقة تكثف الإحساس بالاعتراب النفسي، حيث تبدو الذات محاطة برموز الحياة لكنها عاجزة عن التماهي معها أو تفعيل طاقتها، كما تتجلى أبعاد الاعتراب الوجودي من خلال عودة الإنسان إلى «الطين» وتلاشي رايته، في إشارة إلى هشاشة الكيان الإنساني أمام الزمن والمصير؛ ولكن الشاعر لم يستسلم لتلك الهشاشة بل قاده الحدس الشعري نحو النبوءة (نبوءاتي)، فالشعر يفتح فضاءً جديدًا للكينونة والانكشاف والدازين¹.

وبذلك، تصبح الكناية أداة لاستدعاء المعنى المضاد، حيث تتحول مفردات الخصب إلى مرايا تعكس قحط الروح وانقطاع الصلة بمصادر الامتلاء الداخلي، فتظهر حيرة الشاعر أمام هذا الواقع الوجودي ويحاول أن يللم ذاته المتصدعة باللاجوء إلى توليد الشعر المرمر عبر الحدس، وهنا تتعين وظيفة الشعر².

الرموز التاريخية والدينية والأسطورية

1- «لست يوحنا لكي ترقص من أجلي سالومي وكي يحمل رأسي في صحن ويسعى لي إلى عرش نبوءاتي»

هذه العبارة تمثل رمزًا مركبًا غنيًا بالمعاني التاريخية والأسطورية والوجودية، ف«يوحنا المعمدان»، المعروف بدوره في قصة سالومي - حيث قطع رأسه - يمثل العدالة أو النبوءة أو الوعي الذي يواجه الطغيان³؛ والشاعر في هذه الصورة ينفي عن نفسه صفة القوة النبوية أو القدرة على توجيه الأحداث الكبرى، أو القدرة على التأثير.

وسالومي ترمز إلى الإغراء والغواية، وربطها برقصها من أجل يوحنا يشير إلى لحظة اختطاف السلطة أو الانتصار على الرسالة النبوية؛ ويريد الشاعر من خلال ذلك إظهار العجز أمام القوى التي تتحكم بالمصير، أي اغترابه النفسي أمام الانحرافات أو القوى الفاتنة التي تحرف المسار.

والرأس في الصحن يرمز إلى الموت، وهو مستمد أيضًا من هذا الحدث، وهو يعكس شعور الذات بالانكسار أمام الأحداث أو التاريخ، وفقدان القدرة على حماية النفس أو

1- Heidegger Martin, ibid, p.219

2- Heidegger Martin, ibid ,p.237

3- العهد الجديد، إنجيل متى، 14: 1-12

الحفاظ على الهوية في مواجهة الصّراعات الكبرى؛ أمّا العرش والنّبوءات فيرمزان إلى السّلطة الرّوحية أو القدرة على التّنبؤ، وفهم المعنى العميق للوجود، فالشّاعر يطمح إلى إدراك أعلى، لكنّه يشعر بالعجز عن بلوغ هذا المستوى، أي اغترابه الوجودي بين الرّغبة في المعرفة والواقع المحدود.

2- «ولا عيسى لكي تنكرني قبل صياح الديك أعضائي»:

عيسى عليه السّلام يُستحضر هنا كشخصيّة تمثّل الطّهر والحقيقة، ونفي الذات لكونها «عيسى» يعني غياب القوّة الرّوحية أو السّلطة الأخلاقية القادرة على تمكينه من كشف الحقيقة.

3- «لتنكرني قبل صياح الديك»

رمز يدلّ على لحظة الإنكار الشّهيرة للقيامة أو للخيانة (مستوحاة من قصة بطرس)¹، حيث يمثّل صياح الديك موعد فضح الحقيقة أو النّكوص عن الوعد، وهذه العبارة تعكس شعور الذات بالعجز عن مواجهة الحقيقة أو الانتصار على الخوف من الانكشاف والفضيحة. و«أعضائي» رمز يصوّر الذات المشتتة أو المعذّبة، وهو يدلّ على الانكسار الجسديّ والنّفسيّ، حيث تصبح الذات معرّضة للفضح والانكشاف، ما يعكس اغتراب النّفس عن قدرتها على حماية ذاتها.

4- «ولا مريم أمي كي تسجّي نعش أحلامي على ورد الجليل»

عبارة تحمل رمزاً مركّباً يجمع البعد الدّيني²، والوجوديّ: ف «مريم» عليها السّلام تمثّل الطّهارة، والحماية، والرّحمة، والقدرة على الحنو والأمان الرّوحيّ، ونفي هذه الحماية من قبل الأمّ الرّمزية يدلّ على غياب العناية الرّوحية والأمان العاطفيّ، أي شعور الشّاعر بالاغتراب عن الملاذ الأوّل والحنان الذي يخفّف من ثقل الحياة. والنّعش هنا كناية عن الموت أو نهاية شيء ثمين، وهو يعكس شعوراً بفقدان الفرص والآمال، وعدم القدرة على تحقيق الرّغبات والطّموحات؛ وورد الجليل يرتبط بالمكان المقدّس، والنّقاء، والجمال الطّبيعيّ، وربطه بالنّعش يخلق مفارقة بين الموت والقداسة، بين الانكسار والجمال. وهذه المفارقة تزيد من الإحساس بالاغتراب، إذ حتّى الأماكن المفعمة بالمعنى الرّوحيّ

1- العهد الجديد، إنجيل متى 26: 69-75

2- العهد الجديد، إنجيل متى، 18: 1-25، و 11:2

لا تمنح الشّاعر الملاذ أو الوفاء بأحلامه.

5- «قد آختني طواحين الهواء»

الطّواحين الّتي لا تطحن شيئاً فعليّاً تُعرف في الأدب الأوروبيّ خصوصاً في دون كيخوته¹، حيث ترمز إلى صراعات وهميّة أو محاولات عبثيّة لمواجهة عدوّ غير موجود أو قوّة لا تُقهر، وهي ترمز إلى المعارك العبثيّة الّتي يخوضها الشّاعر ضدّ الحياة أو مصيره، فتوحي بالضعف أمام هذه الصّراعات أو الانكسارات.

6- «لم تعد أزهاره من كربلاء»

الرّهور عادةً ترمز إلى الحياة، والنّماء، والجمال، والانفتاح على العالم، وغيابها يعكس فقدان الحياة أو الفرص والجمال الدّاخليّ، فيولّد إحساساً بالجذب والانطفاء النّفسيّ؛ أمّا «كربلاء» فتتّرمز إلى المأساة، والنّضحية، والفقد، والمعاناة الكبرى في الذاكرة الجمعيّة: «ليست مأساة تنتهي عند حدود الدّم والدّمع، بل فعل تمرّد وجوديّ يواجه منظومة قيم أخلاقيّة سائدة»²؛ وارتباط الرّهور بكربلاء يوحي بأنّ جمال الحياة متأثّر بالمأساة، وأنّ المعاناة تغلّف أيّ نموّ أو ازدهار محتمل.

7- «تعدو أبجديات من الخوف ورائي»

تشير كلمة «أبجديات» إلى أساسيّات اللّغة والمعرفة، أي قواعد الحياة والمجتمع؛ وحين توصف بأنّها «من الخوف»، فإنّها توحي بأنّ البنى الأساسيّة للتّاريخ والثّقافة الإنسانيّة مشبعة بالخوف، وأنّ الإنسان مُجبر على التّعلّم والنّشوء في ظلّ صراعات وخطر دائم، وهذا يعكس التأثير العميق للتّاريخ والماضي على النّفس الفرديّة، حيث تحمل التّجارب السّابقة هواجس وخوفاً مستمرّين، وكأنّ الذاكرة التّاريخيّة تطارد الشّاعر. هذا الرّمز يعكس اغتراباً نفسياً ووجودياً مزدوجاً: من جهة، خوف مستمرّ ينبع من الإرث التّاريخيّ والمجتمعيّ؛ ومن جهة أخرى، شعور بالعجز أمام هذه القوى الّتي تتحكّم في مسار الحياة الفرديّة، حتّى تصبح اللّغة والتّجربة نفسها أداة للملاحقة والقلق.

1- ثريانتس، دون كيخوته، تر. عبد الرحمن بدوي، دار المدى للثقافة والنشر، أبو ظبي، ط1، 1998
2- الشيخ، منتظر، كربلاء والموضوعية المستحيلة: قراءة نشوية في المأساة والمعنى، يوليو، 2025، sobranews.com

8- «أسرجوا لي فرساً من خشب الوهم»

يستدعي هذا التعبير مباشرة صورة حصان طروادة¹ في الأسطورة الإغريقية، لكنه يعيد توظيفها ضمن رؤية شعرية ووجودية، إذ كان حصان طروادة وسيلة للخداع والمكر، فقد استخدمه الإغريق لاختراق أسوار طروادة، وحين يصفه الشاعر بأنه «من خشب الوهم»، فهو يحول الرمز إلى دلالة على المكائد المبنية على الفراغ والزيف، أي أن الخداع هنا لا يقوم حتى على خطة حقيقية، بل على وهم لا يملك جوهرًا.

ويختلط البعد الأسطوري (حصان طروادة) بالبعد النفسي، فيصبح الرمز أداة لتصوير خيبات التاريخ وتكرار الخديعة، وكذلك اغتراب الإنسان في عالم تغلب عليه الأوهام بدل الحقائق، وهذه الصورة تعكس إحساس الشاعر بأنه حتى «الحلول» التي يقدمها الواقع ليست سوى «أحصنة خشبية» بلا قدرة حقيقية على كسر الحصار أو فتح الأبواب.

9- «لكي أظعن تتين الخسارات»

تحمل هذه العبارة رمزًا أسطوريًا واضحًا، «والمعركة بين البطل والتتين هي أكثر أشكال هذه الأسطورة انتشارًا، إنها تتبن بمزيد من الوضوح الموضوعة النموذجية الأصلية لانتصار الذات على اتجاهات النكوص... أي قبل أن تتمكن الذات من الانتصار، عليه أن يسيطر على الظل الذي في نفسه ويتمثله»².

ويمثل التتين في الأساطير عادة قوة هائلة، وخطورة، وحواجز يجب التغلب عليها، وهو يرمز إلى الخسارات الكبرى أو المصاعب الوجودية التي تواجه الإنسان الذي «سيظل أبدًا مشروعًا لم يتحقق»³. وهو لذلك يلجأ إلى الطعن الذي يشير إلى المواجهة النشطة والمقاومة، أي رغبة الذات في تحدي المصاعب والهزيمة، بدل الاستسلام لها، وهذا الفعل يحمل بعدًا نفسيًا، فهو تعبير عن صراع الإنسان مع الخسارة والاغتراب النفسي، ومحاولة استعادة الفاعلية والكرامة.

1- دريني، خشبة، قصة طروادة، مؤسسة هنداوي، 1945، ص 181

2- كارل يونغ، الإنسان ورموزه، م.س، ص 148

3- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 65

10 - سأمشي نحو ياسي كغراب رابط الجأش»

في سفر التكوين (العهد القديم)، يظهر الغراب أولاً حين أرسله نوح من الفلك بعد الطوفان، لكنه لم يعد؛ لأنه وجد ما يقتات عليه من جثث الغرقى، فارتبط في المخيال الديني بالموت والفقد.¹

وفي القرآن الكريم، وردت قصة قابيل وهابيل، إذ أرسل الله غراباً ليعلم قابيل كيف يدفن جثة أخيه، فصار الغراب رمزاً لإشهار الموت وكشف فقدان.² فالغراب هنا يرمز إلى الوحدة والعزلة الوجودية، و«ذلك الحنين إلى الوحدة وتلك الشهوة إلى المطلق يوضّحان الحافز الأساسي في الدراما البشرية»³، نحو السير في طريق مظلم من دون رجعة، وارتباطه بـ «رابط الجأش» يوحي بأنّ الشاعر أو الذات الشعرية تمضي نحو ياسها بهدوء بارد وحزم داخلي، وكأنّها تتقبل الموت أو الانكسار كجزء من حتمية وجودها؛ ومواجهة اليأس لا تتم هنا بانفعال أو هلع، بل بثبات بارد يظهر حالة اللاجدوى التي تصوّر حالة الإنسان في الفلسفة الوجودية، «وككلّ شيء آخر تنتهي اللاجدوى بالموت»⁴؛ فيملي الشاعر الوصايا إيداناً بالرحيل.

11 - «ألمي ما تبقى من وصاياي على من يرفع الصخرة بعدي»

تشير الصخرة هنا إلى عبء الحياة أو المصاعب الكبرى التي يجب على الإنسان حملها أو مواجهتها، واستحضار فكرة «من يرفع الصخرة بعدي» يذكر بأسطورة سيزيف في الميثولوجيا الإغريقية⁵، حيث يُجبر على دفع صخرة ضخمة إلى أعلى الجبل لتعود مرة أخرى، وهي رمز لصراع الإنسان الأبديّ ضدّ المصاعب والعبث، و«شخصية سيزيف صارت رمزاً فنياً للعذاب الأبديّ واليأس والعبثية، ونراها تعكس العقوبة والألم السرمديّ في أعمال العديد من الشعراء العرب المعاصرين»⁶.

1- العهد القديم، التكوين 8، الآيات 12-6

2- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 31

3- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، تر. أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص 26

4- ألبير كامو، م.ن، ص 40

5- آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، تر. سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق - سوريا، 1996، ص 126

6- محسن علي خان، ميديا، أسطورة سيزيف في الشعر العربي المعاصر، مجلة جامعة التنمية البشرية،

مج 3، ع 3، آب، 2016، ص 442

وترمز الوصايا إلى التجربة التي تُترك للأجيال القادمة أو للآخرين، في محاولة الشاعر نقل معنى أو حكمة على الرغم من عبء المصاعب؛ وهذا التعبير يشير إلى الاغتراب الوجودي، فالذات تدرك أنها لن تتحقق بالكامل، لكن تُسلم جزءًا من إرثها لمن يليها، ف«الإنسان خارج نفسه دائماً: وهو بامتداده خارج ذاته، وإضاعة نفسه خارج ذاته، يوجد»¹، وهو لذلك يسعى لتثبيت أثره أو توجيهه من سيواجه العبء، والصخرة رمز للعبء الذي يثقل الوجود، والوصايا تعكس الرغبة في أن يكون للذات أثر بعد رحيلها، بأن تسعى وراء «أهداف متعالية»²، تجمع بين اليأس والتطلع إلى استمرار المعنى، في «صميم التجاوز»³.

إنه تصوير شاعري للصراع الوجودي المستمر، حيث تُثقل المصاعب الإنسان، لكنه يحاول ترك إرث رمزي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، و«التفكير في المستقبل، أي وضع الغايات، وتفضيل أمور معينة - ذلك كله يفترض مقدماً اعتقاداً بالحرية»⁴. وهذا ما دأب الشاعر على تصويره في متون قصيدته، انطلاقاً من العنوان «لم يلدني شجر قط»، وحتى النهاية مع هذا الرمز.

الدلالة العامة للرموز

في هذه القصيدة، يوظف الشاعر منظومة رمزية كثيفة ومتشابهة، تستمد أصولها من الموروث الديني، والأسطوري، والتاريخي، لتجسيد حالة الاغتراب النفسي والوجودي التي تعصف بالذات الشاعرة؛ فالرموز الأسطورية تتكامل مع الصور البيانية — من استعارات وتشابيه وكنيات — لتكوين فضاء دلالي يعكس انقسام الذات بين الإحساس بالخذلان والعبث، والتوق إلى الخلاص، وهذا هو الجانب الفعّال والخلاق في النواة النفسية عند الوجوديين، و«لا يمكن أن يدخل حيز العمل إلا عندما تتخلص الأنا من الأهداف الغائية الزاغية فيها كلها وتحاول التوصل إلى صورة الوجود الأعظم والأكثر أساسية، إذ ينبغي على الأنا أن تكون قادرة على الإصغاء بكامل انتباهها، وأن تسلم نفسها، من دون أي قصد أو هدف أبعد، لذلك الدافع الداخلي باتجاه النمو»⁵.

1- سارتر، الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 65

2- سارتر، م.ن، ص 66

3- سارتر، م.ن، ص 66

4- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، م.س، ص 67

5- ألبير كامو، م.ن، ص 209

وهكذا، يغدو الرّمز أداة لتجسيد المأزق الوجوديّ، حيث يتقاطع التاريخيّ بالأسطوريّ، ويتماهى الدّينيّ بالذّاتيّ، في مشهد شعريّ يعبر عن اغتراب الإنسان أمام هشاشة المعنى وفداحة المصير.

الخاتمة

توصّل هذا البحث إلى أنّ الرّموز والصّور الشعريّة في قصيدة شوقي بزيع «لم يلدني شجر قطّ» تُشكّل أدوات محوريّة لتجسيد حالات الاغتراب النّفسيّ والوجوديّ للذّات الشّاعرة؛ فقد بيّن التحليل أنّ الصّور البيانيّة من تشابيه واستعارات وكنيات تعمل على تكثيف الانفعالات الدّاخلية، أمّا الرّموز الدّينية، والتّاريخيّة، والأسطوريّة فتضيف عمقاً دلاليّاً يعكس الصّراع بين الرّغبة في الانتماء والأمل، وبين الإحساس بالعجز والفقد والانفصال عن العالم والآخرين.

كما أظهرت الدّراسة أنّ تداخل الرّموز مع الصّور الشعريّة يخلق فضاءً شعريّاً متكاملًا، حيث يصبح النّصّ مرآة للصّراع النّفسيّ والوجوديّ، ويتيح للدّارس فهم العلاقة بين اللّغة الشعريّة والمعنى العميق للتّجربة الإنسانيّة، ويبرز البحث أهميّة الشّعور المعاصر كوسيلة للتّعبير عن التّجربة الوجوديّة المكثّفة، بما يتجاوز الجانب الجماليّ إلى المستوى النّفسيّ والرّمزيّ، مؤكّداً أنّ الرّموز والصّور ليست مجرد زخرفة لغويّة، بل أداة للكشف عن أعمق الصّراعات الدّاخلية للذّات.

قائمة المراجع

الكتب الدّينية

(1) القرآن الكريم.

(2) العهد الجديد، إنجيل متى.

المراجع العربيّة

(1) أيّوب، نبيل، نصّ القارئ المختلف 2، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2011.

(2) بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجوديّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط1، بيروت، 1980.

(3) بركات، حلّيم، الاغتراب في الثّقافة العربيّة: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت، 2006.

4) الشيخ، منتظر، كربلاء والموضوعية المستحيلة: قراءة نثوية في المأساة والمعنى، sobranews.com، يوليو 2025.

5) دريني، خشبة، قصة طروادة، مؤسسة هنداي، القاهرة، 1945.

6) النوري، قيس، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد 1، وزارة الإعلام، 1970.

7) محسن علي خان، أسطورة سيزيف في الشعر العربي المعاصر، مجلة جامعة التنمية البشرية، المجلد 3، العدد 3، آب 2016.

المراجع الأجنبية المترجمة

- 1) آرثر كورنل، قاموس أساطير العالم، تر. سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، 1996.
- 2) ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ترجمة أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.
- 3) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت - باريس، 2001، مجلد 1.
- 4) ثريانتس، دون كيخوته، تر. عبد الرحمن بدوي، دار المدى للثقافة والنشر، أبو ظبي، ط1، 1998.
- 5) سارتر، الوجود والعدم، تر. عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، ط1، بيروت، 1966.
- 6) سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر. عبد المنعم الحفني، الدار المصرية، ط1، القاهرة، 1964.
- 7) كارل يونغ، الإنسان ورموزه، تر. عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، ط1، دمشق، 2012.
- 8) مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، تر. فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2012.
- 9) هيغل، فنومينولوجيا الروح، تر. ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2006.

المراجع الأجنبية

1. Heidegger, Martin, Les Hymnes de Hölderlin, N.R.F., Gallimard, Paris, 1988.

المراجع الإلكترونية

1. Wikipedia.org
2. Alsharekh.org

الجزيرة نت، 4/10/2021، www.aljazeera.net

أبعاد التفاؤل الوطني والإنساني في شعر فؤاد الخشن

The Dimensions of National and Humanistic Optimism in Fouad Al-Khishn's Poetry

د. محمد حبص¹

Dr. Mohammad Hoblos

تاريخ القبول 2025/10/21

تاريخ الاستلام 2025 /9/8

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع التفاؤل في شعر فؤاد الخشن، بوصفه أحد المرتكزات الأساس التي ميّزت تجربته الشعرية، حيث شكّل الأمل في نظره عنصراً جوهرياً في مواجهة التحديات التاريخية والإنسانية، لا سيما في ظلّ معاناة الشعب الفلسطيني، وما يحيط به من قهر واستلاب.

ويهدف البحث إلى الكشف عن كيفية توظيف فؤاد الخشن لرمزية التفاؤل بغية بناء خطاب شعريّ قادر على إعادة الثقة للإنسان العربيّ المقهور، وإبراز البعد الإنسانيّ العالميّ لتجربته، حيث لم يقتصر شعره على تصوير الألم أو استحضار المأساة، بل تجاوز ذلك إلى بثّ روح المقاومة والإصرار على الحياة والانتصار.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي- الوصفيّ مع مقارنة موضوعاتية للنصوص الشعرية، بغية تفكيك الرموز والوقوف على دلالاتها الإنسانية، ومناقشتها في ضوء ما أفرزته الدراسات النقدية حول قيمة التفاؤل في الشعر العربيّ الحديث.

وقد خلص البحث إلى أنّ شعر فؤاد الخشن يقوم على توليد خطاب إنسانيّ متفائل، يُقابل النشأوم والانهازمية بإيمان عميق بحتمية النصر، ويؤكد أنّ الكلمة المفعمة بالأمل لا تقلّ شأنًا عن السلاح في معارك التحرير. كما بيّن أنّ تجربة الخشن تنسجم مع

1- أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الفرع الثالث:

روح الحداثة الشعريّة العربيّة التي ارتقت بالشّعْر من الإطار المحليّ إلى فضاء إنسانيّ عالميّ، حيث يصير التّفاؤُل رسالةً إنسانيّةً جامعة تتجاوز حدود الانتماءات الضيّقة.

الكلمات المفتاحيّة: التّفاؤُل – التّفاؤُل الإنسانيّ – التّفاؤُل الوطنيّ.

Abstract

This study explores optimism in the poetry of Fouad Al-Khishn, considering it a central dimension of his poetic vision and a vital force in confronting historical and human challenges, particularly the suffering of the Palestinian people under oppression and displacement. The research highlights the symbolic significance of the color white in his poetry, as it emerges as one of the most prominent symbols of hope, renewal, and purity, reflecting universal values of peace and human brotherhood that transcend spatial and temporal boundaries.

The main objective of this research is to examine how Al-Khishn employs the symbolism of optimism to construct a poetic discourse capable of restoring confidence in the oppressed Arab individual and of asserting the humanitarian and universal dimension of his poetic experience. His poetry does not merely depict tragedy or despair, but rather transcends them by instilling resilience, affirming the inevitability of victory, and emphasizing the ethical and cultural function of literature in resistance.

The study adopts a descriptive–analytical approach, combined with a thematic analysis of selected poems, in order to deconstruct their symbolic structures and interpret their humanistic implications in the light of modern Arabic literary criticism.

The findings reveal that Al-Khishn's poetry constructs an optimistic humanistic discourse that resists despair and defeatism, portraying optimism as a weapon parallel to armed struggle in liberation movements. Moreover, his poetic practice aligns with the broader project of modern Arabic poetry, which sought to expand its scope beyond local or national concerns toward a universal human vision, where optimism becomes a unifying message that addresses the suffering and aspirations of humankind at large.

المقدمة

يُعدّ التّفاؤل من أبرز القيم الإنسانيّة التي شكّلت ركيزة أساسيّة في نتاج الشّعر العربيّ المعاصر، لما يحمله من قدرة على مواجهة التّحدّيات وإحياء الأمل في التّفوس المكلومة. وفي هذا السّياق يبرز الشّاعر اللّبنانيّ فؤاد الخشن واحدًا من الأصوات الشّعريّة التي اتّخذت من التّفاؤل مرتكزًا لرؤيتها الجماليّة والإنسانيّة، إذ منح تجربته الشّعريّة بعدًا يتجاوز حدود الوطن؛ ليلبغ آفاقًا إنسانيّة عالميّة، راسمًا صورة للقدس وفلسطين وللإنسان العربيّ في معاناته وصموده، ومؤكّدًا أنّ المقاومة الحقيقيّة لا تقوم على السّلاح وحده، بل على الكلمة التي تشعل الأمل، وتواجه اليأس؛ فالكلمة «هي وجود وحضور له كيان وجسم، وهي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التّجربة الإنسانيّة، ومن ثمّ فإنّ لكلّ كلمة طعمًا ومذاقًا خاصًا»⁽¹⁾.

وتتبع أهميّة هذا البحث من كونه يتناول جانبًا لم يُسلط عليه الضّوء كثيرًا في شعر فؤاد الخشن، وهو رمزيّة التّفاؤل، ودوره في إبراز البعد الإنسانيّ العالميّ للقضيّة الفلسطينيّة وسائر قضايا الإنسان المعاصر؛ فالخشن لا يكتفي بتصوير الألم والاحتلال والظلم، بل يتجاوزها إلى خطاب يحمل دلالات الأمل، والانبعاث، والتّطلّع إلى مستقبل أكثر عدلًا وحرّيّة.

أمّا الإشكالية التي يعالجها البحث فتتمثّل في التّساؤل الآتي: كيف وظّف فؤاد الخشن التّفاؤل في شعره؟ وما الرّموز الشّعريّة التي حملت دلالات الأمل، خاصّة اللون الأبيض، وكيف أسهمت هذه الرّمزيّة في تشكيل بعدٍ إنسانيّ عالميّ يلامس قضايا الإنسان في مختلف بقاع الأرض؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليّة، يعتمد البحث المنهج التّحليليّ - الوصفيّ، مرتكزًا على تحليل النّصوص الشّعريّة التي وظّف فيها الخشن رمزيّة التّفاؤل، مع الاستعانة بالمقاربة الموضوعاتيّة للكشف عن الدّلالات الإنسانيّة التي يتضمّنها شعره.

المبحث الأوّل: التّفاؤل ودوره في بناء الوطن والأمة في الشعر العربيّ الحديث

أولًا: التّفاؤل العربيّ العامّ في مواجهة الأزمات والحروب

عبر الشّعراء العرب المحدثون عن تفاؤلهم في نظرتهم إلى مشكلات أوطانهم وعروبهم؛

1- عزّ الدّين إسماعيل: الشّعر العربيّ المعاصر قضاياها وظواهره الفنّيّة والمعنويّة، ص 182.

فمن المعروف والمألوف أنّ التّقاؤل يولد من رحم المشكلات والحروب والعذاب والألم، وأوطان العرب- كما خبرناها وهذه الخبرة تؤلمنا وتحزننا- بلاّد لا تبرحها الأزمات والحروب، بل ألّفت مجتمعاتها وصارت سمةً من سماتها الثّابتة، وأكثر من يكتئب وبتألم في البيئة الاجتماعيّة المتفجّرة صراعاً وقتالاً وسفك دماء هم الشّعراء؛ إنهم يرون بالبصر والبصيرة ما لا يستطيع غيرهم أن يراه، وينظرون إلى الغد نظرةً تجعلهم يرون صورته رؤيةً شعريّة قد اختصّوا بها وحدهم من بني البشر؛ لأنّهم مختلفون في التّجربة والثّقافة والشّعور؛ فالشّعـر «رؤية جديدة للوجود وراء ظواهره وأشكاله العابرة»¹.

لهذا، وهم يعيشون في قلب المعاناة، كانوا يرون الغد رؤيةً سلبيةً حيناً وإيجابيةً حيناً آخر وفقاً لمقتضى الحال الاجتماعيّة السّائدة، ولكنّ الشّعراء بوصفهم طليعة القوم في الثّقافة والحكمة والمعرفة، وحملة رسالة وطنيّة وإنسانيّة كانوا يبتعدون عن اليأس في تعبيرهم الشّعريّ، ويحاولون استنهاض الشّعب بمعاني النّفاؤل والأمل والرّجاء، وقد لجأوا إلى اللون الأبيض ووظّفوه رمزاً شعريّاً، ومن خلاله عبّروا عن إيمانهم بحتميّة النصر وحتميّة الحرّيّة والتّقدّم والرّخاء، وزرعوا في النفوس بذور الاجتهاد والعمل؛ ليخرج النّاس من صراعاتهم وفرقهم وحروبهم، ويدخلوا في حرب وطنيّة، وقوميّة، وإنسانيّة واحدة، يخوضونها جميعاً لأجل العلم والحضارة والبناء، لأجل الحرّيّة والكرامة والإنسان.

لم يجد الشّعراء العرب المحدثون رمزاً شعريّاً أخصب دلالة من اللون الأبيض في تعبيرهم عن نظرتهم النّفاؤليّة إلى الأوطان والعروبة والإنسانيّة، فهو يرمز إلى الصّفاء الذي يتيح الرّؤية الواضحة أمام الإنسان، فيخطو الخطوة الواثقة على طريق العمل والإبداع والإنتاج في الحقل الوطنيّ والحقل الإنسانيّ، أمّا الرّؤية في الظّلام والضّباب فلا يمكنها استجلاء الأمور، وتجعل الإنسان حينئذ يخطو الخطوة المضطربة الضّائعة، فيتشتّت سعيه ويخيب أمله، لا بدّ للإنسان، فرداً، أو جماعة من أن يستكشف طريقة في صفاء تامّ حتّى يمشي على طريق العمل واثقاً، فيصل إلى النجاح، و«اللون الأبيض كضوء يعدّ علّة الألوان جميعها؛ لأنّه يتحلّل من خلال تمريره من خلال موشور زجاجي إلى ألوان الطيف الشمسيّ»².

1- يوسف الخال: مجلّة شعر، ص 7.

2- ضاري مظهر صالح: دلالة اللون في القرآن والفكر الصّوفي، ص 96.

إنّ الحضارات الخالدة التي تحفظها حقب الزّمان الغابر والحضارة الحديثة التي نعيشها اليوم في كلّ مجالات حياتنا لم يصنعها الإنسان، وهو فاقد الرّؤية، أو على بصره غشاوة، بل صنعها، وهو ثاقب البصر، واثق الخطوة، واضح الهدف؛ لأنّه مشى على طريق العمل في الصّفاء، ولم يمش في الظّلام والعمّة، حيث تنعدم الرّؤية، ويضيع السّعيّ سدىً. إنّ الصّفاء دلالة من دلالات اللّون الأبيض، وهذه العلاقة الدّلاليّة بينهما سبب كافٍ جعل الشّعراء العرب يتفّاعلون بالأبيض في شعرهم الذي عبّر عن القضايا الوطنيّة والإنسانيّة؛ ولولا التّفاؤل في الحياة لانهمز الإنسان وأحبط عمله وتوقّف سعيّه، والشاعر هو أجدر النّاس بالتّفاؤل، فهو مثالهم وقوتهم، ويؤثّر بكلماته عميقاً في نفوسهم، لهذا يجب عليه أن يبيّث فكر التّفاؤل في المجتمع لكي يحفّز النفوس المنهجرة والمنهزمة على العمل من أجل صناعة الحياة؛ وهذا هو أسلوب فؤاد الخشن الشّعريّ بوصفه شاعرًا حدائياً رائداً، هو أسلوبٌ تماهى مع معاني التّفاؤل والحياة؛ لأنّ «الأسلوب هو النّصّ ذاته»¹.

ثانياً: التّفاؤل الرّمزي في شعر فؤاد الخشن تجاه فلسطين والقضايا الإنسانيّة

لا نهضة مع اليأس والتّشاؤم، فهما يفتكان بالأُمم غير المحصّنة، وليس لديها القدرة على المقاومة، هما يهدمان صرح الحضارة، ويدفعان الشّعوب إلى الاستسلام والهزيمة التّكرار والرضا بالدّلّة والهوان، ولا سلاح يكافح شرّهما سوى الأمل والتّفاؤل. إنّ الوطن لا تقوم له عمادٌ قويّةٌ ثابتةٌ إلّا بالتّفاؤل الكامن في نفوس أبنائه، وكذلك هي حال الأُمّة والقوميّة.

من خلال إظهارنا، فيما تقدّم، دور التّفاؤل في بناء الوطن والأُمّة، ينبغي أن نصبح- نحن العرب- أكثر إيماناً بوجوب أن نكون متفائلين بنهضة أوطاننا وأمّتنا، حيث أوصلنا تشاؤمنا إلى انهيار مجتمعاتنا، وهزيمتنا أمام الأعداء، فها هي أوطاننا ممزّقة فرّقاً ومذاهب وأحزاباً وكذلك أمّتنا العربيّة الواحدة تمرّقت لغةً وأرضاً وثقافةً وتراثاً، قد صارت دولاً تتنازع فيما بينها على قضايا وهميّة خلقها الاستعمار الغربيّ لإشعال نار الفتنة بين أقطار الأُمّة الواحدة.

1 - Riffaterre, M, La production du texte, seuil, Paris, .

وفي خضمّ هذه المشكلات المعضلة، نجد العربيّ يائساً من نهوض وطنه وأمتّه، مؤمناً بثقافة الانهيار والانهزام، مروّجاً للهجرة والعيش في بلاد الغرب، ناسياً أنّ العرب - كما الأمم المتقدّمة اليوم - كان لهم شأنهم العظيم في بناء الحضارة القديمة، وأنّهم كانوا معلّمي العالم في المجالات العلميّة والإنسانيّة.

لهذا جاء الشّعْر العربيّ الحديث؛ ليبثّ في إنسانه روح التّفاؤل، ف «الشّعْر كان ضرباً من السّحر»¹، وذلك من خلال الرّمزيّة التي وظّفها الشعراء في قصائدهم بغية الانتصار على الأزمات ومقاومة ثقافة الانهزام؛ وهذه الرّمزيّة التّفاؤليّة ذات الاتّجاه القوميّ نلحظها في قول فؤاد الخشن:

يافا

تترقّب في اللّيل الرّايض أطيافاً

تتسلّل... تفتح مروحة الفجر الزّرقاء

تقرش منديل الأمواج...

تمسح مخمله المزبد بالتبر الوهاج

وتُضيء قناديل التّيّارات الخضراء

أنجاماً ببيضاء⁽²⁾.

في هذا المقطع الشعريّ، تظهر بوضوح الوظيفة الرّمزيّة التّفاؤليّة، حيث يبشّر فؤاد الخشن يافا، بزوال اللّيل الرّايض على أرضها، فما اللّيل سوى رمزٍ لليهود الصّهاينة أعداء العروبة وفلسطين، وقد أدّت رمزيّة اللّيل الرّايض عند فؤاد الخشن، دلالتها بقوة وفاعليّة، إذ إنّ ليل يافا ليس ليلاً عادياً، بل هو ليلٌ موصوف، والصفة تجعل موصوفها يمتاز عن غيره من أنواع جنسه، ثم إنّ صفة (الرّايض) تدلّ على حلول موصوفها بثقلٍ وثبات، فليل يافا ثقيل ثابت لا يتزعزع، هو ليلٌ مرهقٌ مشعّرٌ باليأس والتشاؤم، ولكنّ يافا في وسط هذه الصّورة القاتمة تتسلّل متفائلةً لتفتح مروحة الفجر الزّرقاء، لعلّها تدخل في حياة جديدة متحرّرة من قيود اللّيل الغشيم المطبق على صدرها، وقد أنهكها ثقله، وكابدت فيه الآلام زماناً طويلاً.

1- رد، هريبرت، (Herbert Red) الفنّ والمجتمع، ص 19.

2- فؤاد الخشن: ديوان فؤاد الخشن، قصيدة (الصيّاد)، 2/ 469.

وما الفجر عند الشّاعر سوى رمز شعريّ يدلّ على الحياة الجديدة، يدلّ على النّور المشعّ الذي يبّدد ليل العبوديّة والظلم؛ فالفجر في هذا السّياق الشعريّ يرمز إلى الخلاص من ليل الاحتلال والعدوان، وبهذه الرّوح التّفاؤليّة تستطيع يافا أن تضيء قناديل التّيارات الخضراء أنجماً بيضاء، تستطيع أن تُخرج من الظّلمة الحالكة أنواراً ونجوماً بيضاء زاهرة؛ ونلاحظ هنا أنّ الشّاعر لم يكتف برمزيّة النّجوم التي ترمز إلى الإشعاع والضّياء، بل أتبعها بصفة تجعلها أكثر إشعاعاً وأكثر ضياءً، فهي نجوم بيضاء، والصفّة (بيضاء) تشير إلى أنّ النجوم التي تُضيئها يافا تمتاز عمّا سواها من النّجوم، فكما جعل الشّاعر ليل يافا ليلاً خاصّاً مميّزاً بثقله وثباته، كذلك جعل نجومها متميّزة بنور بياضها.

ومن خلال هذه الثّنائيّة الضّديّة: اللّيل الرّابض والنّجوم البيضاء، يشير الشّاعر إلى قدرة يافا على الصّمود والمقاومة، يشير إلى إيمانها بولادة الانتصار، فهي تترقّب في كنف اللّيل الغشيم أطيافاً، والتّتكير في الأطياف يفيد التّنوّع، وهذا المعنى مقصود من الشّاعر، وقد جاء متلائماً مع الوزن الشعريّ؛ فالأطياف التي تترقّبها يافا في ليل الاحتلال متنوّعة وكثيرة، وتنوّع الأطياف يدلّ على ثقة يافا بقدرتها على مواجهة الصّعاب، وعلى قوّة تفاؤلها، كما تنوّع الأحلام عند المرء يدلّ على أنّه كثير التّفاؤل، واثق بذاته، مقدّم، وطامح.

ومن خلال هذه الرّؤيا الشعريّة والحلم الواعي يصبح فؤاد الخشن كمتصوّف عصرنا «الذي يرى الواقع الكائن والواقع الممكن، وهو بذلك يخترق حجاب الزّمن المستقبل»¹.

وإنّ الشّاعر من خلال الثّنائيّة الضّديّة: اللّيل الأسود والنّجوم البيضاء يبعث رسالة استنهاض إلى المتلقّي العربيّ الذي أحبطته هزائم قومه العرب، وهي هزائم متكرّرة، أمام الغزاة الصّهاينة الجدد؛ ليعيد إليه ثقته بنفسه وقومه، وبأنّ القوميّة العربيّة، بتمييزها عن أيّة قوميّة أخرى، تستطيع أن تخلق أسباب الحياة والبقاء، وأن تتنصر على سلاح الدّمار والموت.

ويُرسل الشّاعر رسالته في أجواء تفاؤليّة مفعمة أملًا وسروراً، وتبدو كلماته -فيما تقدّم- كأنّها نشيد فرح واستبشار، وقد توافقت الكلمات الشعريّة المثقّلة بمعاني التّفاؤل مع الإيقاع الإنشاديّ الصّاحب الذي ينبثق من تفعيلات الخبب، وكأنّ الشّاعر اختار البحر

1- أدونيس: الأعمال الشعريّة الكاملة، 1/ 369.

العروضي الأكثر طواعيةً بين سائر البحور لكتابة الأناشيد، والتعبير عن الفرح؛ ليعبر هو عن تفاؤله بتحرير الأرض العربيّة المغتصبة وبعودة اللاجئين إلى الوطن والديار في سياقٍ إيقاعيٍّ، يشعر السامع بالفرح والطرب؛ ولكن ما الذي جعل الشاعر يبتهج، ثم يتفاعل بتحرير الأرض، وفلسطين تحت حراب اليهود تكابد الذلّ والحزن والألم؟

لا بدّ أنّ ثمة سبباً عظيماً قد جعل فؤاد الخشن يتربّب مع يافا فجر التحرير: يافا تترقّب في الليل الرّايض أطيافاً تتسلّل... تفتح مروحة الفجر الزّرقاء⁽¹⁾، إنّ الذي جعل الشّاعر فريحا هو المقاومة الفلسطينيّة وفدائيّوها الأبطال الذين يصدّون كيد المعتدين بدمائهم، ويضخّون بأرواحهم؛ لتبقى الأرض:

يا أبناء الفردوس المطرودين

من أرض فلسطين

يا منْ بالأمس توهمتم أنّ السّلطات المهترئة...

وبنادقها العمياء الصّدئة

ستحرّركم وتعيد إليكم أرض المهذّب

واليوم، وبعد سراب الوعد

أدركتم أنّ دماء فدائييكم هي نهر العودة للأوطان⁽²⁾.

إنّ الشّاعر أدرك -وهو ابن المجتمع العربيّ- أنّ الجماهير العربيّة يائسة قانطة من نهضة العرب، ومن قدرتهم على التّوحد في معركة العروبة والشّرف، وكيف لا تقنط الجماهير من سلطان مهترئة أقامها الأعداء أنفسهم من أجل تضييع القضية العربيّة وتضليل الجماهير؛ وإنّ هذه السّلطات المهترئة، وإن أرادت قتال الأعداء، فهي تقاتل ببنادق عمياء لا ترى العدو.

وفي هذا الواقع العربيّ المتخاذل المتردّي حقّ للجماهير أن تقنط من النّصر على الأعداء، بيد أنّ الشاعر، وقد أدرك قنوط الجماهير العربيّة، لا بدّ له من أن يؤدّي

1 - المصدر السابق، نفسه.

2 - فؤاد الخشن: ديوان فؤاد الخشن، قصيدة (الصياد)، المجلّد الثاني، ص 471، دار العودة بيروت، ط1، 1993.

رسالته الوطنية والقومية في بثّ روح النّفاؤل في النفوس؛ وقد أدّى هذه الرّسالة كاملة بوصفه يمثّل طليعة القادة الأمناء على حملها، إذ ذكّر الجماهير بما يفعله الفدائيّون من بطولات، وبما يقدّمونه من تضحيات عظيمة على أرض فلسطين، قاصداً أن يزيل القنوط من النفوس، وأن يزرع مكانه الأمل بالتحرير والنصر الكبير، وكما حقّ للجماهير أن تقتط من قدرة السّلطات المهترئة على صنع الانتصار، كذلك يحقّ لها أن تطرد قنوطها وتتفاعل بولادة الفجر الجديد والنصر المجيد إيماناً منها بالمقاومة وقدرة الفدائيّين على تحرير الأرض وصون العرض.

وفؤاد الخشن في هذه القصيدة يرسل إلى القارئ العربيّ إشارة إلى أنّ الثّورة هي النّهج الصّحيح للتّحرير، وتقويض الواقع القائم ملتقياً مع عبد الوهّاب البيّاتي الذي رأى في تصريح له أنّ الثّورة «هي عمليّة تتجاوز رفض الواقع إلى محاولة تقويضه، وبناء واقع جديد»¹.

وليست بطولة الفدائيّين وحدها التي جعلت الشّاعر متفائلاً، بل إنّ زهور الرّعتر في صدف قد زادت تفاقماً بعودة اللاّجئين إلى قراهم وديارهم، إنّها ك «يافا» تترقّب عودة الوجوه السّمر بالشّوق الغرد: وزهور الرّعتر في صدف

تتنفّس بالشّوق الغرد

لوجوه سمراء،

يزرعها اللّيل الملهوف اللّهاث

بصغار الماسات

فُلِبَتْ طاسات السّحر على أثواب السّاحر

وأطلّ الصّيّاد المرتقب

يطلق من أفواه قماقمنا الخرساء

مرّاداً تنثب

فتهزّ الأجوّاء!⁽²⁾.

1- عبد الوهّاب البيّاتي: مجلّة الآداب البيروتية، ص 198.

2- فؤاد الخشن: ديوان فؤاد الخشن، قصيدة (الصيّاد)، 2/ 469-470.

إنّ زهور الرّعر في صدف متفائلة، بأنّها ستري الوجوه السّمر التي فارقتها، فهي تتنفس شوقها الغرد بغير حزن وغير اكتئاب، تتنفس شوقها إلى الوجوه التي ألقتها قبل النّكبة والتّهجير مهلّة، مغرّدة، مستبشرة، وقد أراد الشّاعر من خلال إدخال زهور الرّعر في سياق التّعبير عن التّفاؤل أن يظهر للمنتشائمين الانهزاميين أنّ عناصر الطّبيعة متفائلة بالنّصر على اليهود الأعداء، وهي تهلّل له وتغنّي.

وما الرّعر هنا إلّا إشارة شعريّة تحمل معنى الارتباط الأدبيّ بين الإنسان وأرضه، ف«بجانب كلّ إشارة جماليّة يفرزها فنّ من الفنون، أو أدب من الآداب (الموسيقى، الرّسم، النّحت، الشّعر، القصّة، الرواية...) هناك إشارة إيصاليّة توصل المعنى»¹.

وهنا نقول أنّ العالم خرج عقب الحرب العالميّة الثّانية، منهكاً، متوجّعاً، منقسماً إلى معسكرات وجبهات، وقد عاش المبدعون ويلات تلك الحرب، ولامسوا إحساس الجياع والعراة والمشرّدين، وأدركوا من خلال التّجربة الواقعيّة أنّ الحرب خطأ فادح، يرتكبه النّاس، ويسعون إلى إشعال نارها بأيديهم مدفوعين بجهلهم وغريزتهم من غير أن يقدّروا عاقبتها الوخيمة، يسعون إلى إشعال نارها، ولا يدرون أنّهم سيصيرون خطّبا.

وفي هذه الأجواء العالميّة المكفّهرة التي تُشعر بالتّشاؤم اندفع الشّاعر فؤاد الخشن إلى التّعبير عن تقاوله الإنسان في قصائده، انطلاقاً من إحساسه الإنسانيّ الأصيل العامّ، وانسجاماً مع فطرته الأدميّة، وإدراكاً منه لأهميّة دوره في حمل الرّسالة الإنسانيّة؛ وقد عاش حدث النّكبة العربيّة الفلسطينيّة، وعاش ما سبق النّكبة وما تلاها من تفاصيل وآلام؛ فبلغ تأثره حدّ الفاجعة، وارتطم وعيه بصدمة الدّهشة والدّهول، فانطلق يعبر في قصائده عن مشاعره تجاه الأخ الفلسطينيّ الجريح في إنسانيّته وقوميّته، ولم يقتصر خطابه على الجانب القوميّ فحسب، بل أضاف على نكبة الشّعب الفلسطينيّ بعداً إنسانياً شاملاً، فجعل من قضيّته قضيّة العرب جميعاً، بل قضيّة الشّعوب والأمم الحرّة جمعاء، وذلك «حينما غدت الرّؤيا الشعريّة المعاصرة قفزة خارج المفهومات السّائدة»².

وهكذا ظهر الصّهانية في شعره مجرد قتلة للإنسان في انتهاك صارخ للكرامة البشريّة، لا يميّزون في عدوانهم بين دين أو عرق، إذ إنّ الاعتداء على الفلسطينيّ في نظره هو

1- بيار جبرو: علم الإشارة السيميولوجيا، ص 17 - 18.

2- أدونيس: زمن الشّعر، ص 9.

اعتداء على جوهر الطينة الإنسانية نفسها؛ ومن هذا المنطلق، فهم القضية الفلسطينية بوصفها امتداداً لقضايا المقيمين والمضطهدين في العالم، فنظر إليها وإلى سائر القضايا الإنسانية بعين واحدة، يرى أنّ المظلومين، مهما اختلفت أجناسهم وأديانهم وأوطانهم، يشتركون جميعاً في جوهر المأساة ونداء العدالة؛ وقد تفاعل في نظريته إلى هذه القضايا، وبثّ روح النقّال في قصائده، مبشراً بفجر الإنسان الجديد الذي سيولد من رحم الليل المظلم.

المبحث الثاني: رمزية اللون الأبيض في شعر فؤاد الخشن ودلالاته على الأمل

ووظّف الشاعر اللون الأبيض رمزاً للنقّال في سياقاته الشعريّة مولداً لغةً جديدة تتوافق والواقع الإنسانيّ المولود من رحم الحروب، فعبر من خلال رمزية اللون الأبيض عن حبه للسلام وإيمانه بحتمية انتصاره على سلاح الحرب.

وهذه المعاني الإنسانية التي سكبها الشاعر في قوالبه الشعريّة، هي جوهر الرسالة التي يحملها الشاعر الأصيل؛ إذ لا يمكن للشاعر أن يكون غير الشاعر الإنسان، لا يمكنه أن يكون شاعر فئة عرقية أو دينية محدودة بحدود العصبية.

إنّ الشاعر ذا الرسالة ينطلق من دائرة الوطن، وهي الدائرة الصغرى، ويدخل في دائرة العالم، معبراً عن الأحداث التي تقع ضمن هاتين الدائرتين، متفاعلاً معها ومتأثراً بها؛ من هنا، تتبين أهمية توظيف اللون في الشعر العربي الحديث، إذ «يعدّ اللون عنصراً مهماً في تشكيل النصّ الشعريّ؛ لأنّه ينطوي على أبعاد جمالية تُعطي النصّ قيمة فنيّة عالية، تتشابه فيه بعض الألوان مع الرّمز جرّاء التّوظيف الدائم والمحمّل بدلالات متنوّعة، ويذهب كذلك - عن النفس النّفور والملل عند قراءة النصّ الأدبيّ؛ فاللون يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها، فهل نتخيّل أنفسنا نرى لوناً واحداً؟ هل نشعر بلذّة الجمال لو اختفت الألوان من الأرض، وأصبحت تُرى بلا ألوان؟ عالماً مخيفاً يبدو لك كالصحراء الممتدّة أطرافها بلا ماء أو شجر أو ظلّ أو نهاية؟ إنّ هذا التخيّل يدفع النفس إلى النّفور والملل، فلا حياة بلا ألوان⁽¹⁾.

1- عبد الباسط محمّد الزبود، ظاهر محمّد الزواهرة: دلالات اللون في شعر بدر شاكر السّيار، ديوان (أنشودة المطر نموذجاً).

ومن تجليات رمزية اللون الأبيض بدلالاتها التفاضلية الإنسانية في شعر فؤاد الخشن قوله:

وفي مسجده الأقصى

وتحت القبة البيضاء تحت نداوة الصخرة، وفي الكهف الذي هلاً

بواهج من ضياء الخلد حيث محمد صلى «خنافس» يتقنون الهزء والتصفير والرقصا

ويختزنون أقدار الليالي الحمر والقملا، وفي المئذنة الشماء عند تملل العجر

ترفرف نجمة الشر

ويزحف موهن الخطوات يسفح في المدى نبره

تقيء الذل والإكراه والحسرة

أيا قدس القباب البيض والأجراء يا قدسي

لسوف أعود كالأمس

أهز مراوح الزيتون أسقيها بماء العين والقلب

بكل تدفق الأعراف بالإيمان والحب⁽¹⁾.

في هذا المقطع الشعري يؤدي اللون الأبيض دلالة إنسانية، فالمسجد الأقصى لا يدل على فئة من الناس أو عرق من الأعراق، بل هو مرتبط بعالمية الرسول محمد ﷺ، مرتبط برسالة الإسلام التي تدعو الناس كافة إلى اعتناق دين التوحيد وقبته البيضاء هي كذلك تدل بلونها الأبيض على التسامح بين الناس، تدل على النقاء، ونبذ الأحقاد والشرور، لأن القبة البيضاء تستمد دلالاتها الإنسانية من إنسانية نبي الرحمة وتستمد عالميتها من عالميته، وعالمية الرسول محمد ليست صفة أضفاها عليه الناس، بل هي صفة من عند الله قد وصف بها رسوله الخاتم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾.

وبأتي ذكر النبي محمد ﷺ في المقطع الشعري السابق؛ ليؤكد الشاعر عالمية الأقصى ودلالاته الإنسانية من خلال قبته البيضاء، ويشير فؤاد الخشن في السياق الشعري إلى

1- فؤاد الخشن: ديوان فؤاد الخشن، قصيدة (مسوخ في القدس)، 2/ 415-416.

2- سورة الأنبياء، آية 107.

العلاقة الأبدية بين النبي ﷺ والمسجد الأقصى من خلال إشارته إلى الصلاة التي أداها في رحابه عَقَبَ الإسراء؛ وبهذه الصلاة الخالدة تَكَرَّست رمزية المسجد الأقصى العالمية الإنسانية، بيد أن الحاقدين تُغيظهم هذه الرمزية التي ترمز إلى الأخوة الإنسانية، وتتبدن العنصرية، تغيظهم رسالة الإسلام العالمية التي لا تفرق بين الناس أمام شريعة الله، فهم مجموعون إلى الحساب في آخر الدهر، لا يُمَيَّز شعبٌ عن شعب، ولا إنسان عن إنسان، إلا بعمله، وبسبب هذه الرسالة السَّماح التي يؤدِّيها المسجد الأقصى يعتدي عليه الحاقدون في كلِّ مرةٍ إحراقاً وتخريباً وتدنيّاً رافعين نجمتهم الشريرة على المئذنة الشَّماء.

إنَّ مسوخ اليهود استباحوا الحرم القدسيّ راقصين، ومصقّرين، ومشعوذين، ومدينة القدس صابرةً على الألم؛ لأنها ترفض أن تكون مغتصبة، أو تكون لفئة من الناس، هي مدينة الأنبياء وأرض الرِّسالات، ثم جاءت صلاة الرسول محمد ﷺ؛ لتجعلها مدينةً عالمية، إذ صبغها الرسول بصبغته، وأضفى عليها معاني التَّآخي والتَّسامح بين الشُّعوب، فهو الصَّادق مع ربِّه، والأمين على تطبيق مبادئ رسالته، والمؤمن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽¹⁾.

لكنَّ اليهود الصَّهاينة يضرِّهم أن تكون القدس مدينةً عالمية ذات وجهٍ إنسانيٍّ عامٍّ، فهم يريدونها ملكاً لهم، خاصّةً بهم، يريدون إحاطتها بحدود عنصريّتهم، وسلَّبها رسالتها العالمية الإنسانية؛ لهذا هي تتألم وتحزن حين لا تجد من ينفذها من طغمة الإجرام والعُدوان؛ ولكنَّ الشاعر، على الرِّغم من حُزنِ القدس وألمها، يتفاعل بقبابها البيضاء، فهي تبتُّ في نفسه الأمل، وتجعله مؤمناً بعودته إلى الديار، إلى بساتين الرِّيتون يسقي أشجارها، يحميها، ويجني ثمارها؛ فاللون الأبيض يحمل دلالة الطمأنينة، و«النور الأبيض هو نور النَّفس المطمئنة»².

والشَّاعر في هذا التَّفَاوُل يمثِّل الفلاح الفلسطيني الذي اقتلعه العدوّ من بيته وأرضه، وهو يضع نفسه موضعه في الشُّعور والرُّؤية، فعاش التَّفَاوُل الإنسانيّ، وعبر عنه؛ ومن البديهيّ أن يعمد الشَّاعر إلى التَّعبير عن تَفَاوُلِه في شعره الذي يتعلّق بقضايا الإنسان عامّة، والإنسان الفلسطينيّ خاصّة، فهو شاعر القضية، والقضية يقتلها التَّساوم.

1- سورة الحجرات، آية 13.

2- ضاري وظهر صالح: دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفيّ، ص 97.

المبحث الثالث: البعد الإنساني في الشعر العربي الحديث وتجلي التّفاؤل العالمي أولاً: دور التّفاؤل في نهضة الشعوب والمقاومة الإنسانية

إنّ أية قضية لا يكافح أهلها متفائلين في الدّفاع عنها، مثابرين على سيرهم في طريق النّضال، مؤمنين بحتمية النّصر، تموت، لا محالة، وإذا عدنا إلى التّاريخ قاصدين التّأمّل والاعتبار؛ فإننا نجد كثيراً من قضايا الشعوب، بل كثيراً من حضاراتهم اندثرت ولم يبق منها أثر، كذلك نجد كثيراً من القضايا ذات المضمون الإنسانيّ انتصرت بعد زمن طويل من الصّبر والألم؛ ولكنها انتصرت بجهد أهلها وثباتهم على الحقّ، من دون أن يشعروا مرّة بالإحباط والقنوط.

إنّ دور التّفاؤل في استنهاض الشعوب المظلومة المنكوبة دورٌ فاعلٌ لا يمكن إغفاله، فالويل للإنسان الذي يقنط، والويل للأمة التي تقنط، فالقنوط داء الأمم العُضال، داء الحضارات، داء إذا أصاب فتك، إذا أصاب أمةً أقعدها عن العمل والجِدّ والعطاء، وأماتها ذليلةً، ولم يترك لها فرصةً للنهوض، فيجب على الأمة أن تكافح قنوطها بتفاؤلها الدائم لكي تبقى حيّةً عزيزةً بين أقرانها من الأمم والشعوب.

انطلاقاً من هذه الحقيقة أيقن الشّاعر فؤاد الخشن الدور الفاعل الذي يؤدّيه التّفاؤل، ولا أحد أكثر من الشّاعر يعي هذا الدّور وأهميّته، فعبر عنه في قصيدته (مسوخ في القدس)، وهو يهدف من خلال هذا التّعبير إلى بثّ التّفاؤل في النفوس؛ ليبعد عنها التّشاؤم القاتل:

أيا قدس القباب البيض والأجراس يا قدسي

لسوف أعود كالأمس

أهزّ مراوح الزيتون أسقيها بماء العين والقلب

بكلّ تدقّق الأعراق بالإيمان والحبّ

أرود تلالك الخضراء، تُشرق من منازلها شمسُ براعم الزهر⁽¹⁾.

1- فؤاد الخشن: ديوان فؤاد الخشن، قصيدة (مسوخ في القدس)، 2/ 416.

يتجلى النّفاؤل في هذا النّصّ الشعريّ لفؤاد الخشن بوصفه طاقة وجدانيّة ورؤية مستقبلية تتجاوز حدود الألم والاحتلال إلى أفق العودة والتحرّر؛ فالمخاطبة المباشرة للقدس بعبارة "أيا قدس القباب البيض والأجراس يا قدسي" تنطوي على بعد عاطفيّ حميميّ، يُحيل إلى علاقة الانتماء والقداسة، كما تكشف عن يقين الشّاعر بأنّ الارتباط بالمكان لا يمكن أن ينقطع على الرّغم من الغياب، ويؤكد هذا اليقين فعل المستقبل في قوله: "لسوف أعود كالأمس"، حيث يوظّف صيغة القطع والتأكيد (لسوف)؛ لتكثيف الإيمان بالعودة، ولجعل منها قدرًا محتومًا لا مجال للريبة فيه.

ثم تتدرّج القصيدة في رسم مشهد العودة من خلال صور حسيّة وحركيّة متفائلة، إذ يستحضر الشّاعر رموز الخصوبة والحياة مثل الزّيتون والماء والدّمع والقلب، وهي رموز تتضافر؛ لتعكس فكرة التّجدّد والانبعاث، فهزّ مراوح الزّيتون وسقيها بماء العين والقلب يُحيل إلى امتزاج العاطفة بالرمز الوطنيّ، ويجعل من فعل العودة عمليّة إحياء للمكان بما يحمله من جذور تاريخيّة وروحيّة، كما أنّ توظيف ثنائيّة الإيمان والحبّ يكشف عن إدراك الشّاعر لأهميّة القيم الروحيّة والعاطفيّة في مواجهة قسوة الواقع.

وبيلغ النّفاؤل ذروته في الصّورة الختاميّة: "أرود تلاك الخضراء، تُشرق من منازلها شمس براعم الزّهر"، حيث يقدّم صورة بانوراميّة لمدينة تنهض من جديد، تلالها خضراء، وشموسها تتفتح من براعم الزّهر؛ هذه الصّورة لا تُبنى على الحاضر المثقل بالظلم، بل على المستقبل المتخيّل الذي يراه الشّاعر قريبًا، وكأنّ العودة ستعيد للقدس إشراقها الطّبيعيّ والحضاريّ.

بهذا، يتجاوز النّفاؤل في النّصّ حدود التّمنيّ إلى يقين شعريّ مشبع بالإيمان والحنين، ويصبح وعدًا بالنّهضة والانبعاث، يدمج الخاصّ بالعامّ، والعاطفيّ بالوطنيّ؛ ليحوّل الحلم بالعودة إلى خطاب شعريّ مقاوم يمنح المتلقّي أفقًا من الرّجاء والإصرار.

ثانيًا: البعد الإنسانيّ العالميّ للشّعر وأثره في مواجهة الشّرّ

إنّ هذا النوع من الشّعر المثقل بمعاني الأمل والنّفاؤل يبني النفوس المهذّمة على أسس متينة صلبة تقاوم زلازل الحروب والنّكبات، فلا تتصدّع ولا تنهار، يجعلها ذات مقاومة وممانعة، تعيش الحياة ذات الشّدّة، متفائلة بأنّها ستجتاز الجسر الذي بواسطته تنتقل من

الداء إلى الشفاء ومن الجهل إلى العلم، إنّ هذا النوع من الشّعْر لا يقلّ أهميّة - إن لم نقل أهم- عن السّلاح والتّكنولوجيا والعلم في حرب التّحرير التي تخوضها الأمّة ضدّ الأعداء، فكما تحارب الأمّة أعداءها بالسّلاح والتّكنولوجيا، كذلك تحاربهم بأدبها، بفكرها الوقّاد النّائر، الويل كلّ الويل والتّبور كلّ التّبور للأمّة التي تخوض معركتها ضدّ أعدائها بالسّلاح فقط، لا بدّ لها- حتّى تنتصر- من أن تُدخل في المعركة سلاح الكلمة والفنّ والفكر، السّلاح وحده في المعركة يصبغ المحاربين بصبغة العنف والجريمة والهمجيّة، حين ترافق الكلمة السّلاح في المعركة تجعله موصوفاً بصفة الحضارة والمعرفة والثّقافة، فيصير سلاحاً يؤدّي وظيفة إنسانيّة، سلاحاً يدافع عن القيم والحقّ وعناصر الجمال في الحياة.

وهذا ما أدّاه فؤاد الخشن بكلماته حين صوّر المحتلّين بأنّهم عنصريّون ومشعوذون يتصرّفون بحماقة وغباءٍ، وقد نزع عنهم الشّاعر الصّبغة الإنسانيّة حين وصفهم مسوخاً وخنافس، وبدت عبادتهم ضرباً من الخرافة والعبث والتّهريج:

خنافس يُتقنون الهُزء والتّصفير والرّقصا

ويختزنون أقذار اللّياالي الحمر والقملا⁽¹⁾.

وهؤلاء المسوخ الذين لم تتوفّر فيهم الصّفات الإنسانيّة يعتدون على بلاد الحضارة والرسالات والأبديّة، بلاد القباب البيض والنّسامح، وقد وُفّق الشّاعر في الغاية التي أراد الوصول إليها، وهي إظهار الصّراع بين الأضداد في الحياة وهذا الصّراع سنّة الطّبيعة في جميع الخلائق والصّفات، فالخير والشرّ ضدّان، وكذلك النّور والظّلام، ووفقاً لهذه السنّة بدهيّ أن يكون العربيّ الفلسطينيّ واليهوديّ الصّهيونيّ ضدّين فالأوّل ذو جذور ضاربة في أعماق الحضارة الإنسانيّة، أمّا الثّاني مقطوع الجذور، وهو من غير أرض ومن غير تاريخ، ولهذا سوّغ احتلاله لفلسطين بالخرافات والادّعاءات والافتراءات، ولجأ مسعوراً إلى الإرهاب فقتل أبناء فلسطين قتلاً جماعياً بغية اقتلاع جذورهم من التّراب العربيّ. ولم يلجأ مرّة إلى الحرب بسلاح المنطق والحجّة والبرهان، إنّهُ لا يملك هذا السّلاح الفتنّك في كلّ الأزمنة.

1- المصدر السابق، ص 416-415.

إنَّ الشَّاعِرَ يُوَدِّي رِسَالَةَ الأَدَبِ التَّارِيخِيَّةِ، وَهِيَ رِسَالَةُ نَقْدِ الْحَيَاةِ، وَ«رَبَّمَا كَانَتْ أَوَّلَ عِبَارَةٍ فِي تَارِيخِ النَّظَرِ النَّقْدِيِّ قَدْ أَحْكَمَتِ الرِّبْطَ بَيْنَ الأَدَبِ وَالْحَيَاةِ هِيَ الْعِبَارَةُ الْمَأْثُورَةُ عَنْ كُولَرْدَجِ التِّي يَقَرِّرُ فِيهَا أَنَّ الأَدَبَ نَقْدٌ لِلْحَيَاةِ»¹.

وإنَّ الشَّاعِرَ فُؤَادُ الْخَشَنِ فِي قَصِيدَتِهِ (مَسُوخٌ فِي الْقُدْسِ) بَدَأَ مَسْلَحًا بِهَذَا السِّلَاحِ، سِلَاحِ الشَّعْرِ والأَدَبِ، فَهُوَ يَقَاتِلُ الْعَدُوَّ بِهِ مُتَقَانًا بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، وَبِالْعُودَةِ إِلَى الْقُدْسِ مَصْلِيًّا تَحْتَ قِبَابِهَا الْبَيْضِ. وَتَأْتِي رَمْزِيَّةُ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ أَكْثَرَ دَلَالَةً عَلَى التَّفَاوُلِ الْإِنْسَانِيِّ وَأَكْثَرَ شَمُولًا وَاتِّسَاعًا مِنَ الْمَثَالِ السَّابِقِ، وَشَرَطَ هَذَا الشَّمُولُ الَّذِي أَعْنِيهِ فِي الدَّلَالَةِ التَّفَاوُلِيَّةِ ذَاتَ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ أَنْ يَتَجَاوَزَ الشَّاعِرُ حُدُودَ الْوَطَنِ وَالْإِقْلِيمِ وَالْأُمَّةِ، وَيُعَبِّرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ الْعَالَمِ كَمَا يَتَمَنَّاها فِي الْمُسْتَقْبَلِ انْطِلَاقًا مِنَ الْوَاقِعِ الْإِجْتِمَاعِيِّ الرَّدِيِّ الَّذِي يَحْيَاهُ النَّاسُ فِي كُلِّ بَقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ دُونِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْأَعْرَاقِ، فَيَتَّحِدُ الشَّاعِرُ حِينئِذٍ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي مَعَانَاتِهِ وَأَلَمِهِ، فِي حِلْمِهِ وَطُمُوحِهِ، وَيَتَجَرَّدُ مِنْ أَيِّ شُعُورٍ مَحْدُودٍ، حِينئِذٍ يَصْبِحُ تَعْبِيرُ الشَّاعِرِ تَعْبِيرًا أُمَمِيًّا يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْأَقَالِيمِ وَالْأَقْطَارِ؛ لِأَنَّهُ يَنْبَغُ مِنْ أَعْمَاقِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فِغَايَةِ الشَّاعِرِ فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ أَنْ يَتَّحِدَ مَعَ فُقَرَاءِ الْعَالَمِ وَمُعَذِّبِيهِ وَمُسْتَضْعَفِيهِ، وَهِيَ غَايَةُ إِنْسَانِيَّةٍ خَالِصَةٍ لَا تَشُوْبُهَا شَائِبَةٌ سِيَاسِيَّةٌ، أَوْ عَقَائِدِيَّةٌ، أَوْ عِرْقِيَّةٌ، لَا يَرِيدُ الشَّاعِرُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ سِوَى إِرْضَاءِ حِسِّهِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ فِطْرَةٌ فِي بَدَايَةِ خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ تَشُوْهَ هَذِهِ الْفِطْرَةُ الْأَوَّلَى الْأَيْدِيُولُوجِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ، لَا يَرِيدُ الشَّاعِرُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ سِوَى أَنْ يُوَدِّيَ رِسَالَةَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ ذَاتَ السِّمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ «هُوَ دَعْوَةٌ إِلَى الثَّوْرَةِ وَالتَّغْيِيرِ»².

إنَّ هَذِهِ السِّمَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ أَهَمُّ سِمَاتِ الْحَدَاثَةِ فِي الشَّعْرِ، حَيْثُ أَخْرَجَتْ الْحَدَاثَةُ الشَّعْرَ مِنَ الْمَرِيعَاتِ وَالْذَوَائِرِ وَأَطْلَقَتْهُ فِي فِضَاءِ الْأَلَمِ الْإِنْسَانِيِّ، فَنَشَطَتْ حَرَكَتُهُ وَتَحَرَّرَتْ وَكَسَرَتْ قِيُودَ التَّرَمَّتِ وَالتَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّةِ، وَإِنَّ هَذَا الْفِضَاءَ الْإِنْسَانِيَّ نَجَدَهُ عِنْدَ أَهْلِ أَعْلَامِ الْحَدَاثَةِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَأَدُونِيْسٍ وَالسِّيَّابِ وَالْبِيَّاتِيِّ وَخَلِيلِ حَاوِي وَغَيْرِهِمْ... إلخ، حَيْثُ طَرَقَ هَؤُلَاءِ قَضَايَا الْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ قِصَائِهِمْ، وَغَدَا التَّعْبِيرُ الْإِنْسَانِيَّ صِفَةً شَعْرَهُمُ الثَّابِتَةَ وَالْبَارِزَةَ وَلَيْسَ صِفَةً طَارِئَةً وَعَابِرَةً. وَقَدْ عَبَّرَ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ عَنْ تَفَاوُلِهِمْ بِانْتِصَارِ

1- عَزَّ الدِّينُ إِسْمَاعِيلُ: الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْمَعَاوِرُ، قَضَايَاهُ وَظَوَاهِرُ الْفَنِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، ص 373.

2- يُوْسُفُ الْخَال: مَجَلَّةُ شَعْرٍ، ص 7.

السّلام على الحرب والخير على الشرّ. ولا جرم أنّ اللون الأبيض هو أكثر الرموز دلالة على التّفاؤل الإنسانيّ في الشعر العربيّ الحديث، حيث «ارتبط عند كثير من النّاس بدلالات متعدّدة، منها ما كان يدعو إلى الخير، فهو يبعث على الأمل والتّفاؤل والصّفاء والتّسامح، ويدلّ على النّقاء، كما يبعث على الودّ والمحبة»⁽¹⁾.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أنّ التّفاؤل في شعر فؤاد الخشن ليس مجرد نزعة عاطفيّة عابرة، بل هو خيار وجوديّ ورؤية إنسانيّة تعكس وعي الشّاعر العميق بضرورة مقاومة اليأس والتّشاؤم في وجه التّحدّيات التّاريخيّة والإنسانيّة؛ فقد وظّف الخشن رموزاً شعريّة غنيّة، أبرزها رمزيّة اللون الأبيض؛ ليجعل منها دلالات متعدّدة على الأمل، والتّجدّد، والنّقاء الرّوحيّ، والتّسامح الإنسانيّ. ومن خلال هذه الرموز اتّسعت تجربته الشعريّة من حدودها المحليّة المرتبطة بالقضيّة الفلسطينيّة إلى آفاق إنسانيّة عالميّة، تتقاطع مع معاناة الشّعوب كافّة في صراعها ضدّ القهر والظلم.

وتبيّن أنّ التّفاؤل عند الخشن ليس مجرد زينة بلاغيّة، بل هو سلاح مقاومة يوازي البندقيّة في شدّته وفاعليّته، إذ يعيد للإنسان المقهور ثقته بنفسه، ويمنحه القدرة على الصّمود، ويؤكد أنّ الأمل هو الدّافع الأوّل للاستمرار في الحياة والنّضال. كما أظهر البحث أنّ شعر الخشن يندرج في إطار الحداثة الشعريّة العربيّة التي منحت القصيدة بعداً إنسانياً عالمياً يتجاوز الانتماءات الضيّقة؛ ليصير خطاباً للإنسان أينما كان.

وعليه، يمكن القول إنّ فؤاد الخشن نجح في أن يجعل من شعره رسالة تفاؤل وأمل، تمزج بين القيم الوطنيّة والبعد الإنسانيّ الشّامل، وبذلك يقدّم تجربة تستحقّ مزيداً من الدّراسة النّقديّة، سواء في إطار المقاربات الموضوعاتيّة لرصد تجلّيات الأمل، أم عبر المناهج المقارنة التي تكشف موقعه بين أصوات الشعر العربيّ الحديث التي احتفت بالإنسان كقيمة مطلقة.

1- عبد الباسط محمّد الزبيد، ظاهر محمّد الزواهد: دلالات اللون في شعر بدر شاكر السيّاب، ديوان (أنشودة المطر نموذجاً).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أدونيس. زمن الشعر. بيروت: دار العودة، ط 3، 1983م.
- أدونيس. الأعمال الشعرية الكاملة. بيروت: دار السّاقى، 1988م.
- إسماعيل، عزّ الدّين. الشعر العربيّ المعاصر، قضاياها وظواهره الفنيّة والمعنويّة. بيروت: دار العودة، 2007م.
- البيّاتي، عبد الوهّاب. مجلّة الآداب البيروتية. بيروت: مارس عدد 1، 1966.
- جبرو، بيار. علم الإشارة السيميولوجيا. تر: د. منذر عياشي. دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر.
- الخال، يوسف. مجلّة شعر. بيروت: عدد 37، 1968.
- الخشن، فؤاد. ديوان فؤاد الخشن. بيروت: دار العودة، ط1، 1993.
- رد، هريبرت. (Herbert Red) الفنّ والمجتمع. ترجمة فارس متري ضاهر. بيروت: دار القلم، ط 1، 1975م.
- الزبيد، عبد الباسط محمّد، و ظاهر الزواهره، محمّد. دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب، ديوان (أنشودة المطر نموذجًا). دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلّد 41، العدد 2، 2014.
- صالح، ضاري مظهر. دلالة اللون في القرآن والفكر الصّوفيّ. دمشق: دار الزّمان، ط 1، 2012.

المراجع الأجنبية

- Riffaterre, M, La production du texte, seuil, Paris, 1979.

الالتزام عند غسان كنفاني دراسة موضوعاتية تحليلية

Commitment in Ghassan Kanafani's work Thematic analytical study

د. أحمد نديم أمّون¹

Dr. Ahmad Nadim Ammoun

تاريخ القبول 2025 /10/9

تاريخ الاستلام 2025 /9 /30

ملخص

يعالج هذا البحث موضوع الالتزام الأدبيّ تجاه القضية الفلسطينية، إضافة إلى تسليط الضوء على بعض الأدباء والمقاومين الملتزمين على الساحة الفلسطينية؛ والجديد في هذا البحث هو الكشف عن تأثير الالتزام في نفوس الفلسطينيين، ونتيجة هذا الالتزام على الأديب، والمقاوم، والمجتمع؛ وتكشف فرضيات البحث أنّ مفهوم الالتزام عند كنفاني ليس مجرد انتماء وطني أو فكري، بل هو رؤية وجودية تبرهن عن وجود الفلسطيني في أرضه، وتؤكد أنّه يواجه الاحتلال بالقول والسلاح، فالإنسان قضية قبل أن يكون كاتباً، أو روائياً، ومن هنا تتأسس فرضية استمرارية المقاومة بكلّ الأنواع التي تحرّر الأرض والعرض، سواء كانت فكرية، أم قتالية، أم جهادية؛ وهذا يقتضي معاناة كبيرة من أجل الحصول على الحرية، فالمثقف والمجاهد كلاهما في نفس الخندق في الدفاع عن الهوية، وعن الأرض والعرض؛ وتتمحور إشكالية البحث حول الكيفية التي ينهض بها الكتاب والروائيون والمجاهدون للدفاع عن القضية الفلسطينية، وما الأدوات المشروعة والمتاحة التي يمكنهم توظيفها في هذا المسار النضالي؟ وما مدى نجاح هذه الفئات في إعادة تشكيل الوعي العالميّ تجاه الاحتلال، وكشف حقيقته، وإظهار صورته الواقعية بعيداً عن الخطابات المزيفة أو السرديات المضادة؟ أمّا أهداف الدراسة فتتمحور حول الكشف عن ملامح الالتزام في أدب غسان كنفاني، إضافة إلى إبراز النتائج الفكرية والإنسانية التي حقّقها هذا الالتزام، ومدى إسهامه في ترسيخ الوعي الوطني وتعزيز

1- أحمد نديم أمّون، حائز شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها من جامعة القديس يوسف في بيروت.
ahmadammoun1981@gmail.com

مقاومة المحتلّ عبر الأدب، هذا ما يجعلنا نحتاج إلى استعمال المنهج الموضوعاتي
لنعطي البحث حقّه، وهذا لا ينفي استعمال مناهج أخرى لإعطاء البحث حقّه.
الكلمات المفتاحيّة: الالتزام، القضية، فلسطين، الرّواية، المقاومة.

Abstract

This research deals with the subject of literary commitment to the Palestinian cause. This subject was addressed in order to reveal the subject of literary commitment to the Palestinian cause, in addition to shedding light on some committed writers and resistance fighters in the Palestinian arena. What is new in this research is revealing the impact of Commitment in the souls of Palestinians and the result of this commitment on the writer and society. As for the research hypotheses, it is clear that commitment for Kanafani and Sinwar is not merely a national or intellectual affiliation, but rather it is an existential vision that proves the presence of the Palestinian in his land and that he confronts the occupation with words and weapons, as the human being is a cause before he is a writer or a novelist The hypothesis is the continuity of resistance in all forms that liberate the land and honor, whether intellectual, combat, or jihadist. All of this imposes great suffering in order to obtain freedom. The intellectual and the jihadist are both in the same trench in defending identity, land, and honor. The problem of the research was, how does one defend Writers, novelists, and mujahideen about the issue? What are the means they are entitled to use? Were they successful in changing the world's image of the occupier and showing it for what it really is? The study's objectives revolve around demonstrating the commitment of Kanafani and Sinwar, and the results they achieved through their commitment. I adopted the thematic approach To address the topic of this research, the commitment between Kanafani and Sinwar because they are dealing with a common issue that combines thought and resistance with weapons, so the commitment in thematics for them leads to the continuity of resistance work. This study has been divided into two chapters, the first chapter includes the commitment of Ghassan Kanafani

in his novels and stories the short chapter, while the second chapter includes a discussion of Yahya Sinwar's commitment in his writings, and the research reached several results, the most prominent of which are: Kanafani made the word a weapon with which he defended his land, while Sinwar formed combat battalions and firearms to defend his land, so the commitment for them stems from a deep belief in liberating their land, even if it cost them their lives, and they paid with their lives for it, and for the freedom of an entire people.

Keywords: Commitment, cause, Palestine, narrative, resistance.

المقدمة

إنّ الالتزام الأدبيّ لم يكن حديثاً، فقد وَجِدَ منذ العصور القديمة واستمرّ إلى يومنا هذا، فهو كمصطلح يشير إلى مسؤوليّة الأديب، أو الكاتب في الدّفاع عن القضايا المجتمعيّة المحقّقة، فيسخرّ الأديب أو الشّاعر أدواته الإبداعيّة في سبيل التّأثير في الوعي الجماعي لدى أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، إضافة إلى الدّفاع عن القضايا المحقّقة، كالدّفاع عن الهوية الوطنيّة والحريّة، فضلاً عن الدّفاع عن حقوق النّاس، ونقل همومهم وأوجاعهم، فالأديب الملتزم لا يسعى فقط إلى تصوير الواقع، بل يسعى إلى تغييره بما أوتي من أدوات إبداعيّة.

وإنّ الالتزام لفظة قديمة في الاستعمال اللّغوي، حيث إنّ التطور الفكريّ الحديث قد أفاض عليها معنى اصطلاحياً جديداً، وهي أكثر ما تطلق اليوم في معرض الكلام عن الفكر، والأدب، والفن، حيث نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضية الإنسانيّة الكبرى: السّياسيّة، والاجتماعيّة، والفكريّة، وليس الأمر مقتصرًا على المشاركة في هذه القضايا، وإنّما يقوم الالتزام في الدّرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكر، أو الأديب، أو الفنّان فيها؛ ومن هنا، كان الالتزام مرتبطاً بالقصيدة والعمل الأدبيّ، منبثقاً من شدّة الإيمان بها، صادراً في جميع أشكاله وأحواله من أيديولوجيّة معيّنة يدينها الفكر الملتزم، فالحرّيّة شرط أساسيّ من شروط الالتزام، وليس ملتزماً من كان التزامه صادراً عن قسر، أو مجارة، أو مملأة، أو نفاق اجتماعي¹ بل الملتزم هو الذي ينبع الالتزام

1 - أمين، محمود، الثقافة والثّورة، دارالآداب، بيروت، 1970، ص54

حرًا من قلبه، وبيئته، وعقيدته، يقوم به عن وعي، واقتناع، واختيار حرّ دونما تكلف، أو إكراه، وللالتزام الفكريّ هدف، هو الكشف عن الواقع الزاهن، والسّعي إلى تغييره أو قل: هو السّعي إلى تغيير ما ليس سليمًا فيه؛ لأنّ الفكر الملتزم يعاين ما ليس حقًا، ولا عدلًا، ولا خيرًا، فيندد به، ويعمل على تحطيمه. أمّا وسيلته إلى ذلك فبالكلمة التي يطلقها بين الناس فتفعل فعلها فيهم على نحو ما تفعل الخميرة في العجين¹، فتدفعهم إلى السلوك الكفيل بإحداث ذلك التّغيير المطلوب. يقول جان بول سارتر²، وهو الكاتب الذي منح الالتزام في الفكر والأدب أوضح مقوماته وأرسخها: الكلمات على حدّ تعبير بريس باران³ مسدّسات عامرة بقذائفها، فإذا تكلم الكاتب فإنّما يصوّب قذائفه في مكنتها الصمت، ولكّنه إذا اختار أن يصوّب فيجب أن يكون له تصويب رجل يرمي إلى أهداف، لا تصويب طفل يغض عينيه، ويطلق الرّصاص على سبيل المصادفة من غير أن يكون له غرض سوى السّرور بسماع الدّوي⁴.

والتّورّط هو أساس الشّعور بالمسؤوليّة التي تتحوّل إلى موقف يترجمه الالتزام سلوكًا وفعلاً؛ لأنّ الالتزام ليس مجرّد تأييد نظريّ لفكرة، إنّما هو سعي إلى تحقيقها⁵. وفي مفهوم الالتزام، إنّ الفكر ليس منفصلاً عن العالم الذي يحيا فيه، ولا هو مستقلّ عنه، بل على العكس من ذلك هو غارق فيه، وموجود، وفاعل، وحاضر، وليس المفكر مجرّد مشاهد، أو متفرّج على ما يدور فوق هذا المسرح، بل هو مشترك في التّمثيل، يمثّل دوره في مأساة الكون الموجود فيه⁶.

ولا ريب أنّ لوجودية سارتر أثرًا بعيدًا في المفهوم، فهو يرى أنّ كلّ إنسان شاء أم أبى، ملتزم في هذا العالم الذي نحن فيه مبحرون في غمار المعмعة من رأسه حتّى القدم، مهما يفعل فإنّه موسوم، معرّض للخطر حتّى في أنأى خلوة له⁷.

1- Vilatoux-l'intentionphilosophique .ed.callimardparis 1967.p6.

2 - جان بول سارتر (j.p.sartre)، كاتب فرنسي معاصر من مواليد 1905، هو فيلسوف الوجوديّة الفرنسيّة، وحامل لواء الالتزام في الفكر الحديث، له مؤلّفات من أبرزها: في الفلسفة: المخيلة 1936، الكائن والعدم 1943، نقد العقل الجدلي 1960، وكذلك في الرّوايات والمسرح.

3 - باران، بريس (bricesparin): أديب فرنسيّ معاصر، يهتمّ بالأبحاث اللّغويّة وفلسفة اللّغة.

4 - J.p.sartre; Quest ce que la lillerature.ed.callimard. paris1948.p31.

5 - الموسوعة العالمية، Encycopedia، 16/244.

6 - J.vialatoux: l'intentionphilosophique.ed.callemard. paris 1967-p7.

7 - J.p.sartre; Quest ce que la lillerature.ed.callimard. paris1948.p12.

ويرتبط الأدب بشكل عام، والرّواية بشكل خاصّ، بحياة النّاس الذين يعيشون في المجتمع الذي يروي فيه الرّايوي روايته، ويلامس أدقّ التّفاصيل الصّغيرة منها والكبيرة في حياتهم كلّها؛ فالأدب هو صورة انعكاس لما يعيشه الإنسان؛ ومن هنا برز غسّان كنفاني لسان حال شعبه في كلّ صغيرة وكبيرة، فكان اختيار هذه الدراسة متوجّهًا نحو تحليل بعض من رواياته الملزمة، وهي: المدفع - درب إلى خائن - ورقة من غرة.

إنّ الفكرة الأساسيّة التي يقوم عليها الالتزام عند كنفاني هي التّشبّث بالأرض، والالتزام بالدّفاع عنها بجميع ما أوتي من قوة، فالكلمة أحيانًا تكون أشدّ وقعًا من الصّواريخ الباليستيّة، والطّائرات المسيّرة؛ لذلك، ولأهمّيّة المقام والمقال كانت الكلمة والالتزام سببي استشهاده.

الإشكاليّة

لقد غدت القضية الفلسطينيّة قضيّة عربيّة وقوميّة وعالميّة في آن، وتحمل عبء الدّفاع عنها كتأبّ ومفكّرون ومناضلون، وفي طليعتهم غسّان كنفاني. وتنهض هذه الدراسة بالسؤال الآتي: هل نجح في إيصال رؤيته إلى العالم وكشف وجه المحتلّ؟ وهل أسهم خطابه، بالكلمة، أو بالفعل المقاوم، في زعزعة استقرار الاحتلال وكشف زيفه؟ أم أنّ جهوده ظلّت محصورة في حدود التّعبير الفكريّ دون أن تمتدّ إلى فعلٍ مؤثّر؟ هذه الإشكالات وغيرها سنتناولها الدّراسة بالتّحليل والبحث.

المنهج

اعتمدت في هذا البحث المنهج الموضوعاتيّ لما يتيحه من تحليل معمّق يكشف عن الفكرة التي يسعى الرّوائي إلى إيصالها، ويروي جزءًا من ظمأ الباحث لفهم النصّ، إضافةً إلى توضيح القضية التي يعالجها. كما استُعين بجزء يسير من بعض المناهج الأخرى، كالأدبيّة والبنويّة، لإثراء الدّراسة وإتمامها بأعلى درجة ممكنة من الدّقة والتّحليل.

يعدّ الموضوعاتيّون الأدب هو تجربة ذات جوهر روحيّ ما ينسجم مع كون الرومنطيقيّة مصدرًا للموضوعاتيّة الأدبيّة، وقد تأثّر روادها بالتّحليل النفسيّ، والظواهريّة، والوجوديّة بنسب متفاوتة؛ وما تأثّرهم هذا سوى دليل على انتصار أدب وعي الذات، فالأدب وليد

تجربة، ومنتج معنى يؤثر في الحياة، ومغامرة مصير روحي تتحقق في حركة إنتاجية، فما علاقة الموضوع في الموضوعات الأدبية؟

يرتبط مفهوم الموضوع في الموضوعات الأدبية بالرومنطيقية التي أحدثت ما يشبه الثورة الكوبرنيكية في النظر إلى العمل الأدبي، إذ لم يعد ينظر إليه بوصفه نموذجاً يتوجب تقليده، إنما من منظور الأصل الذي ينحدر منه، والذي هو تعبير متجذر عنه، وقد بات معياره الخلق والإبداع اللذين فيهما تكمن أصالته، فضلاً عن ذلك نادت الرومنطيقية بالخروج على العام والأنا أفكر» الكلاسيكيين إلى الخاص والأنا الحاملة الفردية أي قالت بفعل وعي الذات، والتجربة الفردية والمغامرة الروحية، وهكذا بات أصل العمل الأدبي هو عالم الخيال الخاص بالمبدع¹ أما الموضوع الأهم في الموضوعات الأدبية فيتمثل بتوسعه الشبكي لبسط عالم الكاتب الخاص، أو كونه الخيالي الحسي، فالموضوع وحدة استبدالية تكون جزءاً من النظام الدلالي للنص يعبر عن خصوصية الكاتب، فالتركيز على ذاتية الكاتب يعود إلى المصدر الرومنطقي للموضوعات الأدبية. فللموضوعات مرتكزات متعددة أهمها: الموضوع وعنصر التشكل/ الأنا الإبداعي وأنا الكاتب/ الحسية والخيال/ الكلية.

المبحث الأول: الالتزام لغة واصطلاحاً

الالتزام لغة: جاء في «لسان العرب» لابن منظور «لزم الشيء، يلزمه لزماً ولزوماً ولازمه ملازمةً وإلزاماً، والترمّه وألزمه إياه فالترمه... والالتزام: الاعتناق²؛ وورد في القاموس المحيط «لزم الشيء، ثبت ودام. لزمه بيته، لم يفارقه، لزم بالشيء تعلق به، ولم يفارقه...³

أما في موسوعة لاروسي «Larousse» وردت لفظة الالتزام تحت مادة ملتزم engage، والالتزام –engagement» والترم engager ما يلي:

الترّم: ارتبط بوعد أو واجب (الترّم قوله أو إيمانه).

الترّم: ارتبط باتفاق شفوي – الترم: دخل في حرب ما... للنظر في المعنى الاصطلاحي

1 - أيوب، نبيل، نص القارئ المختلف (2) ط1، 2011، مكتبة لبنان ناشرون، ص291

2 - ابن منظور، لسان العرب، بيروت دار صادر، 1956م، 12/ 541-542.

3 - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، دار المأمون، بغداد، ط4، 1938 م، 4/ 175.

الجديد نكتفي بما جاء في موسوعتين فرنسيتين حديثتين: أولاهما موسوعة لاروس Larousse طبعة 1961، والثانية الموسوعة العالمية universalis encyclopaedia.

الالتزام اصطلاحاً: الالتزام هو مشاركة الشاعر، أو الكاتب، أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك.

والالتزام في الأدب يعني امتصاص الأديب للتجربة الاجتماعية امتصاصاً يجعله قادراً على التحرر فيها وتوجيهها، فهو في المجتمع ومنه لا محالة، غير أنه لا يكون أديباً حقاً إذا لم يملك من النظرة الشخصية ما يمكنه من الإطلاع على المجتمع إطلالة نقد، وتمحيص، وتوجيه¹ إلى حدّ إنكار الذات في سبيل ما يلتزم به الأديب، فالالتزام هو عملية تجمع بين التعبير عن الفكر وما يحمله من رفض للسلطة، والتقاليد؛ والالتزام معاشاة المعاناة والتعبير عنها، والسعي إلى التخلص منها في الوقت نفسه.²

وتقول نازك الملائكة: «إنّ الأديب في إنتاجه ينبغي عليه ألا يطيع دوافعه الفردية، دائماً يلتزم تصوير واقع المجتمع، وعليه أن يخرج من حدود نفسه؛ ليخدم المجموع، وهذا ما ترتكز عليه دعوة الالتزام³

وتؤدي الحرية دور العنصر الأول القائم على تصوير الالتزام تصويراً واقعياً للمجتمع الذي يعيش فيها الرواي؛ يقول عبد العزيز هلال: الحرية شرط الالتزام، فأننا منذ اللحظة التي أتخذ فيها موقعي الرافض أن أكون قد بدأت بالتعبير عن حريتي... إذ ذاك تبدأ معاناتي الإنسانية الفردية بالدخول في صلب المجتمع، فتتحول قضيتي الخاصة إلى قضية عامة، وإذا أنا لا أعاني حريتي فحسب، وإنما أعاني أيضاً حرية البشرية جمعاء⁴؛ فمن هو غسان كنفاني؟

المبحث الثاني: نبذة عن حياة وأدب غسان كنفاني (1936-1972)

هو روائي، وقاص فلسطيني، ومقاوم بالكلمة، وشاهد فدّ على مأساة وهموم وطنه، وناطق

- 1 - عبد الدايم، عبد الله، بين الأدب والفلسفة، مجلة الآداب، العدد الثالث، 1962، ص99
- 2 - انظر: محي الدين محمد، أزمة الأديب في المجتمع، مجلة الآداب، العدد الخامس، 1961، ص73-75
- 3 - نازك الملائكة، أغلاط شائعة في تعريف الأدب القومي، مجلة الآداب، العدد الثامن، 1961، ص11
- 4 - عبد العزيز هلال، حول نظرية الالتزام، المسؤولية الذاتية، مجلة الآداب، العدد الخامس، 1992، ص5

بوجع اللاجئين، وهموم المنفيين، وُلد في عكا عام 1936م، وشردته النكبة طفلاً، فحمل هموم قضيتته وشعبه في وجدانه وقلمه، فجعل من الرواية، والقصة، والمقالة، والمسرح منبراً للمقاومة، والصوت الإنساني المقاوم للظلم والمنفى، وتميّز بأسلوب سردي مكثف، يحمل الواقعية والرمزية، فيجعل القارئ حاملاً همومه، وقضيتته، وغربته.

كان قلمه موازناً لسلاح المقاومين، وقد تجلّى ذلك في قصصه العديدة، نذكر منها: «ورقة من غزة»، و«عائد إلى حيفا»... فهي علامات مضيئة في أدب المقاومة الفلسطينية.

اغتيال في بيروت مع ابنة أخته «لميس» على يد عملاء القوات الإسرائيلية المحتلة عام 1972، لكن رواياته ما زالت شاهدة على مقاومته، فالقضية قائمة إلى أن ينتهي الاحتلال، له مؤلفات كثيرة؛ نذكر منها: رجال في الشمس، عائد إلى حيفا، ما تبقى لكم، أم سعد، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968.

عمل في مجالات متعدّدة في الدّول العربيّة التي انتقل إليها منها: التدريس، وترأس تحرير مجلات عدّة، كما أسّس مجلة باسم «الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين» (الهدف)، وقد ترجمت مؤلفاته إلى لغات عدّة.

المبحث الثالث: المقاومة الكفافية من خلال الالتزام

يوجز غسان كنفاني أحياناً، ويطنب أحياناً أخرى، في قصصه ورواياته، ومهما تكن الرواية والقضية، فإنّه يريد منها مغزى واحداً هو الدّفاع والمتابعة ضدّ العدو المتغطرس، سواء كان دفاعاً بالكلمة أم بالسّلاح، فأحياناً تكون الكلمة أكثر وقعاً في النفوس من لغة الحراب.

ويجمع العالم على حقّ الفلسطينيين في الدّفاع عن أنفسهم، بأي وسيلة كانت إلّا قلة قليلة؛ فالمقاومة هي الطّريق الوحيد لاسترجاع ما خسره الفلسطينيون من أرضهم وكرامتهم؛ فما دور المقاومة في الدّفاع عن الأرض والعرض؟

شغلت القضية الفلسطينية الرّأي العامّ العالميّ، إلّا أنّها، كما يقول المثل الشعبيّ: «الجمرة لا تحرق إلّا مكانها»، فمهما نُوقشت معاناة الشّعب الفلسطينيّ عالمياً، يبقى جزء كبير منها مخفياً، لا يعرفه إلّا هم أنفسهم الذين يرون أنّ السّلام هو بداية الطّريق

ونهايتها، فلم يبق مكان في فلسطين إلا وكان للمقاومة دور بارز فيه على مختلف الصّعد، دافعوا بالكلمة، بالدم، بالمدفع،

وفي منطقة السّلمة كان هناك رجلاً اسمه سعيّداً، له من اسمه نصيب، حاول أن يدافع عن قريته السّلمة بجميع ما أوتي من قوّة، وهو يعرف كما جميع النّاس أنّ اليهود لا يفهمون إلاّ بلغة واحدة، هي لغة الحرب، ولغة السّلاح، حاول مع مجموعة من النّاس أن يجمعوا ثمن مدفع يقاثلون فيه اليهود، وقد أحرز تقدّماً كبيراً في ذلك، فالمقاوم الفلسطينيّ يستمدّ قوّته الجهاديّة بعد إطلاق سراحه من المعتقلات لما يشاهده، ويعانيه من ظلم اليهود، فيحاول بثّنى الوسائل أن يحرّر الآخرين؛ لقد عاد سعيد وأحضر رشاشاً من طراز (الماشينغي) كان قد قضى قرابة أسبوع كامل يجمع ثمنه من التّرعات¹

فقد بدأت الثّورة ضدّ المحتلّ مبكراً؛ إذ يرى كنفاني منذ نشأته أنّ القدر قد رسم له أن يكون مدفعاً في مواجهة المحتلّ؛ لذلك كان المقاومون يخفون أسلحتهم في الجبال تحسّباً لعيون الوشاة، ولا يُخرجونها إلاّ عند الحاجة إلى استخدامها في الميدان: «أن سعيد الحمضوني كان قد سلّم في ثورة 1936 مدفعاً من هذا الطراز أبلّى من خلفه بلاءً حسناً».²

ولأهميّة السّلاح والمقاومة، أصبح الفلسطينيّون من المقاومين يرون أنّ من يملك سلاحاً يكون رجلاً، ويعتدّون الرّجال الذين يملكون السّلاح فقط، أمّا الذين لا يملكون السّلاح فهم لا تشغلهم المقاومة، أو القضية؛ «إنّ كلّ كهل أو شابّ في السّلمة، صار يربط حياته ربطاً وثيقاً بوجود هذا المدفع وصار يستمدّ من صوته نوعاً من الشّعور بالحماية»³؛ كان سعيد الحموضي يدفع ثمن السّلاح دماً، وكلّ شيء غالٍ لا بدّ من التّضحية في سبيله، فما أجمل التّضحية في سبيل الأرض! يقول: هل تعرف أنّهم يشترّون الدّم بمبلغ كبير⁴، كما هي حال الفلسطينيّين من يدافع، ويدفعون دماءهم ثمن رغيف خبز معجوناً بدم حارّ ملتهب، والذي عاش إلى جواره فترات طويلة من صباه... بالاستشهاد والولادة عندهم سيّان بل الاستشهاد عندهم بداية حياة جديدة، وشيّعته القرية كلّها إلى مقرّه الأخير... أو الأوّل... سيّان⁵.

1 - غسان، كنفاني، الآثار الكاملة، المجلد الثاني، دارالطبعة، للطباعة والنشر، القصص القصيرة، ص 807.

2 - م، ن، ص 806.

3 - م، ن، ص 807.

4 - م، ن، ص 810.

5 - م، ن، ص 811.

1 - نكبة الجواسيس أو الوشاة

الوشاية كما جاء في «لسان العرب» لابن منظور: الوشاية السّعاية بالشرّ، يقال: وشى فلان بفلان إلى السلطان إذا سعى به وأفسد عليه¹، كما يذكر ابن خلدون في كتابه: «المقدّمة» في سياق تفسيره لطبيعة الصّراعات في الدّولة: الوشايات كثيرة في الدّول؛ لأنّها وسيلة للتّقرب من أصحاب السلطان، وكثيراً مما تكون سبباً في ظلم الأبرياء وهلاكهم²؛ فلا يخلو مجتمع من وشاة يوقعون بأفراده، وهذه تكون فرصة ذهبية للعدوّ.

وفي قصّته القصيرة «درب إلى خائن»، يقدّم غسان كنفاني نموذج الشّخص الذي خان وطنه، فكان ينقل الأخبار إلى اليهود، وهو أخو المناضل الملتزم بكلّ معايير الالتزام الوطنيّة والأخلاقيّة، غير مكترث بأيّ إنسان كان؛ ويحاول المناضل محمود، وأخوه الواشي، القضاء عليه، لكنّ محبة والدته له تجعله يؤجّل الانتقام؛ ليصبر حتّى وفاة والدته، لينتقم من أخيه.

قال محمود أريد أن أذهب إلى اللد

-إلى اللد

-أريد أن أذهب لكي أقتل إنساناً، ثم لأعود إلى الكويت سأقتله بمسدس موزر.³
المقاوم الفلسطيني لا يرحم، يريد أن يدافع عن أرضه ولو كلفه ذلك كل ما يملك وسألته أنا هذه المرة:

-من تريد أن تقتل

-أخي.⁴

لماذا تريد أن تقتل أخاك لأنه خائن، وبائع القضية والالتزام يكون بالدفاع عن كل ما يملك الإنسان حتى ولو كان نفسه ويجب أن يضحي بنفسه في سبيل ذلك
أخوك نعم، وسكن مرة أخرى، ثم قال بهدوء

1 - ابن منظور، معجم لسان العرب، دارصادر، بيروت، مجلد 15، (مادة وشى) 1997.
2 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، تحقيق الأستاذ خليل شحادة، 2001.
3 - غسان كنفاني، القصاص القصيرة، ص 817.
4 - م، ن، ص 818.

-إنه خائن، إنه يعمل لحساب اليهود

وهذا الواشي يظن أن هذا العمل هو من يسدّ رمقه، إنّه خائن.. إنه يعمل لحساب اليهود. قالوا لنا ذلك، قلنا: يريد أن يعيش.. قالوا : ألا يجد طريقاً آخر.¹

الحقيقيّ في بقائه حيّاً، قلنا: يريد أن يعيش...قالوا: ألا يجد طريقاً آخر.. قلنا هو حرّ...أما الآن فالأمر يختلف تماماً ماذا صنع؟ قبل عدّة أسابيع، قدّم وشاية إلى اليهود عن أولاد عمّه، أنتم تعرفون أنّهم هناك يقومون ببعض أعمال صغيرة...لقد وشى... فسجنوا... وقرّرت أن أذهب وأقتله... لكنني فكرت قليلاً ثم عدلت.²

ومحمود يعرف أخاه جيداً، أو مدى علاقته بأمه التي لا يريد أن يجعلها تحزن على أخيه الخائن لذلك تركه وشأنه حتّى وافت المنيّة أمه وفعل فعلته: «صحيح أن أمّه تحبّه، أنتم تعرفون كيف تحبّ العجوز أصغر أولادها بعد وفاة زوجها. لقد ماتت أمّي قبل أسبوع واحد... صدّقوني أنّني فرحت بموتها أكثر ممّا حزنت، إنّ الله فوق، يعرف كيف يتصرّف»³

ليست أم محمود وحدها من النساء اللّاتي من جسّدن القضية الفلسطينية، وتابعن تفاصيلها، بل هناك نساء كثر، قمن بأعمال بطوليّة؛ لأنهن التزمّن الدّفاع عن الأرض، والعرض، والقضيّة بكلّ تفاصيلها؛ لذلك تميّزت المرأة الفلسطينيّة بخصوصيّة عالية من الشّجاعة، والقوّة، يعترف بها القاصي والدّاني، وذلك من خلال مشاركتها في الانتفاضة، وفي النّضال، فكان التزامها صادقاً على كافّة المستويات الوطنيّة، وقد سجّل التاريخ أسماء نساء فلسطينيّات وقفن بأجسادهنّ في وجه دبابات العدو الغاشم، دفاعاً عن الوطن وصياغةً لمستقبله.

2 - ورقة من غرّة

استشهد كنفاني وهو ملتزم بالقضيّة التي نذر حياته لها، لا يرضى بتضييع الوقت، يسعى جاهداً لإحياء ما تبقي من عمر وطنه وشعبه؛ ولكنّ ما يجري في غرّة فوق طاقة الاحتمال؛ فالمجازر تُرتكب أمام أعين العالم، تدفع ثمنها الأرواح البريئة من أطفال

1- م، ن، ص 818.

2- م، ن، ص 349.

3 - غسان كنفاني، القصص القصيرة، المجلد الثاني ص821.

ونساء وشيوخ، فيما يموت الناس جوعاً، ويُشرّدون إلى أقصى حدود اليأس والضياع: لا زالت ناديا طفلة، لكنّها كانت تبدو أكثر من طفلة، أكثر بكثير، وأكبر من طفلة، أكبر بكثير¹؛ التزم غسان كنفاني بنقل الواقع كما هو، وتعدو الرواية صادقة حين تتبع من صميم المجتمع، ويكون الراوي فيها صوتاً رمزياً وواقعياً في آن، ينقل ما يحمله الناس من هموم وآهات ومعاناة نقلاً صادقاً معبراً عن تجربتهم الحقيقية.

ناديا الطّفة البريئة حالها كحال أيّ طفلة تنتظر هدايا الأقارب العائدين من السّفر، كانت قد أوصت عمّتها ببنطال أحمر، وبعد عودة عمّها، وإحضار الهدية، إذ به يتفاجأ بأنّ ناديا أصبحت بقدم واحدة، لقد بتر العدو قدمها الأخرى: «أبدًا لن أنسى ساق ناديا المبتورة من أعلى الفخذ، لا ولن أنسى الحزن الذي هيكل وجهها، واندمج في تقاطيعه الحلوة إلى الأبد»؛ غسان كنفاني يتفاجأ في قصّته ممّا يسمع عن غيره، لم يرها، ولم يتوقّع ما يحدث لغزّة، وكأنّ حاله الآن يقول: في العصر الزاهن الحجارة المركومة على أوّل حيّ الشّجاعية، حيث كنّا نسكن كان لها معنى كأنّما وضعت هناك لتشرحه فقط، غزّة هذه التي عشنا فيها ومع رجالها الطيّبين سبع سنوات في النّكبة كانت شيئاً جديداً. ينقل لنا غسان كنفاني حال الإنسان الغزيّ الذي يضحيّ بكلّ ما يملك في سبيل الآخرين، والفرد يضحيّ بكلّ شيء حتّى ولو كلفه ذلك حياته: «لقد قالوا لي إنّ ناديا فقدت ساقها عندما ألقت نفسها فوق أخوتها الصّغار تحميهم من القنابل والّهب، كان يمكن لناديا أن تتجو بنفسها أن تهرب أن تتنقذ ساقها، لكنّها لم تفعل»

ج- الالتزام في أدب غسان كنفاني.

إنّ الالتزام الذي دعا إليه كنفاني في مختلف قصصه ورواياته خالفه ببعضها الآخر، وفق قاعدة «الضدّ يظهر حسنه الضدّ»؛ ففي قصة «درب إلى خائن» يعرض كنفاني مأساة النّكبة الفلسطينيّة، وما خلّفته من شظايا قاتلة من أبناء فلسطين أنفسهم، وخياناتهم للقضيّة، فهي تقدّم نموذجاً لمن يزعم المقاومة ظاهراً، فيما يخفي في باطنه عمالةً وخيانةً لوطنه وقضيّته، والذي يخون وطنه يخون قضيّته، فالمناضل المجاهد حاول الثّأر من هذا العميل الجاسوس لعدم التزامه ودفاعه عن قضيّته؛ لأنّ الثّورة بحاجة إلى رجال شرفاء لا خونة، والنّصر بحاجة إلى وفاء وتضحية؛ وبين هذين النّموذجين -مناضل

1 - غسان كنفاني ص: 348-349.

ثابت على مبدئه، وآخر باع قضيتته- يرسم كنفاني مفارقة مؤلمة تؤكد أنّ الحرب دول والسّجال طويل، ولا بدّ لأصحاب الأرض من الانتصار.

أمّا في قصّة المدفع فيجسّد كنفاني التزامه العميق بالقضية من خلال وجوه دلاليّة متعدّدة؛ فليست القصّة مجرد حكاية عن قطعة حديد (مدفع)، بل هي مرآة لشعب يناضل بأبسط الوسائل من أجل حقّه في الوجود؛ فغسان كنفاني كتب هذه القصّة؛ لتكون بداية وعي وتمرد ضدّ الظلم، إذ يتحوّل المدفع الصّغير فيها إلى رمز لبداية التحرير، وقد برع كنفاني في توظيف عناصر القصّة، وإيصالها بطريقة لامعة، مؤكّداً- من خلال رمزيّة المدفع- أنّ الرّفص، والبقاء، والصّمود، والدّفاع ليست سوبأشكال أصيلة من أشكال المقاومة.

أمّا بالنسبة إلى «ورقة من غرّة» فإنّها ليست مجرد رسالة، بل تعدّ شهادة حيّة على التزام غسان كنفاني العميق بالقضية الفلسطينيّة، وفضحه لظلم الاحتلال، وتكريمه للمقاومين الصّغار الذين يواجهون الموت بكرامة؛ ففي هذه القصّة، يرسم كنفاني صوراً مؤثّرة للمعاناة التي يعيشها الفلسطينيّون تحت الحصار: الأطفال يُقتلون، والنّساء تُرمل، وأسر يعانون الحصار؛ ولكن على الرّغم من ذلك، يركّز كنفاني على إرادة المقاومة لدى أهل غرّة، ولا سيّما الأطفال والنّساء الذين غدوا أساطير العصر، ويبين أنّ التزام الأطفال بالدّفاع عن وطنهم أمر يحار له الرّمان؛ فنقدّم القصّة مثالاً في شخصيّة الطّفلة «ناديا» التي فقدت ساقها، لتحمي إخوتها، في مشهد يجسّد التزام الصّغير قبل الكبير، بالدّفاع عن الوطن؛ لذلك ستكون النّتيجة الانتصار لأهل الأرض.

الخاتمة

1. كرّس كنفاني مقدّرتَه الأدبيّة؛ ليكون شاهداً على قضايا عصره، وعلى معاناة الفلسطينيّين.
2. كان الالتزام عند كنفاني وجهاً من وجوه المقاومة، ومسؤوليّة لا يمكن التخلّي عنها.
3. الالتزام عند كنفاني هو أداة للنّضال، وليس للتّرف والتّسلية الفكريّة.
4. الأدب عند كنفاني هو وثيقة للنّضال، وسجّل للمقاومة الفلسطينيّة، والذاكرة الجماعيّة.

5. جسّد كنفاني في أدبه مظاهر وضياح هويّة المعاناة الفلسطينية خاصّة بعد النكبة.
6. أسهم الالتزام عند كنفاني في تشكيل الوعي الجماعيّ بالقضيّة الفلسطينيّة، ورحلة البحث عن الحرّيّة الإنسانيّة والكرامة.
7. خلط كنفاني بين الرّمزيّ والواقعيّ، وأسّس لمدرسة نضاليّة جعلت من الالتزام واقعاً ملموساً، وليس مجرد شعارات سياسيّة خاوية.

فهرس المصادر والمراجع

المصدر

1. - غسان كنفاني، الآثار الكاملة، المجلد الثاني، القصص القصيرة، دار العلم للملايين، ط1، 1973

3. المراجع

1. أبو حاقّة، أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت ط1 1979
2. ابن منظور، معجم لسان العرب ، دارصادر، بيروت مجلد 15، مادة (وشى) 1997
3. أيوب، نبيل ، نص القارئ المختلف (2) ط1، 2011، مكتبة لبنان ناشرون.
4. بن خلدون، عبدالرحمن ، المقدمة ، دارالفكر – بيروت تحقيق الأستاذ خليل شحادة 2001
5. الدايم عبد الله ، بين الأدب والفلسفة، مجلة الآداب، العدد الثالث، 1962
6. درّاج، فيصل، الهوية العربيّة المركز الثقافي العربي 2004
7. ضيف شوقي ، البلاغة: تطور وتاريخ، دار المعارف
8. غسان كنفاني، الآثار الكاملة، المجلد الثاني، دار الطليعة للطباعة والنشر، القصص القصيرة، ط1973،¹
9. الفيروزآبادي، قاموس المحيط، دار المأمون، بغداد، ط 4، 1938م، 4/175
10. محمود، أمين : الثقافة والثورة، دار الآداب، بيروت، 1970
11. محمد محي الدين، أزمة الأديب في المجتمع، مجلة الآداب، العدد الخامس، 1961

12. الملائكة، نازك، أغلاط شائعة في تعريف الأدب القومي، مجلة الآداب، العدد الثامن، 1961

13. هلال، عبد العزيز، حول نظرية الالتزام، المسؤولية الذاتية، مجلة الآداب، العدد الخامس، 1992.

14. يقطين، سعيد، انفتاح النصّ الروائيّ، النصّ، السّياق، التّأويل، المركز الثقافيّ العربيّ، 1989

المصادر الأجنبية

1. Vilatoux-l'intention philosophique .ed.callimardparis 1967

2. J.p.sartre; Quest ce que la littérature.ed.callimard. paris1948.

الثورة الرقمية وأثرها في المجتمعات مقارنة بالثورات التاريخية الكبرى

La révolution numérique et son impact sur les sociétés par rapport aux grandes révolutions historiques

د. أحمد فيصل حمزة

Dr. Ahmad Faysal Hamzé

تاريخ القبول 2025 /9/30

تاريخ الاستلام 2025 /9 /1

ملخص

يرصد هذا البحث أثر الثورة الرقمية بوصفها تحولاً بنوياً غير مسبوق في تاريخ المجتمعات، ويقارنها بالثورات التاريخية الكبرى كالزراعية والصناعية. تنطلق الدراسة من فرضية أن الثورة الرقمية لا تمثل امتداداً لهذه الثورات فحسب، بل تحدث قطيعة نوعية معها من حيث طبيعة التغيير، وسرعته، وشموليته، إذ تتجاوز البعد المادي والجغرافي؛ لتعيد تشكيل مفاهيم الذات، والهوية، والمعرفة.

وتتناول البحث انعكاسات هذا التحول العميق على العلوم الإنسانية والأدبية، من خلال ما تفرضه من مراجعات جذرية للمفاهيم، والمناهج التقليدية، خصوصاً في ظل صعود الوسائط الرقمية، وتحول القارئ إلى شريك في إنتاج المعنى. كما يناقش ظهور مجالات معرفية جديدة كالأدب الرقمي، والسوسيولوجيا الرقمية التي تعكس الحاجة إلى أدوات تحليل تستوعب التداخل المتسارع بين التقني والثقافي، والواقعي والافتراضي، في عالم بات أكثر ترابطاً من أي وقت مضى.

كلمات مفتاحية : الثورة الرقمية - تكنولوجيا - الذات - الهوية الرقمية - قانون مور - الذكاء الاصطناعي التوليدي - أتمتة - بوصلة فكرية .

Résumé

Cette recherche analyse l'impact de la révolution numérique en tant que transformation structurelle sans précédent dans l'histoire des sociétés, en la comparant aux révolutions agricole et industrielle. L'étude avance l'hypothèse que la révolution numérique ne constitue pas seulement un

prolongement de ces révolutions, mais qu'elle marque une rupture qualitative avec elles, par la nature, la rapidité et l'ampleur des changements qu'elle engendre. Dépasant les dimensions matérielles et géographiques, elle redéfinit les notions de soi, d'identité et de connaissance.

L'étude met en évidence les implications profondes de cette transformation sur les sciences humaines et littéraires, en soulignant la nécessité de réviser en profondeur les concepts et les méthodologies traditionnels, notamment à la lumière de l'essor des médias numériques et de la transformation du lecteur en partenaire actif dans la production du sens. Elle examine également l'émergence de nouveaux champs de savoir, tels que la littérature numérique et la sociologie numérique, qui traduisent l'exigence d'outils analytiques capables d'appréhender l'imbrication croissante entre le technique et le culturel, le réel et le virtuel, dans un monde désormais plus interconnecté que jamais.

Mots-clés :

Révolution numérique – Technologie – Soi – Identité numérique – Loi de Moore – Intelligence artificielle générative – Automatisation – Boussole intellectuelle.

مقدمة البحث

شهد التاريخ الإنساني تحولات جذرية، غيرت مجرى الحضارات، مثل: الثورة الزراعيّة والثورة الصناعيّة، حيث أعادت تشكيل بنية المجتمعات من جذورها، وفي العصر الحديث بزغت الثورة الرقمية كأحد أعظم التحوّلات في تاريخ البشريّة، إذ فرضت نفسها كقوة تغيير هائلة أعادت صياغة مفاهيم الحياة، والعمل، والمعرفة، والتواصل، فما كانت تفعله الأمم في قرون، بات ينجز اليوم في أيام بفضل التّقنيّات الرّقميّة التي اجتاحت جميع مجالات الحياة.

لقد شكّلت هذه الثورة الرقمية انتقالاً نوعياً من العالم الماديّ إلى عالم افتراضيّ واسع، حيث ألغيت الحدود الجغرافيّة، وتغيّرت طبيعة الاقتصاد، وتبدّلت انماط التّعليم، وتحولت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وحتى بين الفرد وذاته، وعلى الرّغم من ما تحمله من وعود

بالنقدّم فإنّها أثارت أيضاً تساؤلات أخلاقيّة وثقافيّة عميقة، تماماً كما أثارتها الثّورات التّاريخيّة الكبرى في زمانها.

في هذا البحث، سنسلّط الضّوء على ملامح الثّورة الرّقميّة، ونستعرض تأثيراتها الشّاملة على المجتمعات المعاصرة، مع إجراء مقارنة تحليليّة بينها وبين أبرز الثّورات التّاريخيّة الكبرى، كما سنحاول فهم طبيعة هذا التّغيير، هل هو امتداد لتاريخ الثّورات البشريّة، أم يمثّل قطيعة معرفيّة وبنويّة مع ما سبق؟ وهل المجتمعات قادرة على مواكبة هذا التّحوّل السّريع من دون أن تفقد هويّتها، وعمقها الإنسانيّ؟

أهداف البحث

- توضيح مفهوم الثّورة الرّقميّة.
- تحليل طبيعة الثّورة الرّقميّة من حيث النّشأة والتّطوّر.
- إجراء مقارنة منهجيّة بينها وبين الثّورات السّابقة.
- استنتاج أبرز ما يجعلها ثورة مميّزة وخطيرة في آن معاً.
- رصد التّحوّلات الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثّقافيّة التي أحدثتها الثّورة الرّقميّة في المجتمعات المعاصرة.
- استكشاف أثر الثّورة الرّقميّة في العلوم الإنسانيّة والأدبيّة، من حيث:
 - طرق إنتاج المعرفة.
 - أساليب البحث والدّراسة.
 - التّفاعل بين الإنسان، والنّص، أو الفكرة في العصر الرّقميّ.
- اقتراح رؤية مستقبلية لدور العلوم الإنسانيّة والأدبيّة في عصر الرّقمنة والذكاء الاصطناعيّ.

الإشكاليّة

شهد التّاريخ البشريّ سلسلة من الثّورات الكبرى التي شكّلت تحولات جذريّة في بنية المجتمعات، مثل الثّورة الزراعيّة، والثّورة الصّناعيّة التي أثّرت بشكل مباشر في نمط

الحياة، والنظم الاجتماعية، والمعرفة. ومع أواخر القرن العشرين، بدأت ملامح ثورة جديدة تُعرف بالثورة الرقمية؛ وهي لا تقتصر على التكنولوجيا فحسب، بل تمتد إلى تشكيل بنى ذهنية، وثقافية، واقتصادية جديدة، فتدفعنا إلى التساؤل عن عمق هذا التحول.

* إلى أي مدى تُحدث الثورة الرقمية تحولاً بنيوياً في المجتمعات المعاصرة مقارنة بالثورات التاريخية الكبرى؟

* ما انعكاس هذا التحول على العلوم الإنسانية والأدبية من حيث المفاهيم، والمناهج، والإنتاج المعرفي؟

* هل تتجاوز الثورة الرقمية في تأثيرها ما أحدثته الثورات السابقة، أم أنها استمرار لها بأدوات مختلفة؟ ما الترابط بين الثورات الثلاث؟

* كيف غيرت الثورة الرقمية البنى الاجتماعية والثقافية للأفراد والمجتمعات؟

* هل لا تزال العلوم الإنسانية والأدبية قادرة على مواكبة التحولات الرقمية؟

* ما حدود التأثير الرقمي على المنهجيات والنظريات في الفلسفة، وعلم الاجتماع، والأدب، والإنسانيات؟

الفرضية

تفترض هذه الدراسة أن الثورة الرقمية لا تمثل مجرد امتداد تطوري للثورات السابقة، بل تُحدث قطيعة نوعية معها من حيث طبيعة التحول وسرعته وشموليته، إذ تُعيد تشكيل البنى الاجتماعية والثقافية، وتفرض إعادة نظر جذرية في مفاهيم ونهج العلوم الإنسانية والأدبية، بما يستدعي تطوير أدوات تحليل جديدة تتناسب مع واقع إنساني معولم، ومتربط، وغير مادي في كثير من مظاهره.

1. الثورة الرقمية تجاوزت الحدود المادية والجغرافية، بعكس الثورات السابقة ذات الطابع المحلي أو الصناعي المادي.

2. أعادت تشكيل مفهوم «الذات» و«الهوية» من خلال منصات التواصل، والذكاء الاصطناعي.

3. فرضت تحديات جديدة أمام العلوم الإنسانية، كإعادة النظر في مفاهيم النص،

والمعنى، والتلقي، والمصادقية.

4. غيّرت من طرائق إنتاج وتوزيع الأدب، وجعلت القارئ شريكاً فعلياً في البناء السردى (كما في السرد التفاعلي).

5. فتحت أفقاً جديداً لتداخل التخصصات، مثل الأدب الرقمي، والسوسيولوجيا الرقمية، والأنثروبولوجيا الحاسوبية.

أهمية البحث

لأننا نعيش حالياً في خضم هذه الثورة فالباحث:

- يساعد على فهم تأثير الثورة الرقمية على العلاقات الاجتماعية وأنماط الحياة اليومية.
- يساهم في تحليل التحول الرقمي ضمن إطار الثورات الكبرى لفهم طبيعته ومراحلها.
- يوضح كيف غيرت الثورة الرقمية أسواق العمل والأنشطة الاقتصادية.
- يبين الفرق بين التحولات الطبيعية في التاريخ والتحول الرقمي السريع الذي نعيشه الآن.
- يكشف عن تأثير التكنولوجيا في الهوية الثقافية ونقل المعرفة.
- يقدم مقارنة توضح أوجه التشابه والاختلاف بين الثورة الرقمية والثورات التاريخية الكبرى.

منهج البحث

المنهج الوصفي التحليلي: لوصف ظواهر الثورة الرقمية وتحليل آثارها.

المنهج المقارن: لمقارنة الثورة الرقمية بالثورات السابقة (مثل: الثورة الصناعية أو الزراعية)

تعريف عام بمفهوم الثورة الاقتصادية

الثورة الاقتصادية هي تحول شامل في النظام الاقتصادي يغيّر أساليب الإنتاج والملكية

والتوزيع، ويؤدي إلى إعادة تشكيل البنية الاجتماعية والطبقات داخل المجتمع⁽¹⁾.

وفي تعريف آخر للكاتب Heilbroner , Robert L. قال عن الثورة الاقتصادية هي تحول جذري في أنماط الإنتاج، والتوزيع، والملكية ضمن المجتمع يؤدي إلى تغيير بنيوي في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، وغالبًا ما يرتبط هذا التحول بابتكار تكنولوجي أو تغير سياسي عميق⁽²⁾.

لمحة موجزة عن أبرز الثورات التي شهدتها البشرية

شهد التاريخ الإنساني ثلاث ثورات كبرى غيرت مسار الحضارة بشكل جذري: الثورة الزراعية، والثورة الصناعية، والثورة الرقمية، كل واحدة منها أعادت تشكيل علاقة الإنسان بالموارد، والمعرفة، والمجتمع، ودفعت البشرية نحو مرحلة جديدة من التطور.

فالثورة الزراعية بدأت قبل حوالي 10,000 سنة ق.م.⁽³⁾، كانت البداية الحقيقية لتحول الإنسان من مجتمع بدائي متنقل يعتمد على الصيد وجمع الثمار، إلى مجتمع مستقر يقوم على الزراعة وتدجين الحيوانات، وقد أدت هذه الثورة إلى تغييرات عدة جذرية أهمها: ظهور القرى والمدن الأولى - نشوء الملكية الخاصة والتراثبية الاجتماعية - وتأسيس بنى سياسية، وإدارية لتنظيم الزراعة والمياه، فشكّلت الأساس الأول للحضارات الإنسانية.

أما الثورة الصناعية التي ظهرت في القرى الثامن عشر ميلادي⁽⁴⁾، مع اكتشاف الآلة البخارية، نقلت العالم من الزراعة اليدوية، والصناعات التقليدية إلى الإنتاج الميكانيكي الجماعي؛ هذه الثورة غيرت كل شيء، حيث ظهرت المصانع، والطبقة العامة، وتسارعت عملية التمدن، وانتقال الناس إلى المدن، ونمت الاقتصادات الرأسمالية، والأنظمة القومية، فكانت النتيجة ولادة المجتمع الصناعي الحديث، وبداية التفاوتات الاقتصادية العالمية.

1- جلال أمين، من كتاب ماذا حدث للمصريين؟ دار الشروق 1998، ص 23.
2 -Titre : The Nature and Logic of Capitalism , Publisher:W.W. Norton & Company, 1985. Page: 74 Heilbroner, Robert L .

3- https://www.puregreensaz.com/blog/goog.translate.com-puregreensaz/?_tr_x_?/agriculture-of-history ، تاريخ الزيارة الاثنين في 28/7/2025 الساعة 11 و 30 دقيقة.

4- <https://www.encyclopedia.net.aljazeeraa.com/2016/3/22/> ، تاريخ الزيارة الاثنين في 28/7/2025 الساعة 11 و 45 دقيقة.

بعدها أطلّت علينا ثورات جديدة، وهي الثورة التكنولوجية الرقمية (منذ أواخر القرن العشرين)، انطلقت مع الحواسيب والانترنت، والذكاء الاصطناعي؛ لتنتقل الإنسان من عصر الصناعة إلى عصر المعلومات، فكان من أبرز معالمها: رقمنة العمل والتّعليم والخدمات، وتحول العلاقات الاجتماعية عبر وسائل التّواصل، وبروز سلطة البيانات، والشّركات التقنية الكبرى، ونتيجة ذلك كان تغيير جذري في بنية المجتمعات، وسرعة فائقة في التّغيير، تجعل الرقمنة ثورة دائمة التّطور.

فكلّ ثورة لم تلغ ما قبلها بل تراكمت فوقها، فنحن لا نزال نزرع ونصنع، لكن تحت تأثير الرقمنة؛ فالربط الجوهري الممتد من الزراعة إلى صناعة الآلة، وصولاً إلى تسخير البيانات والعقل الرقمي، يكشف مساراً تصاعدياً للبشرية، في سعيها إلى توسيع نطاق سيطرتها؛ إذ انتقلت من استغلال موارد البيئة إلى محاولة الهيمنة على المعرفة والواقع ذاته.

أولاً: الثورة الرقمية

تتميّز التكنولوجيا الرقمية بالتّحول المستمرّ، والتّوسّع التدريجي، وتعزيز الإنتاجية في مجموعة واسعة من القطاعات والصناعات. وقد أدّت أحداث محدّدة إلى اعتماد واسع النّطاق للتّقنيات الرقمية التي غيرت إلى الأبد طريقة تبادلنا للمعلومات واستخدامنا لها، فتشكّلت بداية عصر المعلومات.

١. تعريفها

هي العملية الانتقالية التي تمّت بالتّحول من التّقنيات الميكانيكية البدائية خلال منتصف القرن العشرين إلى تقنيات الإلكترونيات الرقمية الحديثة، وذلك من خلال ظهور أولي للتّقنيات الرقمية، بظهور لغات البرمجة مثل الصّفور والواحد، والانتقالات الحاصلة في تطوّر أجهزة الحواسيب الحديثة، وازدياد الإنتاج من أنواع الأجهزة الرقمية، وأجهزة التّسجيل الصّوتي، والصّوري^(١).

وفي تعريف آخر: يرى نيغروبونتي أنّ النّورة الرّقمية رحلة من الرّقمنة والأتمتة⁽¹⁾، نحو مجتمع معلوماتي، لا يعتمد الوسائط الماديّة التّقليديّة بل الشّيفرات الرّقمية؛ فالنّورة الرّقمية، بحسب نيغروبونتي، تعني الانتقال من التّعامل مع «الذرات» إلى «البتات»⁽²⁾ الإلكترونيّ، أي تحويل المحتوى والممارسات إلى صورة رقمية يمكن تخزينها ونقلها الإلكترونيّ، فتحدث تغييرات اقتصادية، واجتماعيّة، وثقافيّة عميقة⁽³⁾.

II. نشأتها وتطوّرها

هناك أربعة عصور مميّزة في تطوّر التّحوّل الرّقميّ، وأجبرت الشّركات على التّكيف مع كميّة عملها وخدمة عملائها:

1. عصر ما قبل الإنترنت 1950 - 1989

هنا وُضعت اللّبنات الأساسيّة للنّورة الرّقمية والتّحوّل الرّقميّ؛ ومكّن اختراع الرّقائيق الدّقيقة وأشباه الموصلات من تحويل العمليّات اليدويّة إلى تقنيّات رقمية.

كان هذا بمثابة انطلاقة أوّل تحويل رقميّ كبير، وركّزت الشّركات على تحويل العمليّات القديمة إلى بيانات رقمية؛ عالمياً، أدّى هذا إلى ظهور حاجة ملّحة إلى تحويل الأعمال، والتّغيير الثقافيّ.

- 1958 اخترعت الشّريحة الدّقيقة، وأشباه الموصلات.

1 - تُستعمل كلمة الأتمتة للدّلالة على تنفيذ عمليّات محدّدة، متتالية أو متوازية، من دون تدخّل الإنسان، وقد استُخدمت في الهندسة الميكانيكيّة والكهربائيّة، وامتدّ استخدامها إلى هندسة البرمجيّات في أتمتة العمليّات الإداريّة بمعنى حوسبتها، أي جعل الحاسوب يقوم بها بدلاً من الإنسان. (نور الدين شيخ عبيد، الموسوعة العربيّة - موسوعة العلوم والتّقانات. (2015م). دمشق: دار الفكر. 169 / 1).

2 - البت هو ببساطة إشارة كهربائيّة (أو ضوء، أو إشارة مغناطيسيّة...) تحمل واحدة من قيمتين فقط: إما 0 أو 1.

كلّ شيء رقميّ نراه اليوم - صور، فيديو، صوت، نصوص، ألعاب، برامج - يُحوّل إلى سلسلة من البتات (أصفار وأحاد)؛ ليُخزّن، ويُعالج داخل الأجهزة الإلكترونيّة (مثل الكمبيوتر أو الهاتف).

ص 4 . . Being Digital. Vintage Books. (1995). Negroponte, N. - 3

- تعريف قانون مور⁽¹⁾ لعام 1960.

2. عصر ما بعد الإنترنت 1990-2006

أحدث العصر الرقمي الرّاهن تحولاً جذرياً، تمثّل في بروز تقنيّات رقمية مبتكرة، غيرت ملامح الحياة الإنسانية؛ فقد أسهم انتشار الإنترنت في نقل العالم من حالة العزلة إلى فضاء كونيّ مترابط، حيث أتاح التّواصل، وتبادل البيانات، والوصول إلى المعلومات العامة مجالاً أكثر اتّساعاً وتكافؤاً للتّفاعل والمشاركة.

وشهدت أجهزة الكمبيوتر الشّخصيّة تطوّراً هائلاً خلال هذه الحقبة، فأُتيح للنّاس الوصول إلى شبكة الويب العالميّة في غرف معيشتهم، وبدأت شبكات التّواصل الاجتماعيّ الأولى في الظّهور.

- 1990م أصبح الإنترنت متاحاً للعامة.
- تأسست شركة جوجل عام 1998م.
- 2000م نصف الأسر الأمريكيّة لديها جهاز كمبيوتر شخصيّ.
- تأسست شركة فيسبوك عام 2004.
- في عام 2005 وصل عدد مستخدمي الإنترنت إلى مليار على مستوى العالم.
- أنشئ AWS⁽²⁾ في عام 2006.

1 - في مجلة Encyclopaedia Britannica (المُعذلة بتاريخ 27 يونيو 2025)، وُصف قانون مور كالتالي: «هي ملاحظة وضعها المهندس الأمريكيّ غوردون مور عام 1965، تفيد أنّ عدد التّرانزستورات في الرّقاقة الإلكترونيّة يتضاعف تقريباً كل 18 إلى 24 شهراً»؛ ويوضّح المصدر أنّ:

- مور بدأ بتوقّعه الأصليّ عام 1965 أنّ عدد العناصر (مثل التّرانزستورات) في الرّقاقة يُضاعف سنوياً، بناءً على بيانات من الفترة بين 1959 و1964، وتوقّع أن يصل العدد إلى حوالي 65,000 في رقاقة واحدة بحلول عام 1975.
- وفي عام 1975، راجع مور توقّعه بتوسيع الفاصل الزمنيّ إلى كلّ سنتين؛ لأنّ التّوسّع الحقيقيّ بدا أبطأ، لكنّ الاتجاه العامّ للزيادة ظلّ متسارعاً.
- القانون ليس قانوناً فيزيائياً ثابتاً، بل يُعدّ ملاحظة تجريبية (Empirical Law) استندت إلى البيانات والمشهد الصناعي، وهو ما جعله يستمرّ كمرشد صناعيّ للتّخطيط طويل الأجل في صناعة أشباه الموصلات.

2- خدمات أمازون ويب: (AWS) هي منصّة الحوسبة السّحابيّة العالميّة التي أطلقتها شركة أمازون في 2006، وتوفّر أكثر من 200 خدمة رقمية تشمل الحوسبة، والتّخزين، وقواعد البيانات، والتّحليلات، والذكاء الاصطناعيّ، والأمان، وإنترنت الأشياء، بنموذج دفع حسب الاستخدام؛ وتدعم المؤسسات والأفراد في التسريع من الابتكار، وخفض تكلفة البنية التّحتيّة.

3. عصر الهاتف المحمول

• 2007 – 2019

مع تكيف الشركات مع الإنترنت الحديث، وإدراكها أثره العميق في أنماط أعمالها، شهد العالم تحولاً جوهرياً جديداً تمثل في إطلاق هاتف iPhone عام 2007 الذي دشّن ثورة الهواتف المحمولة؛ فقد فتح هذا الحدث آفاقاً واسعة من الاحتمالات، وأوجد نماذج أعمال مبتكرة، وأدخل قنوات اجتماعية ورقمية جديدة، فشكّل مرحلة متقدمة في مسار التحوّل الرقّمي.

وقد مهدّ هذا التطوّر لولادة رؤيةٍ مستقبلية واضحة مفادها أنّ البرمجيّات ستعيد تشكيل جميع الصناعات في العالم، وأنّ القوى الجديدة القائمة على الحلول البرمجية ستكون صاحبة اليد العليا في هذا النظام الاقتصادي والتقنيّ المستجّد.

ومن اللافت أنّ هذا المنعطف التاريخي تزامن مع ظهور مصطلح «التحوّل الرقّمي» لأول مرّة في تلك المرحلة، وتحديدًا بعد أن قدّم مارك أندريسن عام 2011 مقاله الرائد بعنوان «لماذا تهيمن البرمجيّات على العالم»؛ لتتبلور الفكرة تدريجياً حتّى ترسّخت عام 2013 مع بداية ما سُمّي بـ «عصر ما بعد الجائحة» الذي رسّخ حضور التحوّل الرقّمي كاتّجاه عالمي شامل.

• 2020 – 2022

كانت آخر حقبة رئيسة هي حقبة ما بعد الجائحة، فقد أسهم الوباء في تسريع الابتكارات الرقّمية، إذ اضطرتّ الشركات إلى إعادة النّظر في كيفية خدمة عملائها في عالمٍ بعيدٍ ومنعزل؛ وأدّى ذلك إلى تحولات في نماذج الأعمال، وأجبر الشركات على نقل مبادرات التحوّل الرقّمي من قاعة مجلس الإدارة إلى خطوط المواجهة بالاحاح متزايد، وشكّل هذا التسارع الحافز الذي احتاجته العديد من الشركات لتحسين تجربة عملائها.

• جائحة عالميّة 2020

• بلغ إنفاق التحوّل الرقّمي في عام 2022، 1.6 تريليون دولار.

4. عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي

العصر الذي نعيشه اليوم هو بحق عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي، إذ سرّعت جائحة «كورونا» وتيرة الابتكارات الرقمية، واضطرت الشركات إلى إعادة النظر في أساليب خدمة عملائها في عالم يزداد بُعداً وانعزالاً. كما سارع القطاع المصرفي إلى تبني أحدث التقنيات الرقمية؛ مثل برامج المحادثة المعززة بالذكاء الاصطناعي، وأنظمة الكشف المتقدمة عن الاحتيال، بهدف تعزيز جودة خدمة العملاء ورفع مستوى الأمان، وفتح مسارات رقمية جديدة بين العملاء والمؤسسات.

ولا شك في أنّ التطورات المتسارعة في مجالات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي تؤدي دوراً محورياً في دفع مبادرات التحول الرقمي نحو آفاق أرحب. وعلى الرغم من أنّ تاريخ الذكاء الاصطناعي يستحقّ جدولاً زمنياً خاصاً به، فإنّ النّقد في النّعلم الآلي، وظهور أدواتٍ مثل «ChatGPT»، كفيلٌ بإحداث تحول عميق في طرائق عملنا، وتفاعنا، وحياتنا اليومية.

جدول رقم (1) : التطور المتسارع لبرامج الذكاء الاصطناعي بعد سنة 2020 م.

التاريخ	الحدث
نوفمبر 2022	برنامج محادثة روبوتي ChatGPT
2023	الذكاء الاصطناعي التوليدي محوراً رئيساً في مختلف القطاعات
مارس 2023	تطوير الذكاء الاصطناعي مفتوح المصدر
أبريل 2023	نموذج اللغة الكبير، لتوليد التعليمات البرمجية، وفهمها
مايو 2023	أطلقت شركة Open AI تطبيق IOS
ديسمبر 2023	توليد الصور المدعومة بالذكاء الاصطناعي، وتقديم نموذج اسمه Gemini
فبراير 2024	تعزيز الإنتاجية والابتكار عبر القطاعات، وإطلاق Open AI تطبيق Sora
أبريل 2024	أطلقت Meta LLAME نموذج اللغة الكبير مفتوح المصدر ¹ .

أدى هذا الواقع المتسارع إلى تحولاتٍ جوهريّة في نماذج الأعمال، وأجبر الشركات على نقل مبادرات التحوّل الرّقميّ من مستوى التّخطيط في قاعات مجالس الإدارة إلى مستوى التّنفّذ العمليّ في خطوط المواجهة، تحت ضغطٍ متزايد من الحاجة إلى التّكيف والتّجديد؛ وقد شكّل هذا التّسارع الحافز الذي دفع العديد من المؤسّسات إلى تحسين تجربة عملائها وتبني حلولٍ أكثر ابتكارًا.

وفي نوفمبر 2022، أطلقت شركة OpenAI برنامج ChatGPT، وهو نموذج محادثة روبروتيّ رائد يعتمد على الذّكاء الاصطناعيّ التّوليديّ، مثل نقلة نوعيّة في مجال معالجة اللّغة الطّبيعيّة، وفي قدرات الأنظمة الذّكيّة على التّفاعل البشريّ المتقدّم؛ وخلال خمسة أيّام فقط من إطلاقه، تجاوز تطبيق ChatGPT في ديسمبر 2022 حاجز المليون مستخدم، محقّقًا رقمًا قياسيًا بوصفه أسرع تطبيق نموًا في تاريخ النّطبيقات الموجهة للمستهلكين.

أمّا في عام 2023، فقد أصبح الذّكاء الاصطناعيّ التّوليديّ محورًا رئيسًا في مختلف القطاعات، مؤثّرًا في نطاق واسع من النّطبيقات، يمتدّ من إنشاء المحتوى إلى تحليلات الأعمال؛ كما شهد العام ذاته تصاعدًا ملحوظًا في النّقاشات التّنظيميّة والأبعاد الأخلاقيّة المرتبطة بتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ، في دلالةٍ على عمق تأثيره المتزايد والحاجة الماسّة إلى أطرٍ تنظيميّة، تضمن الاستخدام المسؤول لهذه التّقنيات⁽¹⁾.

III. أنواع الذّكاء الاصطناعيّ ثلاثة

وفقًا لقدرات الذّكاء الاصطناعيّ، تُصنّف إلى ثلاث فئات، وهي:

- الذّكاء الاصطناعيّ الضّيّق، أو الذّكاء الاصطناعيّ الضّعيف (ANI)
- الذّكاء الاصطناعيّ العام، أو الذّكاء الاصطناعيّ القويّ (Agi)
- الذّكاء الاصطناعيّ الفائق (ASI)

فيما يلي الاختلافات بين ANI و AGI و ASI:

1- Andreessen, M. (2023, June 6). Why AI will save the world. Andreessen Horowitz. <https://a16z.com/ai-will-save-the-world>

1. الذكاء الاصطناعي الضيق (ANI)

الذكاء الاصطناعي الضيق، ويُطلق عليه أحيانًا اسم الذكاء الاصطناعي الضعيف، هو نوع محدد من الذكاء الاصطناعي الذي يركّز على القيام بالمهام بالتّابع التعليمات المحددة؛ على سبيل المثال، يستطيع نظام ترجمة اللّغات ترجمة الكلمات بدقّة عالية، لكنّه يواجه صعوبة في فهم معناها أو الفروق النّقائفة.

1. الذكاء الاصطناعي العام (AGI)

يُعدّ الذكاء الاصطناعي العام (AGI)، المعروف أيضًا باسم الذكاء الاصطناعي القوي، مرحلة متقدّمة في تطوّر المفهوم التقليديّ للتعلّم الآلي، إذ يرتقي بالآلة من مجرد تنفيذ الأوامر إلى قدرة واعية على الفهم والتّفكير واتّخاذ القرار؛ ففي هذا النّوع من الذكاء الاصطناعي، تستطيع الأنظمة الحاسوبية تعلّم المهارات وحلّ المشكلات المعقّدة على نحوٍ يقارب الأداء البشريّ.

ويهدف الذكاء الاصطناعي العامّ بوجه خاص إلى تمكين الآلة من استيعاب المشاعر، والمعتقدات، والعمليّات الدّهنية البشريّة بصورةٍ حقيقيّة، لا مجرد محاكاتها شكليًّا، بما يقربها من مستوى الإدراك الإنسانيّ الشّامل.

2. الذكاء الاصطناعي الفائق (ASI)

يُعدّ الذكاء الاصطناعي الفائق (ASI) قمة هرم التطوّر في مجال الذكاء الاصطناعي، إذ يرى بعض الباحثين أنّ بلوغ هذا المستوى يعني تفوّق الآلات على القدرات العقليّة البشريّة، بما تمتلكه من ذكاءٍ لا محدودٍ وقدرةٍ فائقةٍ على التعلّم، وحلّ المشكلات بوتيرةٍ أسرع من الإنسان.

وعلى الرّغم من الجهود البحثيّة المتواصلة لتطوير أنظمةٍ فائقة الذكاء، فإنّ تحقيق هذا الهدف لا يزال تحدّيًا بالغ الصّعوبة يتطلّب مراحل تمهيديةٍ أساسيّة، أبرزها الوصول إلى ما يُعرف بـ الذكاء الاصطناعي العامّ (AGI) الذي يُعدّ الأساس الضّروريّ لقيام الذكاء الاصطناعي الفائق.

وعلى الرّغم من الإنجازات المبهرة التي حقّقتها تقنيّات مثل واتسون من شركة IBM وسيري من Apple، فإنّ هذه الأنظمة ما زالت بعيدة عن مستوى الذكاء الإنسانيّ الشّامل.

ويحلم العلماء بتطوير الذكاء الاصطناعي لما قد يتيح من قدراتٍ استثنائية في معالجة قضايا كبرى تواجه الإنسانية، كالتغير المناخي، والأمراض المستعصية، والفقر؛ غير أن هذا التوجه يثير في المقابل إشكالات أخلاقية واجتماعية عميقة، تتعلق بحدود سيطرة الإنسان على هذه التقنيات، وبمدى توافقها مع القيم الإنسانية⁽¹⁾.

ثانياً: وجه الاختلاف بين الثورة الصناعية الرابعة (الرقمية) وما سبقها من ثورات

لفت البروفيسور كلاوس شواب، رئيس ومؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي، انتباه زعماء العالم إلى أن الثورة الصناعية الرابعة ستكون مختلفة عما سبقها من ثورات؛ وقال: إن الثورة الصناعية الرابعة الجديدة ستشهد أربعة اختلافات تميزها عن سائر الثورات الصناعية السابقة التي أخرجت للعالم المحرك البخاري، والكهرباء، فيسرت سبل الإنتاج على نطاق واسع، وكذا أجهزة الحاسب التي فتحت الأبواب إلى العصر الرقمي.

وأضاف أن الاختلاف الأول هو السرعة، وحذر قائلاً: «ستكون الثورة التالية في سرعة موجات التسونامي؛ عندما ننظر إلى النجاح الهائل الذي ينتظرنا في السنوات المقبلة، نجد أنه سيكون جارفاً لدرجة تمنعنا من ملاحظة التغييرات التي تحدث بسرعة هائلة (...) أما الاختلاف الثاني فهو أن ما سنشده ليس نجاحاً واحداً فحسب، بل بالأحرى مزيج من النجاحات المتزامنة، مثل: إنترنت الأشياء، وأبحاث الدماغ، والطائرات بدون طيار، والروبوتات، والذكاء الاصطناعي.»

واستطرد قائلاً: «وبالنسبة إلى الاختلاف الثالث فيتمثل في أن هذه الثورة لن تكتفي بتقديم منتجات، وخدمات جديدة فحسب، بل ستغير الأنظمة؛ فلننظر إلى خدمة أوبر، إنها لا تقدم منتجاً جديداً، بل نظاماً جديداً للانتقال؛ وكذلك خدمة أير بي إن بي، فهي ليست منتجاً جديداً بل نظام جديد من نظم الضيافة؛ ومن هنا، يمكن أن نلاحظ أن هذه الثورة تغير الأنظمة بالكامل، فهي تغير نهج الاستهلاك، والإنتاج بالإضافة إلى كيفية تنظيم سلاسل التوريد⁽²⁾.»

1-https://:viso-ai.translate.google/deep-learning/artificial-intelligence-types_/x_tr_sl=en_&x_tr_tl=ar_&x_tr_hl=ar_&x_tr_pto=tc,

تاريخ الزيارة الخميس في 31/7/2025 الساعة الثالثة مساءً.

2- المرجع السابق .

جدول رقم (2): مقارنة مستندة إلى منظور شواب

العنصر	الثورة الصناعية الرابعة (الرقمية)	الثورة الصناعية السابقة (3-1)
مفهوم التحوّل	تغيّر سريع جدًّا، بمعدلات أُسيّة	تغييرات تدريجيّة عبر عقود
الأدوات والتكنولوجيا	تقنيّات ذكيّة متداخلة: ذكاء صناعي، وبيولوجيا، وروبوتات، وتقنيّات النّانو	آلات ميكانيكيّة، وكهرباء، وحواسيب، وإنترنت
طبيعة التّغيير في العمل	تغييرات أنظمة كاملة: نماذج أعمال جديدة، وظائف افتراضيّة، منصّة رقميّة	أتمتة بسيطة، وتدوير للإنتاج
العلاقة مع البشر	تغيير داخليّ: في هويّتنا، وخصوصيّتنا، وحتىّ أجسامنا أحيانًا	تغيير خارجيّ (من أسلوب الإنتاج)
حجم التّأثير	3شامل لجميع القطاعات والدّول، يؤثّر في الحكومات، والمؤسّسات، والجماعات	محدود نسبيًا تبعًا لكل قطاع ²

أما بالنسبة إلى الاختلاف الرابع الذي أشار إليه شواب، فهو أنّ هذه الثّورة «لن تغيّر ما نقوم به فحسب، بل ستغيّرنا نحن أنفسنا، ستكون مثل أجهزة استشعار زرعت داخل عقولنا (...) وهناك فرص هائلة تلوح في الأفق، وعلينا أن نبدأ في إعداد أنفسنا منذ الآن لاقتناصها؛ فنحن الآن نلتقي التّاريخ»⁽¹⁾.

والثّورة الرابعة تُعرف بـ "اندماج تقنيّ غير مسبوق"، يفصل تدريجيًّا بين العوالم الفيزيائيّة والرقميّة والبيولوجيّة، وتعتمد على تقنيات مثل الذّكاء الاصطناعيّ، وإنترنت الأشياء، والطّباعة ثلاثيّة الأبعاد، والروبوتات وتحليل البيانات؛ ومقارنة بثورات سابقة، فهي تتّسم بسرعة أُسيّة ونطاق عالمي، وتؤثّر في القوّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والمعرفة البشريّة⁽²⁾.

1 - <https://www.worldgovernmentssummit.org/ar/media>.

تاريخ الزيارة الاربعاء في 30/7/2025 الساعة 7 و 40 دقيقة مساءً.

2 - Xu, M., David, J. M., & Kim, S. H. (2018). **The Fourth Industrial Revolution: Opportunities and Challenges**. International Journal of Financial Research, 9(2), 90–95. <https://doi.org/10.5430/ijfr.v9n2p90>

ثالثاً: مميزات الثورة الصناعية الرابعة ومخاطرها

تُعدّ الثورة الصناعية الرابعة (4IR) مرحلة نوعيّة في تطوّر الحضارة البشريّة، فهي تتسم بخصائص تجعلها مميزة، وخطيرة في الوقت ذاته؛ ووفقاً لـ Xu, David, و Kim (2018)، تتميز هذه الثورة باندماج غير مسبوق بين التقنيات الرقمية والفيزيائية والبيولوجية، فتؤدي إلى طمس الحدود التقليدية بين هذه المجالات. هذا الاندماج يُمكن من تطوير أنظمة إنتاج ذكية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، إنترنت الأشياء، الروبوتات، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وغيرها من التقنيات التي تتفاعل بشكل لحظي مع البيئة المحيطة.

تتمثل الميزة الكبرى لهذه الثورة في سرعتها الهائلة التي تفوق الثورات الصناعية السابقة بشكل أسي وليس خطياً؛ فالتطورات التقنية تحدث بوتيرة متسارعة، تسمح للشركات، والمؤسسات بالتكيف، والتغيير بشكل سريع، كما أنها شاملة، وتطال كل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، من الصناعة إلى الصحة والتعليم والخدمات المالية؛ وهذه السرعة والنطاق الواسع يوفّران فرصاً غير مسبوقة للابتكار، وتحسين جودة الحياة البشرية.

ومع ذلك، فإنّ الثورة الصناعية الرابعة تتطوي على مخاطر جمة، تجعلها -كما يرى الباحثون- ظاهرة بالغة الخطورة إلى جانب كونها تحولاً تكنولوجياً رائداً؛ فانتشار التقنيات الذكية، والتفاعل المكثف بين الأنظمة الفيزيائية والرقمية، يعرّضان المجتمعات لمخاطر أمنية متزايدة، من أبرزها الهجمات الإلكترونية وتسرب البيانات الحساسة.

والى جانب ذلك، يُنذر التوسع في الأتمتة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي بفقدان أعداد كبيرة من الوظائف التقليدية، فتتفاقم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، وتعمّق الفوارق في توزيع الثروة والفرص؛ كما يثير الأثر المتنامي لهذه الثورة في الخصوصية الفردية والأبعاد الأخلاقية الحيوية قلقاً واسعاً، إذ تتغلغل التقنيات الحديثة في تفاصيل الحياة البيولوجية والرقمية للإنسان على نحو غير مسبوق، ففرض ضرورة بناء أطر أخلاقية وتنظيمية توازن بين التقدّم التكنولوجي، وحماية الكرامة الإنسانية.

باختصار، تتميز الثورة الصناعية الرابعة بقدرتها الفائقة على تغيير نظم الإنتاج والعمل والحياة الاجتماعية؛ لذلك هي ثورة مميزة لا نظير لها في التاريخ الصناعي، لكنها في الوقت ذاته تحمل مخاطر معقدة تحتاج إلى معالجة حكيمة، ومتوازنة لضمان استفادة

البشريّة منها من دون الوقوع في أضرار جسيمة⁽¹⁾.

رابعًا: الذكاء الاصطناعيّ والتحوّلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

أدّت الثّورة الرّقميّة إلى تغييرات عميقة في المجتمعات، فأثّرت في العلاقات الاجتماعية، وأعادت تشكيل الاقتصاد نحو الرّقمنة، وغيّرت طرق إنتاج واستهلاك الثّقافة.

1 - من المجتمع الصّناعيّ إلى اقتصاد المعرفة

يذكر مانويل كاستيلز في مجلّته "The Age of Information Society, Economy and Culture" أنّ الاقتصاد العالميّ تحوّل منذ ثمانينيّات القرن الماضي من اقتصاد صناعيّ تقليديّ إلى ما يسمّيه الاقتصاد المعلوماتيّ (Informational Economy)، حيث أصبحت الشبكات الرّقميّة والتدفّقات المعرفيّة محوريّة في بنية المنافسة والإنتاج؛ ويؤكد كاستيلز أنّ عنصر التّنافس أصبح مرهونًا بـ "اقتصاد الرّموز" (Symbolic Analyst) ومهارات إدارة المعلومات، والشبكات ظهور الاقتصاد الرّقميّ، والاقتصاد القائم على المنصّات.

في كتاب "The Networks of Wealth" يشرح يوشاي بنكلر مفهوم الإنتاج بالاشتراك الجماعيّ (Commonsbased Peer Production) الذي غيّر نماذج الإنتاج والتّجارة والثّقافة، فأدّى إلى تحوّل إنتاجيّ، وثقافيّ واجتماعيّ، حيث أصبح الجمهور منتجًا ومستفيدًا من دون وسطاء تقليديّين⁽²⁾.

ويتناول Dirk Helbing في ورقته Legal and Ethical ,Economic ,Societal Digital Revolution the of Challenges جملةً من المخاطر المرتبطة بالرّقمنة، وفي مقدّماتها تركّز الثّروة والسّلطة في يد أنظمةٍ تقنيّةٍ ضخمةٍ تهيمن عليها الشركات الكبرى وبرمجيّات الذكاء الاصطناعيّ؛ ويرى هيلبنغ أنّ هذا الوضع يُنذر بتهديد القيم الديمقراطيّة والكرامة الإنسانية، ما لم تُدار عمليّات التّحوّل الرّقميّ بروح تشاركيّةٍ ومسؤوليّةٍ تضمن

1 - نفس المرجع.

2 - The Information Age :Economy ,Society and Culture – Wikipedia:

تاريخ الزيارة: الإثنيّن في 4/8/2025 الساعة 12 و 10 دقائق صباحًا.

التوازن بين الابتكار والتكافؤ الاجتماعي⁽¹⁾.

2 - التحوّلات الاجتماعية

غيّرت الثورة الرقمية طبيعة العلاقات الاجتماعية، فظهرت المجتمعات الشبكية التي تتفاعل عبر الإنترنت بدل اللقاءات التقليدية، فأعادت تشكيل مفاهيم الانتماء والتواصل.

• المجتمعات الشبكية وعصر الشبكات

وفقاً لكاستيلز، يدخل العالم في "عصر المجتمع الشبكي" حيث تُبنى العلاقات عبر شبكات رقمية، وليس عبر تكتلات اجتماعية محلية؛ وتكمن أهمية هذا التحوّل أنّه أدّى إلى إعادة تشكيل أنماط العمل، والشكل الاجتماعي، والثقافي للمدينة، والمكان، والزمان.

• الهوية الرقمية والفجوة بين الأجيال

يستكشف كتاب **Digital Born** لـ **John Palfrey** و **Urs Gasser** هوية "الجيل الرقمي" الذين نشأوا في بيئة الإنترنت المفتوحة، موضحين كيف أثّرت هذه البيئة في مفاهيم الخصوصية، والمحتوى، والهوية.

1 - التحوّلات الثقافية

أدّت الثورة الرقمية إلى تحوّل الثقافة من نمط تقليدي إلى فضاء تفاعلي، حيث أصبح الأفراد يشاركون في إنتاج المحتوى، وتشكيل الهوية الثقافية عبر الوسائط الرقمية، ومن هذا التحوّل:

• التداخل بين الواقع والافتراضي

بحسب فلوريدي في ورقة **Age Digital the in Society and Culture**، عاش المجتمع تحوّلاً جوهرياً يتمثّل في طمس الحدود بين الواقع والافتراضي، وبين الإنسان والآلة والطبيعة، وتحوّل المعرفة من ثدرة إلى وفرة، ففرض تحدياً على ثقافة الانتقاء والمعالجة المعرفية.

1 - <https://www.bing.com/search?q=e50818740e=cvid&arXiv=arXiv&search=com.bing.www/://https> ، تاريخ الزيارة: الإثنين 4/8/2025 الساعة 12 و 30 دقيقة صباحاً.

• الحراك الثقافي الجامعي وتنوع الهويات

تؤكد مراجعة **Review Eurasia** أن انتشار الإنترنت والهواتف الذكية ساهما في مزج ثقافي عالمي، لكنهما شكلا تهديدا للهوية المحلية عبر خطر "التخليق الثقافي العالمي"، ففرضا على المجتمعات ضرورة تطوير استراتيجيات لحماية التراث الثقافي، والمحافظة على التنوع الثقافي⁽¹⁾.

جدول رقم (3): ملخص تحليلي حول تأثير الذكاء الاصطناعي على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

البعد	التحول الرئيس
اقتصادي	انتقال من اقتصاد صناعي إلى اقتصاد معلوماتي وشبكي مبني على البيانات والإنتاج الرقمي
اجتماعي	نشوء ديناميات هوية جديدة بين "المولودين الرقميين" وظهور تحولات في بيئة العمل والهجرة الرقمية
ثقافي	فصل أقل بين الواقع والافتراضي، وظهور ثقافة التبادل الرقمي، والإبداع الجماعي، والتحدّي لأسواق الثقافة التقليدية ⁴

خامساً : أثر الثورة الرقمية في حياة الإنسان

أحدثت الثورة الرقمية تحولاً جذرياً في حياة الإنسان، إذ لم تقتصر آثارها على جانب واحد، بل امتدت لتشمل العديد من الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية:

على الصعيد الاجتماعي، أعادت التكنولوجيا الرقمية تشكيل أنماط التواصل والعلاقات الإنسانية، حيث أصبح الوصول إلى المعلومات والتفاعل مع الآخرين أكثر سهولة وسرعة، فأنثرت على العلاقات الأسرية، والمجتمعية، وأساليب التعليم والتعلم.

1 – The Impact Of Digital Revolution On Communication And Culture – Analysis
 sis – Review Eurasia، تاريخ الزيارة : الإثنين في 4/8/2025 الساعة 12 و 45 دقيقة صباحاً.

أما على الصعيد الاقتصاديّ، فقد أدّت الثورة الرقمية إلى ظهور اقتصاد رقمي جديد قائم على المعرفة والابتكار، مع تغيير جذري في سوق العمل من خلال ظهور وظائف جديدة تعتمد على التكنولوجيا؛ وفي المقابل، تراجع بعض الوظائف التقليدية نتيجة للأتمتة والتحول الرقمي.

هذه التحولات المتعددة تستدعي فهماً عميقاً لتأثيرات الثورة الرقمية على الإنسان، وفهم كيفية التكيف معها لتعزيز الفوائد، والتقليل من التحديات.

سادساً: الذكاء الاصطناعي وتأثيره في العلوم الأدبية والإنسانية

شهدت العقود الأخيرة تراجعاً ملحوظاً في الإقبال على تخصصات العلوم الإنسانية والأدبية، ولا سيما في أوروبا وأمريكا الشمالية، فتعزز الاعتقاد بأن تطور الذكاء الاصطناعي كان أحد العوامل الرئيسة وراء هذا الانحسار؛ فقد أصبحت التخصصات التقنية والعلمية أكثر جاذبية للطلاب بفضل ما توفره من فرص عمل مرتفعة وعوائد مالية مستقبلية واعدة، في حين باتت العلوم الإنسانية تُصوّر على أنها أقلّ نفعاً وجدوى في عالم تتسارع فيه وتيرة التكنولوجيا والتحول الرقمي.

في هذا السياق، أدى الذكاء الاصطناعي دوراً مركزياً، ليس فقط في تغيير طبيعة الوظائف وسوق العمل، بل أيضاً في التأثير في خيارات الطلاب، وتصوراتهم حول القيمة المعرفية والمهنية للتخصصات؛ وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة الطلاب المسجلين في تخصصات العلوم الإنسانية في المملكة المتحدة انخفضت من 28% في السنتين 2012 و2022⁽¹⁾. إلى نحو 8% في عام 2020؛ كما تراجعت نسبة الحاصلين على درجات البكالوريوس في هذه التخصصات في الولايات المتحدة بنسبة 24% بين عامي 2012 و2022⁽¹⁾.

ويعزى هذا الانخفاض جزئياً إلى الضغوط الاقتصادية، غير أن التسارع المتنامي في تطور الذكاء الاصطناعي عمّق هذا الاتجاه، من خلال تحويل بوصلة الاهتمام

1 -The National News. (2025). In the AI era, humanities education is not a luxury but a necessity. Retrieved from: <https://www.thenationalnews.com/opinion/comment/2025/07/11/arts-humanities-education-ai-era>

المؤسسي والطلّابي نحو تخصصات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (1) (STEM)، بوصفها الأكثر ملائمة لمتطلبات سوق العمل المستقبلية.

وفي المقابل، لا تتوفّر بيانات دقيقة مماثلة في العالم العربي، إلّا أنّ الاتجاه العام يُظهر توجّهاً متصاعداً لدى الطّلاب نحو المجالات التكنولوجية والمعلوماتية، مدفوعاً بسياسات تعليمية حكومية تشجع الرّقمنة، وبخوف عامّ من ضياع الفرص الوظيفية في ظلّ صعود الذكاء الاصطناعي؛ لكنّ هذا لا يعني أنّ الذكاء الاصطناعيّ سبب مباشر في تراجع العلوم الإنسانية، بل قد يكون محفزاً لإعادة التفكير في دورها وأهمّيتها في تطوير مهارات التفكير النقديّ، والتحليل الأخلاقيّ، وفهم الإنسان في العصر الرقّميّ.

1- أوروبا (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، وأوروبا القارية)

تكشف الإحصاءات الحديثة عن تراجع عالمي ملحوظ في الإقبال على تخصصات العلوم الإنسانية خلال العقود الأخيرة؛ ففي المملكة المتحدة، انخفضت نسبة التسجيل من نحو 28% عام 1961 إلى ما يقارب 8% بحلول عام 2019؛ وفي الولايات المتحدة، تُظهر بيانات الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم انخفاضاً بنسبة 24% في شهادات البكالوريوس في العلوم الإنسانية بين عامي 2012 و2022، مع تسجيل أقلّ من 200 ألف شهادة للمرّة الأولى منذ أكثر من عقدين، إلى جانب تقلّص حادّ في تخصصات مثل اللّغة الإنجليزيّة التي تراجع عدد طّلابها إلى النّصف مقارنةً بنهاية التسعينيات، والتّاريخ الذي شهد انخفاضاً بنسبة 45% منذ ذروته عام 2007؛ وفي أوروبا القاريّة، انخفضت نسبة الملتحقين بالعلوم الإنسانية في ألمانيا من 17% عام 2000 إلى 10% عام 2023، في حين تُعدّ إيطاليا استثناءً نسبياً، إذ لا يزال نحو 22% من خريجي الجامعات يتخصصون في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنون.

وتشير صحيفة The Guardian (مارس 2025) إلى أنّ برامج العلوم الإنسانية باتت مطلوبةً اليوم بالتّكيف مع التّحوّلات التي يفرضها الذكاء الاصطناعيّ، من خلال

1 - STEM هو اختصار يستخدم في التعليم والتوظيف، ويشير إلى أربعة مجالات علمية وتقنية رئيسية:

S = Science (العلوم)

T = Technology (التكنولوجيا)

E = Engineering (الهندسة)

M = Mathematics (الرياضيات)

تدريب الطّلاب على تمييز المعلومات ذات الجودة المنخفضة الناتجة عنه، وتشجيعهم على الكتابة الإبداعية ذات الطابع الإنسانيّ الأصيل⁽¹⁾.

المؤشر: تراجع ملحوظ في اهتمام الطّلاب بالعلوم الإنسانية في أوروبا منذ سنوات، مع أن الذكاء الاصطناعيّ يُنظر إليه كسبب إضافيّ لتشجيع التّعليم الإبداعيّ، وليس تقويضه بالكامل.

2- العالم العربي

لا تتوافر إحصاءات دقيقة وحديثة تُبيّن نسب التّسجيل في تخصصات العلوم الإنسانية في الجامعات العربية مقارنةً بالتخصصات العلميّة والتقنيّة، غير أنّ تقرير البنك الدوليّ وتقرير المنتدى الاقتصاديّ العالميّ يتفقان في الإشارة إلى أنّ الذكاء الاصطناعيّ يُتوقّع أن يستبدل نحو 40٪ من الوظائف عالمياً، أي ما يُقارب 85 مليون وظيفة بحلول عام 2025. ويؤدّي هذا التّحوّل البنيويّ في سوق العمل إلى تزايد إقبال الشّباب على التّخصصات التقنيّة والعلميّة بوصفها أكثر ملاءمةً للفرص المستقبلية، على حساب التّخصصات الأدبية والإنسانية التي يُنظر إليها على أنّها أقلّ ارتباطاً بالتّحوّلات الاقتصاديّة والتّكنولوجيّة الرّاهنة.

تُشير دراسة شركة (McKinsey 2018) إلى أنّه بحلول عام 2030 قد تتّمكن أتمتة الذكاء الاصطناعيّ من تغطية نحو 45٪ من الأنشطة في منطقة الشرق الأوسط، فتثير مخاوف متزايدة بشأن مستقبل المهن والمجالات غير التقنيّة التي تعتمد على المهارات الإبداعية والمعرفيّة؛ وفي السّياق نفسه، تُبرز نقاشات أكاديميّة وثقافيّة من المغرب تزايد القلق من توسّع استخدام الذكاء الاصطناعيّ في مجاليّ الأدب والفنّ، لما قد يترتّب عليه من تراجع في القيمة الإبداعية للأعمال الفنيّة، واستنساخ أنماط جامدة تُهدّد حريّة التّعبير والكتابة، إلى جانب غياب الأطر القانونيّة الكفيلة بحماية حقوق المؤلّفين والمبدعين في البيئة الرّقمية الجديدة⁽²⁾.

1- أثر الذكاء الاصطناعيّ في تصنيف ومراجعة المناهج والتّعليم الإنساني - مقالات من New Yorker و The Guardian newyorker.com theguardian.com

2- الجزيرة نت، المرجع السابق

من منظور تربويّ، يعبر العديد من الباحثين عن مخاوف متزايدة من أن يؤدي الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعيّ إلى تراجع قدرات الطّلاب على التّفكير التّقديّ، وضعف الحدس الإنسانيّ والمهارات الاجتماعية التي تُعدّ جوهر العملية التّربويّة؛ وقد بدأت جامعات في لبنان وبعض الدّول العربيّة منذ عام 2022 باعتماد سياسات تنظيميّة تُشجّع على الاستخدام الأخلاقيّ والمسؤول للتّقنيات الذّكيّة، بهدف منع ممارسات الغشّ الأكاديميّ، والحفاظ على الدّور المعرفيّ الأصيل للطّالب في إنتاج المعرفة بدل الاقتصار على استهلاكها⁽¹⁾.

المؤشر: ضعف التّوثيق، لكن توجد اتجاهات متزايدة نحو مدارس تقنية مفضلة على حساب الأدب والعلوم الإنسانية، مدفوعة بتحوّلات سوق العمل وتحديات الهوية الثقافية.

جدول رقم (4): (تأثير الذّكاء الاصطناعيّ في العلوم الأدبيّة والإنسانيّة) مقارنة بين العالم العربيّ وبعض دول الغرب²

المحور	العالم العربيّ	أوروبا / الغرب
الاتّجاه العامّ	الاتّجاه يميل نحو التّخصّصات التّقنيّة.	تراجع كبير في السّجل بالعلوم الإنسانيّة.
الإحصاءات (نسبة)	غير موثقة كليًا لكن تطورات سوق العمل تفضل التّخصّصات التّقنيّة.	انخفاض النّسبة من 28 % إلى 8 % في المملكة المتّحدة، ونسبة 24 % في الولايات المتّحدة، وفي ألمانيا من 17 % إلى 10 %.
أثر الذّكاء الاصطناعيّ	يُعدّ مهدّدًا للهويّة الثقافيّة، وهناك قلق من تراجع الإبداع الأدبيّ والحقوق الفكرية. تراجع الإبداع الأدبيّ والحقوق الفكرية.	يُنظر إليه كمحفّز نحو إعادة التّفكير في التّعليم الإنسانيّ (تكيف المناهج وتقنيّات التّدريس).
ردود المؤسسات الأكاديميّة	خطوات أوليّة: استراتيجيّات أكاديميّة في الجامعات اللّبنانيّة ومبادرات ثقافيّة، مثل مجلّة المجلّة، لتعزيز الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعيّ.	تطوير مناهج وتوجيهات استخدام الذّكاء الاصطناعيّ، وعدم الحظر فقط.
الوظائف المستقبلية والطلّاب	الأنظمة المستقبلية في الشّرق الأوسط تودّي إلى نقصان الوظائف التقليديّة وتحفيز التّخصّصات التّقنيّة.	سوق العمل يشجّع STEM لكن تنمو أهميّة المهارات الإنسانيّة داخل الذّكاء الاصطناعيّ.

1 - القلق في الوطن العربيّ بشأن الإبداع والحقوق الأدبية والطابع الثقافي المرتبط بالذكاء الاصطناعيّ في المغرب ولبنان الجزيرة نتمجلة المجلة alsafina.net
2 - عمل الباحث

نتبين ممّا سبق أنّ برامج الذكاء الاصطناعيّ سيكون لها تأثير مباشر على العلوم الأدبيّة والإنسانيّة؛ لذا كان لا بدّ من وضع تقييم لهذا التأثير من خلال النقاط التالية:

- في الغرب، يعزى ابتعاد الطّلاب عن التّخصّصات الأدبيّة إلى عوامل اقتصادية ومهنيّة أكثر من ارتباطه المباشر بالذكاء الاصطناعيّ، إذ بدأ هذا التّراجع منذ عقود سابقة.

- يُنظر إلى الذكاء الاصطناعيّ بوصفه عاملاً محفّزاً يعزّز القيمة النّقدية والتّفكيرية للعلوم الإنسانيّة، ويدفعها إلى إعادة تعريف دورها، لا إلى تهमيشها أو إضعافها.

- في العالم العربيّ، يثير الذكاء الاصطناعيّ مخاوف تتعلّق بالهويّة النّقائيّة والإبداع، وعلى الرّغم من غياب البيانات الدّقيقة حول معدلات الانحسار في التّخصّصات الأدبيّة، فإنّ التّوجّه العامّ يميل نحو التّخصّصات التّقنيّة ذات الجدوى الوظيفيّة الأعلى.

- تؤكّد الدّراسات التّجريبية أنّ الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعيّ في التّعليم العلميّ يؤدّي إلى تراجع في مستويات الفهم والدّقة بنسبة تصل إلى 25%؛ وهذا يعكس خطورة استخدامه من دون توجيه تربويّ سليم.

سابعاً: إيجابيات وسلبيّات الذكاء الاصطناعيّ: في قطاع التّعليم - وفي المجتمع

1. في قطاع التّعليم

تُعدّ الاستخدامات المحتملة للذكاء الاصطناعيّ في التّعليم مثار اهتمام وقلق في آنٍ معاً، إذ تستدعي التأمّل في إيجابياته وسلبيّاته على العمليّة التّعليميّة.

- خمس سلبيّات للذكاء الاصطناعيّ في التّعليم

- التّحيّز: يعتمد الذكاء الاصطناعيّ على المعلومات التي تدربّ عليها؛ فإذا درّب برنامج مثل ChatGPT على معلومات متحيّزة، فعندما يطرح الطالب سؤالاً، قد يحصل على إجابة متحيّزة، وقد يُرسّخ الصّور التّميّية والنّقاوتات الاجتماعيّة؛ وإذا استُخدمت أداة ذكاء اصطناعي متحيّزة للتّقييم، فقد يحصل الطّلاب على درجات منخفضة بناءً على عرقهم أو جنسهم.

• **الأخطاء:** إضافة إلى التّحيز، قد يُنتج الذّكاء الاصطناعيّ معلومات مضلّة؛ فقد تحتوي البيانات التي يستخرجها الذّكاء الاصطناعيّ على أخطاء، أو تكون قديمة، أو تنشر معلومات مضلّة؛ ولا ينبغي للطلّاب، ولا للمعلّمين افتراض دقّة المعلومات التي يُقدّمها الذّكاء الاصطناعيّ.

• **الغش:** يمكن للطلّاب استخدام ChatGPT لكتابة مقالات كاملة، أو الإجابة عن أسئلة الاختبارات، أو أداء واجباتهم المدرسيّة؛ ومن المفارقات، أنّ هناك الآن برامج ذكاء اصطناعيّ قادرة على كشف كتابات الذّكاء الاصطناعيّ لمساعدة المعلّمين على تحديد ما إذا كان طلّابهم يغشون؛ ولكن في بعض الأحيان، قد تُعرّف هذه البرامج العمل الأصليّ للطلّاب على أنّه انتحال.

• **العزلة:** إذا تفاعل الطّلاب مع برنامج حاسوبي أكثر من تفاعلهم مع المعلّم، فقد يشعرون بالانفصال والعزلة، وقد ينخفض دافعهم وتفاعلهم، فيؤدّي إلى زيادة معدّلات التّسرّب الدّراسيّ.

• **الوظائف:** يمتلك الذّكاء الاصطناعيّ القدرة على أن يكون أداة تعلّم فعّالة؛ ويخشى بعض المعلّمين أن يحلّ الذّكاء الاصطناعيّ محلّهم.

- خمس إيجابيّات للذكاء الاصطناعيّ في التّعليم

• **المساعدة:** وجد المعلّمون الذين جرّبوا الذّكاء الاصطناعيّ أنّه يُسهّل عملهم، بدءًا من وضع خطط الدّروس، مرورًا بتوليد أفكار مشاريع الطّلاب، وصولًا إلى إعداد الاختبارات؛ فبمساعدة الذّكاء الاصطناعيّ، يُمكن للمعلّمين توفير المزيد من الوقت لقضائه مع طلّابهم.

• **السرعة:** إذا شعر الطّالب بأنّه «عالق» أثناء العمل على واجب ما، يمكن لبرامج الذّكاء الاصطناعيّ تقديم مساعدة فوريّة ومفيدة في حال عدم توقّر المعلّم أو مقدّم الرّعاية؛ على سبيل المثال، يمكن للطّالب أن يسأل: «كيف أحل مسألة X؟» فيُذكره بخطوات حلّ المعادلة، ويمكنه أيضًا أن يسأل: «ما بعض الاستراتيجيّات الفعّالة لتحسين كتابة مقالي؟»، ويمكن لـ ChatGPT تقديم النّصائح والموارد فورًا.

- **التخصيص:** تُساعد برامج الذكاء الاصطناعي على تخصيص فرص التعلم للطلاب؛ على سبيل المثال، يُمكن لبرنامج ChatGPT ترجمة المواد إلى لغة أخرى بسرعة وسهولة، فيُسهّل على الطلاب الناطقين بلغات أخرى فهم الواجبات، كما يُمكن لبرنامج ChatGPT مراجعة المواد؛ لتناسب مختلف المراحل الدراسية، وتصميم مشاريع تُناسب مهارات الطلاب واهتماماتهم.
 - **السياق:** في محاضرة ألقاها سال خان، المؤسس والرئيس التنفيذي لأكاديمية خان، ضمن فعاليات TED عام 2023، عرض مثالا تطبيقياً لمعلّم ذكي قائم على الذكاء الاصطناعي، ساعد طالبة على فهم رمزية الضوء الأخضر في رواية «غاتسبي العظيم» لف. سكوت فيتزجيرالد؛ فقد طلبت الطالبة من المعلمة أن تتقمّص شخصية جاي غاتسبي وتجيّب عن سؤالها: «لماذا تستمرّ في التحدّيق في الضوء الأخضر؟» فجاءت الإجابة بلسان الشخصية نفسها، دقيقةً وأنيقةً ومرتبطةً بسياق الرواية؛ ومن هذا المنطلق، يُتوقّع أن يتمكّن الطلاب مستقبلاً من محاورّة آ ن فرانك عن حياتها، وماري كوري عن اكتشافاتها العلمية، وشكسبير عن مسرحياته، في تجربة تعليمية تفاعلية تتجاوز حدود الزمن والمعرفة التقليدية.
 - **التمكين :** يُمكن للذكاء الاصطناعي أيضاً تمكين تعلّم الطلاب، فمن خلال تحليل بيانات أداء الطلاب، تُحدّد الأدوات المدعّمة بالذكاء الاصطناعي الطلاب الذين يحتاجون إلى دعم لتحسين تجربة تعلّمهم، وأفضل السبل لمساعدتهم⁽¹⁾.
- تستلزم موازنة مزايا الذكاء الاصطناعي في التعليم مع مخاطره المحتملة تخطيطاً منهجياً ودراسةً متأنيةً ترافقها عمليات تقييم مستمرة؛ فبينما يمتلك الذكاء الاصطناعي قدرةً على تمكين المعلمين، وتسريع عملية التعلّم، وتخصيص التجارب التعليمية بمرونة وسهولة، تبرز في المقابل تحديات تتعلّق بالتّحيّز، والمعلومات المضلّلة، واحتمال عزلة الطلاب؛ لذا، ينبغي على المعلمين استكشاف إمكانات هذه التقنيّات بوعي نقدي؛ ليصبحوا مدافعين فاعلين عن حقوق طلابهم، ودورهم التّربويّ في آنٍ واحد.

1-https://www-waldenu-edu.translate.goog/programs/education/resource/five-pros-and-cons-of-ai-in-the-education-sector?x_tr_sl=en_&x_tr_tl=ar_&x_tr_hl=ar_&x_tr_pto=tc

2. في المجتمع

أثر الذكاء الاصطناعيّ أو الآليّ في الفرد لدرجة يصعب فيها أن يمتنع عن العيش دون حاسوب أو هاتف محمول، وعند اقتناء حاسوب أو هاتف محمول يجد الفرد أنّه قد صار أكثر تمسكًا به، بل مرغماً أحياناً على استعماله، فلا يمكن لطالب جامعيّ مثلاً أن يدرس من دون وجود هذه الأجهزة الإلكترونيّة، وإلاّ أصبح عرضة للفشل الدّراسيّ.

وقد ارتأيت ذكر الأمثلة السّابقة تحديداً، بسبب استعمالها من طرف فئات عريضة من النّاس؛ لكن إضافة إلى هذه الآلات نجد أنّ هناك آلات أخرى أسهمت في تغيير العديد من سلوكيّات الأفراد وأفكارهم، ونجدها غالباً في الدّول المتقدّمة، وذات الدّخل المرتفع؛ مثل الروبوتات متنوّعة الوظائف، وكبسولات الموت الرّحيم، وأجهزة محاكاة الشّيخوخة.

تبعاً لذلك، باتت أبرز السّمات المميّزة للإنسان المعاصر هي العزلة والفردانيّة، إذ شغلت الآلة حيّزاً واسعاً من الزّمن الذي كان يوماً مكرّساً للتّفاعل الإنسانيّ الدّائّي والاجتماعيّ؛ ومع هذا النّحو، أصبح وصف أحدهم بـ «الإنسانيّ» أقرب إلى مجاملة رمزيّة، إذ إنّ اندماج الآلات الذّكيّة في نسيج المجتمع يُنذر بتراجع القيم الإنسانيّة التّقليديّة، حتّى ليغدو هذا الوصف في المستقبل شبيهاً بنعتٍ غريبٍ أو متجاوز، لا يعكس حقيقة الواقع الجديد.

يحيينا القول الأخير إلى استشعار الأخطار الكبيرة التي تهدّد المجتمع، ولعلّ من أهمّ هذه التّهديدات هو أخذ وظائفنا، وذلك ما بيّنه جيري كابلان في كتابه «الذكاء الاصطناعيّ»؛ حيث عرض أكثر الفئات الوظيفيّة عرضة للخطر في المستقبل، وقسمها إلى ثلاثة أنواع رئيسية؛ سوف نذكر بعض الأمثلة على المهن الأكثر قابليّة للتّشغيل الآليّ على سبيل المثال لا الحصر:

- عمال الياقات الرّقّاء: السّائقون، والمزارعون، وعمال البريد، ومصّلحو السّاعات.
- مهن الياقات البيضاء: المحرّرون، ومصمّمو الأزياء، والمهندسون، والمحامون، وعلماء الرّياضيّات.
- عمال الياقات الوردية: الشّرطة، ورجال الدّين، والممرّضات، ووكلاء العقارات.

وعليه، يظهر أنّ نمط الحياة الذي نسير صوبه هو ارتفاع في مستويات البطالة، وعدم العدالة في الأجور، وقد يؤدي مستقبلاً إلى انقسام المجتمع إلى مجموعات من «الهيبيز» المفلسين الذين يرون أنّ المذات أهمّ ما في الحياة، ومجموعات من «المترفين» الطموحين المنشغلين بذواتهم⁽¹⁾.

رؤية مستقبلية لدور العلوم الإنسانية والأدبية في عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي

في ظل التّقدّم السريع للتّقنيّات الرّقميّة والذكاء الاصطناعيّ، لم تعد العلوم الإنسانية والأدبية مجرد فروع معرفيّة «تقليديّة»، بل أصبحت مرشّحة لأداء أدوار محوريّة في تفسير وتوجيه هذا التّحوّل؛ وتقوم الرّؤية المستقبلية المقترحة على ثلاثة أبعاد أساسية:

1- العلوم الإنسانية كحارس للقيم والأخلاقيات

في عالم تسوده الخوارزميات والقرارات المؤتمتة، ستنزايد الحاجة إلى فلسفات الأخلاق، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، لضمان أن تظلّ التّقنيّات خادمة للإنسان لا العكس. دورها: تأطير أخلاقيّ لاستخدامات الذكاء الاصطناعيّ، وتوجيه سياسات رقمية إنسانية.

2 - تجديد أدوات العلوم الأدبية للقراءة والتأويل

سيُعاد تعريف النّصوص الأدبيّة بوصفها «تجارب متعدّدة الوسائط»، حيث يصبح التّفاعل بين القارئ والنّص أكثر حيويّة عبر الواقع الافتراضيّ والذكاء الاصطناعيّ التّوليديّ. دورها: تحليل الأدب الرقميّ، وبناء نظريّات نقدية جديدة تتلاءم مع البيئات التّفاعليّة.

3- تكامل الإنسان والآلة في إنتاج المعرفة

يمكن للباحثين في العلوم الإنسانية توظيف أدوات الذكاء الاصطناعيّ، لتحليل كمّيّات هائلة من النّصوص، ورصد تحولات اللّغة والثّقافة في الزّمن الآنيّ، بما يوسّع آفاق البحث ويُسرّع وتيرته؛ وبواكب ذلك إعادة صياغة المناهج الكلاسيكية في ضوء أدوات التّحليل الرّقميّ، مع تعزيزٍ للتّفكير النّقديّ في عصر يتّسم بـ «فيض المعلومات».

1- <https://arabicpost.net/%D8%AA%D9%83%D9%86%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7/2023/05/1>،

تاريخ الزيارة الجمعة في 1/8/2025 الساعة 12 و 40 دقيقة صباحاً.

خلاصة الرؤية

العلوم الإنسانية والأدبية في العصر الرقمي لن تتدثر، بل ستتحوّل إلى "بوصلة فكرية" توجه الذكاء الاصطناعي، وتفسّر الإنسان المعاصر في ظلّ تحولات غير مسبوقه.

ثامناً: التأثيرات المستقبلية للذكاء الاصطناعي على الانسان

يرى عدد من المستقبلين والعلماء أنّ أبرز تهديد يُمكن أن يواجه الإنسان بفعل تطوّر الذكاء الاصطناعي يتمثّل في مفهوم «التقرّد»، أي بلوغ الآلات مرحلة من الذكاء تمكّنها من تطوير ذاتها ذاتياً وتحسين قدراتها باستمرار، إلى حدّ يفوق السيطرة البشرية، فينشأ ما يُعرف بـ «الذكاء الجامح».

ولعلّ ما يؤكّد هذا التهديد الوجودي هو تأسيس مؤسسات عدّة للحماية من مخاطر الذكاء الاصطناعي، ومن هذه المؤسسات في المملكة المتّحدة، مركز دراسات المخاطر الوجودية بجامعة «كامبريدج»، ومعهد مستقبل الإنسانية بجامعة «أكسفورد»؛ وفي الولايات المتّحدة، معهد مستقبل الحياة في بوسطن ومعهد أبحاث ذكاء الآلة في بريكلي ولئن كان احتمال التقرّد احتمالاً ضعيفاً، فإنّه يظلّ احتمالاً ممكناً، فيستلزم وضع معايير مهنية وأخلاقية وهندسية، لتجنّب أيّ مخاطر مستقبلية؛ وفي هذا الصدد، أثار «ستيفن هوكينغ» موجةً عالمية في مايو 2014 حينما قال: "إنّ تجاهل تهديدات الذكاء الاصطناعي قد تكون الأسوأ لنا على الإطلاق".⁽¹⁾

النتائج والتوصيات

أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث:

- التراجع في الإقبال على العلوم الإنسانية موجود بالفعل في الغرب، وقد وُثق بدقة؛ أمّا في الوطن العربي، فيحتاج الأمر لبيانات محلية على الرّغم من وجود اتجاهات واضحة نحو التخصّصات التّقنيّة مدفوعة بانعكاسات سوق العمل.
- الذكاء الاصطناعي ليس سبباً رئيساً في تراجع هذه التخصّصات، بل يُعدّ تحدياً وتحفيزاً لتطويرها، وتعميق قيمها الإنسانية، خاصّة فيما يتعلّق بالتفكير النقدي والإبداعي.

- من المهمّ دعم سياسات تعليميّة واضحة في العالم العربيّ:
- جمع بيانات حول نسب التّخصّص السّنويّة.
- تطوير مناهج تضمّ مهارات تنتج قيمة إنسانيّة قابلة للاستفادة أمام الذّكاء الاصطناعيّ.
- حماية حقوق المؤلّف والإبداع الأدبيّ.
- بروز قلقٍ متزايد في الوطن العربيّ، خصوصاً في المغرب ولبنان، حيال تداعيات الذّكاء الاصطناعيّ على المشهد الإبداعيّ، وما قد ينجم عنه من تهديدٍ للحقوق الأدبيّة، وطمسٍ للهويّة الثقافيّة المحليّة في ظلّ الإنتاج الآليّ المتسارع.
- تأثير الاستخدام التّعليميّ الكامل للذّكاء الاصطناعيّ في الفهم والدّقة وفق دراسة تجريبية مبنية على تعلّم علميّ.

التوصيات

في ضوء ما توصّل إليه البحث من نتائج حول التّأثيرات الواسعة للثّورة الرّقميّة في مختلف جوانب الحياة، مقارنةً بالثّورات التّاريخيّة الكبرى، تبرز مجموعة من التّوصيات التي يمكن أن تسهم في توجيه السياسات المجتمعيّة، والعلميّة نحو التّكيف الإيجابيّ مع التّحوّلات الرّقميّة المتسارعة.

أولاً: في المجال الجغرافيّ

1. تعزيز التّعليم الجغرافيّ الرّقميّ

- دمج أدوات نظم المعلومات الجغرافيّة (GIS)، والخرائط الرّقميّة التّفاعليّة في المناهج الدّراسيّة.
- تدريب الطّلبة والباحثين على تحليل «الجغرافيا السيبرانيّة» لفهم التّغيّرات في أنماط العيش والاتّصال.

2. مراقبة تأثير الفضاءات الرّقميّة على الجغرافيا السّياسيّة

- تحليل كيف تُعيد التّكنولوجيا تشكيل مفاهيم السّيادة، والحدود، والانتماء الوطنيّ.
- تعزيز السياسات التي تحمي الخصوصيّة السيبرانيّة، وتحدّ من الهيمنة الرّقميّة على

الجغرافيا المحليّة.

3. الحدّ من التّفاوت الرّقميّ الجغرافيّ

- دعم البنية التّحتيّة الرّقميّة في المناطق الرّيفيّة والمهمّشة، لضمان عدالة الوصول إلى المعرفة والتّقنيّات الحديثة.

ثانيًا: في العلوم الإنسانيّة والأدبيّة

1. تطوير مناهج نقدية رقميّة

- إنشاء تخصصّات جديدة في الجامعات مثل «الأدب الرّقميّ»، و«الأنثروبولوجيا الرّقميّة»، و«الفلسفة الرّقميّة».
- استخدام أدوات التّحليل الرّقميّ لدراسة التّغيّرات في اللّغة، والسّرد، والتّفاعل الثقافيّ.

2. حماية الإنسان من تهيش القيم الإنسانيّة

- الحفاظ على المركزيّة الإنسانيّة في خضمّ الأتمتة والذكاء الاصطناعيّ، من خلال التّأكيد على القيم الأخلاقيّة، والهويّة، والحرّيّة.
- ترسيخ مفاهيم المسؤوليّة الرّقميّة، والوعي النّقديّ في التّعامل مع المحتوى الرّقميّ.

3. تعزيز الإنتاج الثقافيّ المحليّ في البيئة الرّقميّة

- دعم الكُتّاب والمبدعين في إنتاج محتوى أدبيّ، وثقافيّ يعكس الهويّات المحليّة في بيئة الإنترنت العالميّة.
- تشجيع النّشر الرّقميّ المفتوح، وتوفير منصّات تحترم التّنوع الثقافيّ.

ثالثًا: على المستوى المجتمعي والسياسي

1. تبني سياسات رقميّة عادلة وشاملة

- سنّ تشريعات تحمي حقوق الأفراد الرّقميّة (البيانات الشّخصيّة، وحرّيّة التعبير، والأمن السيبراني).
- ضمان ألاّ تؤدّي الثّورة الرّقميّة إلى مزيد من التّفاوت الطّبقيّ والمعرفيّ بين الشّعوب

والمجتمعات.

2. نشر الوعي الرقمي

- إطلاق حملات توعية حول مخاطر الإدمان الرقمي، والتثمر الإلكتروني، والتضليل الإعلامي.
- تعليم التفكير النقدي والتحقق من المعلومات لدى المستخدمين، خاصة الشباب.

رابعاً: في البحث العلمي

1. تطوير أدوات بحث رقمية متقدمة

- استخدام الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة Big Data في تحليل الظواهر الاجتماعية، والجغرافية، والثقافية.
- تعزيز التعاون البحثي العالمي من خلال المنصات الرقمية المشتركة.

2. دراسة الأثر البعيد المدى للثورة الرقمية

- دعم بحوث متعددة التخصصات لفهم الأبعاد النفسية، والجغرافية، والثقافية، والأخلاقية للثورة الرقمية.

التوصية العامة

ينبغي أن تُدار الثورة الرقمية برؤية إنسانية متوازنة تضع التكنولوجيا في خدمة الإنسان لا العكس، من خلال سياسات تعليمية، وبحثية، وثقافية، وقانونية تضمن الاستخدام الآمن، والعادل، والهادف للتقنيات، مع تعزيز القيم المحلية، وتطوير المناهج والأدوات بما يتناسب مع تحولات العصر الرقمي.

فعندما نتصفح أمهات الكتب، ومخطوطاتها، نجد أن رجالات العلم، وفطاحل الفكر في العالم العربي قد برعوا في شتى ميادين المعرفة؛ من العلوم الإنسانية والطبية والفلكية، إلى العلوم الأدبية والفلسفية التي ازدهرت على وجه الخصوص؛ غير أن التراجع الملحوظ اليوم في الإقبال على هذه العلوم الإنسانية يُعدّ مؤشراً واضحاً على أزمة معرفية وأدبية مُحتملة في المستقبل، إذ عزفت نسبة كبيرة من الأجيال وطلاب العلم عن

اختيار التخصصات الأدبية، طمعاً بما تعد به التخصصات العلمية والتقنية (STEM) من فرصٍ أوسع في سوق العمل ومردودٍ اقتصاديٍّ أكبر.

المراجع

الكتب

1. أمين: جلال، من كتاب ماذا حدث للمصريين؟ دار الشروق 1998.
2. روبرت ل : هيلبرونر، عنوان الكتاب: طبيعة ومنطق الرأسمالية، دار النشر نورتن وشركاه، 1985.
3. Negroponte, N. (1995). Being Digital. Vintage Books .Page 4
4. Titre : The Nature and Logic of Capitalism , Publisher:W.W. Norton & Company , 1985 . Heilbroner . Robert:

1. المواقع الإلكترونية

5. أثر الذكاء الاصطناعي في تصنيف ومراجعة المناهج والتعليم الإنساني – مقالات من New Yorker وThe Guardian newyorker.comtheguardian.com
6. بيانات النسب والتراجع في أوروبا والولايات المتحدة حسب أكاديمية الفنون والعلوم الأميركية و OECD والإحصائيات الرسمية الغربية الجزيرة نت .
7. الفلق في الوطن العربي بشأن الإبداع والحقوق الأدبية والطابع الثقافي المرتبط بالذكاء الاصطناعي في المغرب ولبنان الجزيرة نتمجلة المجلةalsafina.net
8. Andreessen, M. (2023, June 6). Why AI will save the world. Andreessen Horowitz. <https://a16z.com/ai-will-save-the-world>
9. Xu, M., David, J. M., & Kim, S. H. (2018). The Fourth Industrial Revolution: Opportunities and Challenges. International Journal of Financial Research, 9(2), 90–95. <https://doi.org/10.5430/ijfr.v9n2p90>
10. The National News. (2025). In the AI era, humanities education is not a luxury but a necessity. Retrieved from: <https://www.thenationalnews.com/opinion/comment/2025/07/11/arts-humanities-education-ai-era>

11. https://:viso-ai.translate.google/deep-learning/artificial-intelligence-types_/x_tr_sl=en&x_tr_tl=ar&x_tr_hl=ar&x_tr_pto=tc
12. <https://www.worldgovernmentssummit.org/ar/media>
13. https://puregreensaz-com.translate.google/blog/history-of-agriculture/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=tc
14. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia%/2016/3/22/>
15. The Information Age :Economy ,Society and Culture – Wikipedia
16. <https://www.bing.com/search?q=arXiv&cvid=e50818740e>.
17. https://:www-waldenu-edu.translate.google/programs/education/resource/five-pros-and-cons-of-ai-in-the-education-sector_?x_tr_sl=en&x_tr_tl=ar&x_tr_hl=ar&x_tr_pto=tc
18. <https://arabicpost.net/%D8%AA%D9%83%D9%86%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7/2023/05/1>
19. <https://arabicpost.net>

مستقبل التفكير النقدي في البيئة التربوية الرقمية

(مقاربة نقدية لعلاقة الذكاء الاصطناعي بالتربية النقدية)

The Future of Critical Thinking in the Digital Educational Environment
A Critical Approach to the Relationship Between Artificial Intelligence)
(and Critical Pedagogy

د. ميشال كميل عون¹

Michel Aoun, Ph.D.

تاريخ القبول 2025/10/5

تاريخ الاستلام 2025 / 9 / 1

الملخص

يشهد الحقل التربوي العالمي تحولات جذرية مع بروز الذكاء الاصطناعي بوصفه أحد أهم منتجات الثورة الرقمية. وفي خضم هذه التحولات، يطرح سؤال التفكير النقدي نفسه بالحاح حول امكانية صموده بوصفه قيمة تربوية عليا في بيئة تعليمية آخذة بالتحول إلى بيئة رقمية مؤتمتة. يحاول هذا البحث مقارنة هذه الإشكالية عبر قراءة نقدية للعلاقة بين التربية النقدية والذكاء الاصطناعي، انطلاقاً من فرضية أنّ التقنيّة تحمل في طياتها إمكانيات وفرصاً كبرى، لكنها تتطوي في الوقت نفسه على مخاطر معرفية ومعرفية وأخلاقية. اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي بالاستناد إلى الأدبيات المعرفية والتربوية المعاصرة، وقد خلص إلى أنّ مستقبل التفكير النقدي يتوقف على إعادة بناء نموذج تربوي نقدي قادر على استيعاب الذكاء الاصطناعي دون الخضوع لمنطقه الخوارزمي، مع التأكيد على دور المعلم بصفته وسيطاً نقدياً، والمتعلم بصفته فاعلاً تاريخياً مسؤولاً عن إنتاج المعنى لا مجرد مستهلك للمعرفة.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، التفكير النقدي، التربية النقدية، التعليم الرقمي، الأتمتة التربوية، الفلسفة التربوية.

1- دكتوراه في التربية - المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
Michelcamilaoun@gmail.com

Abstract:

(AI) as one of the major outcomes of the digital revolution. Within these transformations, the question of critical thinking emerges with urgency: can critical thinking, as a fundamental educational value, endure within a digital and increasingly automated learning environment? This paper aims to critically examine this issue by exploring the dialectical relationship between critical pedagogy and AI, based on the assumption that technology carries both enormous opportunities and significant epistemic, philosophical, and ethical risks. The study adopts an analytical-critical methodology, drawing on contemporary philosophical and educational literature, while also engaging with the practical realities of digital education. The findings suggest that the future of critical thinking depends on reconstructing a critical pedagogical model capable of integrating AI without surrendering to its algorithmic logic, emphasizing the teacher's role as a critical mediator and the learner's role as a historical agent responsible for meaning-making rather than passive knowledge consumption.

Keywords: Artificial Intelligence, Critical Thinking, Critical Pedagogy, Digital Education, Educational Automation, Philosophy of Education.

أولاً: المقدمة

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تحولاً غير مسبوق في البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بفعل الثورة الرقمية التي قلبت أنماط الحياة والعمل والتواصل. ومن أبرز إفرزات هذه الثورة صعود الذكاء الاصطناعي، الذي انتقل من كونه تقنية حاسوبية متخصصة إلى قوة مؤثرة في صياغة أنماط التعليم والتعلم. ولئن كان للتقنيات السابقة أثرها الكبير في العملية التربوية، فإن ما يميز الذكاء الاصطناعي هو طابعه التفاعلي والتنبؤي والقدرة على اتخاذ القرار، ما يجعله مختلفاً جذرياً عن مجمل الأدوات التقنية التي سبقته. في هذا السياق، يواجه التفكير النقدي تحدياً حقيقياً. إذ ينطلق التعليم المعاصر من فرضية أنّ المتعلم ليس مجرد متلقٍ للمعلومات، بل هو فاعل نقدي قادر على تحليل المعطيات، ومساءلة البنى المهيمنة، وإعادة إنتاج المعرفة. غير أنّ الأتمتة

التربويّة التي تصاحب الذكاء الاصطناعيّ تطرح مخاوف من تراجع هذا الدور لصالح خوارزميات تقدم للطالب حلولاً جاهزة وتوصيات معدّة مسبقاً، ما قد يضعف استقلالية التفكير النقديّ ويحوّل التعلّم إلى عملية استهلاكية محضة.

أ - إشكالية البحث

يواجه التعلّم المعاصر مفترق طرق حاسم في ظل التحوّلات الرقمية المتسارعة التي أحدثها الذكاء الاصطناعيّ. فبينما يعدّ هذا الأخير أداة واعدة في تحسين جودة التعلّم من خلال التخصيص، والأتمتة، وتسهيل الوصول إلى المعرفة، فإنه في الوقت ذاته يطرح تحديات جوهرية تتعلق بقدرة المتعلّمين على الحفاظ على استقلاليّتهم الفكرية. إنّ الطّبيعة التنبؤية والتلقائية للذكاء الاصطناعيّ قد تقضي إلى إضعاف قدرة التّساؤل والتحليل لدى الطالب، من خلال تقديم حلول جاهزة وخيارات معدّة سلفاً، مما يُخشى معه أن يتحوّل التعلّم إلى عملية استهلاكية آلية تفنقر إلى العمق النقديّ. وفي مقابل ذلك، تطرح التّربية النّقدية نفسها كإطار فلسفي تربويّ يسعى إلى صون قيمة التفكير النقديّ بحسبانه حجر الزاوية في تكوين المتعلّم الحرّ والمسؤول. ومن هنا ينبثق التّوتر المركزيّ بين منطق الخوارزميات القائم على الكفاءة والسّرعة، وبين منطق التّربية النّقدية القائم على الحوار والمساءلة. هذا التّوتر يستدعي إعادة التفكير في موقع التفكير النقديّ في البيئة التربويّة الرقمية، والسعي نحو بلورة إطار يوازن بين إمكانيات التّقنية وحاجات التّربية الإنسانيّة. وعليه، تتمحور إشكالية هذا البحث حول السّؤال الآتي:

ما موقع التفكير النقديّ في ظل التحوّلات الرقمية الجارية، وكيف يمكن للتّربية النّقدية أن تعيد التوازن أمام سلطة الذكاء الاصطناعيّ؟

ب - أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث في سعيه إلى مقارنة مستقبل التفكير النقديّ في البيئة التربويّة الرقمية، من خلال بناء إطار تربويّ نقديّ جديد يوازن بين إمكانيات الذكاء الاصطناعيّ وضرورة حماية استقلالية التفكير لدى المتعلّم عبر الجمع بين حجم التقنية ومبادئ التّربية الإنسانية.

ت - أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحليل التأثيرات المتعددة للذكاء الاصطناعي على بنية التعليم المعاصر واتجاهاته المستقبلية.
- استكشاف مكانة التفكير النقدي ودوره في البيئة التربوية الرقمية المتحوّلة.
- بلورة إطار تربوي نقدي متكامل يوازن بين معطيات التقنية ومتطلبات القيم الإنسانية.

ث - منهجية البحث وأدواته

يعتمد هذا البحث على منهج تحليلي نقدي يقوم بمراجعة الأدبيات المعرفية والتربوية، مع توظيف مقارنة استشرافية تهدف إلى استكشاف الفرص والتحديات التي قد تواجه العملية التربوية في ظل التحوّلات التقنية والفكرية المتسارعة.

ونظراً للطابع النظري والفكري للمسألة المطروحة، فقد اعتمد على أدوات التفكير النقدي والتحليل الفلسفي من خلال مقارنة المفاهيم والنماذج النظرية المختلفة واستخلاص الدلالات التربوية الكامنة خلف الاستخدامات التكنولوجية الحديثة. كما أتاح أسلوب المقارنة الجدلية بين مبادئ التربية النقدية وخصائص الذكاء الاصطناعي الكشف عن فجوات تربوية وإشكاليات معرفية، ستتم معالجتها وتحليلها في المحاور اللاحقة من البحث.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا البحث لم يتضمن معطيات ميدانية أو دراسات حالة تطبيقية، وذلك انسجاماً مع طبيعته النظرية والمعرفية التي تقتضي معالجة تحليلية ونقدية في المقام الأول. فالغاية الأساس كانت تفكيك الأبعاد المفاهيمية والفكرية الكامنة في العلاقة بين التربية النقدية والذكاء الاصطناعي، على أن يمهد هذا الإطار التأسيسي لاحقاً لإطلاق أبحاث ميدانية تجريبية قادرة على اختبار الفرضيات والاستنتاجات ضمن بيئات تعليمية واقعية.

ثانيًا: الدراسات السابقة

اهتمت العديد من الدراسات بدور الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين في سياقات مختلفة. فقد هدفت دراسة العبسي والأربط (2025) إلى استقصاء العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والتفكير النقدي من وجهة نظر طلبة الماجستير في كليتي التربية والعلوم بجامعة البيضاء، حيث أظهرت النتائج أن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي يسهم في تحسين وضوح وتنظيم التفكير، وتعزيز مهارات الإبداع وحل المشكلات، مع الإشارة إلى تحديات مثل التحيز الخوارزمي وضعف الوعي الأخلاقي. وفي سياق تعليمي آخر، هدفت دراسة الزفيتي وآخرون (2025) إلى استكشاف أثر الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداعي وتعزيز ريادة الأعمال لدى طلاب المدارس في سلطنة عمان، حيث أكدت النتائج على أهمية دمج أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل منظم في المناهج، وتدريب المعلمين على استخدام تقنيات التحليل والتصميم الذكي، بهدف تهيئة بيئات تعلم محفزة ومبتكرة. أما دراسة Microsoft Research & Carnegie Mellon University (2025) فقد ركزت على العاملين في مجالات المعرفة، وأوضحت أن الاعتماد المفرط على أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي قد يقلل الجهد المبذول في التفكير النقدي، موضحة الحاجة لتصميم أدوات تقنية تعزز القدرة على التحليل وحل المشكلات بدل تقديم حلول جاهزة. وعلى الرغم من إسهامات هذه الدراسات في توضيح أثر الذكاء الاصطناعي في التفكير النقدي، فإن الدراسة الحالية تتميز بتركيزها على تأصيل العلاقة بين التربية النقدية والذكاء الاصطناعي في بيئة رقمية شاملة، مع اعتماد إطار تحليلي نقدي يوازن بين إمكانات التقنية ومتطلبات القيم الإنسانية، مع إبراز دور المعلم والمتعلم كفاعلين نشطين في إنتاج المعرفة، وليس مجرد متلقين لتوصيات خوارزمية.

ثالثًا: الإطار النظري والمفاهيمي

أ - مفاهيم في التفكير النقدي

يُعدّ التفكير النقدي أحد أبرز الأهداف التربوية التي تؤكد عليها النظم التعليمية الحديثة، نظرًا لدوره الحيوي في إعداد متعلمين قادرين على التمييز والتحليل واتخاذ

القرارات الواعية. وقد تنوّعت تعريفاته ومقارباته النظرية، إلا أن هناك عناصر مشتركة تُجمع عليها الأدبيات التربوية. وفي هذا الإطار يعرف فاكيني (Facione, 1990) التفكير النقدي بأنه عملية عقلية منضبطة ونشطة يتم من خلالها فهم المعلومات وتقييمها وتحليلها وتطبيقها، بهدف اتخاذ قرارات منطقية قائمة على الأدلة. وهو يتكوّن من مهارات أساسية تشمل: التحليل، التقييم، الاستنتاج، التفسير، التوضيح، والانفتاح الذهني. أما روبرت إنيس (Ennis, 1987)، فيقدّم له تعريفاً أكثر دقة على أنه تفكير عقلائي وتأملي يركز على اتخاذ القرار حول ما يجب تصديقه أو فعله، ويُميّز بين التفكير النقدي كمهارة معرفية وكتوجه عقلي وسلوكي. من جهته يرى ماثيو ليبمان (Lipman, 2003)، رائد الفلسفة للأطفال، أن التفكير النقدي لا يمكن فصله عن السياق الأخلاقي والاجتماعي، مؤكداً أهمية الحوار التفاعلي داخل المجتمع التعليمي بوصفه فضاءً لبناء المعنى الجماعي، وليس فقط مهارة تحليلية.

ب - التربية النقدية بين الإرث الفلسفي والامتداد التربوي

تُعدّ التربية النقدية (Critical Pedagogy) امتداداً فكرياً لنقد الأنظمة المعرفية المهيمنة، وانبثاقاً من المدرسة النقدية في فلسفة التعليم والاجتماع، وتحديدًا من أفكار المفكر البرازيلي باولو فرييري (Freire, 1970) الذي دعا إلى تربية تحررية تُخاطب الإنسان كفعل اجتماعي وقادر على وعي ذاته وعالمه. تتأسس التربية النقدية على مفاهيم الوعي النقدي (Critical Consciousness)، والتحرر من التعليم التلقيني (Banking Education)، والسعي نحو عدالة اجتماعية من خلال التعليم (Giroux, 2011). وقد شدّد فرييري على ضرورة انتقال المتعلّم من موقع «الوعاء السلبي» إلى موقع «الفاعل النقدي»، من خلال حوار توافقي يُعيد تشكيل العلاقات السلطوية داخل الفضاء التعليمي، ويعزز من إدراك المتعلّم لذاته كصانع للمعنى لا كمستقبل له فقط. ويوازي ذلك، في الفلسفة المعاصرة، مفهوم «العقل التوافقي» عند هابرماس (Habermas, 1984) الذي يعارض «العقل الأداتي» ويؤسّس لفضاء نقاشي ديمقراطي قائم على التفاهم والتفاعل اللغوي المتكافئ. لذلك فإن دمج أفكار فرييري وهابرماس يتيح بناء نموذج تربوي رقمي يقوم على التربية الحوارية التي تُواجه منطق الخوارزميات المغلقة، وتعيد الاعتبار إلى المتعلّم كذات تفكر وتنتقد وتساهم في إنتاج

المعنى والمعرفة. وفي هذا السياق، يُستخلص من تكامل رؤى فرييري وهابرماس معالم «المتعلّم الناقد» كنتاج مركزي للتربية الحوارية، أي المتعلّم القادر على التفكير والتساؤل والمشاركة الجدلية الواعية في تشكيل المعرفة.

ت - الذكاء الاصطناعي في السياق التربوي المعاصر

يُعدّ الذكاء الاصطناعي (AI) أحد الفروع الأساسية في علوم الحاسوب، ويشير إلى قدرة الأنظمة والبرمجيات على أداء مهام معرفيّة عادةً ما تتطلب تدخلاً بشرياً، مثل الفهم، الاستدلال، التعلّم، التكيف، واتخاذ القرار (Russell & Norvig, 2021). ومع التسارع الكبير في تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي منذ مطلع العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، أصبح من الضروري إعادة النظر في تعريفه ضمن الحقل التربويّ، لا بوصفه مجرد أداة تقنية، بل كعامل فاعل في تشكيل التصورات والبنى التعليميّة. لكن وعلى الرغم من التوقعات المتعلّقة بإسهام الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة التعلّم وتسريع التعلّم، فقد حذرت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD, 2023) من آثار غير مقصودة قد تتجم عن استخدامه، مثل الإخلال بمبادئ العدالة التربويّة، وانتهاك الخصوصية، وتقليص قدرة المتعلّمين والمعلمين على توجيه مسارات التعلّم بفعالية. وفي امتداد للرؤية ذاتها، يشير تقرير اليونسكو إلى أنّ الذكاء الاصطناعي بات يمثل أداة استراتيجية قادرة على إحداث تحولات نوعيّة في النظم التعليميّة، من خلال دمج تقنيات مثل التعلّم الآلي (Machine Learning) ومعالجة اللّغة الطّبيعيّة (Natural Language Processing) في العمليات التربويّة. ورغم ما يحمله هذا الدمج من إمكانيات لتخصيص تجارب التعلّم وتحسين الكفاءة الإدارية وتعزيز القرارات المبنية على البيانات، فإن التقرير يلفت في الوقت ذاته إلى جملة من المخاطر، أهمها إعادة إنتاج أوجه عدم المساواة، وتكريس الفجوات الرّقميّة، إضافةً إلى ما قد يترتب عليه من تهديدات لخصوصية المتعلّمين، وتقليص دور المعلمين في توجيه العملية التعليميّة (UNESCO, 2024, p. 3). وتلتقي هذه التحذيرات مع ما ذهبت إليه منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية وهو ما يبرز الحاجة الملحة إلى تبني مقاربات نقدية وحذرة عند توظيف هذه التقنيات في السياق التعليمي.

ث - الفروق المفاهيمية بين التربية النقدية والذكاء الاصطناعي

يكشف التفاعل بين التربية النقدية والذكاء الاصطناعي عن تباينات بنيوية عميقة في الفلسفة التربوية والمنطلقات المعرفية التي يقوم عليها كل منهما. فبينما تنطلق التربية النقدية من رؤية تعتبر المتعلم فاعلاً تاريخياً واجتماعياً، قادراً على مساءلة البنى المهيمنة وإعادة تشكيل الواقع من خلال الحوار والوعي واللغة (Freire, 1970; Mc-Laren, 2023)، يُعاد تقديم المتعلم في بيئات الذكاء الاصطناعي ككائن معرفي قابل لإعادة التشكيل والتوجيه، وفق خوارزميات معيارية تهدف إلى تحقيق الكفاءة أكثر من تعزيز التحرر (Williamson & Piattoeva, 2023). ولفهم هذه المفارقة العميقة بين المقاربتين، يمكن استعراض أبرز نقاط التباين بينهما في الجدول المفاهيمي التالي:

جدول رقم (1): مقارنة مفاهيمية بين الذكاء الاصطناعي في التعليم ومبادئ التربية النقدية

وجه المقارنة	الذكاء الاصطناعي في التعليم	التربية النقدية
المنطلق الفلسفي	عقلانية أدائية (Instrumental Rationality)	عقلانية نقدية تواصلية (Critical-Communicative Rationality)
هدف التعليم	تحسين الكفاءة، تخصيص المحتوى، تحقيق أهداف معيارية قابلة للقياس	تحقيق الوعي النقدي، تحرير الذات، وتعزيز العدالة الاجتماعية
دور المتعلم	مستقبل سلبي للمعرفة، متلق لتوصيات النظام	فاعل نقدي ومشارك في إنتاج المعرفة
دور المعلم	ميسر أو مراقب للأنظمة الذكية، يقدم تغذية راجعة استناداً إلى بيانات	شريك حوارِي وموجه نحو بناء الوعي النقدي والتحرر
مصدر المعرفة	البيانات الضخمة، الخوارزميات، الأنماط السابقة	التجربة الحياتية، الحوار، التأمل الجماعي، والسياق الاجتماعي
آلية اتخاذ القرار	قرارات خوارزمية تعتمد على التحليل الكمي والتنبؤ الاحتمالي	قرارات تشاركية تُبنى على النقد والتفاهم والحوار
المنهجية التربوية	التعليم التكيفي المؤتمت (Adaptive Learning)، يعتمد على تحليل البيانات الفردية	التعليم الحوارِي (Dialogic Pedagogy)، يعتمد على الوعي والسياق والتفكير الجماعي
مخاطر كامنة	تهميش التفكير النقدي، إعادة إنتاج التحيزات، المس بالخصوصية، تغييب الوعي الذاتي	إمكانية الانزلاق نحو المثالية، ضعف الأدوات التقنية، تحديات التطبيق في النظم التعليمية المركزية

لا يُقصد من هذا العرض تقديم الذكاء الاصطناعي كضد مباشر للتربية النقدية، بل التأكيد على ضرورة مسالة استخداماته التربوية من داخل منظور فلسفي نقدي يُعيد الاعتبار للمتعلم بوصفه ذاتاً حرة تملك القدرة على إنتاج المعنى، لا كمجرد وحدة تحليل في نظام رقمي مغلق (Selwyn, 2022). وفي ضوء هذا الثّباين المفاهيمي، تظهر الحاجة إلى بلورة مقارنة تربوية رقمية بديلة، تتجاوز الحتميات التقنية، وتسعى إلى تكامل نقدي بين الإمكانيات التكنولوجية وقيم التحرر التربوي.

ج - التفكير النقدي في سياقات الذكاء الاصطناعي من منظورات تربوية مكّمة

لفهم ديناميكيات التفكير النقدي في بيئة رقمية مدعومة بالذكاء الاصطناعي، لا بد من التوسّع في تأطيره ضمن نظريات تعليمية كبرى:

1 - المنطقة القريبة للنمو

يُقدّم (Vygotsky, 1978/2007) مفهوماً محورياً في علم النفس التربوي، يتمثّل في «المنطقة القريبة للنمو» (ZPD)، وهي المساحة بين ما يستطيع المتعلّم إنجازه بمفرده، وما يستطيع تحقيقه بمساعدة الآخرين. في السياق الرقمي، يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي أداة دعم مساعدة داخل هذه المنطقة، لكن تفعيل التفكير النقدي يتطلب أن يبقى المتعلّم في موقع التفاعل النشط لا الاتكال السلبي. من هنا، إذا تم استخدام الذكاء الاصطناعي كونه وسيلة لتوسيع ZPD من خلال تسهيل الحوار النقدي وتحفيز الأسئلة، فقد يخدم أهداف التربية النقدية، أمّا إذا اختزل التفاعل في أجوبة جاهزة فإنه يُضيّق من المجال الممكن للتفكير النقدي.

2 - التعلّم التحوّلي

وفقاً لنظرية التعلّم التحوّلي (Transformative Learning) عند Mezirow (1997)، فإن التفكير النقدي هو آلية مركزية يُعيد من خلالها الأفراد تأطير افتراضاتهم وتصوراتهم. وتحدث التحوّلات المعرفية نتيجة مواجهة الأفراد لمواقف حياتية غير متوقعة تُحفّزهم على إعادة التفكير في بُناهم المعرفية الراسخة. في ظل هيمنة الذكاء الاصطناعي، فإن غياب هذه الصدمة المعرفية بسبب الإشباع المعلوماتي السريع قد يُعيق عمليات التحوّل النقدي، ويُفضي إلى نوع من الراحة الإدراكية التي تتناقض مع

جوهر التعلّم التحوّلي القائم على الإزعاج الإيجابي والتساؤل البناء.

3 - نظرية التعلّم التعاوني والاجتماعي:

تشير نظرية التعلّم الاجتماعي عند (Bandura 1986) إلى أن التعلّم يحدث في سياقات اجتماعية من خلال الملاحظة، النمذجة، والتفاعل مع الآخرين. وفي البيئات الرقمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي، يمكن تفعيل هذا التعلّم عبر أدوات الذكاء الجماعي (Collective Intelligence)، التي تمكّن المتعلّمين من المشاركة في بناء المعرفة بصورة تعاونية، مما يعزز من قدراتهم النقديّة من خلال الحوار والتفاعل الاجتماعيّ البناء (Brown & Duguid, 1991; Stahl, 2006). غير أن الذكاء الاصطناعيّ قد يؤثّر في طبيعة هذا التفاعل، حيث قد يحلّل البيانات ويقترح مخرجات، مما يستدعي مراقبة دقيقة لضمان عدم هيمنة الآلة على الحوار أو إفقاد المتعلّم دور الفاعل في العملية التعليمية.

وبناءً عليه، يمكن ملاحظة أنّ تفعيل التفكير النقديّ في البيئة الرقمية لا يتم بشكل تلقائيّ، بل يتوقّف على كيفية توظيف الذكاء الاصطناعيّ ضمن مقاربات تربويّة واعية. ففي حين تُبرز نظريّة المنطقة القريبة للنمو إمكانية الاستفادة من الذكاء الاصطناعيّ بصفته وسيطاً تعليمياً داعماً للنقد المعرفيّ المشترك، تشدّد نظرية التعلّم التحويليّ على ضرورة وجود صدمة معرفيّة تُحفّز المتعلّم على مساءلة افتراضاته، وهو ما قد يتراجع أمام سهولة الوصول إلى أجوبة جاهزة تُقدّمها الأنظمة الذكية. أما نظرية التعلّم الاجتماعيّ، فتفتح المجال لتوظيف أدوات الذكاء الجماعيّ بشكل يُثري التفاعل ويعزز التعددية، شرط تجنّب الانغلاق المعلوماتيّ الناتج عن خوارزميات التخصيص. وعليه، فإن هذه النظريات مجتمعة تُظهر أن فعالية الذكاء الاصطناعيّ في دعم التفكير النقديّ تظل رهناً بالتصميم التربويّ الذي يُحدّد نجاحه أو فشله هو مدى قدرة التصميم التربويّ على تشجيع التفكير النقديّ بدلاً من الاعتماد السلبيّ.

رابعاً: مناقشة الإشكالية

أ - البُعد الفلسفي للتربية التّقدّية في البيئة الرّقمية:

في البداية، يُظهر التّحوّل الرّقمي أنّ التّربيّة التّقدّية لم تعد مجرد خيار تربويّ، بل أضحت حاجة معرفيّة ملحة لفهم موقع الإنسان في عالم تتسارع فيه التّقنية. فالطالب اليوم لا يتعامل مع نصوص ومعارف تقليديّة فحسب، بل يواجه منظومات رقمية ذات منطق خوارزمي يعيد تشكيل طرائق التّفكير. ومن هنا، تتأكد أهمية البُعد الفلسفي في غرس مهارات التّساؤل والتّفكير وإعادة بناء العلاقة بين الإنسان والمعرفة، بما يحول دون اختزال العملية التّعليميّة إلى مجرد استهلاك سلبي لمحتوى يولّده الذّكاء الاصطناعيّ.

ب - نحو نموذج تربويّ رقمي قائم على النّقد والتّحوّل

انطلاقاً من هذه الرؤية المعرفيّة، يبرز سؤال جوهري حول شكل النموذج التّربويّ المطلوب في البيئة الرّقمية. فالنموذج التقليدي القائم على التلقين لم يعد قادراً على مواكبة طبيعة التّعلّم الجديدة، حيث يقتضي الأمر صياغة نموذج تربويّ رقمي يقوم على النّقد والتّحوّل، وعلى استثمار أدوات الذّكاء الاصطناعيّ كونها وسائط محفّزة للتّفكير النّقدّي لا كبديل عنه، بحيث يُعاد هيكلة الممارسات التّعليميّة لتشجّع على المشاركة النشطة وإنتاج المعرفة. وبذلك يصبح التّعليم مشروعاً تحويليّاً يوازن بين الإمكانيات التّقنية والقيم الإنسانيّة، بدل أن يخضع لمنطق التّقنيّة وحده.

ت - البعد المعرفي للتّفكير النّقدّي في عصر الذّكاء الاصطناعيّ

بالانتقال إلى البُعد المعرفي، يتضح أنّ إدماج الذّكاء الاصطناعيّ في التّعليم يكشف عن مكاسب لا يمكن إنكارها، ولكنّه في المقابل يحمل تحدّيات حقيقية على صعيد تنمية التّفكير النّقدّي. فقد أظهرت دراسات حديثة أنّ الاستخدام المفرط لأدوات مثل ChatGPT يؤدّي إلى انخفاض النّشاط الدّماغي المرتبط بالوظائف التّنفيذيّة والإبداعيّة، وهو ما ينعكس سلبيّاً على القدرات التّحليليّة والاستقلاليّة الفكرية للمتعلمين (MIT Media Lab, 2025). كما بيّنت تجربة جامعة Duke أنّ دمج منصات مثل DukeGPT يسهم في تنظيم المعرفة وتيسير عملية التّعلّم، غير أنّه قد يرسّخ النّزعة نحو الاتكاليّة ما لم يُرافقه إطار تربويّ ناقد يوجّه الاستخدام (AP News, 2025). وعليه، فإنّ تعزيز التّفكير

النّقدِيّ في البيئة الرّقمية يتطلّب أن يُعامل المتعلّم بوصفه شريكاً في إنتاج المعرفة، لا مجرد متلقٍ لمخرجات خوارزمية.

ث - البعد الأخلاقي والفلسفي في توظيف الذكاء الاصطناعي تربوياً

وإذا انتقلنا إلى البُعد الأخلاقي والفلسفي، نجد أنّ النقاش يتجاوز حدود التقنية ليُطرح تساؤلات عميقة حول الشفافية والمساءلة وحرية التعلّم. فقد نبّهت (O'Neil, 2016) إلى خطورة عمل الخوارزميات بوصفها «صناديق سوداء» تتحكّم في توجيه المسارات التعليمية دون وضوح للمعايير أو الأسس. وإلى جانب ذلك، كشفت دراسات ميدانية أنّ ضعف الوعي بآليات عمل الذكاء الاصطناعي، أي ما يُعرف بالأمية الخوارزمية، يحدّ من قدرة المتعلّمين على المساءلة النقدية، ويزيد من تبعيتهم للتقنية (Smart Learning Environments, 2025). ومن ثمّ، يصبح من الضروريّ اعتماد مقاربة معرفيّة تُعيد للإنسان موقعه المركزي في العملية التعليمية، وتؤكد أنّ التقنية يجب أن تبقى أداة في خدمة القيم الإنسانية لا وسيلة للهيمنة أو اختزال الفكر.

ج - نحو إطار تربويّ نقديّ رقميّ

وبناءً على ما سبق، تبرز الحاجة الملحة إلى صياغة إطار تربويّ نقديّ رقمي يوازن بين توظيف الإمكانيات التقنية وصون القيم الإنسانية. وقد دعمت المبادرات الدولية هذا التوجه، إذ أوصت منظمة اليونسكو في (Masterclass UNESCO, 2025) بتمكين المعلمين والطلّبة من أدوات التفكير النقديّ ومهارات محو الأمية الإعلامية في مواجهة المحتوى الرّقميّ المولّد بالذكاء الاصطناعي. كما أكّدت دراسات حديثة في (Frontiers in Education, 2025) أنّ الاختصار على تدريب تقني سطحيّ لم يعد كافياً، بل ينبغي تطوير كفايات نقدية تتيح للمتعلّمين مساءلة المخرجات الرّقمية بوعي ومسؤولية. وبهذا المعنى، يتحدد الإطار النقديّ الرّقميّ باعتباره مقاربة شمولية ترسّخ قيم الحرية والعدالة والمساءلة، وتؤهل المتعلّم ليكون فاعلاً نقدياً قادراً على إنتاج المعرفة وتوجيه التقنية بدل الارتهاق لها.

خامسًا: الاستنتاجات والمقترحات

أ - الاستنتاجات

في ضوء ما تم عرضه وتحليله، يتضح أنّ مستقبل التفكير النقديّ في البيئة التربويّة الرقميّة لا يتوقف على حجم التّقدم التقنيّ، بقدر ما يتحدّد بقدرة التّربيّة على إخضاع هذا التّقدم لإطار فلسفيّ وأخلاقيّ يحفظ للإنسان مركزيّة دوره. فالذكاء الاصطناعيّ، رغم إمكانيّاته الكبيرة في تخصيص التّعلّم وتسريع الوصول إلى المعرفة، يبقى سلاحًا ذا حدين؛ قد يهدد استقلالية الفكر إذا استُخدم كبديل للعقل الإنسانيّ، لكنّه في المقابل قد يتحول إلى فرصة استراتيجية إذا أُدرج ضمن مقارنة تربويّة نقدية شموليّة. ومن هنا، يستنتج البحث أنّ التّحدّي الجوهريّ يكمن في الحفاظ على التفكير النقديّ كشرط للتحرّر الإنسانيّ، عبر إعادة تعريف علاقة المتعلّم بالتّقنيّة والمعرفة والمعلّم.

ب - المقترحات

انطلاقًا من تلك الاستنتاجات، وانسجامًا مع الأبعاد النظريّة التي أبرزها البحث، يمكن اقتراح مجموعة من التّطبيقات التربويّة العملية التي تُسهم في تحويل المبادئ النقديّة إلى ممارسات تعليميّة ملموسة:

1 - دمج المنصات الذكية في الحوارات الصفّيّة، من خلال توجيه المتعلّمين إلى تحليل المخرجات الخوارزمية، مقارنة بمصادر متعددة، ثم مناقشتها في إطار نقديّ جماعيّ.

2 - تصميم أنشطة لتفكيك الخوارزميات، بما يسمح للطلاب بالكشف عن المعايير التي تستند إليها أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ في تقديم التوصيات، وتعزيز وعيهم بالتحيزات الكامنة.

3 - اعتماد مشاريع قائمة على إنتاج المعرفة، بحيث يُوظّف الذّكاء الاصطناعيّ لإنتاج محتوى أولي يُعاد صياغته ونقده وتوسيعه، مما يجعله محفّزًا للتّفكير بدل أن يكون بديلاً عنه.

4 - تدريب المعلمين على الوساطة النقديّة، عبر برامج متخصصة تساعد على توجيه الطلاب لاستخدام الذّكاء الاصطناعيّ كأداة للتعلّم التحويليّ، لا كمصدر وحيد

للمعرفة.

5 - بناء مجتمعات تعلم رقمية نقدية، حيث يشارك المتعلمون في إنتاج محتوى جماعي ضمن بيئة رقمية، مع الالتزام بالحوار، التعددية، وتفكيك التحيزات.

من هنا فإن تلك المقترحات من شأنها التأكيد على أن الدمج الواعي للذكاء الاصطناعي في الممارسات التربوية لا يعني إقصاء التقنية أو استبدال التفكير النقدي، بل إعادة توظيفها كوسيط يُنمي التساؤل، يعزز الوعي، ويفتح المجال أمام التحرر المعرفي.

ت - الخاتمة

خلصت الدراسة أن مستقبل التفكير النقدي في البيئة التربوية الرقمية يتوقف على مدى قدرة الأنظمة التعليمية على توظيف الذكاء الاصطناعي توظيفاً نقدياً وواعياً، يتجاوز الاستخدام الآتاني إلى بناء وعي فلسفي تربوي جديد يرسخ القيم الإنسانية في قلب العملية التعليمية. فالذكاء الاصطناعي لا ينبغي أن يُنظر إليه كبديل عن العقل الإنساني، بل كفرصة لإعادة تعريف التعلم بوصفه ممارسة فكرية حرة تقوم على الحوار، والتحليل، والمسؤولية الأخلاقية. لذلك فإن الزهان الحقيقي يكمن في تطوير تربية رقمية نقدية تجعل من التقنية وسيلة لتعميق التفكير لا لتقويضه، وهذا ما يفتح آفاقاً لدراسات مستقبلية تركز على ابتكار استراتيجيات ونماذج تربوية قادرة على دمج الذكاء الاصطناعي مع التربية النقدية بما يخدم التفكير المستقل والإبداع لدى المتعلم.

المراجع

أ - المراجع العربية

1. الزفيتي، محمد، يوسف، محمد، وحسين، محمد. (2025). دور الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداع لتعزيز ريادة الأعمال لدى الطلاب من وجهة نظر معلمهم في سلطنة عمان. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، 5(7)، 233-269.

<https://www.benkjournal.com/article/view/1512>


2. العبسي، طه، والأربط، نايف. (2025). الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالتفكير الناقد من وجهة نظر طلاب الماجستير بكلية التربية والعلوم برداع - جامعة البيضاء. مجلة جامعة البيضاء، اليمن. 7(1)، 290-299.

3. <https://baydaauniv.net/buj/index.php/buj/article/view/709/616>
4. فريري، باولو. (1980). *تربية المقهورين* (ترجمة: كمال خليلي). بيروت: دار ابن خلدون. (العمل الأصلي نُشر عام 1970).
5. فيغوتسكي، ليف. (2007). *تطور العمليات العقلية العليا* (ترجمة: عبد الله عبد السلام). القاهرة: دار الفكر العربي. (العمل الأصلي نُشر عام 1978).
6. هابرماس، يورغن. (2003). *نظرية الفعل التواصلي* (ترجمة: فالح عبد الجبار). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نُشر عام 1984).

ب - المراجع الأجنبية

1. AP News. (2025). Duke University launches "DukeGPT" to support learning. Retrieved from <https://apnews.com>
2. Bandura, A. (1986). *Social foundations of thought and action: A social cognitive theory*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
3. Brown, J. S., & Duguid, P. (1991). *Organizational learning and communities-of-practice: Toward a unified view of working, learning, and innovation*. *Organization Science*, 2(1), 40–57. Retrieved from <https://pubsonline.informs.org/doi/epdf/10.1287/orsc.2.1.40>
4. Ennis, R. H. (1987). *A taxonomy of critical thinking dispositions and abilities*. In J. B. Baron & R. J. Sternberg (Eds.), *Teaching thinking skills: Theory and practice* (pp. 9–26). New York: Freeman.
5. Facione, P. A. (1990). *Critical thinking: A statement of expert consensus for purposes of educational assessment and instruction*. Millbrae, CA: The California Academic Press.
6. Freire, P. (1970). *Pedagogy of the oppressed*. New York: Continuum.
7. *Frontiers in Education*. (2025). *Critical literacy in the age of AI*. *Frontiers in Education*, 10, 155–169.
8. Giroux, H. A. (2011). *On critical pedagogy*. New York: Bloomsbury.

9. Habermas, J. (1984). The theory of communicative action (Vol. 1). Boston: Beacon Press.
10. Lipman, M. (2003). Thinking in education. Cambridge: Cambridge University Press.
11. Masterclass UNESCO. (2025). AI literacy for teachers and students. Paris: UNESCO.
12. McLaren, P. (2023). Critical pedagogy: A look at the major concepts. London: Routledge.
13. Mezirow, J. (1997). Transformative learning: Theory to practice. *New Directions for Adult and Continuing Education*, 74, 5–12.
14. Microsoft Research & Carnegie Mellon University. (2025). AI demands critical thinking: A double-edged sword. Retrieved from <https://www.microsoft.com/research>
15. MIT Media Lab. (2025). AI and the decline of executive brain functions in learning. Cambridge, MA: MIT Press.
16. OECD. (2023). AI in education: Promise and pitfalls. Paris: OECD Publishing.
17. O’Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown. Retrieved from <https://dl.acm.org/doi/book/10.5555/3175762>
18. Russell, S., & Norvig, P. (2021). Artificial intelligence: A modern approach (4th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson.
19. Selwyn, N. (2022). Education and technology: Key issues and debates (3rd ed.). London: Bloomsbury.
20. Smart Learning Environments. (2025). Algorithmic illiteracy and its impact on critical thinking in digital education. *Smart Learning Environments*, 12(2), 55–70.

- 
21. Stahl, G. (2006). Group cognition: Computer support for building collaborative knowledge. Cambridge, MA: MIT Press.
 22. UNESCO. (2024). AI and education: Guidance for policy makers. Paris: UNESCO Publishing.
 23. Vygotsky, L. S. (1978). **Mind in society: The development of higher psychological processes** (M. Cole, V. John–Steiner, S. Scribner, & E. Souberman, Eds. & Trans.). Cambridge, MA: Harvard University Press.
 24. Williamson, B., & Piattoeva, N. (2023). Education governance and datafication: Critical insights. *British Journal of Sociology of Education*, 44(1), 1–17.

منابر الشارع الغائب: في جدوى المظاهرات ومآلاتها في نصرّة غزّة

The Absent Platforms of the Street: On the Efficacy and Trajectories of Demonstrations in Support of Gaza

د. رائفه محمّد الرّزوق

د. محمود أحمد سمهون

Dr. Raifa Mohammad al Razzouk & Dr. Mahmoud Ahmad Samhoun

تاريخ القبول 2025/10/2

تاريخ الاستلام 2025 / 8 / 31

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مسألة دور المظاهرات في نصرّة غزّة من منظور ديني واجتماعي، مبيّنًا كيف شكّلت هذه المظاهرات عبر العقود وسيلة تعبيرية تعبّر عن التزام الشعوب العربيّة والإسلاميّة بقضيّة فلسطين، كونها قضية دينيّة قبل أن تكون سياسيّة.

ويستعرض البحث تحليل أسباب تراجع هذا الحراك الجماهيريّ في السّنوات الأخيرة، مركزًا على مجموعة من العوامل المتشابكة، أبرزها: تدهور الأوضاع المعيشيّة، وتضاؤل القبضة الأمنيّة، وغياب القيادة الشّعبيّة الجامعة، والانقسام في الخطاب الإعلامي العربيّ، والإحباط المتراكم من جدوى التّظاهر في ظلّ غياب الاستجابة الرّسميّة.

ويخلص البحث إلى أنّ هذا التّراجع لا يعني انطفاء الوعي الشّعبيّ، بل يدعو إلى إعادة تفعيل أدوات التّعبير الجماعيّ بروح جديدة، تستلهم الدّين والواجب الأخلاقيّ، وتعتمد وسائل أكثر فاعليّة وتأثيرًا في ظلّ الطّروف الرّاهنة.

الكلمات المفتاحيّة: التّظاهرات - غزّة - النّصرّة - القضية الفلسطينيّة - الإعلام.

Abstract

This study examines the role of demonstrations in supporting Gaza from both religious and social perspectives, highlighting how, over the decades, such demonstrations have served as an expressive vehicle that reflects the commitment of Arab and Islamic societies to the Palestinian cause—

conceived primarily as a religious cause before a political one.

The research analyzes the reasons behind the decline of this popular movement in recent years, focusing on a set of interrelated factors, most notably: deteriorating living conditions, the intensification of security restrictions, the absence of unifying grassroots leadership, the fragmentation of Arab media discourse, and the accumulated frustration regarding the effectiveness of demonstrations in light of the lack of official responsiveness.

The study concludes that this decline does not signify the extinction of popular consciousness; rather, it underscores the need to reactivate collective modes of expression in a renewed spirit—one that draws upon religion and moral responsibility while adopting more effective and impactful means under current circumstances.

Keywords: Demonstrations – Gaza – Support – Palestinian Cause – Media

المقدمة

تُعدّ المظاهرات واحدةً من أبرز أشكال التعبير الجماهيري في العصر الحديث، وقد اقترنت في وجدان الشعوب العربية والإسلامية، بقضايا الأمة الكبرى، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. ولم تكن هذه المظاهرات مجرد حشود غاضبة في الشوارع، بل كانت تحمل في طياتها بُعداً دينياً متجذراً، يستمد مشروعيتها من قيم النّصرة، والتّضامن، ورفض الظّلم، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. وقد شكّلت غزّة، بما تمثّله من رمز للمقاومة والصّمود، محوراً مركزياً لهذا الحضور الجماهيري، فكانت المظاهرات في نصرتها أشبه بشعائر احتجاجيّة تُستحضر فيها روح الأمة، وضميرها الحيّ.

غير أنّ المتأمل في المشهد العربيّ الرّاهن يلحظ فتوراً ملحوظاً في هذا الشّكل من أشكال الدّعم، حيث تراجعَت وتيرة المظاهرات في العديد من العواصم العربيّة، على الرّغم من تصاعد العدوان على قطاع غزّة. ويطرح هذا التّراجع أسئلة حقيقيّة حول التّحوّلات العميقة التي طرأت على الوعي الجمعيّ، والدّوافع التي أضعفت هذا الرّخم، على الرّغم من استمراريّة المأساة، وربّما تصاعدها.

يهدف هذا البحث إلى تناول الدور الديني للمظاهرات في نصرة غزة، بوصفها فعلاً تعبدياً وسياسياً في آن، كما يسعى إلى تفكيك العوامل التي أسهمت في انحسار هذا الدور في الواقع العربي المعاصر، من خلال مقارنة تحليلية تجمع بين البعد القيمي والمجتمعي، وبين المعطيات السياسية والاقتصادية والأمنية التي تلقى بظلالها على الفعل الاحتجاجي في الفضاء العربي.

أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول قضية محورية تتصل بجوانب دينية، وإنسانية، وسياسية في آن واحد، إذ يستقصي دور المظاهرات في التعبير عن واجب النصرة لغزة، ويحلّلها بوصفها فعلاً جماهيرياً له جذور في الوجدان الديني والتكليف الأخلاقي، لا مجرد حراك سياسي ظرفي.

كما تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على التحوّلات العميقة التي طرأت على المجتمعات العربية التي أضعفت قدرتها على التعبير الجماعي، على الرغم من اشتداد العدوان واتساع المظلومية. ويكمن البعد الحيوي لهذا الموضوع في استنهاض أدوات الفعل المدني السلمي، وفي إعادة مساءلة الضمير الجمعي العربي حول دوره ومسؤوليته، خصوصاً في ظلّ صمتٍ يتناقض مع عدالة القضية وبشاعة المأساة.

إشكالية البحث

على الرغم من مركزية قضية فلسطين في الوعي العربي والإسلامي، وخصوصاً ما تمثّله غزة من رمز حيٍّ للمقاومة، فإنّ التراجع الملحوظ في وتيرة المظاهرات المؤيدة لها في العالم العربي يثير تساؤلات جوهرية حول التحوّلات الطارئة على الفعل الاحتجاجي الشعبي؛ فكيف نفسّر هذا التراجع، على الرغم من استمرار العدوان واشتداد صور القتل والحصار؟ وما الأسباب الكامنة خلف فتور الحشود وتراجع الحماسة الجماهيرية؟ ثمّ إلى أيّ مدى يمكن عدّ المظاهرات فعلاً دينياً تعبدياً يندرج ضمن واجب النصرة، لا مجرد تعبير سياسي عابر؟ وهل غيابها يُعدّ مؤشراً على تغيير في الأولويات، أم على تآكل أدوات التعبير الشعبي بفعل القمع، أو الانقسام، أو الإحباط؟

منهج البحث

ولمعالجة إشكالية البحث اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في تناول موضوعه، إذ وصفنا ظاهرة المظاهرات الداعمة لغزة بوصفها مظهرًا من مظاهر النصرة الدينية والسياسية، ثم حللنا العوامل التي أسهمت في تراجع هذا الشكل من الحراك الشعبي في العالم العربي، مستندين إلى رصد الوقائع الميدانية والسياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أحاطت بها. وقد سعينا في هذا البحث إلى الجمع بين العرض الموضوعي للأحداث وتحليل دلالاتها ومآلاتها، استنادًا إلى النصوص الدينية والمواقف التاريخية التي تبرز أهمية نصرة المظلوم وأثر الكلمة والموقف الجماعي في دعم القضايا العادلة، فيتعزز فهم الظاهرة ويتعمق الوعي بالتحديات التي تواجهها وسبل التعامل معها.

أولاً: تعريف التظاهرات

المظاهرة لغة: المظاهرة تُقيد معنى المعاونة والمشاركة في الفعل، فمنه قول تظاهر القوم، أي تعاونوا وتعاقدوا، وظهرت الثوب إذا جعلت له ظهارة وبطنته إذا جعلت له بطانة، وجمع البطانة بطائن والظهارة، بالكسر: نقيض البطانة. وظهرت البيت: علوته. وأظهرت بفلان: أعليت به. وتظاهر القوم: تدابروا كأنه ولى كل واحد منهم ظهره إلى صاحبه¹، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ (التحریم: 4) ففوله تظاهرا، أي تتعاوننا على النبي ﷺ، وقوله «ظهير» أي نصير ومعين².

واللفظ مشتق من «الظاهر» في مقابل «الباطن»، ومنه ظاهر الثوب، أي جهته الخارجية³؛ كما يُطلق التظاهر على السير الجماعي للناس في العلن، تعبيرًا عن موقف موحد من الرضا أو السخط تجاه أمر من الأمور، ويُقال: تظاهر الناس، أي خرجوا مجتمعين لإبداء رأيهم جهارًا⁴.

أما اصطلاحًا فتعرّف المظاهرات بأنها تجمعات بشرية، تُقام في ظروف مخصوصة، يُعبر من خلالها عن إرادة جماعية أو مشاعر مشتركة، بدوافع متعددة كإظهار الولاء، أو إعلان الرأي، أو الاحتجاج على أمر معين؛ ويختلف أسلوب التعبير فيها باختلاف

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظ ه ر)

2- القرطبي، تفسير القرطبي، 18 / 174.

3- محمد أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 171 و 407.

4- علي بن الحسين الهنائي، المنجد في اللغة والإعلام، ص 482.

السيّاقات، فقد يُعتمد فيها على الهتاف والصّياح، أو ترديد الشّعارات، أو رفع اللاّفتات والصّور، أو غير ذلك من الوسائل التّعبيريّة.¹

كما تُطلق المظاهرة على اجتماع عددٍ من الأفراد في طريقٍ عامٍّ أو في موضعٍ محدّد، بقصد التّعبير عن إرادة جماعيّة ومشاعر مشتركة، سواء أكانت دوافعها سياسيّة أم اجتماعيّة أم اقتصاديّة. ويتّخذ هذا التّعبير صوراً متعدّدة، كالهتاف، والصّراخ، أو استخدام الإشارات واللاّفتات، وغيرها من الوسائل التّعبيريّة.²

وقد حفظت القوانين حقّ الإنسان في التّظاهر، إذ أكّد الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان على حقوق الإنسان، حيث نصّت المادة الأولى منه: «أنّ جميع النّاس يولدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، حيث إنّهم وهبوا العقل والوجدان وعليهم معاملة بعضهم بعضاً بروح الإخاء».

وتأكيداً على ما سبق فقد نصّ الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان لعام 1948م، بشكل صريح على الحقّ في التّجمّع السّلمي وتأليف الجمعيات.

من خلال ما سبق، نرى أنّ المظاهرة هي تجمّع علنيّ منظم لمجموعة من النّاس في مكان عامٍّ، يعبرون فيه عن موقف جماعيّ تجاه قضية معيّنة، سواء كان ذلك تأييداً أم احتجاجاً، باستخدام وسائل تعبير سلميّة كالهتاف ورفع اللاّفتات. وهي شكل من أشكال التّعبير عن الرّأي، وقد كفلتها القوانين والمواثيق الدّوليّة كحقّ من حقوق الإنسان.

ثانياً: أهميّة التّظاهرات

إذا تأملنا مسار التّاريخ، نجد أنّ التّغيير الاجتماعيّ والسياسيّ لا يحدث بصورة خطيّة مستقيمة، بل يتّبع نمطاً تراكميّاً يتجلّى في ما يمكن تسميته بـ «خطوتين إلى الأمام وخطوة إلى الوراء». وفي هذا السّياق، تؤدّي التّظاهرات والحركات الاجتماعيّة أدواراً محوريّة، إذ تكتسب بمرور الزّمن شرعيّة تدريجيّة تؤهلّها لمراكمة القوّة والضّغط؛ وتكمن فاعليّتها في قدرتها على فضح الانتهاكات وكشف ممارسات الظّلم، فضلاً عن تبادل الخبرات فيما بينها، فتعزز من تطوّرها ونضجها التّنظيمي والفكريّ.

1- ليث نصرأوين، التّجمّع السّلمي في القانون الأردني والاتفاقيّات الدّوليّة، ص 238

2- رفعت عيد سيّد، التّظاهر وانعكاس طبيعتها على التّنظيم القانوني في جمهوريّة مصر العربيّة، ص 20.

وَتُسْتَمَدُّ قُوَّتُهَا كَذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهَا عَلَى تَسْلِيْطِ الضَّوِّءِ مِنَ الْقَاعَةِ الشَّعْبِيَّةِ بِاتِّجَاهِ قَمَّةِ السُّلْطَةِ، كَاشِفَةً عَنْ لَا شَرْعِيَّةِ الْأَنْظُمَةِ الْقَمْعِيَّةِ الَّتِي تَقْتَفِرُ إِلَى آلِيَّاتِ الْمَسَاوِلَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ؛ كَمَا تَسْهَمُ هَذِهِ الْحَرَكَاتُ فِي رَفْعِ مَنْسُوبِ الْوَعْيِ الْمَجْتَمَعِيِّ، وَتَحْوِيلِ مَسَارَاتِ النَّقَاشِ الْعَامِّ، وَإِعَادَةِ تَشْكِيلِ اللَّغَةِ وَالْخَطَابِ الْجَمْعِيِّ، بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَى الدَّهْنِيَّاتِ وَالسَّلُوكِيَّاتِ فِي الْمَجْتَمَعِ، حَتَّى تُحْدِثَ نَقْطَةَ التَّحَوُّلِ الْمَرْجُوءَةِ.

وَقَدْ أَدَّتْ هَذِهِ الدِّينَامِيكِيَّاتُ، عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ، إِلَى تَحْقِيقِ تَحَوُّلَاتٍ إِيْجَابِيَّةٍ مَلْمُوسَةٍ فِي مَجَالَاتٍ عَدَّةٍ، مِنْهَا: تَحْسِينُ مَنْظُومَاتِ الْحُوكْمَةِ، وَرَفْعُ مَسْتَوَى شُرُوطِ الْعَمَلِ وَتَوْسِيعِ نِطَاقِ الْحِمَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَعْزِيزُ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ، وَالْاعْتِرَافُ بِالْحَقُوقِ الْجَنْسِيَّةِ وَالْإِنْجَابِيَّةِ، فَضْلاً عَنِ السَّعْيِ لِتَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ لِمُضَايَا الْإِنتِهَاقَاتِ السَّابِقَةِ لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَالتَّصَدِّي لِقَضَايَا كِبَرَى مِثْلِ الْعَنْصَرِيَّةِ وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّذْهَبِ الْبَيْئِيِّ وَالتَّغْيِيرِ الْمُنَاحِيَّ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْإِشْكَالِيَّاتِ الْبَنِيَوِيَّةِ.¹

وَبُعْدَ التَّظَاهَرِ شَكْلاً سَلْمِيّاً مِنْ أَشْكَالِ التَّحَرُّكِ الْمُبَاشَرِ، يُتِيحُ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ التَّعْبِيرَ الْعَلْنِيَّ عَنْ مَظَالِمِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ، خُصُوصاً فِي السِّيَاقَاتِ الَّتِي تُقَيَّدُ فِيهَا الْأَنْظُمَةُ السِّيَاسِيَّةُ أَوْ الْاجْتِمَاعِيَّةُ أَوْ الْاِقْتِسَادِيَّةُ أَوْ الثَّقَافِيَّةُ سَبْلَ الْمَطَالِبَةِ بِالْحَقُوقِ، أَوْ تَتَجَاهَلُهَا بِصُورَةٍ مَنَهْجِيَّةٍ. وَيُصَنَّفُ التَّظَاهَرُ ضَمْنَ صُورِ الْمَشَارَكَةِ الْفَاعِلَةِ فِي الْحَيَازِ الْمَدْنِيِّ، إِذْ يُمَثِّلُ وَسِيلَةَ ضَغْطٍ شَعْبِيٍّ أَثْبَتَتْ فَاعِلِيَّتَهَا فِي إِحْقَاقِ عِدَدٍ مِنْ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ الْأَسَاسِيَّةِ عِبْرَ التَّارِيخِ.

وَتَتَنَوَّعُ أَشْكَالُ هَذَا التَّعْبِيرِ الْمَدْنِيِّ؛ لِتَشْمَلَ التَّحَرُّكَاتِ الْفَرْدِيَّةَ وَالْجَمَاعِيَّةَ، مِثْلَ الْإِضْرَابَاتِ، وَالْمَسِيرَاتِ، وَالْاِعْتَصَامَاتِ، وَالْوَقْفَاتِ الْاِحْتِجَاجِيَّةِ، وَالْمَوَاقِبِ، وَحَمَلَاتِ الْمَقَاطَعَةِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَاحْتِجَاجَاتِ «قَرَعِ الْأَوَانِي»، وَالْفَعَالِيَّاتِ الثَّقَافِيَّةِ أَوْ الدِّينِيَّةِ، فَضْلاً عَنْ أَنْمَاطٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَصِيَانِ الْمَدْنِيِّ. وَقَدْ اسْتُخْدِمَتْ هَذِهِ الْوَسَائِلُ فِي عِدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ الْحَرَكَاتِ التَّحَرُّرِيَّةِ وَالسَّاعِيَةِ إِلَى الْعَدَالَةِ خِلَالِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، حَيْثُ تَنَسَّمَ هَذِهِ الْأَسَالِيبُ بِمَرُونَةٍ كَبِيرَةٍ، وَتَتَطَوَّرُ بِاسْتِمْرَارٍ مِنْ حَيْثُ تَتَوَعَّاهَا وَابْدَاعُهَا وَقُوَّتُهَا التَّأْثِيرِيَّةُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّظَاهَرَ يُجَسِّدُ أَحَدَ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ وَرَفْضِ الْاِسْتِكْنَانَةِ، إِذْ يُعَبِّرُ عَنْ إِيْمَانِ الشَّعُوبِ بِقُدْرَتِهَا عَلَى التَّغْيِيرِ، وَبُعْدَ فِي جَوْهَرِهِ فِعْلاً حَضَارِيّاً يَعْكُسُ نَبْضَ

1- تَقْرِيرٌ مُوجَزٌ لِمَنْظُمَةِ الْعَفْوِ الدَّوْلِيَّةِ، لِنَحْمِ التَّظَاهَرِ! لِمَاذَا عَلَيْنَا حِمَايَةَ حَقِّقَنَا فِي التَّظَاهَرِ؟ ص 10.

المجتمع ويُترجم طموحه في بناء واقع أكثر عدلاً وحرية. ومن ثمّ، فإنّ الحفاظ على هذا الحقّ وتعزيزه يُعدّ من علامات نضج الدولة الحديثة ومؤشراً حاسماً على حيوية الحياة المدنية فيها.

ثالثاً: مشروعية النّظّاه في الإسلام

لقد رسّخ الخلفاء الراشدون في وجدان الأمة وواقعها العمليّ (فقه الاحتجاج)، مُقرّين بحقّ الأمة في التعبير عن رأيها والاعتراض على ما لا ترتضيه من سياسات الحكّام، وقد تجلّى هذا المعنى بصورة جليّة في نهجهم السّياسي، إذ كان كلّ خليفة يستهلّ عهده بخطبة جامعة يُعلن فيها خضوعه للمساءلة الشّعبية، وينفي عن نفسه العصمة أو التّعالي على النّقد والتّقويم. ولعلّ خطبة الخليفة الأوّل «أبو بكر الصّدّيق» ﷺ بعد تولّيه الخلافة، تُعدّ نموذجاً رفيعاً لهذا المنهج، حيث قال: «أيّها النّاس، فإنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت... فأعينوني، وإن أسأت... فقوموني»¹.

إنّ هذا الخطاب المبكّر يُظهر بوضوح أنّ ممارسة النّقد البناء، والاحتجاج على انحراف السّلطة، لم تكن طارئة على التجربة الإسلاميّة، بل كانت مكوّناً أصيلاً من مكوّنات نظامها السّياسيّ الرّاشد. وقد علّق الإمام مالك على مقولة الصّدّيق تلك بقوله: «لا يكون أحد إماماً أبداً إلّا على هذا الشّروط».

ونذكر أيضاً أنّه «أتى عمر بن الخطاب، مشربة بني حارثة، فوجد محمّد بن مسلمة، فقال عمر: كيف تراني يا محمّد؟ فقال: أراك والله كما أحبّ، وكما يحبّ من يحبّ لك الخير، أراك قوياً على جمع المال، عفيفاً عنه، عادلاً في قسمته، ولو ملت عدلناك كما يُعدّل السّهم في النّقّاف! فقال عمر: هاه، فقال: لو ملت عدلناك، كما يُعدّل السّهم في النّقّاف، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني»².

ثمّ برز أوّل اختبار حقيقيّ لحقّ الأمة في الاحتجاج السّلميّ خلال خلافة عثمان بن عفّان ﷺ، وذلك حين عبّرت جماعات من أقاليم متعدّدة عن رفضها لبعض سياسات الخليفة، وسياسات ولايته.

1- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 153.

2- عبد الله بن المبارك، الزّهد، 1/ 179.

وبغض النظر عن مدى دقة الدوافع التي ساقها المحتجون، فإن موقف الخليفة عثمان مثل مثلاً راقياً في احترام هذا الحق، إذ أقرّ مبدأ الاحتجاج، على الرغم من ما شابه من مظاهر التشدد، وامتنع عن استخدام القوة لردّه أو قمعه؛ بل إنّه، في موقف يعكس وعياً عميقاً بفقّه الاعتراض، رفض تدخّل الصحابة الكرام لفضّ الاحتجاج بالقوّة، مفضلاً التّضحية بنفسه على أن تُسفك دماء المسلمين دفاعاً عنه، وهو الخليفة الشرعيّ؛ ليخلّد بذلك موقفاً بالغ الدّلالة على إعلاء حقّ الأمّة في التّعبير والمساءلة.

وفي ذلك يقول الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية»: «قال عثمان للذين عنده في الدّار من أبناء المهاجرين والأنصار -وكانوا قريباً من سبعمئة-... ولو تركهم لمنعوه: أقسم على من لي عليه حقّ أن يكفّ يده، وأن ينطلق إلى منزله، وعنده من أعيان الصّحابة وأبنائهم جمّ غفير. وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حرٌّ»¹.

نرى في هذا الموقف عظمة الفقه السّياسي الإسلاميّ المبكر الذي لم ير في السّلطة وسيلة للبطش والاستئثار، بل أداة لحفظ الكرامة والعدل، ما دام الخليفة نفسه يُخضع أفعاله للمحاسبة، ويمنع استعمال القوّة دفاعاً عن ذاته، وهو في ذروة موقعه؛ فالخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وهو من المبشرين بالجنّة، واجه أزمة سياسيّة واجتماعيّة شديدة التّعقيد، لكنّه اختار أن يسمو على الانفعال والغلبة، وأقرّ فعلياً - لا قولاً فقط - بحقّ الأمّة في الاعتراض، حتّى وإن تجاوز بعضهم حدود الأدب والشرعيّة.

من خلال ما تقدّم، يتجلّى بوضوح أنّ الخلفاء الرّاشدين لم يكونوا مجرد ولاية أمرٍ وساسة، بل كانوا أنموذجاً سامقاً في ترسيخ دعائم الحكم الرّشيد، وبناء منظومة أخلاقيّة تُعلي من كرامة الإنسان، وتُنتزه السّلطة عن الاستبداد. لقد سَطّروا، بأفعالهم قبل أقوالهم، معالم تجربةٍ سياسيّة نادرة، قامت على مبدأ المساءلة، ومُنحت فيها الأمّة حقّ الاعتراض والتّقويم، في وقتٍ لم تعرف فيه البشريّة بعدُ هذا المستوى من الوعي السّياسي. وإنّ في ذلك النّمودج شاهداً حضاريّاً ناصعاً على أنّ الإسلام سبق الدّساتير الحديثة في إقرار «حقّ الاحتجاج السّلمي»، لا من خارج منظومة الحكم فحسب، بل من قلبها، فغدّت تجربة الخلافة الرّاشدة تاجاً على جبين الحضارات، ومصدر فخرٍ للأمّة في ماضيها وحاضرها.

1- ابن كثير، البداية والنهاية، 22 / 36.

ومن العلماء المعاصرين، من يؤكّد على حقّ الأُمّة في التّظاهر، إذ يقول الدّكتور يوسف القرضاوي عن المظاهرات: «... من حقّ المسلمين كغيرهم من سائر البشر أن يسيروا المسيرات وينشئوا المظاهرات تعبيراً عن مطالبهم المشروعة، وتبليغاً بحاجاتهم إلى أولي الأمر، وصنّاع القرار، بصوت مسموع لا يمكن تجاهله، فإنّ صوت الفرد قد لا يسمع ولكنّ صوت المجموع أقوى من أن يتجاهل، وكلّما تكاثرت المظاهرات وكان معهم شخصيات لها وزنها كان صوتهم أكثر إسماعاً وأشدّ تأثيراً؛ لأنّ إرادة الجماعة أقوى من إدارة الفرد، والمرء ضعيف بمفرده قويّ بجماعته»¹.

وأصدرت جهة علماء الأزهر بياناً حول مظاهرات 25 يناير (يوم الغضب) جاء فيه: «اخرجوا فلن تكونوا أبداً نملًا، فالنمل وحده هو الذي قبل من النملة نصيحته بدخول الجحور خشية أن يحطّمها جيوش الغادين... فليخرج كلّ قادر؛ ليسمع الظّالمين صوته، وليبرئ ذمّته أمام الله تعالى الذي لا يقبل عذراً من مخذلٍ أو متخاذلٍ في مثل تلك المواقف...»².

وعن مظاهرات النّصرة لدعم فلسطين يقول الدّكتور سلمان العودة: «لا نرى بأساً أن يتجمّع المسلمون للإعراب عن احتجاجهم على معاناة إخوانهم في فلسطين، بحيث تكون مظاهرة سلميّة بعيدة عن مضايقة السّكان، أو إزعاجهم، أو تعويقهم عن أعمالهم وألّا يكون بها ارتكاب لما حرّم الله تعالى، وهذا من نصرة إخوانكم وله الأثر البالغ على اليهود، وعلى من يناصرهم في كلّ مكان، ومن شأنه أن يوصل الرّأي الإسلاميّ إلى الشّعوب الغربيّة التي طالما هيمن اليهود على عقولها، وأوصلوا لها رسالة مضلّة عن القضية، والأصل في مثل هذه الأمور الجواز، ولا تحتاج إلى دليل خاصّ»³.

رابعاً: أسباب تراجع المظاهرات في العالم العربيّ لدعم غزّة

لقد غدت المظاهرات الدّاعمة لغزّة ظاهرةً عالميّة تتجاوز حدود الانتماء القوميّ والدينيّ، إذ لم تقتصر على الشّعوب العربيّة والإسلاميّة وحدها، بل شاركت فيها جماهير من مختلف القارّات، من آسيا إلى أوروبا وأميركا اللّاتينية، تأكيداً على عالميّة القضية الفلسطينيّة وارتباطها بالقيم الإنسانيّة الكونيّة، كالعدالة والحرّيّة ورفض الاضطهاد. وما يلفت الانتباه

1- www.islamonline.net

2- <http://rasoolway.com>

3- www.islamtoday.net

أنّ هذا الحراك لم يقتصر على المتضامنين من غير اليهود، بل انخرط فيه أيضاً بعض اليهود حول العالم ممن يرفضون السياسات الاستعماريّة والإجراءات القمعيّة ضدّ الشعب الفلسطينيّ، إذ يرون أنّ الوقوف إلى جانب غزّة موقفاً أخلاقياً يتجاوز الحسابات السياسيّة الضيّقة؛ وبذلك، تشكّل هذه المظاهرات فضاءً عابراً للحدود والهويّات، يعبر عن النقاء الضّمير الإنسانيّ على رفض الظلم الواقع على غزّة، ويجعل من التّضامن مع الفلسطينيّين قضية إنسانيّة شاملة وليست شأنًا إقليمياً فحسب.

غير أنّه، على الرّغم من اشتداد المأساة في غزّة وتفاقم المعاناة الإنسانيّة، يلاحظ تراجع لافت في زخم المظاهرات الشعبيّة المؤيّدّة للقضيّة الفلسطينيّة في الشارع العربيّ؛ هذا الغياب لا يعكس فتوراً وجدانياً بالضرورة، بل يكشف عن تعقيدات سياسيّة واجتماعيّة ونفسيّة متراكمة، ولعلّ الوقوف عند أبرز الأسباب يضيء على هذا المشهد المتغيّر ويفسّر أبعاده العميقة.

1 - تدهور الأوضاع الاجتماعيّة

لقد بات تدهور الأوضاع المعيشيّة في كثير من الدّول العربيّة عاملاً ضاغطاً لا يُستهان به في تشكيل المزاج العامّ، وتوجيه أولويّات الأفراد والجماعات؛ ففي ظلّ الانهيارات الاقتصاديّة المتتاليّة، وانعدام الاستقرار الماليّ، وتراجع القدرة الشرائيّة بشكل حادّ، لم يعد المواطن في هذه البلدان يملك المساحة النفسيّة أو الجسديّة الكافية للمشاركة في تحركات تضامنيّة، حتّى ولو كانت تمسّ وجدانه وأعماق انتمائه. فالمواطن الذي يقف في طوابير الخبز أو المحروقات، أو الذي يستيقظ كلّ يوم على أرقام جديدة من التّضخّم، أو على قرارات نقشيّة تزيد من فقره، ليس من السّهل أن يُقنع نفسه بأنّ النزول إلى الشارع سمهما كانت القضيّة نبيلة - هو أولويّة واقعيّة أمام معركة البقاء اليوميّ.

وفي دول مثل لبنان حيث اللّيرة فقدت أكثر من 90% من قيمتها، وسوريا حيث الاقتصاد يكاد ينهار تحت وطأة العقوبات والحرب، والسّودان حيث النزاعات المسلّحة شلّت مؤسسات الدّولة، واليمن حيث الفقر ينهش البنية الاجتماعيّة... باتت المظاهرات ترفاً يصعب تحمّله؛ فالمشهد العامّ في أغلب الدّول العربيّة مشحون بالخوف، ومتخم بالخذلان، ومحاط بانھیار المنظومات الصحيّة والتعليميّة، فينعكس على شعور جماعيّ بالالّجدوى، وبأنّ الاحتجاج -ولو من أجل قضايا عادلة- لن يغيّر شيئاً في معادلة مختلّة أساساً.

الأزمة هنا ليست فقط مادّية، بل أصبحت وجوديّة ونفسية، إذ تآكلت لدى الناس مشاعر القدرة على الفعل والتأثير، بل يمكن القول إنّ هناك نوع من الإحباط الجماعيّ الذي يُنتج ما يشبه الشلل في المبادرة، وكأنّ هناك حاجزاً داخلياً يمنع التفاعل الفعليّ حتّى مع القضايا التي تحرّك القلب والضّمير.

وهكذا يتحوّل الحزن على غزّة أو الغضب ممّا يجري فيها إلى مشاعر مكتومة، أو تنفيسات عاطفيّة على وسائل التّواصل، من دون أن تتجسّد في فعل جماهيريّ واسع، لا لغياب القناعة، بل لأنّ الواقع الخانق لا يسمح حتى بالنقاط الأنفاس، فضلاً عن الخروج إلى السّاحات.

2 - التضييق الأمنيّ والخوف من القمع

في أعقاب موجات الربيع العربيّ وما تبعها من تحولات سياسيّة وأمنيّة، أعادت الأنظمة في كثير من الدّول العربيّة ترتيب أولوياتها، فجعلت من السيطرة على المجال العامّ هدفاً مركزياً، فضيّقت المساحات المتاحة للتعبير، وتقيّدت حركة الناس في الشّارع تحت ذرائع شتى، أبرزها حفظ الأمن والاستقرار؛ هذا التّحوّل لم يكن مجرد إجراءات مؤقتة، بل اتخذ طابعاً مؤسّسياً، عبر ترسانة قانونيّة وتنظيميّة، تتيح للدّولة التّدخل في تفاصيل أيّ حراك جماهيريّ، وتعاقب بشدّة أي خروج عن المألوف، حتّى لو كان الهدف منه إنسانياً أو تضامنياً.

ولم يعد الشعب العربيّ في ظلّ هذا الواقع ينظر إلى التّظاهر بصفته حقّاً مضموناً، بل بات يتعامل معه كفعل محفوف بالمخاطر، قد يؤدّي إلى مساءلة قانونيّة أو ملاحقة أمنيّة أو تشويه إعلاميّ؛ والقلق من القمع لم يعد مقتصرًا على النّشطاء أو قادة الرّأي، بل امتدّ إلى عامّة الناس الذين أصبحوا يُفاضلون بين التّعبير عن مواقفهم وبين الحفاظ على سلامتهم، وأعمالهم، وحرّيتهم الشّخصيّة، حتّى أولئك الذين يكتّون تعاطفاً كبيراً مع القضايا العادلة، مثل قضيّة غزّة، صاروا يترنّثون في التّفاعل الميدانيّ؛ لأنّ الكلفة قد تكون باهظة وغير متوقّعة.

إضافة إلى ذلك، إنّ كثيراً من الدول أوجدت آليات إداريّة تحول دون التّظيم الفوريّ أو العفويّ لأيّ تظاهرة، عبر اشتراط الحصول على تراخيص معقّدة، أو ربط الموافقة

الأمنية بمعايير فضفاضة قد تُستخدم لرفض الطلب من دون مبرر واضح؛ وهذا المنع غير المباشر أدى إلى تجميد ديناميكية الشارع، فحتى حين تتوفّر لدى الناس الرغبة في الاحتجاج، يجدون أنفسهم مكبلين بأنظمة قانونية تجعل من التظاهر فعلاً استثنائياً لا يُقدم عليه إلا من يقبل دفع الثمن.

ومع الوقت، تتشكّل وعي جديد لدى المواطنين، قوامه الحذر والخوف والتوجّس، وهو وعي يختزن التجارب السابقة في الاعتقال والتّكيل والتّشهير، حتى صار السّكوت يبدو لبعضهم خياراً أكثر أمناً من المجاهرة بالموقف؛ فالاستبداد بوصفه ظاهرة من ظواهر الاجتماع السياسيّ «لا يولد اعتباطاً ولا يتراكم جزافاً، وإنما تحكمه مجموعة معقّدة ومتشابكة من الأسباب والشّروط والطّروف، يتداخل فيها الدّاتيّ، والموضوعيّ، والدّاخلّيّ، والخارجيّ، والاقتصاديّ، والثّقافيّ. فهو ثمرة مركّبة من القوى والبواعث المختلفة في طبيعتها، المتفاوتة في درجة تأثيرها، المتشكّلة بظروف المكان والزّمان»¹.

وهكذا، تضاعلت مشاهد الجماهير المحتشدة، لا لأنّ قضايا الأمة لم تعد تلامس وجدانهم، بل لأنّ أدوات التّعبير عنها أصبحت في نظرهم غير متاحة أو محفوفة بالعواقب؛ وفي هذا المناخ، تفقد المظاهرات زخمها لا بسبب انطفاء الضّمير، بل بفعل طوق أمنيّ صلب يغلّ يد الشارع عن الحركة.

3 - انقسام الخطاب العربيّ تجاه القضية الفلسطينية

الإعلام «هو عملية ديناميكية تهدف إلى توعية وتنقيف وتعليم وإمتاع مختلف فئات الجمهور التي تستقبل الموادّ المختلفة، وتتابع برامجهم وفقراته، فهو العملية التي يترتّب عنها نشر الأخبار والمعلومات الدّقيقة التي ترتكز على الصدق والصّراحة ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم»². وقد بات لاعباً رئيساً في المجتمع، ومؤثراً على السّاحتين المحليّة والعالميّة؛ فجميع النّاس يتعاملون مع وسائل الإعلام بطرق مباشرة وغير مباشرة، حيث تعدّ هذه الوسائل المصدر الأوّل للأخبار والمعلومات، ووسيلة للتّخاطب بين الحكومات ورجال السّياسة، وأصحاب الأقلام وغيرهم من جهة، وبين أفراد الشّعب بكافّة أطيافه من جهة أخرى.

1- إسماعيل نوري الزبيعي وآخرون، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، ص 280.
2- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، العلاقات العامّة والإعلام من منظور علم الاجتماع، ص 50.

وأدى الانقسام الحاصل في الخطاب العربي الرسمي تجاه القضية الفلسطينية إلى حدوث تصدّعات عميقة في وجدان الشعوب العربية، وخلق نوعاً من الالتباس في وعي الجماهير بين ما اعتادوه من مركزية القضية في الضمير الجمعي، وبين ما يلاحظونه من تغييرات في المواقف الرسمية وبعض التوجّهات الإعلامية. فحين تدخل دول عربية في مسار تطبيع علني مع الاحتلال، وتُقدّم تلك الخطوات ضمن أطر «السلام» أو «المصلحة الوطنية العليا»، يجد المواطن العادي نفسه أمام مشهد متناقض: كيف يدعو لمظاهرة دعماً لغزة فيما قنوات بلاده تتحدّث عن شراكات اقتصادية أو اتفاقيات «حوار حضاري» مع نفس العدو الذي يرتكب المجازر بحقها؟ هذا التباين لا يخلق فقط حلاً من الفتور، بل يضعف الإحساس بالشرعية الشعبية للاحتجاج، ويزرع نوعاً من الشك في النفس: هل ما نفعله لا يزال مقبولاً؟ هل يعارض المصلحة الوطنية؟

كما أنّ وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية في بعض الدول باتت تمارس نوعاً من التعتيم أو التحييد، فتُخفّف من وقع المشاهد القادمة من غزة، أو تقدّمها بلغة باهتة، خالية من الإدانة والوضوح الأخلاقي، فتؤثّر في مستوى التفاعل العاطفي مع ما يجري، بل إنّ بعض تلك الوسائل يتجنّب تغطية التظاهرات المؤيدة لفلسطين، أو يعتمد إلى التقليل من أهميّتها، فتضعف قدرة الشعوب على قراءة أنفسها في مرآة إعلامها، ويجعل الفرد يشعر أنّه وحيد في انفعاله، في حين إنّ التعبئة النفسية الجماعية كانت أحد أهمّ دوافع خروج الناس إلى الشارع.

وفي ظلّ هذا التشنّت في الخطاب، وفقدان الصوّت الجمعي الصريح، تتراجع قوّة الدّفع المعنوي نحو التعبير الميداني، لا لأنّ القلوب تغيّرت، بل لأنّ البوصلة الجماعية لم تعد واضحة، فتتراجع الحماسة، ويغلب الصّمت، وتخفت نداءات الغضب، ويغدو التّظاهر وكأنّه فعل خارج السياق الرسمي، لا يجد له ظهراً يحميه ولا خطاباً يشرّعه.

4 - غياب القيادة الشعبية الجامعة

لا توجد «نخبة قائدة في المنطقة العربية تكون على معرفة عميقة بالمصالح الوطنية وقادرة على العمل المشترك، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى غياب الحياة الديمقراطية في

القيادة السياسية»¹، وأسهم غياب القيادة الشعبية الجامعة في إضعاف القدرة الجماهيرية على التعبئة المنظمة والاستجابة الموحدة لقضايا كبرى، كقضية فلسطين.

ففي مراحل سابقة، كانت النقابات المهنية، والأحزاب السياسية، والنيابات الإسلامية، تشكل منصات حيوية لتحريك الشارع والتواصل مع قواعده، فتنكامل الأدوار بين الخطاب الجماهيري، والتنظيم الميداني، وحماية المتظاهرين قانونياً أو معنوياً؛ أما اليوم، فقد فُككت كثير من هذه البنى أو أُفرغت من مضمونها؛ إما عبر الحل المباشر، أو من خلال الرقابة الصارمة، أو التهميش الممنهج، فأدى إلى تآكل فاعليتها وانكفاءها عن المشهد العام.

هذا الغياب لم يقتصر أثره على البنية التنظيمية، بل طال الروح العامة للاحتجاج، إذ إن الحراك الذي لا تقوده جهة ذات مصداقية شعبية، يفتقر إلى التنسيق، ويبدو عشوائياً، ومنقطعاً، وسريع الزوال، فيغيب التخطيط، والتأطير، وتأمين الغطاء الشعبي والسياسي، فيُضعف تأثيره ويُقلل من القدرة على الاستمرار أو إيصال الرسالة بوضوح، كما أن غياب القيادة يجعل الفرد متردداً في النزول إلى الشارع؛ إذ لا يشعر أنه جزء من مشروع منظم يحميه ويمنحه صوتاً.

وعلاوة على ذلك، فإن الأنظمة تجد في هذا الفراغ القيادي ذريعة إضافية للتشكيك في أي حراك، ووسيلة لتفتيته واحتوائه، بدعوى أنه غير ممثل أو غير مشروع؛ وهكذا يتحوّل الحراك الشعبي من موجة موحدة ذات أهداف واضحة، إلى حركات مشتتة يسهل تجاهلها أو كسرها، وهو ما انعكس جلياً في الفتن الزاهن تجاه التظاهر من أجل غزة، على الرغم من فداحة المأساة هناك، وعمقها في الضمير العربي.

5 - الإحباط من جدوى التظاهر

الإحباط من جدوى التظاهر بات عاملاً نفسياً عميقاً يُثقل الوعي الجمعي العربي، ويشكل حاجزاً يمنع انخراط الكثيرين في أي حراك شعبي داعم للقضية الفلسطينية، فقد تراكمت عبر السنوات تجارب مريرة خرجت فيها الشعوب إلى الشوارع تهنف وتصرخ وتعلن تضامنها، لكنها لم تجد لذلك صدى حقيقياً في دوائر القرار، ولا أثراً ملموساً على

1- شكري السويدي وإيهاب الفارسي، التحول الديمقراطي في الوطن العربي - المحددات - والمعوقات، ص 1202.

الأرض؛ هذا التّراكم خَلَق شعوراً عاماً بالعجز، ورسّخ قناعة بأنّ النّظّاهر، مهما اتّسع واشتدّ، لن يُجبر الحكومات على تغيير مواقفها، ولا يُفوّض الاحتلال ولا يُنفذ الضّحايا.

وقد عمّق هذا الإحساس التّحوّل في أنماط الصّراع، إذ باتت الحروب تُدار بمعادلات معقّدة من القوّة والسّياسة والتّحالفات، فشعرت الشّعوب أنّ صوتها لا يبلغ تلك المستويات المتشابكة من القرار، ولا يؤثّر فيها؛ بل إنّ بعض النّاس باتوا يرون في النّظّاهر طقساً رمزياً متكرّراً، لا يخرج عن كونه «تنفيساً مؤقتاً»، سرعان ما ينطفئ من دون أثر حقيقيّ، لا سيّما حين تقابله الحكومات بالتّجاهل، أو الإعلام بالتّعقيم.

وكلّما تكررت المآسي وتكرّر العجز، تآكلت الثقة في أدوات التّعبير الجماهيري، فصارت الحماسة تُستبدّل بالتّبذّذ، والصّراخ بالصّمت، والتّضامن العمليّ بالاستهلاك الرّقميّ البارد؛ إنّ هذا الإحباط، بقدر ما هو نتيجة لانسداد الأفق، هو أيضاً أحد أبرز ما تحتاج الشّعوب إلى مقاومته؛ إذ إنّ بقاءه على حاله يُهدّد بفقدان آخر أدوات التّعبير المتاحة، ويكرّس الانكفاء بدل الانخراط، والتّسليم بدل المقاومة.

وعلى الرغم من هذا التّراجع الظّاهريّ، فإنّ القضية الفلسطينيّة لم تخرج من وجدان الشّعوب، وإنّما تغيّر شكل التّعبير عنها؛ فالمظاهرات قد تكون خفّت، لكنّ نبض التّضامن لا يزال حيّاً، ويظهر في المقاطعات، وفي الإعلام البديل، وفي دعم المقاومة، وفي الوعي الشّعبيّ المتنامي، إنّهُ فقط ينتظر لحظة مناسبة؛ لينفجر من جديد، كما اعتادت هذه الأُمّة أن تفعل كلّما تجاوز الألم حدّه.

خامساً: دور المظاهرات في نصرّة غزة دينياً

من وجهة نظر الدّين الإسلاميّ، تُعدّ المظاهرات وسيلة مشروعة - بل في كثير من الأحيان واجبة - لنصرة المظلومين، وإظهار الحقّ، والدّفاع عن قضايا الأُمّة، وعلى رأسها قضيةّ غزّة، لما فيها من مظلمة عظيمة وعدوان مستمرّ على أهل فلسطين، وعلى مقدّسات الأُمّة؛ ويمكن بيان دورها من خلال النّقاط التّالية:

1 - القيام بواجب النّصرة الشرعيّة

القيام بواجب النّصرة الشرعيّة أصل راسخ في الشّريعة الإسلاميّة، ومبدأ أصيل من مبادئ الأخوة الإيمانيّة؛ وقد دلّت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسّنّة النبويّة المطهّرة

التي أوجبت على المسلمين الوقوف إلى جانب إخوانهم المستضعفين، ونصرتهم في وجه العدوان والظلم. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصُرُوا﴾ (٧١) (الأنفال: 72)، فجعل النصرة واجبة متى طلبها المظلوم، لا سيما إذا تعلّق الأمر بالدين والعقيدة، كما هو الحال في غزّة التي تتعرّض لعدوان غاشم يستهدف الأرض والعرض والمقدّسات، ويحاول طمس الهوية الإسلاميّة لفلسطين.

وإذا كانت النصرة بالسلاح والمال هي الأكمل والأقوى، فإنّ من عدم الوسيلة الماديّة لا يُعفى من مسؤوليّة النصرة، بل ينتقل إلى ما يستطيعه من وسائل التعبير والمواقف الداعمة، كالكلمة الصادقة، والمشاركة في المظاهرات السلميّة، ورفع الصّوت في وجه الظالمين؛ فالمظاهرات في هذا السياق تُعدّ صورة مشروعة من صور النصرة، ووسيلة فعّالة لإعلان الموقف الشرعيّ والأخلاقيّ، والتعبير عن النّضام العمليّ مع أهل غزّة، لا سيما حين تصدر من قلوب صادقة، وعزائم نقيّة، ترى في الوقوف إلى جانب المظلوم عبادةً وقربة، وفي التّخاذل عنه خيانةً وتفريطاً، ومن لا يملك المال ولا السلاح، فإنّه يملك الموقف، ويملك أن يصدح بالحقّ، ويجاهر بالمطالبة برفع الظلم.

2 - إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعدّ من أهمّ معالم الشريعة الإسلاميّة، ومن أعظم القربات التي تُقيم بها الأُمّة كيانها، وتحفظ بها كرامتها وهويّتها. يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) (آل عمران: 104)

وإنّ مظاهر الطّغيان والعدوان، كما يحدث في غزّة من استباحة للدّماء وهتكٍ للحرّمات وترويعٍ للأمنين، تُعدّ من أفظع المنكرات التي يجب على الأُمّة إنكارها بكلّ وسيلة مشروعة، والمظاهرات السلميّة التي تخرج للتّنديد بهذه الجرائم، وللمطالبة برفع الظلم وإحقاق الحقّ، تُعدّ من الوسائل المعاصرة التي تدخل تحت مظلة الإنكار باللسان، خصوصاً حين يعجز النّاس عن الإنكار باليد أو تغييره بالقوّة.

وقد دلّ الحديث الشريف على مراتب الإنكار، بقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»¹؛ ففيه بيان واضح بأنّ الإنكار باللسان واجب على من لا يملك اليد، والمظاهرة من أبرز صور الإنكار باللسان الجماعي، إذ يجتمع فيها الناس على كلمة واحدة، وموقف موحد، يهزّ الضمير العالمي، ويُسْمَع صوت المظلوم في زحمة الضجيج الإعلامي الموجّه.

ولا شك أنّ الصّمت أمام الظلم خذلان، والسّكون على الباطل إثم، وقد ذمّ الله تعالى الذين كتموا الشهادة، فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: 283)؛ والمظاهرة، حين تكون واعية ومنضبطة، هي شهادة حقّ تُعلن في وجه الظالم، وإنكار علنيّ للمنكر، وتعبير جماعيّ عن رفض القهر والعدوان، فنُسهم في بثّ الوعي، وإحياء روح المقاومة، واستنهاض همم الأمة للقيام بواجبها الشرعيّ والأخلاقيّ تجاه قضاياها المصيرية.

3 - وسيلة للتعبير عن الولاء للأمة

الانتماء إلى جماعة المسلمين، والتفاعل الحيّ مع قضاياهم، يُعدّ من أركان الولاء الإيمانيّ، ومن مقتضيات الأخوة الإسلامية التي تربط المؤمنين برباط العقيدة والمصير المشترك. وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا الارتباط الروحيّ العميق بقوله: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»²؛ فالتفاعل مع آلام الأمة، والتجاوب مع معاناتها، ليس ترفاً شعورياً ولا عاطفة عابرة، بل هو دليل حياة الإيمان، ومظهر من مظاهر الولاء الشرعيّ للجماعة.

والمظاهرات التي تُقام نصرةً لقضية عادلة، أو دعماً لشعب مظلوم، تُجسّد هذا المعنى النبويّ العظيم؛ لأنها تعبّر عن وحدة الشّعور، وتلاحم القلوب، وتؤكد أنّ الأمة، مهما تباعدت أو تفرّقت جغرافياً، فإنّها تظلّ كالجسد الواحد، إذا أصيب طرفه تألّمت سائر الأطراف؛ والمشاركة في هذه المواقف الجماعية ليست مجرد حركة ظاهريّة، بل هي إعلان صادق للانتماء، وتأكيد عمليّ على التراحم والتّعاطف، وتجديد الميثاق الأخويّ

1- مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ النّهي عن المنكر من الإيمان، وأنّ الإيمان يزيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان، رقمه 49، 1/ 69..

2- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقمه 2586، 4/ 1999 - 2000.

الذي تقوم عليه وحدة المسلمين.

فالمظاهرة الواعية تعبّر عن التزام المسلم بقضايا أمّته، ورفضه لعزلته أو حياده السلبي، كما تُظهر للمظلومين أنّهم ليسوا وحدهم، وأنّ في الأمّة من يشاركهم الألم، ويقف إلى جانبهم، ويجعل من صوت الجموع سنداً لقضيتهم ودرعاً لحقّهم.

4 - رفع الصّوت ضدّ الظّالمين وتحريك همم الأمّة واستنهاض القلوب

المظاهرات التي تنطلق رفضاً للظلم، واحتجاجاً على التواطؤ أو التّقصير، تُعدّ من الوسائل المؤثّرة في رفع الصّوت بالحقّ، واستنهاض الضّمائر الحيّة في وجه الطّغيان. وقد دلّ الحديث النبويّ الشريف على قيمة الجهر بالحقّ، حين قال النّبيّ ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر"¹، وهذا يشمل كلّ قولٍ أو فعلٍ سلبيّ، يُعبّر فيه الإنسان عن موقفه، وينكر فيه الظلم، ويدافع فيه عن حقوق المظلومين، وخاصة إذا وُجّه الخطاب إلى الأنظمة الظّالمة أو الجهات المتقاعسة.

ولا تقتصر وظيفة المظاهرات على الإعلان عن الموقف، بل تتجاوزها إلى إيقاظ القلوب، وشحذ الهمم، وتحريك السّاكن في ضمير الأمّة، لا سيّما في زمن تغيب فيه كثير من الأصوات، أو تُكتم فيه الحقائق؛ فهي تثير المشاعر، وتفتح العيون، وتعيد إلى النّاس شعورهم بالمسؤوليّة، وتُسهم في بناء الوعي الجمعيّ بقضايا الأمّة، وتغذي روح التّواصي بالحقّ، والتّحريض المشروع على نصرّة المستضعفين.

إنّها دعوة جماعيّة للانتصار للمظلوم، وصيحة في وجه القهر، ورسالة تقول إنّ الأمّة لم تمت، وإنّ في القلوب بقيّة من حياة، وفي الضّمائر جذوة لا تزال قادرة على أن تتقدّ حين يُداس الحقّ، ويُستباح العدل، وتُهدر الكرامات.

5 - إغاظة العدو وإضعاف مغنوياته

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ (البقرة: 217)؛ هذه الآية الكريمة تبيّن لنا حقيقة الصّراع المستمرّ بين المؤمنين وأعداء دينهم الذين يسعون جاهدين إلى إضعاف قوّة المسلمين وإثناثهم عن عقيدتهم؛ وفي هذا السّياق، فإنّ أيّ حركة جماعيّة تؤكّد وحدة المسلمين وتظهر قوّتهم، حتّى وإن كانت

1- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، رقمه 18351، 4/ 315.

بشكل سلمي، تمثل ردة فعل مؤثرة على أعداء الأمة، فتشكل نوعاً من الردع النفسي لهم، وتكسر غرورهم.

والمظاهرات السلمية تحمل في طياتها رسالة قوية إلى الأعداء، مفادها أن الأمة الإسلامية لا تزال حية، وقادرة على التحرك والوقوف صفاً واحداً ضد محاولات النيل منها؛ هذه التحركات تعكس قوة الإيمان ووحدة الصف، وتجعل أعداء الأمة يدركون أن المسلمين لن يتراجعوا عن مبادئهم، ولن يخضعوا للظلم مهما كانت التحديات.

وإظهار قوة المسلمين وتلاحمهم في مثل هذه الأوقات يسهم في إضعاف معنويات العدو، ويفقدون القدرة على التفوق النفسي الذي يعتمد عليه كثيراً في إخماد روح المقاومة؛ فالمظاهرات التي تخرج في لحظات الشدة هي بمثابة إعلان عن تمسك الأمة بحقوقها، وتعزيز للمقاومة الشعبية التي تظهر للعالم أن المسلمين مستمرون في الجهاد، بالحق والصبر، وأنهم لا يهابون جبروت الطغاة.

خاتمة البحث

بعد كل ما سبق، خُصص البحث إلى أن:

* المظاهرات أثبتت على مر التاريخ الحديث أنها وسيلة فاعلة في التعبير عن رفض الظلم ونصرة المظلوم، وكانت قضية فلسطين - وغزة تحديداً - في قلب هذا الحراك الجماهيري.

* المشاركة تُعدّ في المظاهرات الداعمة لغزة من صور النصرة الواجبة شرعاً، بما تحمله من إظهار للتضامن، وكسر لصمت الظالمين، واستنهاض للضمير الإنساني.

* تراجع وتيرة المظاهرات في العالم العربي لا يعكس بالضرورة فتوراً في الوجدان الشعبي، بل هو نتاج مركب لمجموعة من العوامل المتشابكة: القمع الأمني، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، وغياب الجهات المنظمة، والإحباط من الجدوى، وانقسام الخطاب السياسي والإعلامي حول القضية الفلسطينية.

* ما زال الشارع العربي يحتفظ بطاقة كامنة كبيرة يمكن تفعيلها، شرط وجود حرية نسبية، وتأطير جماهيري منظم، وخطاب صادق وموحد يذكر الأمة بواجباتها تجاه القضية الفلسطينية.

* تفعيل ثقافة النّظّاه السّلميّ وتحريرها من أطر التّخويف والتّشويه، يمثّل خطوة في تجديد الوعي الشّعبيّ وإحياء روح المسؤوليّة الجمعيّة تجاه قضايا الأُمّة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. بن حجاج، مسلم. صحيح مسلم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، لا ط، لا تا.
2. بن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد. بيروت: دار إحياء التّراث العربي، لا ط، 1993م.
3. الرازي، محمّد أبي بكر. مختار الصّاح. بيروت: دار الكتاب العربي، لا تا.
4. الرّبيعي، إسماعيل نوري، وآخرون. الاستبداد في نظم الحكم العربيّة المعاصرة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، 2005م.
5. السّويدي، شكري، والفارسي إيهاب. التّحوّل الديمقراطيّ في الوطن العربيّ - المحدّدات - والمعوقات. مجلة المعهد العالي للدراسات التّوعيّة، يوليو، 2024.
6. سيد، رفعت عيد. التّظاهر وانعكاس طبيعتها على التّنظيم القانونيّ في جمهوريّة مصر العربيّة دراسة تحليليّة نقديّة. القاهرة: دار النّهضة العربيّة، 2008م.
7. السيّوطيّ، جلال الدّين. تاريخ الخلفاء. الدّوحة: طبعة وزارة الأوقاف القطريّة، ط2، 2013م.
8. عبد الحميد، حسين، رشوان، أحمد. العلاقات العامّة والإعلام من منظور علم الاجتماع. الإسكندريّة: المكتب الجامعيّ الحديث، لا ط، 2003.
9. القرطبيّ، شمس الدّين محمّد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنّة وآي القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. بيروت: دار الفكر، لا ط، لا تا.
10. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنّهاية. الرّياض: دار عالم الكتب، 2003م.
11. بن المبارك، عبد الله. الزّهد. بيروت: دار الكتب العلميّة. لا تا.
12. منظمة العفو الدّوليّة. لنحم التّظاهر! لماذا علينا حماية حقنا في التّظاهر؟ ط1، 2022.
13. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط1، 2000م.
14. نصرأوين، ليث. التّجمّع السّلميّ في القانون الأردنيّ والاتفاقيات الدّوليّة. عمّان - الأردن: دار صادر ناشرون، 2013م.

15. الهناني، علي بن الحسين. المنجد في اللغة والإعلام. بيروت: دار المشرق العربي، ط 30، 1986م.

المراجع الإلكترونية

1. www.islamonline.net
2. <http://:rasoolway.com>
3. [www. islamtoday. net](http://www.islamtoday.net)

موسميّة قطاع الخدمات في المناطق الجبلية المتوسطة الارتفاع في لبنان (بلدة برمانا نموذجاً قضاء المتن)

La saisonnalité du secteur des services dans les zones
montagneuses de moyenne altitude au Liban (Le cas de la ville de
Broumana – Caza du Matn)

د. إيلي شديد¹

Dr. Elie Chdid

تاريخ القبول 2025 /10/3

تاريخ الاستلام 2025 /8 /29

تعدّ بلدة برمانا من أكثر البلدات نشاطاً على صعيد الخدمات في فصل الصيف ولا سيما السّياحيّ منها وتعتبر نموذجاً حياً للتّحديات والفرص التي تواجه المناطق الجبلية المتوسطة الارتفاع في لبنان، حيث يتأثّر قطاع الخدمات فيها بشكل كبير بالتقلّبات الموسميّة، خاصّة في مجالات السّياحة والتّجارة والترفيه. تؤثر هذه الموسميّة سلّماً على استقرار الدّخل وجودة الحياة للسّكان، مما يستدعي دراسة عميقة لتوزيع الخدمات المكانيّ والزّمنيّ. تهدف هذه الدّراسة إلى تحليل واقع الخدمات الاجتماعيّة والترفيهيّة والتعليميّة والصّحيّة في برمانا، وتسليط الضّوء على التّباينات المكانية وعدم العدالة في توزيعها. كما تسعى إلى اقتراح حلول عمليّة لتعزيز التّنمية الحضريّة المستدامة وتخفيف حدّة التأثيرات الموسميّة، انطلاقاً من رؤية تهدف إلى تحقيق توازن بين النّمّو العمرانيّ والحفاظ على الهويّة البيئيّة والاجتماعيّة للمنطقة.

الكلمات المفتاحيّة: الموسميّة، التّنمية الحضريّة، الخدمات الاجتماعيّة، السياسات الاجتماعيّة، التّنمية المستدامة

Résumé

Le village de Brummana est l'un des plus dynamiques du district du Metn en ce qui concerne les services, notamment touristiques, durant la saison

1- دكتور إيلي شديد- أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية

estivale. Il constitue un exemple vivant des défis et des opportunités auxquels sont confrontées les zones montagneuses du Liban. Le secteur des services y est fortement influencé par les variations saisonnières, en particulier dans les domaines du tourisme, du commerce et des loisirs. Cette saisonnalité affecte négativement la stabilité des revenus ainsi que la qualité de vie des habitants, ce qui rend nécessaire une étude approfondie de la répartition spatiale et temporelle des services.

Cette recherche vise à analyser la situation actuelle des services sociaux, récréatifs, éducatifs et sanitaires à Brummana, en mettant en lumière les disparités spatiales et les inégalités dans leur accès et leur distribution. Elle s'efforce également de proposer des solutions pratiques afin de renforcer un développement urbain durable et d'atténuer les effets des variations saisonnières, dans le cadre d'une vision globale visant à établir un équilibre entre l'expansion urbaine et la préservation de l'identité environnementale et sociale de la région.

Mots-clés :

saisonnalité, développement urbain, services sociaux, politiques sociales, développement durable.

مقدمة

يتميز النسيج الحضريّ للمدن - بغض النظر عن حجمها - بتنوع استخدامات الأراضي، حيث تضمّ المناطق المأهولة عدّة وظائف أساسية تخدم سكان المدينة والمناطق المحيطة بها. وتأتي الاستخدامات السكنية، التجارية، والصناعية على رأس هذه الوظائف، مع ملاحظة أن تنوعها يزداد طردياً مع حجم المدينة وأهمية موقعها¹. جدير بالذكر أنّ أنماط استخدام الأراضي الحضرية ليست كيانات ثابتة بحدود جامدة، بل هي أنظمة ديناميكية حيوية تتفاعل وتتنافس على المساحات المتاحة. إذ تتمدد بعض الاستخدامات بينما تتقلص أخرى لتحلّ محلّها أنماط استخدام جديدة، مما يعكس

1 -Khalaf, S. (2002). **Civil and Urban Development in Lebanon**. Beirut: American University of Beirut Press.

طبيعتها المتطورة باستمرار¹.

1- إشكالية البحث

تُعاني بلدة برمانا من تفاوت ملحوظ في النشاط الخدماتي بين فصول السنة، حيث تشهد ذروة نشاط اقتصادي خلال فصل الصيف بفعل تدفق السياح وازدهار الخدمات المرتبطة بهم، بينما ينخفض هذا النشاط بشكل كبير في الفصول الأخرى، مما يؤدي إلى بطالة موسمية وعدم استقرار مدخول السكان. تتمثل الإشكالية في كيفية تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة خارج موسم الذروة، وتجنب التقلبات الموسمية الحادة.

2- الفرضية

إنّ تنويع الأنشطة الاقتصادية وتشجيع السياحة المستدامة خارج الموسم الصيفي يمكن أن يساهم في تقليل هذه التقلبات وتحقيق توازن اقتصادي على مدار السنة. وتكتسي هذه الدراسة أهمية كبيرة، إذ تساعد صناع القرار والفاعلين المحليين على وضع استراتيجيات تنموية فعالة تضمن استفادة المجتمع المحلي من موارده على امتداد العام، وتعزز من مرونة الاقتصاد المحلي في مواجهة التحديات الموسمية.

3- منهج البحث

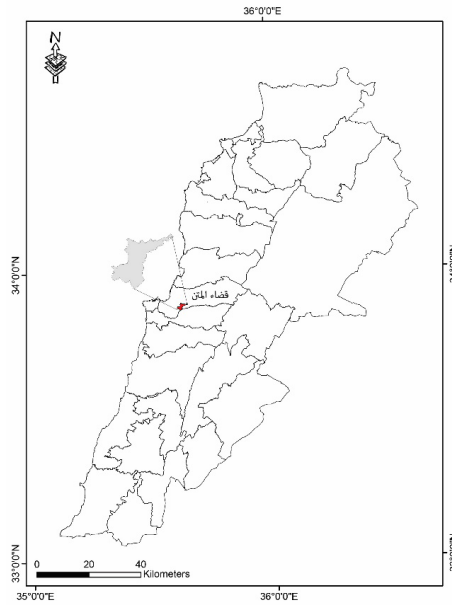
1. المنهج الوصفي التحليلي: لتحليل واقع الخدمات الاجتماعية مكانياً وزمانياً.
2. التحليل المكاني باستخدام الخرائط لتحديد نطاق الخدمة لكل مؤسسة (مدرسة، مركز صحي، متنزه...).
3. الاعتماد على البيانات الإحصائية الرسمية من وزارات التربية والصحة وبلدية برمانا.

4- الموقع الجغرافي والفلكي

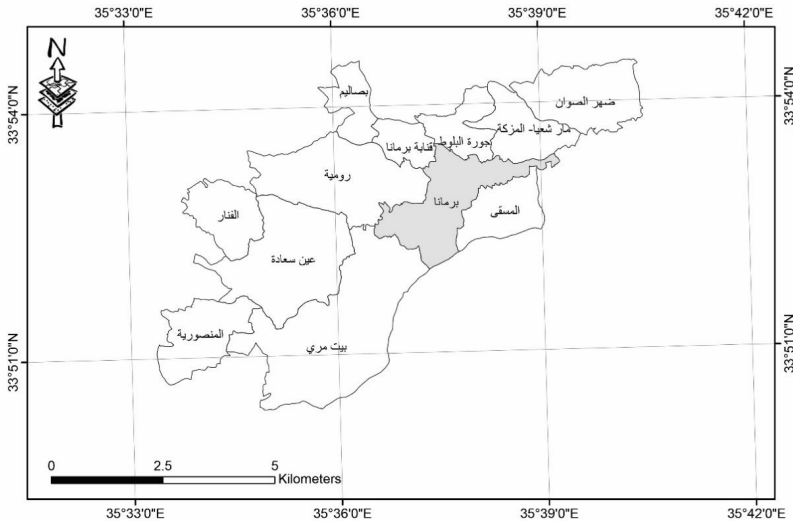
تقع برمانا ضمن محافظة جبل لبنان ضمن قضاء المتن بمساحة 8.5 كلم² و تمتد البلدة على هضبة متدرجة الارتفاع بين 700-850 متراً، مما يخلق تبايناً في استخدامات الأراضي المرتفعات الشرقية وتتألف من غابات ومحميات طبيعية والمناطق الوسطى والغربية كثافة سكنية وتجارية. أما بالنسبة للإحداثيات فهي تمتد بين دائرتي

1- الجامعة العربية، قسم التنمية المستدامة. (2021). الاستراتيجيات الوطنية للتنمية الحضرية في الدول العربية - لبنان. القاهرة: الأمانة العامة.

عرض 33 درجة و 31 دقيقة و 33 درجة و 51 دقيقة أما بالنسبة لخطوط الطول فهي تمتد بين 35 درجة و 37 دقيقة و 35 درجة و 41 دقيقة.

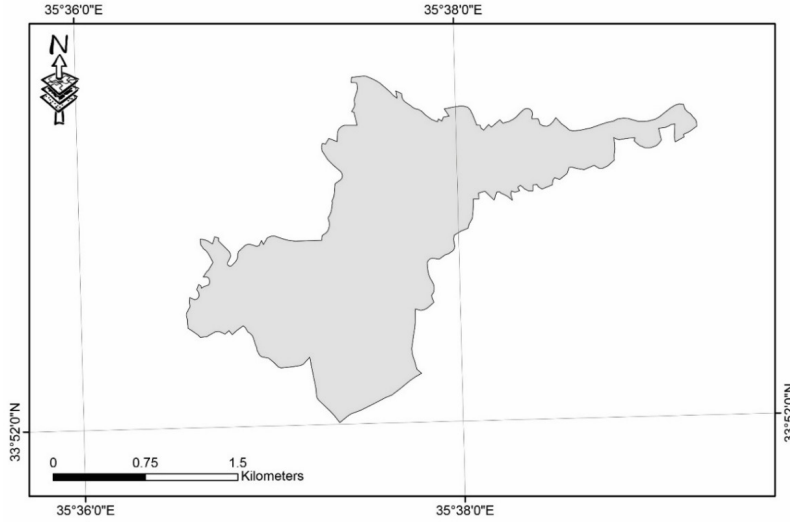


خريطة (1): موقع بلدة برمانا بالنسبة للبنان وقضاء المتن¹



خريطة (2): بلدة برمانا والمدن المجاورة لها²

- 1 - تنفيذ الباحث استناداً الى الدراسة الميدانية
- 2- تنفيذ الباحث استناداً الى نظم المعلومات الجغرافية



خريطة (3): بلدة برمانا¹

6- الخصائص الطبيعية

تُعد العوامل الطبيعية من أبرز المؤثرات في اختيار موقع بلدة برمانا، ويأتي في مقدمتها عامل السطح، إذ تقع هذه البلدة إلى الشرق من العاصمة بيروت، على تلال يتراوح ارتفاعها بين 700 و850 مترًا. ويسهم انبساط الأراضي هناك، إضافةً إلى خصوبة التربة، في توفير مساحات مناسبة للنشاط الزراعي داخل البلدة ومحيطها. كما لعبت التربة دورًا محوريًا في نشأة البلدة وتطورها، لكونها جزءًا من نطاق التربة الفيضية الغنية، الأمر الذي جعلها بيئة ملائمة لكل من التوسع العمراني والإنتاج الزراعي. أما الرياح السائدة فهي شمالية غربية، تهبّ شتاءً وتتميّز ببرودتها النسبية، مما يمنح الأجواء طابعًا معتدلاً. وبالإضافة إلى ذلك، تسهم كمية الأمطار السنوية التي تبلغ نحو 800 ملم² في رسم الملامح المناخية للبلدة.

7- الخصائص البشرية

شهدت بلدة برمانا نموّ سكانيّ خلال التعدادات بين 2010 و2023 أمّا ، فقد ارتفع

1- المرجع نفسه

2 - أطلس لبنان المناخي

معدل الزيادة السنوية¹ بنسبة 3،83% ويعتبر هذا الرقم أعلى من المعدل المسجل على صعيد لبنان² والبالغ 1،4% وعن المعدل المسجل على صعيد بيروت³ والبالغ 1،2% . ومن أسباب زيادة النمو السكاني هي الهجرة الداخلية المكثفة وتدقق السكان من المناطق الريفية والمدن المزدحمة (مثل بيروت) بحثاً عن هدوء نسبي وبيئة طبيعية أفضل (تلال برمانا المشهورة بمناخها) وأسعار عقارات معقولة مقارنة بوسط العاصمة، إضافة الى الاستقرار الأمني النسبي إذ تعد المنطقة وجهة آمنة للأسر التي هربت من مناطق النزاعات في لبنان أو المناطق الحدودية خلال الأزمات الأخيرة فضلاً عن التوسع العمراني والخدماتي كتطوير مشاريع سكنية جديدة وتوفير خدمات تعليمية وصحية متميزة (مدارس دولية، مستشفيات). إضافة الى الموقع حيث تتميز بقربها من بيروت (20 دقيقة بالسيارة) جعلها خياراً لموظفي المؤسسات الدولية والعاملين في العاصمة، العائلات التي تبحث عن توازن بين العمل والحياة. إضافة إلى العامل الاقتصادي إذ أن انتعاش قطاع السياحة الداخلية (مطاعم ومنتجات) جذب العمالة الموسمية وأسرهم لبلدة برمانا واستقروا فيها.

8- الخدمات

8-1- الخدمات الترفيهية

يُعرف الترفيه بأنه مجموعة الأنشطة التي يختارها الإنسان بمحض إرادته بهدف المتعة والاسترخاء، بعيداً عن الالتزامات أو الواجبات، وذلك ضمن أوقات الفراغ التي تتاح له. يمكن أن تكون هذه الأنشطة فردية، مثل القراءة أو ممارسة الرياضة أو الهوايات الشخصية، أو جماعية، مثل حضور الفعاليات الثقافية أو المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والرياضية. وتتأثر أنشطة الترفيه بعوامل متعددة، منها العوامل الطبيعية (مثل المناخ والبيئة الجغرافية) والعوامل البشرية (مثل العادات والتقاليد، والموارد المتاحة، والبنية التحتية). وللترفيه آثار إيجابية متشعبة، فهو يساهم في تحسين الصحة النفسية والجسدية للأفراد، ويعزز الروابط الاجتماعية من خلال توفير فرص للتواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع، إضافة إلى دوره في تحفيز النشاط الاقتصادي عبر ما يتيحه من

1 - دائرة نفوس المتن

2 - د.علي فاعور، أطلس لبنان، دار المؤسسة الجغرافية، 2007.

3 - المرجع نفسه

فرص عمل وتنشيط قطاعات مثل السياحة والخدمات.

ومن أبرز خصائص الترفيه التي ينبغي مراعاتها عند التخطيط على المستويات المحلية والوطنية والدولية أنه نشاط قابل للتطور والتنوع مع مرور الوقت، إذ يتأثر بمستجدات التطور الحضاري وتغير المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية¹. فظهور تقنيات جديدة، مثل الواقع الافتراضي والدكاء الاصطناعي، قد يفتح آفاقاً غير مسبوقة لأنماط مبتكرة من الترفيه، كما أن تغير أنماط الحياة وارتفاع الوعي الصحي يدفعان نحو تبني أنشطة أكثر استدامة وصديقة للبيئة² بناءً على ذلك، فإن التخطيط السليم للخدمات الترفيهية يتطلب رؤية شاملة تدمج بين البعد المكاني (توزيع الأنشطة والخدمات جغرافياً) والبعد الزمني (ملاءمة التوقيتات والفصول)، مع مراعاة الفوارق الثقافية والاجتماعية بين الفئات المختلفة، وذلك لضمان استفادة أكبر شريحة ممكنة من المجتمع وتحقيق أثر إيجابي طويل المدى.

1-1-8- الحدائق والمنتزهات وأماكن الترفيه

تعدّ الحدائق والمنتزهات في منطقة برمانا محدودةً ولا تلبي احتياجات السكان حيث لا تتجاوز حصّة الفرد 14 متراً مربعاً فقط. ورغم وجود 8 مناطق خضراء مخطّط لها، فإنّ المستغلّ فعلياً لا يتجاوز 2 منطقتين، بينما تعاني 6 مناطق متهاكة من الإهمال لكنّها بالمقابل محاطة بأشجار الصنوبر والسنديان إضافة إلى الأشجار البرية الأخرى، وتحوّلت تلك الأراضي لأغراض غير مخصّصة لها، مثل تحويلها إلى حدائق خاصّة للمجمّعات السكنيّة المجاورة، استخدامهما كمناطق لجمع النفايات. أمّا الخدمات الترفيهية فتشغل مساحة 1،2 كلم² منها 350 متراً مربعاً مخصّصاً للحدائق. لكن جودة هذه المساحات لا ترقى للمستوى المطلوب.

وتواجه البلدة عدداً من التحدّيات والحلول أبرزها:

- المدينة محاطة بحزام أخضر طبيعيّ من الصنوبر والأشجار والسنديان والأشجار البرية، مما يسهم في تنقية الهواء من الغبار، لكنّ المناطق الداخليّة تفقر لهذا
- 1 - ابراهيم، سمر (2016). الخدمات الترفيهية في المدن المتوسطة: دراسة في الجغرافيا الحضرية. القاهرة: دار الفكر الجامعي

2- Nasr, J. (2016). **Urban planning in Lebanon: Policies challenges, and prospects**. Beirut: Dar el-Machreq.

التأثير.

- ضرورة تطوير المنتزهات القائمة وزيادة مساحتها، وإنشاء حدائق جديدة تستجيب للكثافة السكانية وتحسّن جودة الحياة البيئية والاجتماعية.

إذا إن ضعف الاستثمار في البنى التحتية الخضراء يهدّد البيئة الحضرية، ويُفاقم أزمة المساحات الترفيهية في منطقة برمانا، ما يتطلب تدخلاً عاجلاً لتحويل المناطق المهملة إلى رئات تنفّس طبيعية¹.

2-8- الخدمات الصحية

تُمثّل الخدمات الصحية ركيزةً أساسيةً في بنية أي مجتمع، نظرًا لطبيعة الأمراض القابلة للانتشار عبر وسائل العدوى أو الوراثة. هذا الانتشار يجعل استمرارية تقديم الخدمات الصحية ملحةً بلا انقطاع، إذ ترتبط بوجود المجتمع نفسه ولا تقبل التأجيل أو التقيد بإطار زمنيّ محدّد. من هنا، يختلف توزيع الخدمات الصحية جوهريًا عن غيره من الخدمات العامة: فمن الضروريّ أن تشمل كافة التجمّعات السكانية دون استثناء، وتصل إلى جميع الأفراد بغضّ النظر عن مواقعهم الجغرافية أو ظروفهم الاجتماعية. هذه الفجوة تُعمّق عدم المساواة في الحقوق الأساسية، وتحوّل الحصول على الرعاية الصحية إلى امتيازٍ لقطاعٍ محدودٍ من السكان. تُعرف منظمة الصحة العالمية² الرعاية الصحية الأولية بأنها: "الخدمات الصحية الأساسية المتاحة والشاملة لجميع الأفراد والأسر في المجتمع." تشكّل هذه الرعاية حجر الزاوية في النظام الصحيّ وأداة محورية لتحقيق التنمية الصحية الشاملة.

1-2-8- منهجية تقييم التوزيع المكاني

أ. مؤشر مسافة الوصول (نطاق الخدمة)

- يقيس مدى سهولة وصول السكان للمرافق الصحية.
- يُحدّد النطاق الجغرافي لكلّ مركز صحيّ وفقًا لموقعه الفعليّ في الأحياء السكنية.

1 - المنظمة العربية للتنمية الإدارية. (2020). الخدمات الحضرية في المدن العربية: التحديات والتوصيات. القاهرة: الألكسو

2 - منظمة الصحة العالمية (2019) الرعاية الصحية الأولية: المبادئ والتطبيقات - جنيف.

ب. مؤشّر نصيب الفرد (مركز صحي/شخص)

- يقيس كفاءة التوزيع السكانيّ بعدد المراكز الصحيّة نسبة إلى حجم السّكان.
- يُحدّد العدد الأمثل للمراكز بناءً على الكثافة السّكانية والمعايير الصحيّة المعتمدة.

2-2-8- مؤسّسات طبيّة شبه غائبة

تفتقر بلدة برمانا إلى وجود مستشفيات، إذ يقتصر القطاع الصحيّ فيها على بعض العيادات والمستوصفات التي تقدّم الخدمات الأساسيّة للسّكان. كما أنّ الدّراسة الميدانيّة أظهرت وجود تفاوت في مستوى التّغطية الصحيّة، إلى جانب صعوبة في الحصول على الرّعاية الوقائيّة والتأخّر في الاستجابة للحالات الطّارئة. كما أنّ الضّغط المتزايد على المراكز الصحيّة القائمة يؤدّي إلى الازدحام وانخفاض جودة الخدمات، الأمر الذي ينعكس سلبيّاً على الصّحة العامّة من خلال تفاقم الأمراض المزمنة نتيجة ضعف المتابعة، إضافةً إلى احتماليّة انتشار الأوبئة في المناطق التي تفتقر إلى الخدمات الصحيّة الكافية.

3-8- الخدمات التّعليميّة

الخدمات التّعليميّة هي مجموعة من البرامج والأنشطة التي توفرها المؤسّسات التربويّة، سواء أكانت رسميّة أم خاصّة، وتشمل المدارس والجامعات والمراكز التّعليميّة بمختلف أنواعها. وتهدف هذه الخدمات إلى تنمية القدرات الفكرية والثقافيّة لدى الفرد، مما يسهم في رفع مستواه المعرفي وتطوير شخصيته. كما تتضمن طيفاً واسعاً من الأنشطة التربويّة التي أنشئت لتحقيق هذا الغرض. وتعتبر الخدمات التّعليميّة دعامة أساسيّة في بناء المجتمعات، إذ تؤدي دوراً محورياً في ترسيخ مقومات الحياة وتعزيز أسس الحضارة والتّقدم. فالتعليم يشكل القوة المحركة للتطور والابتكار، والمتعلم هو الأداة الرئيسيّة التي يعتمد عليها المجتمع في استكشاف آفاق جديدة وتحقيق منجزات علميّة وثقافيّة تدفع بعجلة النهضة إلى الأمام. وقد بلغ عدد المؤسّسات التّعليميّة في برمانا 5 مدارس تنتوع بين مدارس رسميّة ومدارس خاصّة.

1-3-8- العوامل المؤثّرة في التّوزيع السّكانيّ

يُعدّ التّوزيع الجغرافيّ للموارد التّعليميّة أحد العوامل الأساسيّة التي تؤثر بشكل مباشر

في تخطيط وتنظيم المؤسسات التربوية عبر مختلف المناطق. ففي بلدة برمانا، يشكل كل من التوزيع المكاني للسكان والبنية التحتية عاملاً محورياً في تحديد مواقع المدارس وانتشارها. ويتأثر هذا التوزيع بعوامل متعددة، أبرزها الكثافة السكانية وأنماط التخطيط العمراني، ما يؤدي إلى تفاوت في مستوى الخدمات التعليمية بين الأحياء. ففي بعض المناطق ذات الكثافة المرتفعة، نجد أكثر من مدرسة واحدة لتلبية حاجات السكان، في حين تعاني أحياء أخرى من نقص واضح في هذه الخدمات، الأمر الذي يصعب وصول أبنائها إلى التعليم. وتشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن برمانا تضم خمس مدارس فقط، منها مدرسة رسمية واحدة وأربع مدارس خاصة، غير أن توزيعها الجغرافي يظل غير متوازن بين الأحياء السكنية.

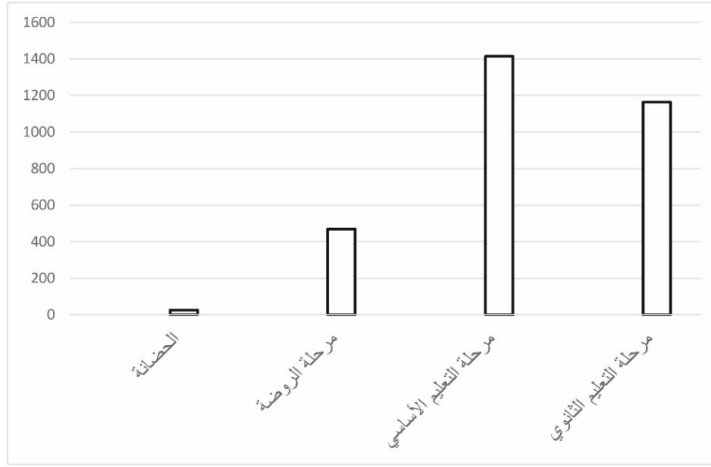
2-3-8- عدد المتعلمين في المدارس

بلغ عدد المتعلمين في مدارس برمانا 3074 متعلماً يتوزعون على مختلف المراحل الدراسية.

المرحلة الدراسية	ذكور	إناث	المجموع
الحضانة	12	14	26
مرحلة الروضة	232	238	470
مرحلة التعليم الأساسي	689	725	1414
المجموع	1474	1600	3074
مرحلة التعليم الثانوي	541	623	1164

جدول(1): توزع المتعلمين في برمانا حسب المراحل التعليمية¹

1 - وزارة التربية والتعليم العالي في لبنان (2025)، الإحصاءات التربوية الرسمية. بيروت، المديرية العامة للتربية.



رسم بياني (1): توزيع التلاميذ حسب المرحلة التعليمية في مدارس برمانا¹

9- القطاع الفندقّي

منذ بدايات الألفية الثالثة، أولت إدارات العديد من شركات الفنادق والسياحة اهتماماً خاصاً بتطبيق مفهوم التسويق الحديث. ولم تعد عملية تسويق الخدمة أو المنتج في هذا القطاع مقتصرة على الإدارة العليا كما كان في السابق، بل أصبحت مسؤولية مشتركة تشمل جميع العاملين. فالعمل الجماعي، وتحمل المسؤولية بروح تضامنية، والسعي المستمر إلى تحسين الجودة، كلّها عوامل تسهم في رفع مستوى رضا النزلاء وزيادة قناعتهم بتجربتهم. وبما أن الهدف الأساسي لمعظم الاستراتيجيات التسويقية يقوم على تعظيم المنفعة الحقيقية للضيف وتلبية احتياجاته ورغباته المتنوعة، فقد بات تحقيق التكامل والترابط بين مختلف أنواع الخدمات السياحية ضرورة أساسية. وهو ما تسعى إليه الإستراتيجيات الحديثة لضمان تقديم تجربة متكاملة تعزز من مكانة المنشآت السياحية وتدعم استمرارية نجاحها.

9-1- عدد الفنادق

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية في بلدة برمانا أنّ البلدة تضم 12 فندقاً تختلف في مستويات خدماتها وإمكانياتها، بدءاً من الفنادق الفاخرة ذات الطابع العصري، وصولاً إلى الفنادق العائلية التي تتميز بأجواء دافئة وحميمية. هذا التنوع يتيح للزوار خيارات

1 - تنفيذ الباحث استناداً الى الدراسة الميدانية

إقامة متعدّدة تناسب مختلف الميزانيّات. وإلى جانب هذه الفنادق، تنتشر في أحياء البلدة 322 شقّة سكنيّة مجهزة بكامل المستلزمات، معدّة للإيجار القصير أو الطويل الأمد. وتقع هذه الشقق غالباً في مبانٍ سكنيّة حديثة أو ضمن بيوت تراثيّة، ما يمنح الزوّار تجربة إقامة مريحة تجمع بين الخصوصية والاندماج في الأجواء المحليّة. ويعزّز هذا التّنوُّع في خيارات الإقامة من جاذبيّة برمانا كوجهة سياحيّة تستقطب الزوّار على مدار العامّ.

2-9- المطاعم والمقاهي والأفران

أظهرت نتائج الدّراسة الميدانيّة في بلدة برمانا أنّ البلدة تضم 9 مطاعم تتميّز بتنوّع مطابخها ومستويات خدماتها، بدءاً من المطاعم الرّاقية ذات الطّابع العصريّ، وصولاً إلى المطاعم العائليّة التي تقدّم أطباقاً تقليديّة محليّة. هذا التّنوُّع يتيح للزوّار خيارات طعام متعدّدة تلبيّ مختلف الأذواق والميزانيّات. وإلى جانب المطاعم، تنتشر في أحياء البلدة 11 مقهى، يقع معظمها ضمن مبانٍ سكنيّة أو على شرفات مطلّة على المناظر الطّبيعيّة، لتوفّر لروادها تجربة مريحة تجمع بين النّكهات المميّزة والأجواء المحليّة الأصيلة. هذا ما يعزّز من جاذبيّة برمانا كوجهة سياحيّة وتدوّقيّة على مدار العامّ. أما الأفران، فقد بلغ عددها 5 أفران، تضيف بدورها إلى المشهد الغذائيّ للبلدة وتلبيّ احتياجات السّكان والزوّار على حدّ سواء. أمّا المحلات التي تقدّم الحلويات والأكل السّريع بلغ عددها 7.

3-9- الحركة التجاريّة

تعكس الحركة التجاريّة في بلدة برمانا طابعاً موسميّاً مشابهاً للنّشاط السياحيّ. فقد بلغ عدد المؤسّسات النّاشطة في مجال التّجارة نحو 72 مؤسّسة، وتشهد المحال بمختلف أنواعها من متاجر الملابس والأحذية والإكسسوارات، مروراً بمحلّات بيع الموادّ الغذائيّة والمنتجات المحليّة، وصولاً إلى متاجر الإلكترونيّات والهدايا التّذكاريّة ارتفاعاً ملحوظاً في المبيعات خلال فصل الصّيف. ويعود ذلك إلى تدفق السيّاح والمصطافين والمغتربين الّذين يساهمون في تنشيط حركة الشّراء وزيادة الطّلب على مختلف المنتجات. أمّا في فصل الشّتاء، فيتراجع النّشاط التجاريّ نسبياً مع بقاء الطّلب قائماً من السّكان المحليّين، ما يدفع أصحاب المؤسّسات إلى تقديم عروض ترويجيّة أو إدخال منتجات جديدة بهدف

جذب العملاء والحفاظ على مستوى مقبول من المبيعات. ويعكس هذا النمط الموسمي مدى ارتباط القطاع التجاري في برمانا بدينامية الحركة السياحية، ويؤكد الحاجة إلى استراتيجيات تسويقية مرنة تمكن المؤسسات من التكيف مع تقلبات السوق.

4-9- النقل

يشكل قطاع النقل في برمانا عنصراً أساسياً في دعم الحركة السياحية والتجارية، إذ يعد حلقة وصل محورية بين البلدة والمناطق المجاورة. وتعتمد برمانا بشكل رئيسي على شبكة الطرق البرية التي تربطها بالعاصمة بيروت والمراكز الحضرية القريبة، ما يسهل وصول السكان والزوّار إليها. وخلال فصل الصيف، ومع تزايد أعداد السياح والمصطافين، تشهد البلدة ازدحاماً مرورياً ملحوظاً، خصوصاً في أوقات الذروة وحول الفنادق والمطاعم والمتاجر. هذا الواقع يفرض أحياناً الحاجة إلى خطط لتنظيم السير وتأمين مواقف إضافية للسيارات. كما يعتمد قسم من السكان والزوّار على سيارات الأجرة وخدمات النقل الخاصة، بينما تبقى وسائل النقل العام محدودة نسبياً، وهو ما يشكل تحدياً أمام تلبية الطلب المتزايد على التنقل. ويظهر من ذلك أن قطاع النقل في برمانا يعكس بوضوح الترابط بين البنية التحتية والحركة الاقتصادية والسياحية، ويؤكد الحاجة إلى تطويره لمواكبة النمو المستقبلي للبلدة.

4-9- الأماكن الأثرية

تحتضن بلدة برمانا مجموعة من المعالم الأثرية التي تعكس تاريخها العريق وتجسّد ارتباطها بالهوية الثقافية لجبل لبنان. وتتوزّع هذه المعالم بين المباني التراثية ذات الطابع اللبناني التقليدي، المميّزة بأسقف القرميد الأحمر والنوافذ المقوّسة والشرفات الحجرية، وبين الكنائس القديمة التي تعود لقرون مضت وما زالت تحتفظ بزخارفها ورسوماتها الجدارية الأصلية. كما تضم البلدة أديرة ومقامات لعبت أدواراً بارزة في الحياة الروحية والاجتماعية لأهلها عبر الزمن. وتنتشر أيضاً بقايا منازل وأبنية قديمة كانت يوماً مراكز للحكم أو للتجارة، لتروي حكايات عن مراحل تطوّر البلدة عبر العصور. وتشكّل هذه المعالم الأثرية عنصر جذب أساسي للسياح والمهتمين بالتراث، ما يجعل الحفاظ عليها وترميمها ضرورة ملحة لصون الذاكرة التاريخية وتعزيز الهوية السياحية لبرمانا.

6-9- نشاط سياحي موسمي

تُعد الأنشطة السياحية في برمانا ذات طابع موسمي واضح، حيث تشهد المطاعم والفنادق خلال فصل الصيف، وتحديدًا من حزيران حتى أيلول، حركة نشطة وإقبالاً ملحوظاً من السياح المحليين والأجانب إضافة إلى المغتربين العائدين لقضاء عطلتهم. ويعود ذلك إلى اعتدال الطقس في هذه الفترة، إلى جانب الفعاليات الثقافية والمهرجانات التي تساهم في تعزيز جاذبية البلدة. أما في فصل الشتاء، فيتراجع النشاط السياحي بشكل كبير، لتقتصر الحركة غالباً على الزوار في عطلات نهاية الأسبوع أو خلال الأعياد، ما ينعكس مباشرة على نسب الحجوزات الفندقية وأعداد رواد المطاعم. هذا التفاوت الموسمي يدفع أصحاب المؤسسات السياحية إلى البحث عن حلول أكثر مرونة، مثل تنويع العروض والخدمات أو ابتكار أنشطة خاصة تجذب الزبائن في الفترات الهادئة، وذلك بهدف الحفاظ على استمرارية الحركة الاقتصادية طوال العام.



رسم بياني (3): التفاوت بين أعداد رواد أحد بين شهر شباط و شهر تموز².

رسم بياني (2): التفاوت بين أعداد نزلاء أحد الفنادق المطاعم بين شهر شباط و شهر تموز¹.

10- على صعيد التكنولوجيا والاتصالات

تعاني بلدة برمانا من ضعف واضح في سرعة وجودة الإنترنت، إذ لا تزال معظم المنازل تعتمد على خطوط ADSL القديمة. هذا الأمر يتسبب في بطء التصفح وارتفاع زمن الاستجابة، وتزداد المشكلة وضوحاً خلال ساعات الذروة أو عند حدوث انقطاع كهربائي. كما أنّ الانقطاعات الكهربائية المتكررة تؤثر بشكل مباشر على محطات تقوية

1 - تنفيذ الباحث استناداً الى الدراسة الميدانية

2 - المرجع نفسه

الإشارة وأبراج الهواتف المحمولة، ما يؤدي إلى تراجع جودة المكالمات أو انقطاعها كلياً، إضافة إلى ضعف في خدمة الإنترنت الخليوي. وفي ظل غياب مبادرات رسمية لتحسين البنية التحتية، قد يجد الأهالي أنفسهم مضطرين للبحث عن بدائل غير رسمية لتأمين خدمة إنترنت أكثر استقراراً.

11- الثروة الحرجية كمسب سياحي

تُعتبر الغابات والغطاء الحرجي في برمانا مورداً بيئياً واقتصادياً واجتماعياً ذات أهمية كبيرة، إذ تمتد على مساحات واسعة من محيط البلدة، وتضمّ أشجار الصنوبر والسنديان وغيرها من الأنواع المتوسطة التي تميز سفوح جبل لبنان. وبشكل هذا الغطاء الأخضر ركناً أساسياً في تكوين المشهد الطبيعي لبرمانا، كما يعزز من مكانتها كوجهة سياحية ومصيفية مميزة.

11-1- المميزات

- **القيمة البيئية:** تلعب الغابات دوراً محورياً في الحفاظ على التوازن البيئي، فهي تنقي الهواء وتمتص ثاني أكسيد الكربون وتنتج الأوكسجين، إضافة إلى دورها في حماية التربة من التعرية. كما تُعدّ موطناً غنياً للتنوع الحيوي بما يضمّه من نباتات بريّة وطيور وحيوانات صغيرة¹

- **القيمة المناخية:** تساهم الغابات في تلطيف المناخ المحلي، حيث تخفّض درجات الحرارة صيفاً وتزيد من نسبة الرطوبة، مما ينعكس بشكل إيجابي على صحّة السكّان وجودة حياتهم.

- **القيمة الاقتصادية والاجتماعية:** يرتبط النشاط السياحي في برمانا ارتباطاً وثيقاً بوجود الغابات، إذ تجذب الزوّار إلى المطاعم والفنادق والمنتجعات، ممّا يدعم الاقتصاد المحلي ويوفّر فرص عمل للسكّان.

- **القيمة الجمالية والثقافية:** تتملّ الغابات جزءاً من الهوية الطبيعية والتراثية للبلدة، وتشكل عنصراً جمالياً يضيف تميزاً وخصوصية على المشهد العمراني.

1- Salem, S. (2018). «Seasonality in Tourism and Its Socio-Economic Impact on Mountain Communities: The Case of Mount Lebanon». **Journal of Sustainable Tourism**, 26(7), 1123–1140.

2-11- المشاكل والتحديات

1. **التوسع العمراني:** يشكل الضغط السكاني والتمدد العمراني أحد أبرز الأخطار على الغطاء الحرجي، حيث تؤدي التغيرات المباشرة إلى تحويل الأراضي الحرجية إلى مساحات مبنية.
2. **الحرائق:** تمثل الحرائق الموسمية تهديداً خطيراً، إذ تؤدي إلى فقدان مساحات واسعة من الأشجار وتضعف قدرتها على التجدد الطبيعي، مما يخل بالتوازن البيئي.
3. **الإدارة غير المستدامة:** ضعف سياسات الحماية وغياب استراتيجيات شاملة لإدارة الموارد الحرجية يسهم في تدهور الغابات وتراجع تنوعها البيولوجي.
4. **التلوث البيئي:** يؤدي تراكم النفايات بشكل عشوائي داخل الغابات ومحيطها إلى تقليل قيمتها البيئية والجمالية، كما يؤثر سلباً على صحة الإنسان والكائنات الحية. تُعد الثروة الحرجية في برمانا رصيذاً استراتيجياً يستوجب الحماية من خلال اعتماد خطط مستدامة لإدارة الموارد الطبيعية، وتفعيل دور البلدية والمجتمع المدني في حماية الغابات، والحد من التغيرات، والتصدي للحرائق. إن الحفاظ على هذه الثروة لا يُعد واجباً بيئياً فحسب، بل يمثل أيضاً دعامة أساسية في صون الهوية السياحية والاقتصادية للبلدة.

12- تأثير قطاع الخدمات في الغطاء النباتي في برمانا

يُعدّ توسع قطاع الخدمات في برمانا، شأنه شأن المناطق الجبلية الأخرى القريبة من المدن الكبرى، عاملاً أساسياً في التحولات العمرانية والبيئية التي تشهدها المنطقة¹. فمع ازدياد الطلب على السياحة والتجارة والخدمات الفندقية، يتزايد الضغط على الأراضي، ما يؤدي إلى تجزئة المساحات الخضراء أو تحويلها إلى أبنية ومرافق خدمية². ويلاحظ أن إنشاء المطاعم والمحلات والمراكز الترفيهية، خصوصاً في فصل الصيف، تمّ في كثير من الأحيان على حساب الغابات الصغيرة والحدايق التقليدية، وهو ما تسبّب في تقلص الغطاء الأخضر وتراجع التنوع البيولوجي. هذا التوسع العشوائي يهدّد التوازن البيئي،

1 - بلدية برمانا (2023) - تقارير وخطط برمانا التنموية.

2 - الضاحي، محمد (2018). التحولات العمرانية في جبل لبنان: من القرية التقليدية إلى المدينة الحديثة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

ويزيد من احتمالية الانزلاقات الأرضية، كما ينعكس سلباً على جودة الهواء والمياه. لذلك تبرز الحاجة إلى اعتماد تخطيط عمراني مستدام يحقق التوازن بين تطوير قطاع الخدمات والحفاظ على المساحات الطبيعية، بوصفها ركناً أساسياً من هوية برمانا البيئية والجغرافية، وداعماً للسياحة البيئية وراحة السكان والزوار على حد سواء¹.

اقتراحات

عندما نتأمل خريطة حياتنا اليومية، نكتشف أننا نتحرك بين محطات رئيسية تشكل أساس وجودنا: المدارس التي تُصنع فيها عقول الأجيال وتُبنى عليها تطلعات المستقبل، والمراكز الصحية التي تُحافظ على الأرواح وتعيد للأفراد عافيتهم، ثم الحدائق وأماكن الترفيه التي تمنحنا مساحة للتجديد وبناء الروابط الاجتماعية. هذه الخدمات ليست مجرد مبانٍ قائمة على الأرض، بل هي شبكة حياة تنسج تفاصيل أيماننا وتشكل مقياساً لجودة معيشتنا وعمق إحساسنا بالطمأنينة والانتماء. ومن هنا، فإن مسألة اختيار مواقع هذه الخدمات ليست إجراءً روتينياً أو قراراً إدارياً عادياً يُحسم خلف أبواب المكاتب، بل هي قضية محورية تمس العدالة الاجتماعية بشكل مباشر وتؤثر على رأس المال البشري وتماسك المجتمع². اختيار الموقع عملية معقدة تتطلب بصيرة وحكمة لأنها تحدّد:

- مدى سهولة وصول المواطنين إلى الخدمات.
- درجة العدالة في توزيع الفرص بين مختلف الفئات.
- الكفاءة الاقتصادية في استغلال الموارد العامة.
- قدرة المدن على النمو بشكل متوازن ومستدام.

أولاً: إشراف المختصين

ترك مسألة تحديد مواقع الخدمات الأساسية للصدفة أو للمصالح السياسية أو لغير المختصين يُعدّ مخاطرة كبيرة تهدّد حاضر المجتمع ومستقبله. لذلك، يصبح تدخّل خبراء التخطيط الحضري والإقليمي والاجتماعي ضرورة لا غنى عنها، فهم يمتلكون

1 - مراد، علي (2021). إدارة الموارد الطبيعية في المناطق الجبلية: الحفاظ على الغابات ودورها في السياحة المستدامة. دمشق: المعهد العربي للدراسات البيئية.

2 - Makdisi, S., & Sadaka, R. (2020). **The Lebanese economy: Development and challenges**. Beirut: Lebanese American University Press.

الأدوات العلمية والرؤية الشمولية التي تمكنهم من التعامل مع هذا الملف بحكمة ودقة¹ من خلال:

1. **التحليل الديموغرافي الدقيق:** دراسة توزيع السكان من حيث العدد والأعمار والكثافة والتركيبة الأسرية، مع التنبؤ باتجاهات النمو السكاني والهجرة الداخلية على المدى المتوسط والبعيد. فمثلاً، بناء مدرسة في منطقة تشهد تناقصاً سكانياً إهدار للموارد، بينما إغفال منطقة متنامية يُعدّ حرماناً للأطفال من حقهم.

2. **دراسة الاستخدامات الحالية والاحتياجات الفعلية:** تقييم الخدمات القائمة، قياس كفاءتها وجودتها، وتحديد الفجوات في المناطق التي تعاني من نقص أو خلل في التوزيع.

3. **تحليل شبكة النقل والمواصلات:** فهي أساليب تنقل السكان والوسائل المتاحة لهم (سيارات خاصة، وسائل نقل عامة، مشي، دراجات)، مع تحديد أوقات الذروة والعوائق. الخدمة الجيدة ليست قريبة فقط من حيث المسافة الجغرافية، بل أيضاً من حيث زمن الوصول وتكلفته وسهولته، خاصة للفئات الأكثر احتياجاً مثل الطلاب وكبار السن وذوي الدخل المحدود.

4. **تقييم البنية التحتية القائمة والمستقبلية:** فحص قدرة المنطقة على استيعاب خدمة جديدة من حيث شبكات المياه والصرف الصحي والكهرباء والاتصالات، بالإضافة إلى دراسة خطط تطوير البنية التحتية (طرق، جسور، أنفاق، خطوط مترو) وتأثيرها على إمكانية الوصول للخدمة.

5. **مراعاة خطط التنمية العمرانية المستقبلية:** لا يجب الاكتفاء بالنظر إلى الوضع الحالي، بل من الضروري استشراف اتجاهات التوسع العمراني. يجب أن تكون مواقع الخدمات جزءاً من هذه الرؤية وليس مجرد حلول ترقيعية لأخطاء التوسع العشوائي.²

6. **إجراء دراسات الجدوى الاجتماعية والاقتصادية:** مقارنة التكاليف مع الفوائد

1 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (2021): التنمية المحلية في لبنان ، مؤشرات وخطط
2 - الحجار، عبد اللطيف (2017). التخطيط الحضري والتنمية المستدامة في المناطق الجبلية. بيروت: الدار العربية للعلوم.

الاجتماعيّة المتوقّعة، دراسة تأثير المواقع على القيم العقاريّة دون إحداث تمييز، وقياس الأثر المجتمعيّ المباشر وغير المباشر.

إن غياب الخبرة المتخصّصة في التّخطيط ينعكس مباشرة على توزيع الخدمات بشكل مشوّه، فتتركّز بعض الخدمات في مناطق معينة حتّى تزدحم بها، بينما تُحرم مناطق أخرى منها تماماً. وقد تُقام منشآت بعيدة عن أماكن الكثافة السّكانيّة الحقيقيّة، أو يُحدّد حجمها بشكل غير متناسب مع عدد المستفيدين؛ فنجد مدارس صغيرة في أحياء مكتظة، أو مدارس كبيرة في مناطق شبه خالية. كل ذلك يؤدّي في النّهاية إلى إنهاك يوميّ للمواطنين، وإهدارٍ للوقت والمال، إضافةً إلى تعميق الفوارق الاجتماعيّة والاقتصاديّة بين مختلف الأحياء.

ثانياً: التّكامل المؤسّسيّ

لا تستطيع أي جهة منفردة أن تضمن التّوزيع الأمثل والمتوازن للخدمات الأساسيّة، فالأمر معقّد ومتربط ويتطلّب تعاوناً عميقاً وتنسيقاً مستمراً بين مختلف المؤسّسات المعنية¹. ويشمل هذا التّكامل:

1. وزارة التّربية والتّعليم: تحدّد احتياجات القطاع التّعليميّ من حيث عدد المدارس وأنواعها ومراحلها وسعتها والتّخصّصات المطلوبة، مع اختيار المواقع المناسبة بناءً على التّوزيع المتوقّع للطلّاب وجودة التّعليم المنشودة.

2. وزارة الصّحة والهيئات الصّحيّة: تتولّى مسؤوليّة تخطيط وتوزيع المنشآت الصّحيّة مثل المستشفيات والمراكز الأوليّة والعيادات والمراكز المجتمعيّة، وفقاً للمعايير الصّحيّة العالميّة (عدد السّكان لكلّ مركز صحيّ، مسافات الوصول إلى خدمات الطّوارئ) إضافةً إلى مراعاة الاحتياجات البشريّة الخاصّة بكلّ منطقة.

3. الجهات المسؤولّة عن التّرفيه والتّثقيف: كالبليديّات وهيئات السيّاحة والآثار ووزارات الشّباب والتّثقيف، حيث يقع على عاتقها توفير وتوزيع الحدائق العامّة والمتنزهات والمساحات الخضراء، إضافةً إلى المراكز التّثقيفيّة والمكتبات العامّة والأندية الرّياضيّة وأماكن التّرفيه الآمنة والمتاحة للجميع.

1 - برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ. (2021). التّنمية المحليّة في لبنان: مرجع سابق

4. **الجهات المسؤولة عن البنية التحتية:** مثل البلديات ووزارات النقل والمياه والكهرباء والاتصالات، وهي المسؤولة عن تطوير الطرق ووسائل النقل العام وشبكات المرافق الأساسية (مياه، كهرباء، صرف صحي، اتصالات) التي تمثل العمود الفقري لأي خدمة وتحدد سهولة الوصول إليها.

5. **إنشاء وزارة التخطيط** تضطلع بالدور التنسيقي الأعلى من خلال:

- وضع معايير وطنية وإقليمية لتوزيع الخدمات (مثل أقصى مسافة سير للطلاب، عدد السكان لكل مركز صحي، نصيب الفرد من المساحات الخضراء).
- إدارة قاعدة بيانات جغرافية متكاملة (GIS) تشمل بيانات السكان والأراضي والخدمات وخطط التنمية لتكون أداة قوية لدعم القرار.
- تشكيل لجان تخطيط مشتركة دائمة لتسهيل التنسيق بين جميع الجهات، مع اجتماعات دورية وآليات واضحة لتبادل البيانات واتخاذ القرارات.
- مراجعة واعتماد المخططات التفصيلية لضمان توافقها مع الرؤية التنموية.
- متابعة التنفيذ وقياس مدى تحقيق الأهداف.

غياب هذا التنسيق المحكم يقود إلى نتائج كارثية، مثل بناء مدرسة على أرض مخصصة أصلاً لمستشفى، أو إنشاء منطقة سكنية جديدة دون تجهيزها بخدمات تعليمية أو ترفيهية، أو إقامة مركز صحي في موقع يصعب الوصول إليه لغياب وسائل النقل المناسبة. والنتيجة: خدمات متفرقة وغير متوازنة يصعب الاستفادة منها، وهدر كبير للموارد العامة التي كان يمكن استثمارها بكفاءة أعلى. إن تحقيق مفهوم "نطاق الخدمة الاجتماعية" لا يتم إلا عبر تعاون كل هذه الجهات، بحيث تصبح المدرسة والمركز الصحي والحديقة في متناول كل مواطن أينما كان، ودون أي تمييز، لتتحول الخدمات الجيدة إلى حق أساسي مكفول للجميع.

ثالثاً: التعليم نموذجاً

يُعدّ التعليم حجر الأساس لأي عملية تنموية، وهو من أكثر الخدمات تأثيراً على مستقبل الأفراد والمجتمع. غير أنّ العدالة في الوصول إلى تعليم جيد لا تتحقق بمجرد

بناء المدارس، بل تتطلب تخطيطاً واعياً يوازن بين الإنصاف والقرب والجودة.

1-3- معايير واضحة لقرب المدارس

- أقصى مسافة سير آمن (مشياً أو بالدراجة) لكل مرحلة عمرية، مثل 500 متر لرياض الأطفال وكيلومتر واحد للمرحلة الابتدائية.
- أقصى زمن وصول عبر وسائل النقل المتاحة، مع توفير نقل مدرسي مجاني وآمن للمناطق البعيدة.
- تجنب المخاطر في طرق الوصول، مثل الطرق السريعة أو المناطق الصناعية غير الآمنة.

2-3- الأولوية للمناطق المحرومة والمكتظة

ينبغي أن تركز خطط بناء المدارس الجديدة أو توسعة القائمة على:

- بناء مدارس جديدة بسرعة في المواقع الأكثر احتياجاً.
- توسعة المدارس الحالية بإضافة فصول ومرافق.
- تأهيل المدارس المتقادمة وتحسين بنيتها.
- استخدام التكنولوجيا وأدوات التخطيط الذكي للتنبؤ بالطلاب التعليمي وتوجيه الاستثمارات بدقة.

إنّ الاستثمار في تخطيط تعليمي سليم ليس مجرد بناء منشآت، بل هو استثمار مباشر في رأس المال البشري، وفي تكافؤ الفرص، وتقليل الهدر الناتج عن التسرب المدرسي بسبب صعوبة الوصول أو ضعف البيئة التعليمية.

رابعاً: لخدمات الصحية

- إنشاء مركز صحي متكامل (على الأقل) مزود بوحدة طوارئ أساسية.
- تطبيق نظام «نقاط الخدمة الصحية المتنقلة» للمناطق النائية.
- التعاون مع منظمات دولية (مثل منظمة الصحة العالمية) لتدريب الكوادر الطبية.

خامسًا: تعزيز المساحات الترفيهية والبيئية

• الحدائق العامة:

- إعادة تأهيل 6 مناطق خضراء مُهملة وتحويلها إلى حدائق عامة مجهزة.
- تخصيص 20% من مساحات المشاريع السكنية الجديدة كمساحات خضراء إلزامية.

• السياحة البيئية

- تطوير مسارات مشي بين غابات الصنوبر والسنديان مع نقاط استراحة.
- إنشاء «متحف طبيعي» يعرض التنوع البيولوجي الفريد في مرتفعات برمانا.

سادسًا: تنويع القطاع السياحي وتجاوز الموسمية

• السياحة الثقافية

- ترميم الأماكن الأثرية وإنشاء «بطاقة سياحية موحدة» تشمل دخول المواقع والفعاليات.
- تنظيم مهرجانات ثقافية شتوية (مثل «مهرجان الزيتون» أو «أيام التراث»).

• البنية التحتية السياحية

- تطوير نظام نقل سياحي (حافلات صغيرة) يربط بين الفنادق/المطاعم/المعالم.
- إنشاء منصة رقمية لتجميع عروض الإقامة (فنادق + شقق) مع خصومات للموسم المنخفض.

- **سياحة طبية وصحية:** استغلال الهدوء والهواء النقي لتقديم خدمات «الاستشفاء بالطبيعة»، مثل:

- مراكز علاجية للإجهاد والتأمل.

- عروض «استراحة شهرية» للعائلات أو الموظفين.

- **سياحة طبية وتعليمية:** التعاون مع الجامعات أو المراكز الطبية لإقامة ورش عمل أو مؤتمرات صغيرة في البيئة الهادئة.

سابعًا: التحوّل الرقّمي والطّاقة

• الاتّصالات:

- تركيب أبراج اتّصالات تعمل بالطّاقة الشمسيّة لضمان استمراريّة الخدمة أثناء انقطاع الكهرباء.
- التّعاون مع شركات مثل «أوجيرو» لتوفير إنترنت فايبر في المناطق السّكنيّة الكثيفة.

• الطّاقة المتجدّدة:

- تشجيع تركيب الألواح الشمسيّة على أسطح المؤسّسات العامّة (مدارس - مراكز صحيّة).
- توفير دعم حكوميّ/بلديّ لتحويل المطاعم والفنادق إلى أنظمة طاقة شمسيّة.

التسويق الذكيّ والثّرويج الرقّميّ

- إنشاء هوية سياحيّة مميّزة لبرمانا (مثل: «برمانا: هدوء الطّبيعة، دفء النّاس»).
- استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ (إنستغرام، تيك توك) لعرض الصّور والفيديوهات الجذّابة.
- التّعاون مع المؤثّرين في مجال السّفر والسّياحة.

ثامناً - الاستثمار في الاقتصاد المحلّيّ

• دعم التّجارة غير الموسميّة:

وذلك من خلال إنشاء سوق محلّيّ دائم للمنتجات الزّراعيّة/الحرفيّة (يُفتح طوال الأسبوع وتطبيق نظام «خصم المقيمين» (بطاقة سكانيّة) لتحفيز الإنفاق المحلّيّ في الشّتاء.

التدريب المهنيّ

من خلال فتح مركز تدريب على المهن السياحية (إدارة فنادق - طهي) بالشراكة مع الجامعات.

تاسعاً : التعاون مع القطاع الخاص والمجتمع المحلي

من خلال تقديم حوافز للمستثمرين لفتح مشاريع خدميّة (مقاهي، فنادق صغيرة، مراكز ترفيه) ودعم المبادرات المجتمعيّة مثل جمعيات تدّير أسواقاً أسبوعيّة.

عاشراً: تنظيم فعاليات ومواسم ثقافيّة وفنيّة

- موسم ثقافيّ سنويّ: يتضمّن معارض فنيّة، عروض موسيقيّة، مسرح شعبيّ.
- ورش عمل شهريّة: طبخ، فنون يدويّة، لغات، تصوير فوتوغرافيّ.
- مهرجانات موسميّة: مهرجان الرّبيع، مهرجان الخريف، مهرجان النّبيذ أو الرّيتون.

حادي عشر: السّياحة الشتويّة

الاستفادة من فصل الشّتاء بدلاً من اعتباره فترة ركود:

• تشجيع السّياحة الدّاخلية الشتويّة:

- من خلال إقامة مطاعم وملاهي داخلية مع مشاهد طبيعيّة (كالنّار المفتوحة، الشّاي التقليدي).

- تنظيم عروض «عطلة شتاء» مع أنشطة عائليّة (مثل صنع المعجنات، جلسات قهوة تقليديّة).

• تنظيم مهرجانات شتويّة: مثل مهرجان الشّتاء، مهرجان الضّوء، أو سوق الميلاد.

إنّ التّخطيط المدروس والعادل لمواقع المدارس والمراكز الصحيّة وأماكن التّرفيه لا يُعدّ مجرد وسيلة لتحسين الحياة الحضريّة، بل هو ركيزة أساسيّة لتحقيق العدالة الاجتماعيّة بمعناها الحقيقيّ. فالمكان الذي يولد فيه الإنسان أو يعيش فيه يجب ألاّ يتحوّل إلى سبب يحدّد ما إذا كان مكاناً مليئاً بالفرص، أو حياةً مليئةً بالمشقّة والحرمان¹.

وعندما تكون الخدمات الأساسيّة قريبة، سهلة الوصول، عالية الجودة، ومفتوحة للجميع، فإنّ ذلك ينعكس في:

1- Saliba, R., & Nassar, N. (2019). Sustainable tourism and urban development in Mount Lebanon. Journal of Mediterranean Studies, 28(2), 145-168.

- **توفير الوقت والجهد:** ما يتيح توجيه طاقة الأفراد نحو العمل والإبداع والتعلم والاستمتاع بالحياة الأسرية والاجتماعية.
 - **تعزيز الصحة الجسدية والنفسية:** عبر سهولة الوصول إلى الرعاية الطبية، والتشخيص المبكر، وتوفير المساحات الخضراء للرياضة والاسترخاء، وتقليل الضغوط الناتجة عن التنقلات الطويلة.
 - **رفع كفاءة الاقتصاد:** من خلال تقليل الهدر في الوقت والوقود، وزيادة إنتاجية القوى العاملة بفضل صحتهم الجيدة وراحتهم، وجذب الاستثمارات إلى مدن أكثر تنظيماً وجاذبية.
 - **بناء مجتمعات متماسكة:** إذ تتيح الحدايق والمراكز المجتمعية أماكن للتفاعل الاجتماعي وتعزيز الروابط المجتمعية.
 - **ضمان الحقوق الأساسية للإنسان:** مثل الحق في التعلم، والحق في الصحة، والحق في بيئة معيشية كريمة.
- لذلك فإن الدعوة إلى منح التخطيط الحضري للخدمات الأساسية أولوية قصوى، مع الاستثمار في الكوادر المتخصصة، وتعزيز التنسيق بين الجهات، ووضع معايير واضحة للعدالة المكانية، هي دعوة إلى بناء مدن أكثر إنسانية وعدلاً واستدامة¹. إنها الخطوة نحو تحويل شعار “الخدمة قريبة من المواطن” من مجرد حلم إلى واقع يعيشه الجميع يومياً وبذلك تتحقق جودة الحياة التي تمثل الغاية الأسمى لأي تنمية حقيقية مستدامة. إنه استثمار مباشر في رفاهية المواطن اليوم، وفي ازدهار المجتمع غداً.

1 - النابلسي، فؤاد (2019). السياحة الجبلية والتنمية المحلية في لبنان: تحديات وفرص. عمان: مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية.

المراجع:

1. أطلس لبنان المناخي
2. بلدية برمانا. (2023). تقارير وخطط بلدية برمانا التنموية.
3. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. (2021). التنمية المحلية في لبنان: مؤشرات وخطط. بيروت: UNDP.
4. وزارة التربية والتعليم العالي في لبنان. (2023). الإحصاءات التربوية الرسمية. بيروت: المديرية العامة للتربية.
5. منظمة الصحة العالمية. (2019). الرعاية الصحية الأولية: المبادئ والتطبيقات. جنيف: منظمة الصحة العالمية.
6. فاعور، علي (2007) أطلس لبنان، دار المؤسسة الجغرافية
7. الجامعة العربية، قسم التنمية المستدامة. (2021). الاستراتيجيات الوطنية للتنمية الحضرية في الدول العربية - لبنان. القاهرة: الأمانة العامة.
8. المنظمة العربية للتنمية الإدارية. (2020). الخدمات الحضرية في المدن العربية: التحديات والتوصيات. القاهرة: الألكسو
9. الضاحي، محمد. (2018) التحوّلات العمرانية في جبل لبنان: من القرية التقليدية إلى المدينة الحديثة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.
10. النابلسي، فؤاد. (2019) السياحة الجبلية والتنمية المحلية في لبنان: تحديات وفرص. عمان: مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية.
11. الحجار، عبد اللطيف. (2017) التخطيط الحضري والتنمية المستدامة في المناطق الجبلية. بيروت: الدّار العربية للعلوم.
12. مراد، علي. (2021) إدارة الموارد الطبيعية في المناطق الجبلية: الحفاظ على الغابات ودورها في السياحة المستدامة. دمشق: المعهد العربي للدراسات البيئية
13. براهيم، سمر. (2016) الخدمات الترفيهية في المدن المتوسطة: دراسة في الجغرافيا الحضرية. القاهرة: دار الفكر الجامعي.
14. نظم المعلومات الجغرافية
15. دائرة نفوس المتن

- 
16. Khalaf, S. (2002). **Civil and Urban Development in Lebanon**. Beirut: American University of Beirut Press.
 17. Makdisi, S., & Sadaka, R. (2020). **The Lebanese economy: Development and challenges**. Beirut: Lebanese American University Press.
 18. Nasr, J. (2016). **Urban planning in Lebanon: Policies challenges, and prospects**. Beirut: Dar el-Machreq.
 19. Saliba, R., & Nassar, N. (2019). **Sustainable tourism and urban development in Mount Lebanon**. *Journal of Mediterranean Studies*, 28(2), 145–168.
 20. Salem, S. (2018). “Seasonality in Tourism and Its Socio–Economic Impact on Mountain Communities: The Case of Mount Lebanon”. **Journal of Sustainable Tourism**, 26(7), 1123–1140.

الترجمة والبحث العلمي في ضوء منظومات الذكاء الاصطناعي - دراسة استشرافية -

Translation and Scientific Research in the Era of Artificial Intelligence:
A Prospective Study

- د. ايليان مهنا²

Dr Eliane Mhanna -

تاريخ القبول 2025/9/30

أ.د. ليال مرعي¹

Prof. Layal Merhy

تاريخ الاستلام 2025 / 8 / 27

مستخلص

تشهد الترجمة، اليوم، هيمنة واضحة للأتمتة بفعل التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي، ما جعل الطلاب يعتمدون على التطبيقات الذكية بشكل واسع في التوثيق والبحث العلمي، مستفيدين مما توفره من سرعة وسلاسة في الأداء. وعلى الرغم من إنتاجها نصوصاً تبدو سلسلة ومتناسكة على المستوى الظاهري، فقد توهم القارئ بدقتها وكفاءتها وبأنها تغنيه عن التدخل البشري، غير أنّ هذه الأدوات لا تخلو من ثغرات وشوائب تتطلب مراجعة نقدية واعية لضمان جودة المخرجات ودقتها الأكاديمية واللغوية. وبناءً عليه، تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول تحديد حاجة الباحثين والمترجمين، من أساتذة وطلاب، إلى الذكاء الاصطناعي، والعوامل المؤثرة في تصوراتهم تجاهه، بالإضافة إلى سبل دمج تقاناته بفعالية في البحث والترجمة. وتهدف الدراسة إلى إبراز الارتباط الوثيق بين الذكاء الاصطناعي والعمل الأكاديمي بالرغم من الاستخدامات العشوائية الراهنة، مع تأكيد ضرورة دمج هذه التقنية في مختلف فروع الأكاديميا، خصوصاً في تعليم الترجمة وتعلمها، وفي البحث العلمي، وتطوير المناهج، وذلك بالنظر إلى صعوبة تجاوز تأثيرات الذكاء الاصطناعي. وتستند الدراسة في جمع بياناتها ومعالجتها إلى

1- مديرة مركز اللغات والترجمة في الجامعة اللبنانية وأستاذة محاضرة فيه، layal.merhy@ul.edu.lb

2- دكتورة في مركز اللغات والترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، لبنان، e.mhanna@ul.edu.lb

وسيلتين متكاملتين، هما الاستبانة والمقابلة مع مجموعة من المشاركين في البحث، وذلك لتعميق فهم التجارب الفردية، وتحليل النتائج، ومناقشتها بشكل أدق. وتُقدّم الدراسة سبلاً عمليّة لتفعيل الذكاء الاصطناعي وتنظيم استخدامه في البحث العلمي بما يضمن توظيفه الفعّال والمستدام.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، العمل الأكاديمي، البحث العلمي، الترجمة، تطوير المناهج.

Abstract

Translation today is increasingly shaped by automation, driven by the rapid development of artificial intelligence (AI). This has led students to rely extensively on intelligent applications for documentation and academic research, benefiting from the speed and efficiency these tools provide. Although such tools produce texts that appear fluent and coherent – often creating the impression of accuracy and competence that might seem to eliminate the need for human intervention – they still contain gaps and flaws that require critical review to ensure academic and linguistic quality. In this context, the present study examines how researchers and translators, both faculty and students, engage with AI, the factors influencing their perceptions of it, and the ways its technologies can be effectively integrated into research and translation. The study further aims to demonstrate the close relationship between AI and academic work, despite its current unregulated use, highlighting the necessity of incorporating AI across all academic fields, particularly in translation teaching and learning, scientific research, and curriculum development, as its influence on academic practice cannot be overlooked. To collect and analyze data, the study employs two complementary methods: a questionnaire, and interviews with a group of participants, designed to deepen the understanding of individual experiences, refine the analysis, and enable a more precise discussion of results. Finally, the study proposes practical strategies for applying and regulating AI in academic research to ensure its effective and sustainable use.

Keywords: artificial intelligence, academic work, research, translation, curriculum development.

مقدمة

لم نشهد يوماً تحديات أكاديمية تضاهي تلك التي يفرضها الذكاء الاصطناعي حالياً. دخلنا ثورته، جميعنا، من دون أن ندرك، وما عُدا نكهن كيف سيغيّر هذا الذكاء العالم وإن كان سيبدّل أحوالنا، بل بتنا نراقب تغيّراته وتحولاته التي تمضي بسرعة، وكأننا نصحو في كلّ صباح على عالم جديد. طالما اعتقدنا، نحن الأساتذة، أنّ الذكاء الاصطناعي وما يصحبه من صيحات، ما هو إلّا موضة وستمضي، لنعود إلى أعمالنا ومهامنا كما اعتدنا فعلها. ولكنّه، في الحقيقة، دخل الصناعات على أشكالها، حتّى الأكثر إبداعاً منها. وإن أردنا الاستمرار بالتربية والبحث والتعليم، علينا أن نتمسك بهذا الذكاء ونطوّعه ليخضع لأساليبنا ويلبّي حاجتنا. وهو اليوم، يشقّ طريقه بثقة في المختبرات والمشافي وفي البحث عن الطّاقة المتجدّدة. وقد انتشر وشاع بفضل منصّات تفاعلية سهلة الاستخدام - مثال «شات جي بي تي» (ChatGPT) و«جيمي» (Gemini) و«ديب سيك» (Deep Seek)، وهذه ما هي إلّا الجزء الظاهر من جبل الجليد المترسّخ في أعماق قاعدات البيانات.

وتؤكد المحادثات التي أجريت مع أساتذة مركز اللّغات والترجمة في الجامعة اللبنانية، في إطار هذه الدّراسة، أنّنا جميعنا في حالة ذهول وتشنّت سببها دخول الذكاء الاصطناعي إلى بيوتنا وكتبنا وامتحانات طلابنا، وولّد هذا الشعور نوعاً من المقاومة والرّفص لواقع الحال لدى بعضهم، وفي المقابل، نرى أيضاً نقبلاً للواقع وإقبالاً على استكشاف الأدوات التي يوفّرها هذا الذكاء. ففي القطاعات كلّها، يقف الاختصاصيون أمام منعطفات ونقاط تحوّل يهابونها ويخشون المضيّ قدماً فيها خوفاً من المجهول. وبالرغم من أنّ عدداً متزايداً من الاختصاصيين يعتقدون أنّ أدوات الذكاء الاصطناعي قادرة على محاكاة الذكاء البشريّ والإجابة عن الأسئلة كافّة بشكل واضح وواع، نجد أنّ آخرين يشدّدون على محدوديّة هذا الذكاء وعدم قدرته على التّواصل والتّفاعل كما يفعل البشر، وهذه المحدوديّة هي ما نشدّد عليه في مجال البحث والترجمة. فمهما علا شأن الذكاء الاصطناعي سنعود في كلّ مرّة إلى التعريف بمفهوم الذكاء وأنواعه، وبقابليّة البشر على فهم الآخرين والتّعامل مع المسائل كافّة بطرق متنوّعة تتخطّى وعي الذكاء الاصطناعي، وحتّى أحياناً تتجاوز التّعبير بالكلام.

1- إشكالية الدراسة وأهدافها

تركّز هذه الدراسة على أهمية استخدام الذكاء الاصطناعي وفاعليته في العمل الأكاديمي، خصوصاً في الأعمال المرتبطة بالبحث العلمي والترجمة، سواء أكان في التعليم أم في الممارسة. في هذا الإطار، تتمحور إشكالية الدراسة حول الأسئلة الآتية: كيف تتحدّد حاجة الباحثين والمترجمين - من أساتذة وطلاب - إلى الذكاء الاصطناعي؟ ما هي العوامل والعوائق التي تؤثر في نظرهم إلى هذا الذكاء وأدواته؟ وكيف يمكن دمج تقناته بفعالية في البحث العلمي والترجمة؟

استندت الدراسة الميدانية إلى نتائج الاستبانات الإلكترونية التي أرسلت إلى أساتذة مركز اللغات والترجمة وطلّابه لاستطلاع آرائهم. كان مركز اللغات والترجمة في الجامعة اللبنانية الخيار الأنسب؛ فهو يعتمد نظام القبول المحدود، ويضمّ فصولاً صغيرة ومجموعات متجانسة من المتعلّمين، بالإضافة إلى هيئة تعليمية اختصاصية في تدريس الترجمة واللغات الحية التطبيقية (العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والصينية). لذا، أرسلت استبانات إلكترونية إلى الأشخاص المعيّنين بالدراسة خلال العام الدراسي 2024-2025، وتمثّلت العينة في (17) أستاذًا؛ (8) أساتذة من أصل (24) يدرّسون اللغات في قسم اللغات الحية التطبيقية أي ما يقارب 30%، و(9) أساتذة من أصل (12) يدرّسون الترجمة في قسم الترجمة أي ما يقارب 75%، وبذلك تكون نسبة الأساتذة المستجيبين للدراسة قد بلغت 47%. وقد استُثني الأساتذة الذين يدرّسون الاختصاصات الأخرى (كالاقتصاد وعلم النفس والمعلوماتية والحقوق والفنون والقضايا المعاصرة) والذين يبلغ عددهم (16) لأنهم غير معيّنين بتعليم اللغات. وقد استجاب (65) طالبًا من أصل (296) للاستبانة؛ (38) طالبًا يدرّسون في قسم اللغات الحية التطبيقية، و(27) طالبًا في قسم الترجمة، أي بلغت نسبة الطّالّاب المستجيبين 22%. تضمّنت الاستبانات مجموعة من الأسئلة موزعة على ثلاثة محاور مرتبطة بالعمل الأكاديمي: التعليم والبحث وتطوير المناهج.

بالإضافة إلى الاستبانات، أجريت مقابلات شفوية مع أساتذة من قسم الترجمة لتبادل الآراء حول الموضوع. وتكشف الدراسة عن أوجه استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي وفوائدها ومساوئها في مجال البحث العلمي ومجال الترجمة - التحريرية والفورية، ليتبيّن

في مرحلة لاحقة كيفية الاستفادة من هذا الذكاء في تطوير الكفايات والمهارات لدى كل من الأساتذة والطلاب، والعمل على إغناء المناهج وتحديثها ومواءمتها لمتطلبات سوق العمل محلياً ودولياً.

ومن فرضيات الدراسة الإحصائية أن تُظهر فروقاً في درجة استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الترجمة وتعلّمها وممارستها تبعاً لاختلاف أوجه الاستخدام، كذلك يُتوقع أن تُظهر الدراسة فروقاً في درجة استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث والتوثيق وكتابة البحوث. ومن المتوقع أيضاً أن تسهم الأدوات الذكية في تيسير العمل البحثي وتسريع وتيرته، وقد تكون أقل فاعلية في ترجمة النصوص الأدبية والنصوص التي تحمل شحنات ثقافية وعاطفية عالية.

2- مراجعة الأدبيات والإطار النظري

كثير من النقاشات الجارية حالياً حول أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي¹ تستند إلى فهم مغلوط لهذه التقانات، فمثلاً، يراها بعضهم بديلاً لمحرّكات البحث مثل غوغل (Google)، مع ميزة حوارية إضافية، إلا أن هذه الأدوات لا تنشئ أرسيفاً ضخماً للنصوص التي يتم استخدامها في أثناء التدريس، بل تعمل على دمج دقيق ومتكرّر للمعلومات التي تتلقاها من تلك النصوص. لذا، لا بدّ من فهم بنية الذكاء الاصطناعي وتفرّعاته وأدواته ونقاط القوة والضعف فيه، للتمكن من تفعيل استخداماته والاستفادة من فوائده اللامتناهية.

1.2- مخاطر استخدام الذكاء الاصطناعي في العمل الأكاديمي

يهتمّ الاختصاصيون (Financial Times، 2025) عن كثب بالمخاطر المعرفية المرتبطة بالاعتماد المفرط على أدوات الذكاء الاصطناعي، ما يؤدي إلى التخلّي عن

1- يشير مصطلح «الذكاء الاصطناعي التوليدي» (GenAI) إلى تطبيقات ومنصات - مثل شات جي بي تي (ChatGPT) وجيني (Gemini) وديب سيك (Deep Seek) وكلود (Claude) - تستخدم مجموعة متنوعة من خوارزميات التعلم الآلي لإنشاء محتوى جديد، كالنصوص والصور والفيديو والأعمال الفنية، إلخ. بالرغم من توليد المحتوى استجابةً لمدخلات المستخدم، إنّ هذه التطبيقات لم تُبرمج أساساً لإنتاج مخرجات معينة، بل هي قادرة على تحليل القواعد والهياكل الإحصائية في مجموعات ضخمة من البيانات، فتتعلم منها وتندرب، لتنتج محتوى جديداً يشبهها من حيث البنية. ويمكن لنماذج اللغة الكبيرة أداء مجموعة من مهام معالجة اللغة الطبيعية (NLP) مثل التلخيص والترجمة. وتشتهر هذه النماذج بقدرتها على توليد ردود واقعية وسياقية (ناراينان & كابور، 2024).

التفكير، وضعف الأداء المنطقي والقدرة على التفكير النقدي مع مرور الزمن، وهي ظاهرة تُعرف بالإعفاء المعرفي. لذا، ينبغي التنبيه إلى كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي ليكون مساعدًا ذهنيًا ومعاونًا معرفيًا وليس بديلاً فكرياً¹.

ومن شوائب الذكاء الاصطناعي أنه يعاني أحياناً هلوسات معرفية، أي إنه يخلق أحياناً المعلومات ويبثدها، فيمنح المستخدمين إجابات عن تساؤلاتهم بأسلوب واثق وحازم من دون دعم معلوماته بالبيانات المتاحة له (2024 Farquhar & al.). (2024 Chelli & al.). فكما، في علم النفس، تشير الهلوسة إلى تجربة حسية غير موجودة في الواقع، كذلك تحدث الهلوسات الذكّية عندما يولد التطبيق محتوى خالياً من المعنى، فينحرف عن المحتوى المصدر ويتّصف بغياب المنطق². وقد يعود السبب في ذلك إلى خطأ في تفكيك الرموز وتركيبها بين النصّ وتمثلاته. أضف إلى ذلك أنّ النماذج اللغوية الكبيرة³ قادرة على طرح ادّعاءات عشوائية وخطأ تُعرف بالاختلاعات (confabulations).

ومن مخاطر الذكاء الاصطناعي، أيضاً، التّحيّز والتّمييز. وبما أنّ الباحثين يعولون على هذه الأدوات بشكل كبير أحياناً، فمن المهمّ جدّاً التنبيه لهذه المشكلة، واتّخاذ التدابير اللازمة لتخلو مخرجاتهم من التّحيّز، فتكون محايدة وعادلة ومنصفة للجميع. في الحقيقة، إنّ نماذج الذكاء الاصطناعيّ مدّربة على قواعد بيانات تحتوي على أفكار وأحكام اجتماعية وتاريخية عابرة للعصور وغير مرتبطة بزمان محدّد، وبالتالي، عند تفعيل هذا الذكاء، تؤثر هذه الأحكام في قدرتها على اتّخاذ القرارات، وتأتي النتيجة

1 - “While AI offers tremendous benefits, such as improving efficiency and accelerating research, it also poses dangers like ‘cognitive offloading’—the tendency to rely on machines for thinking, which could weaken human memory and critical thinking over time” (Editorial – Financial Times, August 2025).

2- “Hallucinations are often defined as LLMs generating **content that is nonsensical or unfaithful to the provided source content** but they have come to include a vast array of failures of faithfulness and factuality. We focus on a subset of hallucinations which we call ‘confabulations’ for which LLMs fluently make claims that are both wrong and arbitrary—by which we mean that the answer is sensitive to irrelevant details such as random seed (Farquhar & al. 2024).

3- أنموذج اللغة الكبير (LLM) هو نوع من الذكاء الاصطناعيّ يمكنه معالجة نصّ اللغة الطّبيعية وإنتاجه. ويتعلّم من كمّية هائلة من البيانات التي تُجمع من مصادر مثل الكتب والمقالات وصفحات الويب والصّور لاكتشاف أنماط اللغة وقواعدها. (<https://learn.microsoft.com>).

منحازة. وتكمن المشكلة هنا في صعوبة التعرّف على هذه الشّوائب لتصويبها¹؛ لأنّ التّماذج مُدرّبة على كمّيّات ضخمة من البيانات، ما يجعلها تحوّل التّحيز إلى صورٍ نمطيّة، ما يؤدّي إلى تفسيرات مغلوطة، وإلى نشر معلومات خطأ ومضرة أحياناً. وهذه المشكلة جدّية، نظراً إلى أنّ التّماذج اللّغويّة الكبيرة غالباً ما تُستخدم لتوليد نصوص التّطبيقات، أو لكتابة المقالات مثلاً². وطبعاً، من واجب الباحثين تصويب هذه الأخطاء وتقادي نشر المعلومات المغلوطة، وذلك من خلال تقييم موثوقيّة المراجع كما يفعلون في حالات البحث التّقليديّة، بما في ذلك التّحقّق من الوقائع (fact-checking) والتّدقيق في المراجع من مصادر مختلفة، بالإضافة إلى تعزيز الفكر النّقديّ وطرح الأسئلة للإحاطة بالمواضيع.

ومن المشكلات الّتي تواجه مستخدمي الذّكاء الاصطناعيّ، ضعف قدرة هذا الأخير على التّفكير المنطقيّ والاستدلال. فكلّ عمل بحثيّ يرتكز إلى نهج معيّن في الاستدلال، وقد يقف الذّكاء الاصطناعيّ عاجزاً أمام بعضها. لكنّه في المقابل، يتفوّق مثلاً في الاستدلال المكانيّ واقتراح حلول نظريّة للمشكلات. فالذّكاء الطّبيعيّ متعدّد الأوجه؛ يجمع بين المنطق، والتّحليل، والفكر النّقديّ، والقدرة على اتّخاذ القرارات، وحلّ المشكلات، وهي درجة من الذّكاء لم يبلغها الذّكاء الاصطناعيّ بالكامل حتّى الآن. فالنّماذج اللّغويّة الكبيرة تنتج نصوصاً مبنية على قوالب أو أنساق معيّنة تدرّبت عليها، ما يؤدّي إلى الحدّ من قدراتها في مجال تحليل العلاقات الزّمنيّة والرّبط بين الأحداث. ونرى الفرق مثلاً بين العلوم البحتة، حيث يبرع الذّكاء الاصطناعيّ لتمكّنه من الاستدلال الفيزيائيّ القادر على تحليل الفيزياء وفهم مبادئها، مثل الحركة، والقوّة، والتّوازن، والسّببيّة، والعالم الواقعيّ الملموس، وبين علوم الإنسان أو علم النّفس، حيث يجاهد الذّكاء الاصطناعيّ في الاستدلال النّفسيّ الّذي يتطلّب فهماً عميقاً لسلوكيّات الإنسان والعمليّات الدّهنيّة الخاصّة به. والجدير بالاعتراف أنّ هذه المجالات الإنسانيّة معقّدة جدّاً، وأنّ تطوير الذّكاء الاصطناعيّ ليضاهي مستوى البشر في فهمها واستيعابها يتطلّب وقتاً أطول وأنماط تدريبٍ متشعّبة ومتنوّعة. وتؤكّد لانجلي وآخرون (2024) أنّ نماذج الذّكاء

1- "Because of the black-box nature of these tools, it is difficult to identify when they are hallucinating and when they are reporting true facts" (Chan & Hu, 2023).

2- "GenAI tools are trained on human-created discourse, they become a mirror of the biased views in our discourse" (Ray, 2023).

الاصطناعي ما زالت تقتصر إلى عنصر أساس من عناصر الإدراك البشري يرتبط بنظرية العقل المبنية على عدد من العمليات المعرفية الباردة (غير انفعالية) والساخنة (اجتماعية وانفعالية)¹.

2.2- أثر استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي

يشكل الذكاء الاصطناعي أداة ثورية في تحسين أداء البحث الأكاديمي؛ إذ إنه يتيح تحليل البيانات، ومراجعة الأدبيات، وضمان النزاهة الأكاديمية من خلال كشف الانتحال، إلّا أنّ استخدامه يثير التساؤلات حول كيفية توجيهه بشكل فعال لضمان تحقيق العمق المطلوب في التحليل والبحث، خاصة في مجالات الإنسانيات واللّسانيات والترجمة. فالذكاء الاصطناعي يفتح أبواباً جديدة للبحث الأكاديمي من خلال تحليل كميات ضخمة من البيانات بسرعة وفعالية. في مجال العلوم الإنسانية واللغات، تيسر البرمجيات الخاصة بتحليل النصوص عمليات تحديد الأنماط اللغوية، وتفسير النصوص التاريخية، ورصد العناصر الثقافية، واسترجاع المعلومات من مصادر متعددة، ما يجعل عملية البحث أكثر سرعة وتنظيماً، ويتيح للباحثين استخراج أفكار جديدة واستحداث الفرضيات بناءً على البيانات المتوفرة (Combs، 2018). فمثلاً، تعتمد دراسات كثيرة في التاريخ والأدب على أدوات التحليل الكمي التي تستعين بالذكاء الاصطناعي لاستخراج المعلومات الأساس من مصادر مكتوبة بلغات قديمة أو من النصوص الطويلة، ما يتيح للباحثين دراسة أكبر قدر ممكن من المعلومات في وقت قصير (Dupont & al.، 2021). وبحسب فينمان (Feynman، 2021)، فإن الباحثين في مجال اللغويات والعلوم الإنسانية يستخدمون الآن أنظمة التعلّم الآلي لاكتشاف الروابط الخفية بين المفاهيم اللغوية والثقافية. هكذا يستكشف الباحثون المزيد من العلاقات والاتجاهات التي قد لا تكون واضحة من خلال التحليل البشري التقليدي.

يسعى الباحثون، إذًا، إلى تطوير برمجيات خاصة تساهم في تسهيل عمليات التحليل

1- Theory of Mind can be viewed as a "complex holistic process that can be decomposed into a number of hot and cold cognitive processes. Cold cognitive processes are non-emotional, whereas hot cognitive processes are both social and emotional. (...) Despite their impressive feats, even state-of-the-art AI models still miss a key component of human cognition: theory of mind" (Langley & al., 2024, p.65).

والبحث. على سبيل المثال، يستخدم المجتمع البحثي أدوات مثل Tropy¹ وVoyant² لتحليل النصوص الأدبية والتاريخية، وتحديد الأنماط اللغوية. كذلك، يُستخدم الذكاء الاصطناعي في مجالات عديدة مثال الترجمة الآلية، وتحليل البيانات اللغوية، وتوليد النصوص، وهو يؤثر بشكل كبير في أساليب البحث والتعلم. وتشكل أدوات الترجمة الآلية (مثل Google Translate وDeepL) نماذج على كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في الترجمة السريعة للنصوص، بالرغم من افتقارها إلى الدقة (Hoffman، 2020). بالفعل، يواجه الباحثون معضلات ترتبط بالدقة السياقية والمفاهيمية، إلا أن الأدوات الذكية تقدّم حلولاً مؤقتة وسريعة لفهم النصوص الأساس، ما يمكن الباحثين من الوصول إلى المحتويات بلغات متعدّدة بسرعة أكبر. وفي دراسة أجراها شيك (Schick، 2021) حول المعالجة الآلية للغات الطبيعية (NLP)، تبين أن أنظمة الذكاء الاصطناعي المتقدّمة يمكنها الآن فهم التعابير الاصطلاحية وتركيب الجمل بدرجات عالية من الدقة، ما يتيح للباحثين العمل على ترجمة أعمق وتوليف أكبر للنصوص المعقّدة.

وتعدّ أدوات الذكاء الاصطناعي مفيدة أيضاً في مجال كشف الانتحال، حيث تُستخدم برامج مثل Turnitin³ للكشف عن النصوص المنسوخة من مصادر أخرى. وتُظهر دراسة لوكلارك (Leclercq، 2022) أن أدوات كشف الانتحال بالذكاء الاصطناعي قادرة على تقييم العمل الأكاديمي بشكل فعال وضمان نزاهة البحث، مع تحسين جودة النصوص من خلال اقتراح تصويبات لغوية وأسلوبية. ومع ذلك، يبقى التحدّي الأكبر في التمييز بين النصوص التي تمّ إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي وتلك التي كتبها البشر، وهو أمر ما زال يُعدّ معضلة تقنية وأخلاقية. لذا، ينبغي أخذ التحدّيات الأخلاقية في الاعتبار. فلا بدّ من تنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي في البحوث الأكاديمية لتفادي إضعاف النزاهة الأكاديمية، خاصة عندما يتعلّق الأمر بالمساعدة في كتابة الأبحاث أو مراجعتها (Jones، 2022)؛ إذ إنّ الذكاء الاصطناعي معروف بميله إلى

تقديم محتوى مكرّر أو غير دقيق، ما قد يؤثر في جودة البحث العلمي، ويطرح تساؤلات

1- تطبيق مفتوح المصدر صُمم خصيصاً للباحثين بهدف تنظيم المواد البحثية ووصفها. يركّز التطبيق على إدارة المصادر البصرية وتحليلها، فيتيح للمستخدمين إضافة الشروحات والعلامات والتعليقات التوضيحية إلى الصور، ثمّ البحث في بيانات المشروع كافة (<https://trophy.org>).

2- منصة لتحليل النصوص الرقمية لا تتطلب أيّ إعداد مسبق (<https://voyant-tools.org>).

3- منصة تتيح كشف الانتحال وضمان النزاهة الأكاديمية، وتُستخدم بشكل أساس في الأوساط التعليمية (<https://www.turnitin.com>).

حول ملكية الأفكار وحقوق التأليف، سيما أن الذكاء الاصطناعي بات ينتج نصوصاً معقدة وسلسة يصعب أحياناً التمييز بينها وبين النصوص البشرية، بخاصة إذا كانت المهمة المطلوب تنفيذها تتطلب مستوى معيناً من المعالجة اللغوية المعقدة (Bourcier، 2023). ومع ذلك، تختلف النصوص الناتجة عن الذكاء الاصطناعي في طريقة عرض الأفكار والتحليل العميق. فيتعرّ الذكاء الاصطناعي في توليد تحليلات دقيقة تستند إلى تفسيرات فلسفية أو نقد أدبي عميق، وذلك لأن فهمه للنصوص يعتمد بشكل كبير على الأنماط الإحصائية بدلاً من التفكير النقدي الذي يقوم به الباحثون البشر (Gaillard، 2021). هكذا، وبالرغم من تطور الذكاء الاصطناعي السريع، يرى الاختصاصيون أنه لن يحلّ مكان الباحث الأكاديمي بالكامل، بل سيظلّ مكملاً للجهد البشري. فهو يساعد الباحثين في تسريع عمليات التحليل والمراجعة، إلا أن التفكير النقدي والإبداعي ما زال يقع ضمن نطاق القدرات البشرية. يبقى، إذاً، الإبداع في توليد الأفكار والنقد الفلسفي والتحليل العميق من اختصاص الإنسان، حيث يفتقر الذكاء الاصطناعي إلى الفهم الضمني للتجربة البشرية التي يوظفها الباحثون في تفسير البيانات المعقدة (Stillman، 2019). واليوم، لا يزال النقاش قائماً حول كيفية توجيه الذكاء الاصطناعي ليقدم تحليلات أكثر عمقاً، بخاصة في العلوم الإنسانية. طبعاً يمكن للذكاء الاصطناعي الوصول إلى قواعد بيانات ضخمة وتقديم ملخصات دقيقة لمراجعات الأدبيات، إلا أن هذه المراجعات غالباً ما تكون سطحية أو غير دقيقة من الناحية النقدية (Rivière، 2020). لذا، من الأفضل استخدام الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة، أي يعتمد الباحث على مخرجاته الأولية لإجراء تحليل نقدي أعمق، ولا يعتمد فقط على الملخصات التي تولدها التطبيقات.

3.2- الترجمة في مهبط الذكاء الاصطناعي

تؤدي الترجمة دوراً حيوياً في سدّ الفجوات اللغوية والثقافية في عصر العولمة والانفتاح الدولي. وعلى مدى عقود مضت، عرفت صناعة الترجمة تطوراً هائلاً؛ إذ توسّع هذا المجال وتحول من الترجمة التقليدية إلى الترجمة باستخدام الأدوات الرقمية، ثم إلى الترجمة الآلية والترجمة بالذكاء الاصطناعي الذي نستعين به اليوم. ومع تبني هذا المجال لأدوات الأتمتة، لم تعد الترجمة تقتصر على خدمات نقل اللغة بالشكل التقليدي،

بل باتت تشبه إلى حدّ كبير معالجة المعلومات المدعومة بالتّقانة من خلال خوارزميّات صُمّمت خصيصًا لأغراض التّرجمة، وعلى وجه الخصوص التّرجمة الآليّة العصبيّة (NMT)¹. ولم تعد التّرجمة مجرد جسر خفيّ يربط بين الحضارات والثّقافات، بل أصبحت أداة تسويق وتوسّع يعتمد عليها منشئو المحتوى في الشّركات والحكومات، سواء أكانوا في مجالات التّسويق أم التّعليم أم التّقانة أم التّرفيه، لترجمة محتوهم وأقلمته بما يتناسب مع لغات وأسواق مختلفة.

وفي زمن يزداد فيه الطّلب على التّرجمة، لم تسلم هذه الأخيرة من هيمنة عمليّات الأتمتة وانتشار التّطبيقات الذّكيّة؛ إذ إنّ «المرجمين البيولوجيّين» (biotranslators) يعجزون عن تلبية الحاجات كافّة لعدّة أسباب، منها النّقص في العديد من المحترفين، وضعف الكفاءة لدى الكثير ممّن يزاولون المهنة، وعدم توافر الموارد الضّروريّة لتمويل التّرجمات. نتيجة لذلك، انتشرت التّطبيقات الذّكيّة وأدوات التّرجمة الآليّة بسرعة فائقة وعلى نطاق واسع. وهي سريعة ومجانيّة ومتاحة للجميع في كلّ مكان وزمان، وقد أصبحت أنظمتها أكثر فاعليّة ودقّة في بعض المجالات والثّنائيات اللّغويّة، تُنتج لغة تبدو سلسلة ومتناسكة. غير أنّ السّلامة اللّغويّة والسّلاسة والتّماسك ما هي إلّا مظاهر زائفة تغطّي الأخطاء الفادحة الّتي تحتويها النّصوص المترجمة آليًّا؛ إذ إنّ التّرجمة الذّكيّة لم تبلغ حتّى الآن درجة عالية من الجودة، ولا يزال الكمال في التّرجمة هدفًا لم يتحقّق، وبالتالي يبقى التّدخل البشريّ ضروريًّا سواء في مرحلة التّحضير للتّرجمة الآليّة أي التّحرير المسبق (Pre-editing)² أو في مرحلة التّحرير اللاحق (Post-edit-)

1- تقوم التّرجمة الآليّة العصبيّة (Neural Machine Translation) على الشّبكات العصبيّة، وهي عبارة عن نماذج تُدرّب على توليد الجملة الهدف انطلاقًا من الجملة المصدر، وتتميّز بقدرتها على تعلّم إنجاز مهامّ محدّدة من خلال دراسة الأمثلة المتاحة، من دون الحاجة إلى برمجتها مسبقًا للقيام بتلك المهام بصورة صريحة (Costa-Jussa, 2018).

2- يجمع التّحرير المسبق بين خبرة الإنسان وكفاءة الآلة في تهيئة النّصّ المصدر ليكون أكثر سهولة للتّرجمة الآليّة. وهو يهدف إلى إزالة العوائق المعرفيّة الّتي تواجه أنظمة التّرجمة الآليّة مثل العبارات الغريبة، والتراكيب النّحويّة المعقّدة أو الغامضة، والتّعابير الاصطلاحية، والأخطاء الطّباعيّة، وذلك لتخفيف عبء التّحرير اللاحق من خلال تكييف النّصّ المصدر بما يحسّن مخرجات التّرجمة الآليّة الأولىّة. ويتضمّن ذلك تحرير النّصّ وفق إرشادات محدّدة مثل استخدام جُمْل أقصر، وتبسيط التراكيب النّحويّة، وضمان اتّساق المصطلحات، ما يودّي إلى ترجمات أوضح وأكثر دقّة. ويساعد تحسين النّصّ المصدر على تجنّب الأخطاء وسوء الفهم، نظرًا إلى أنّ أنظمة التّرجمة الآليّة ما زالت تواجه صعوبات في معالجة الدّقائق الدّلاليّة (Hudáková, 2024).

ing¹ التي تشمل مراجعة الترجمة وتنقيحها. وللمترجمين الفوريين حصّة، أيضاً، في أسواق التّقانة، وقد خُصّصت لهم تطبيقات وأدوات مساعدة كثيرة، لكنّ التّواصل الشّفويّ يتطلب خصائص تقنيّة أكثر تعقيداً من تلك المستخدمة للترجمة التحريريّة؛ لأنّ المترجم الفوريّ لا ينقل المرسلّة فحسب، بل يرفقها بالتّبر والتّغم وبعض الحركات والتّعبير الجسديّة أحياناً، وهي أمور لا تتركها الآلة بشكل كامل. تجدر الإشارة، كذلك، إلى مخاطر استخدام هذه التّطبيقات لجهة الخصوصيّة وإفقار اللّغة المعياريّة؛ إذ إنّها تقدّم محتوى مليئاً بالأخطاء على أنواعها (لغويّة وثقافيّة وترجميّة).

وعلى الرّغم من محاولات استبدال المترجمين البشر، يبقى دورهم أساساً في تبنّي التّقانة وتوجيهها. فحين يجري دمج مخرجات الترجمة الآليّة في الأنظمة الرّقميّة الدّاعمة للمترجم (CAT tools)، تصبح نواتج الذّكاء الاصطناعيّ وسائل مساعدة للمترجم تماماً مثل ذاكرة الترجمة (Translation Memory) وقواعد البيانات المعجميّة والمصطلحيّة (Term Base). ولا بدّ من أن يتقن المترجم استخدام هذه الأدوات ويبرز معرفته العميقة ومهاراته لجهة تقويم المخرجات وتصويبها بما يناسب السّياق المطلوب. وفي المقابل، تتيح له التّقانة توفير الوقت والجهد وتحرير نفسه من المهامّ المتكرّرة للتركيز على مهامّ أكثر أهميّة تتطلّب أن يُظهر قدرته على الإبداع.

باختصار، على المترجمين التّكيّف مع التّغيّرات المعاصرة وإبراز مهاراتهم وقدراتهم الاستثنائيّة التي يفتقدون بها (القدرة على الابتكار، والإبداع، والتّخيل، والتّحليل، والنّقد)، من خلال إسناد المهامّ الروتينيّة للذكاء الاصطناعيّ، ما يخفّف عنهم بعض الأعباء، ويتفرّغون لمهامّ أكثر عمقاً تتطلّب تفكيراً ناقداً وفهماً للسياقات ولنوايا الكتاب وخبايا النّصوص، فينتجون ترجمات ذات جودة عالية. في هذا الصّدّد، نقرأ بشكل متزايد عن الترجمة المعزّزة (Augmented Translation) التي توزّع من خلالها المهامّ بين المترجمين وتقانات الترجمة. فكما تتيح تقنيّة «الواقع المعزّز» (Augmented Re-

1-يشير التّحرير اللاحق إلى عمليّة استخدام نصّ مترجم مسبقاً نقطة انطلاق، ثمّ تحسينه للوصول إلى الترجمة النهائيّة. وتجمع هذه العملية بين مزايا كلّ من الذّكاء الاصطناعيّ والذكاء البشريّ؛ إذ يوفّر الذّكاء الاصطناعيّ مسودات ترجمة حسنة الجودة في وقت قياسيّ، بينما يتولّى المترجم البشريّ، بفضل إتقانه للّغتين المصدر والهدف، مهمّة ضمان تطابق المعنى ودقّته، وتحليل الفروق المعجميّة والدلاليّة، وفهم النّصّ في سياقه الأشمل، بما في ذلك مراعاة الجمهور المستهدف وخلفيّةه الثقافيّة (Herbig & al, 2019).

ality)¹، بواسطة الذكاء الاصطناعي، وصول الأفراد إلى معلومات مرتبطة بمحيطهم، توفر التقنية للمترجمين واللغويين عناصر أساساً ترشدهم في السياقات التي ينقلونها (Zhao & Wang، 2024). فيعملون في بيئة غنية بالموارد الرقمية التي تعالج تلقائياً المهام الروتينية المتكررة والأقل أهمية التي تستهلك الكثير من الوقت والطاقة. بهذه الطريقة، يلفت الذكاء الاصطناعي انتباه المترجمين إلى معلومات مرتبطة بعملهم، ويساعدهم ليكونوا أكثر اتساقاً واستجابة وإنتاجية، وفي الوقت عينه يتيح لهم التركيز على المهام الأكثر قيمة وإثارة، فيتجنبون الترجمة الحرفية مثل «الآلات».

في المقابل، تستولي تقانات الذكاء الاصطناعي والترجمة الآلية، في تدريباتها، على أعمال المترجمين من دون مكافأتهم أو حتى استئذانهم. فمثلاً، استندت الترجمة إلى اللغة السواحلية في منتجات شركة مايكروسوفت منذ العام 2015 على أعمال مترجمين متطوعين في منظمة «مترجمون بلا حدود» (Boéri & Baker، 2025). كذلك الأمر بالنسبة إلى استعمال أعمال المؤلفين من دون علمهم. ويبدو أنّ شركة «ميتا» (Meta) قد استخدمت 183000 كتاب إلكتروني لتدريب نماذجها اللغوية الكبيرة (LLaMa) المرتكزة إلى الذكاء الاصطناعي التوليدي، وذلك من دون الاستحصال على موافقة المؤلفين (Boéri & Baker، 2025، نقلاً عن Reisner، 2023). ومن الذرائع التي تعطي لدعم الذكاء الاصطناعي أنّه يتيح النشر الفوريّ متعدد اللغات ويضمن بذلك الوصول إلى المعلومات بشكل عادل بين مختلف الفئات، لكنّ مشكلة تفاقم الفوارق في تداول المعرفة تبرز بشكل متزايد على المستوى العالمي.

إنّ دمج الذكاء الاصطناعي التوليدي في مجال الترجمة، لا يؤديّ حالياً إلى تحولات جذرية في مستوى الجودة والكفاءة، ولكنه يسهم في التسارع المستمرّ نحو المزيد من الأتمتة، وهو مسار تسلكه هذه الصناعة منذ سنوات عديدة. ونرى ذلك بالفعل في مناهج

1- تهدف تقانة الواقع المعزّز إلى خلق تجربة إدراكية مُعزّزة ومتكاملة في العالم الحقيقيّ من خلال الدمج الفعليّ بين العناصر الافتراضية والحقيقية، وذلك من خلال إسقاط معلومات افتراضية مولدة بالحاسوب على العالم الواقعيّ في الزمن الحقيقيّ. وهكذا يستطيع المستخدم إدراك العناصر الافتراضية عبر الوسائط البصرية أو السَمعية أو غيرها من الوسائط الحسية التي تتفاعل مع البيئة الواقعية (Zhao & Wang، 2024).

العمل الهجينة¹ التي تجمع مثلاً بين الترجمة العصبية والتحرير اللاحق. ومن العوامل التي تعزز هذا التقدم السريع، نذكر بيانات إنتاج المحتوى في المرحلة التي تسبق مرحلة الترجمة. فالبرامج المستخدمة لإنتاج المحتوى (مثل MS Office و Adobe و Canva و Hubspot) تستعين بأدوات مساعدة تعتمد على النماذج اللغوية الكبيرة لتسهيل هذه العملية. ونشهد، يومياً، زيادة هائلة في حجم المحتوى الناتج عن الارتفاع في إنتاجية المسوقين، والاختصاصيين في مختلف الميادين، والمحريين التقنيين، وغيرهم من منشئي المحتوى (Carr، 2023). كذلك، تتيح الأدوات الذكية لهؤلاء إنشاء نسخ متعددة اللغات بشكل مباشر من دون المرور بخدمات الترجمة البشرية، ما يطرح تحديات لغوية جديدة تواجه العاملين في مجال اللغات واللسانيات جميعهم (بمختلف مسمياتهم)، وذلك لانتشار كم هائل من النصوص وتداولها من دون مراجعة لغوية بشرية، فيما تتطلب هذه النصوص المولدة بالذكاء الاصطناعي مراجعة دقيقة بسبب بعض الثغرات التي باتت معروفة، مثال التحيز، والدقة، والمحتوى المشوه، وغياب الخصوصية، وحماية حقوق الملكية الفكرية. لذا، تبرز الحاجة، أكثر من ذي قبل، إلى تكامل وثيق بين منصات التأليف والمترجمين، إذ يحتاج منشئ المحتوى والمؤلفون إلى محترفي الترجمة لمواكبة الزيادة في حجم المحتوى، والقيام بمهام التقويم وضبط الجودة للمحتوى الناتج عن الذكاء الاصطناعي التوليدي. وفي المقابل، وللحفاظ على أصالة اللغات وحمايتها، أصبح من واجب المترجمين واللغويين متابعة مخرجات خوارزميات الترجمة الآلية العصبية والنماذج اللغوية الكبيرة من أجل التحقق والمراجعة والتحرير اللاحق للمحتوى متعدد اللغات.

في دراسات حديثة أجراها باحثون في شركة مايكروسوفت (2024)، أظهرت النتائج أن النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) تتفوق على خوارزميات الترجمة الآلية العصبية (NMT) في عدد من الشائيات اللغوية، لكنها لا تحرز تقدماً ملحوظاً لجهة التعامل مع اللغات منخفضة الموارد (Low resources languages – LRLs). كذلك تتحدث الأدبيات عن عدد من الأبحاث التي قارنت نماذج الذكاء الاصطناعي بمحرركات

1- تجمع الترجمة الآلية الهجينة (Hybrid Machine Translation – HMT) بين عدة طرق للترجمة الآلية، مثل الترجمة الآلية القائمة على القواعد (Rule-based – RBMT)، والترجمة الإحصائية (Statistical – SMT)، والترجمة الآلية العصبية (NMT)، وقد تشمل أيضاً التدخل البشري في مرحلة مراجعة الترجمة وتقييمها لضمان الجودة (www.machinetranslation.com).

التَّرجمة الآليَّة (مثال Google و Microsoft) في مجال التَّوطين وترجمة التَّعابير الاصطلاحية، تبيِّن أنَّ الذِّكاء الاصطناعيَّ يقدِّم ترجمات أكثر دقَّة وثباتًا. في المقابل، تواجه المحرِّكات صعوبات واضحة في نقل المجاز واللَّغة التَّصويرية، فتأتي التَّرجمة صحيحة لغويًّا ومشوَّهة دلاليًّا. تبدو نماذج الذِّكاء الاصطناعيَّ أفضل من غيرها في احترام السِّياق وخصوصية المرسل، ولكنها لا ترقى إلى مستوى المترجم البشريِّ من حيث الذِّكاء العاطفيِّ، والفهم، والقدرة على التَّعامل مع النُّصوص والثَّقافات. في السِّياق عينه، تشير دراسات أخرى (Hudáková، 2024) إلى تفوُّق أدوات التَّرجمة الآليَّة العصبية - مثال «ديبل» (DeepL)، بالدقَّة والطلاقة في التَّرجمة من الإنجليزيَّة إلى اللُّغات منخفضة الموارد (كالسِّلوفاكِّيَّة والأندونيسيَّة) بالمقارنة مع منصَّات ذكيَّة مثال «شات جي بي تي»، وقد يعود السَّبب في ذلك إلى أنَّ هذه المنصَّات غير متخصَّصة في التَّرجمة، وهي موجَّهة نحو بيانات العمل المهنيَّة.

مما لا شكَّ فيه أنَّ الذِّكاء الاصطناعيَّ غيَّر بشكل جذريِّ نظرتنا إلى مهنة التَّرجمة. وبعد أن كانت منصَّات التَّرجمة مثال DeepL و Google Translate مرادفة للتَّرجمات السَّريعة والرَّديئة، باتت اليوم واجهة لصناعة ذكيَّة تشهد تطوُّرًا سريعًا؛ إذ توجد حاليًّا المئات من أدوات التَّرجمة المختلفة. فقبل ظهور تقانات التَّرجمة¹، حين كانت التَّرجمات تُجرَّ يدويًّا، كانت تقع أخطاء كثيرة ويتأخَّر المترجمون في تسليم التَّرجمات، بالإضافة إلى كلفة الخدمات المرتفعة، وكان التَّواصل متعدِّد اللُّغات يعدُّ تحدِّيًّا كبيرًا أمام الشَّركات. أمَّا اليوم، فبات بإمكان الشَّركات إدارة محتواها على نطاق واسع مع الحفاظ على الاتِّساق والجودة إلى حدٍّ معيَّن. وبالرَّغم من فائدها الكبيرة، فإنَّ بعض هذه الأدوات لا يخلو من الشَّوائب، مثل صعوبة التَّعامل مع اللُّهجات أو الدِّقائِق اللُّغويَّة، إلَّا أنَّ دورها الأساس يبقَى منوطًا بأتمتة المهامِّ التي كانت تتطلَّب جهدًا بشريًّا كبيرًا. وتشتمل ميزاتِها على الكشف التلقائيَّ عن المحتوى وتوزيعه، بالإضافة إلى التَّكامل المدمج مع محرِّكات التَّرجمة الآليَّة، ما يساعد على إبقاء المشاريع ضمن الجداول الزَّمنيَّة المقرَّرة

1- تشير تقانة التَّرجمة إلى البرمجيَّات والأنظمة المستخدمة لترجمة النُّصوص من لغة إلى أخرى. وهي مصمَّمة لتبسيط عمليَّات التَّرجمة وأتمتتها وإدارتها، وتُستخدم لجعل التَّرجمة أكثر جودة واتِّساقًا. وتشمل تقانات التَّرجمة مجموعة متنوِّعة من الأدوات، منها برامج التَّرجمة الآليَّة (MT)، وأدوات التَّرجمة بمساعدة الحاسوب (CAT)، ونظم إدارة التَّرجمة (TMS)، وأدوات ذاكرة التَّرجمة (TM)، ونظم إدارة المحتوى (CMS)، وأدوات التَّوطين، وبرامج معالجة النُّصوص، ونظم إدارة المصطلحات (ISO 17100، www.iso.org).

وتقليل التكرار. وهذا يتيح للمترجمين التركيز على المهام الاستراتيجية، مع تسريع عملية التسليم والحفاظ على جودة عالية. ومع تحسينات الذكاء الاصطناعي، أصبحت نظم ذاكرة الترجمة من المحركات الأساس لضمان الجودة. فهي لا تكتفي بالمطابقة الحرفية، بل تقدّم اقتراحات ذات صلة سياقية تأخذ في الاعتبار النغم والمصطلحات والفروقات اللغوية الدقيقة، وتتيح توحيد المخرجات لمزيد من الاتساق وتوفير الوقت والتكاليف. ولا يقتصر تأثير الذكاء الاصطناعي على الترجمة التحريرية، بل يمتد ليغيّر طريقة إنتاج المحتوى المرئي والمسموع وتوطينه واستهلاكه عالمياً.

في هذا الصدد، تشير دراسة أجرتها شركة RWS (2025)، إلى أنّ 70% من المستهلكين حول العالم أفادوا بأنهم لاحظوا زيادة في المحتوى المرئي والمسموع المولّد بالذكاء الاصطناعي منذ إطلاق الأدوات الذكيّة مثال «شات جي بي تي»، ولهذا التحول أثر كبير في مجال الترجمة. كذلك ازداد الطلب على الدّلجة والترجمة بخاصّة في مناطق متعدّدة اللّغات مثل آسيا وإفريقيا، حيث يتوقّع المستهلكون أن تتحدّث العلامات التجارية بلغتهم حرفياً ومجازياً، لكنّ التّوطين يتجاوز الترجمة وحدها، فهو يشمل الحفاظ على أصالة المحتوى. كذلك أظهرت الدّراسة أنّ 57% من المشاركين لاحظوا تحسّناً في جودة المحتوى المرئي المولّد بالذكاء الاصطناعي، لكن لا تزال هناك مخاوف تتعلّق بالدقّة، والملاءمة الثقافيّة، والمعلومات المضلّلة. وتبدو النّقة بهذا المحتوى منخفضة بشكل خاصّ في القطاعات الخاضعة للتنظيم، مثال الرّعاية الصحيّة والقطاع الماليّ، حيث يمكن أن تكون للأخطاء في الموادّ المترجمة عواقب وخيمة.

4.2- التحوّل من ترجمة المرسلات البشريّة إلى نقل البيانات الرّقميّة

ليست الترجمة معادلة بسيطة تتلخّص بجمع البيانات وإعادة صياغة النّصوص، بل هي عملية معقّدة تتشابه فيها كتلة من المشاعر، والنّوايا، والمقاصد بالإضافة إلى غائيّة الترجمة. يشعر المترجم بالكلمات ويفهمها من خلال رؤيته للعالم، ثمّ يسعى إلى تفسير أحاسيس كاتب النّصّ ويراعي قراءه، ويعيد ضبط أحاسيسه الخاصّة وقدراته التّواصلية وأدواته اللّغوية مراراً لنقل المرسلّة بشكل صحيح. في الحقيقة، يمتلك المترجم ما يفترق إليه الذكاء الاصطناعي من أحاسيس ترشده في أثناء الترجمة وتوجّه خياراته وكلماته. وهو قادر على إنتاج نصّ هدف من دون الالتزام بحرفيّة النّصّ المصدر، بينما

يربط الذكاء الاصطناعي بين الكلمات بشكل مادي فيفتقر نصّه إلى العمق، والإبداع، والتعمّو، والأسلوب الشّخصي، والقيمة الأدبيّة والفنيّة. أمّا الإبداع في الترجمة فهو جزء أساس من عمل المترجم، وهذا ما تعجز عنه الآلة.

على الرّغم من مزاياه الكثيرة، لا يزال الذكاء الاصطناعيّ بعيداً عن الكمال أو حتّى الاكتمال، وهو يواجه عدّة قيود في مجال الترجمة، مثل عدم القدرة على تكييف الترجمة لتتناسب الجمهور المتلقّي أو الثقافة المحليّة أو أسلوب النصّ المصدر أو الغرض من الترجمة، بالإضافة إلى تساؤلات حول الجودة، والمصادقية، والأخلاقيّات. عادةً ما تنتج هذه المشكلات عن خلل في بيانات التّدريب التي قد تكون غير كافية أو تفتقر للتّنوع، والموثوقيّة، والحدّاث، أو ربّما تتعارض مع حقوق النّشر. فتبرز مسألة الموثوقيّة عند ترجمة النّصوص الحسّاسة؛ إذ يمكن لنماذج الذكاء الاصطناعيّ أن ترتكب الأخطاء أو تكون متحيّزة أو تخضع للتلاعب أو الاختراق. كذلك، يطرح استخدام هذه النماذج مشكلة الأمان الإلكترونيّ، نظراً إلى أنّ المعلومات الشخصية أو الاستراتيجيةّ تتطلب حماية مشدّدة من التّهديدات المختلفة. أمّا من النّاحية الأخلاقيّة، فتدور التّساؤلات حول قدرة الذكاء الاصطناعيّ على احترام التّنوع اللّغويّ والثّقافيّ وتأثيره في المجتمعات، بخاصّة أنّ البيانات التي تغذي التّرجمات لا تمثّل اللّغات أو الثّقافات كافّة بشكل عادل، ما يؤديّ إلى تهميش بعضها وتفضيل اللّغات السّائدة (كالإنجليزية). ومن المحتمل أن تحمل التّرجمات صوراً نمطيّة أو تحيّزات موجودة في بيانات التّدريب، ما يثير تساؤلات أخلاقيّة حول الحياديّة في الترجمة. ولا تقتصر الإشكاليّات الأخلاقيّة التي يطرحها استخدام الذكاء الاصطناعيّ في الترجمة على موضوع العدالة والتّحيّز، بل تطلّ أيضاً مسألة الشّفافيّة في عمل الخوارزميّات واستراتيجيّاتها في اتّخاذ القرارات التّرجميّة، فمن المهمّ أن يفهم المترجمون حدود الأدوات التي يستخدمونها، وكيفيّة معالجتها للبيانات، ومصادر بيانات التّدريب، وأن يكون المحترفون قادرين على الاعتراض على مخرجات هذه الأدوات وتصويبها. والجدير بالذّكر أنّ هذه الأدوات تعتمد بشكل متزايد على مجموعات بيانات كبرى أكثر تنوّعاً، ما يعزّز فهم الفروقات اللّغويّة والثّقافيّة والسيّاقية، وهي بذلك تعمل تدريجيّاً على تذليل العقبات. فمن خلال تقنيّات التّعلّم الانتقاليّ (Transfer learning)

والتعلّم التعزيزي (Reinforcement learning)¹، بإشراف أو بدون إشراف، تنشأ نماذج ترجمة فعّالة حتّى في غياب قواعد بيانات ثنائية ضخمة (2016 Zoph & al.، 2018 Wu & al.). فالأنظمة الحاليّة تسعى إلى فهم السياق العامّ للنصوص، ما يؤدّي إلى ترجمات أكثر سلاسة واتّساقاً.

ويواجه المترجمون الفوريّون تحديّات مماثلة بوجود شركات كبرى مثل غوغل وميتا (Meta) تعمل على تذليل حواجز اللّغة من خلال تطوير أدوات التّعرف الصوتيّ وتحويل الصّوت إلى نصّ، ثمّ ترجمته بشكل متزامن تقريباً. لكن، كما هو معلوم، هذه الأدوات لا تزال غير مكتملة، وتعتمد على تكرار أجزاء لغويّة فيختفي كلّ من الدّائيّة، والتّفاعل، والسياق. وعلى غرار التّرجمة التّحريريّة، تتعقّد الأمور عند التّعامل مع لغات منخفضة الموارد فيصبح الأداء أقلّ فاعليّة ودقّة.

3- المنهج ومعالجة الموضوع

1.3- منهج البحث وتقنيّاته

نهجت هذه الدّراسة الأسلوب المسحيّ مقارنةً واستشراقاً، من خلال اللّجوء إلى أداة أساس هي الاستبانة، وأداة داعمة هي المقابلة (Interview) التي «تتعلّق حصراً باللقاء والمحادثة» (سلّوم، 2022، ص17). وهدفت المقابلة مع مجموعة من أساتذة التّرجمة إلى جمع معطيات إضافيّة ترتبط بسبل فهم إيجابيّات استخدام تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ في تعلّم التّرجمة وتعليمها، وفي البحث العلميّ وسليبيّاته، وكيفيّة الاستفادة من هذه التّطبيقات في تحسين جودة التّعليم وإنجاز الأبحاث. وفي العادة، في المقابلة «لا يكتفي الباحث بما يقوله المشاركون، وإنّما يوزّع اهتمامه ليشمل أداء المشارك (الاستجابات الحركيّة، نبرة الصّوت، لحن الصّوت،...) ومظهره، وغير ذلك (...) وبمقدار دقّة نموذج «بيان المقابلة» تكون المعطيات التي حصل عليها وافرة ومفيدة وشاملة لحاجات

1- التعلّم الانتقاليّ هو تقنيّة تعلّم آليّ تستفيد من أنموذج مدرب مسبقاً على مهمّة معيّنة لتسريع أداء أنموذج آخر وتحسينه في مهمّة مشابهة. فمثلاً، يبيّح التعلّم الانتقاليّ للغات المنخفضة الموارد نقل المعرفة من اللغات ذات الموارد الكبيرة، أو مثلاً، تكييف أنموذج مدرب على نصوص إخباريّة للعمل على نصوص طبيّة من دون الحاجة إلى إعادة التّدريب. أمّا التعلّم التعزيزيّ، وهو نمط من التعلّم الآليّ، فيحدث من خلال التّفاعل مع البيئة والحصول على مكافآت أو عقوبات بناءً على القرارات المتخذة. وهو يساهم في تحسين جودة التّرجمة من خلال تصويب تحيزات التّدريب وتعديل الأنموذج بناءً على تقييم الأداء والملاحظات (المكافآت) التي يدونها المستخدم البشريّ (2016. Zoph & al.، 2018. Wu & al.).

البحث» (ص17). وقد لجأنا إلى تلك الأداة، أداة مساندة ومسهلة، تلبيةً لاحتياجات هذه الورقة من جهة، ومن جهة أخرى لفهم دوافع تفكير أساتذة مركز اللغات والترجمة، منذ العام 2012، في كيفية إدخال النّقانة في التّعليم، بما تتصّ عليه المناهج التّعليميّة والأطر المرجعيّة المعتمدة في تعليم اللّغات الأجنبيّة والترجمة.

نتناول منهجيّة الدّراسة عرض نتائج استخدام تطبيقات الذّكاء الاصطناعي وتحليلها ومناقشتها في تعلّم التّرجمة وتعليمها، وفي البحث العلميّ من منظور طّلاب قسمي اللّغات الحيّة والترجمة وأساتذة كلّ منهما بغية الاستعداد الفعّال لمتطلّبات المستقبل المهنيّ.

2.3- استخدام تطبيقات الذّكاء الاصطناعي في التّرجمة

يمثّل استخدام تطبيقات الذّكاء الاصطناعي في التّرجمة واحداً من أبرز المجالات العمليّة اليوم؛ إذ لم يعد يقتصر الأمر على «ترجمة آليّة حرفيّة»، بل تطوّر إلى منظومة ذكيّة تتعلّم وتحسّن نفسها باستمرار، ولكن من دون أن تخلو من تحديات تتبّأ بها الأساتذة والطّلاب.

1.2.3- في إجابات طّلاب قسم التّرجمة

يلاحظ من الرّسم البيانيّ رقم (1)¹ أنّ درجة عدم استخدام تطبيقات الذّكاء الاصطناعي في تعلّم التّرجمة لم تتعدّ 55.56% في استخدام الأدوات المساعدة (CAT Tools) ولم تصل دون 14.81% في التّرجمة الآليّة، وهذه النّسب تفسّر أوجه استخدام التّطبيقات الذكيّة التي بلغت جميعها درجة المقبول وفق الجدول رقم (1).

حصلت معظم أوجه الاستخدام على رتب مقاربة، وجاءت جميعها ضمن مستوى «المقبول» وفق متوسّطات حسابيّة تراوحت بين (1.94-2.4) وفق مقياس ليكرت، ما يعني أنّ الاستخدام متدنّ نسبياً في تعلّم التّرجمة. وجاء، في الرّتبة الأولى، استخدام تطبيق التّوثيق قبل التّرجمة بمتوسط حسابيّ (2.4) وانحراف معياريّ (1.22)، وهذا يشير إلى إدراك المتعلّمين أهميّة البحث والمراجع في تعزيز جودة التّرجمة وليس في التّركيز على الجوانب التّحليليّة. وفي الرّتبة الأخيرة، جاء استخدام تطبيق تسويق

1- الرّسوم البيانيّة مرفقة في ملحق هذه الورقة.

التّرجمات بمتوسّط حسابيّ (1.94) وانحراف معياريّ (1.2)، ما قد يعكس صعوبة المتعلّمين أو قلّة تدريبهم على مهارة التّبرير والتّحليل النّقديّ للتّرجمات. والملاحظ أنّ الانحراف المعياريّ مرتفع نسبياً في معظم الأوجه، ما يدلّ على وجود فجوة واضحة بين المتعلّمين من حيث الخبرة أو مستوى التّدريب.

لقد انحصرت التّطبيقات في استخدام واضح لكلّ من ChatGPT و Reverso Context، وذلك للتّوجيه، والتّحسين، وتفسير الكلمات والجمل باللّغة الثّانية، واستخدام Google Translate للاطلاع على مقترحات في التّرجمة والبحث عن المفردات والمعاني في لغات أخرى وللحصول على المساعدة الفوريّة، وتطبيق Quillbot، و Grammarly، و Subtitle Edit، و Duolingo، و Proz، و Pleco، و Baidu، و Gemini، و Chatly، و DeepL، و Forvo، و Copilot، وهي تطبيقات تفيد في التّرجمة، وتصويب الأخطاء اللّغويّة، والتّدريب على اللّفظ، وإسداء النّصائح والتّوجيهات للمتعلّمين، وتزويدهم بالأفكار وأنسنة الكتابات المولّدة بالذكاء الاصطناعيّ.

لقد تعدّدت الإجابات وتنوّعت في ما تفيد به التّطبيقات الذكيّة وفي ما تسيء إليه، وأشارت إلى رؤية ثاقبة وعمق في التّحليل، ويكون من الأوضح إبراز كلّ إيجابيّة في استخدام الذكاء الاصطناعيّ في تعلّم التّرجمة بسليبيّة تقابلها. فرأى الطّلاب أنّ التّطبيقات تساعد في اختيار الأفكار الرّئيسة وإعادة الصّيغة، غير أنّ ذلك يجعل المترجم كسولاً وخمولاً في أدائه ومتمكّلاً اتّكالاً مفرطاً عليها، وخصوصاً في الواجبات المطلوبة منه، وتساعد في إنعاش الذاكرة بالمعلومات الفوريّة المستحصلة، لكنّها تحدّ من النشاط الفكريّ وتؤدّي إلى خسارة القدرات الذّهنيّة أحياناً. وهي تسهّل العمل وتسرّعه من حيث كثافة المعلومات التي يستصعب الطّالب تجميعها بمفرده، وهذا يجعل الطّالب يعتمد اعتماداً كليّاً عليها وقد لا يدرك حجم الأخطاء التي قد يقع فيها.

توضّح التّطبيقات المعنى المقصود من العبارات المترجمة، بيد أنّ التّرجمة الحرفيّة لا تؤدّي إلى توافق النّص المترجم مع النّص الأصليّ، وكذلك التّرجمة الإبداعية أو الشّعريّة لا تصحّ غالباً. ومن الطّلاب من يرى أنّها تفتح آفاقاً جديدة من حيث تعلّم كفيّة لفظ كلمات جديدة، عدا عن عبارات جديدة، واقتراح أكثر من حلّ لمشكلة ما، وخصوصاً في الاطلاع على تفاصيل دروس لم يتسنّ للأساتذة الوقت الكافي لشرحها. لكنّ هذا لا

ينفي القدرة على المقارنة بين الإجابات، واتخاذ الخيارات المناسبة والملائمة التي تجعل الطالب يتأثر بالمصطلحات المقترحة. أضف إلى ذلك توفير الوقت والجهد في الحصول على إجابات محدّدة، غير أنّ بعض التطبيقات تفشل في ترجمة مصطلحات معيّنة أو في توفير عنصر الدقّة التامة في المعنى والتوثيق.

ينمي استخدام بعض التطبيقات المهارات اللغويّة بينما يعجز بعضها الآخر عن التّرجمة إلى اللّغة العربيّة بشكل صحيح. ويعزّز هذا الاستخدام كذلك مهارات التّواصل من خلال المحادثات في مواضيع مختلفة، غير أنّ بعض الطلاب يرون أنّ التطبيقات تنقصها طلاقة لغويّة كاملة، عدا عن عدم القدرة على ترجمة النّصوص الأدبيّة؛ لذا، يفضلون الطّرق التّقليديّة في تعلّم التّرجمة للمحافظة على أسلوب خاصّ بهم.

يبدو، ممّا سبق، أنّ سلبيّات استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ توازي الإيجابيّات. وبناء عليه، لا يمكن التّغاضي عن استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ في تعلّم التّرجمة شرط عدم الاعتماد الكلّيّ عليها؛ لأنّه يسيء إلى عمليّة التّرجمة وأصولها وشروطها. وقد أجمع طّلاب قسم التّرجمة على أنّ إدخال هذه التّطبيقات في المنهاج سيعود بفائدة عالية على الخريجين في المستقبل بما أنّ مكاتب وشركات التّرجمة تستخدمها في السّوق، وقد تكون مفيدة جدّاً في مقرّرات التّرجمة المتخصّصة (الاقتصاد، والقانون، والطّب)، كما أنّها ستوفّر الكثير من الوقت في التّحرير عوضاً عن التّرجمة من العدم؛ إذ إنّ التّرجمات الآليّة لم تعد بالسيّئة، وخصوصاً أنّ العمل سيكون في المستقبل في أنظمة التّرجمة بمساعدة الحواسيب (CAT Tools). هذا وإنّ إيجاد التّوازن بين كميّة استخدامها واستخدام الطّلاب لمهاراتهم الشّخصيّة ضروريّ، شرط تدريبهم على كميّة التعامل مع هذه التّطبيقات أو إرشادهم في حسن استخدامها بطريقة لا تعيق قدراتهم على اختيار المعنى الصحيح لوحدة لغويّة معيّنة وفق سياق النّص، واختيار التّمارين التّفاعليّة، وأدوات بناء المفردات، ومحاكاة التّرجمة الواقعيّة، ما يوسّع آفاق الطّلاب من حيث الحصول على محتوى إضافيّ يمكن الاستفادة منه عدا عن تيسير عمليّة التّعلّم وجعلها أكثر جاذبيّة.

2.2.3- في إجابات أساتذة الترجمة التحريرية والفورية

لقد أظهر تحليل عدم استخدام كل تطبيق، وفق الرسم البياني رقم (2) أنّ تطبيقات اقتراح ترجمات نالت أدنى نسبة في عدم الاستخدام (11.11%) وهذا دليل على أنّ هذه الوظيفة مفهومة وسهلة الاستخدام بين المترجمين، بينما نالت تطبيقات إغناء ذاكرة الترجمة أعلى نسبة في عدم الاستخدام (44.44%)، وهذا يفسّر معظم الأوجه التي جاءت ضمن نطاق الاستخدام «المقبول» وفق متوسطات حسابية تراوحت بين 1.8- (2.3) باستثناء التحرير المسبق (pre-editing) الذي وقع في فئة «الضعيف» وفق الجدول رقم (2)، على الرغم من أثره في تحسين جودة الترجمة الآلية، ما يدلّ على قلة الوعي بأهميته أو عدم الدراية بالتقانات المستخدمة. أمّا أكثر الأوجه استخداماً فهي تطبيقات إعادة صياغة النصوص وتحويل المسموع إلى مكتوب (speech-to-text) بمتوسط حسابي (2.3)، وهذا دليل على حاجة فعلية للمحتوى المعاد صياغته أو المنطوق.

تشير التطبيقات ذات الانحراف المنخفض (1.0 - 0.82) مثل المسارد، وإغناء ذاكرة الترجمة، وإعداد التوثيق على أنّ استخدامها ضعيف أو محدود، أي إنّ الأساتذة متقاربون في الموقف تجاه هذه الأدوات. أمّا التطبيقات ذات الانحراف المتوسط (1.1 - 1.2) مثل اقتراح الترجمات، وإعادة الصياغة، والتّأليف، وتحويل المسموع إلى مكتوب، فتشير إلى تباين طبيعيّ في أنماط الاستخدام، حيث يميل بعضهم إلى الاستفادة منها بينما يتجاهلها آخرون. والتّطبيقات ذات الانحراف العالي (1.42) مثل التحرير اللاحق (post-editing) توضّح وجود انقسام واضح في داخل العيّنة؛ فئة تستخدمه بكثافة جزءاً من عملية التّعليم، وفئة تكاد لا تستخدمه إطلاقاً.

أظهرت الإجابات - في معظمها - عدم استخدام التّطبيقات الرّقمية وتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ في التّعليم. أمّا استخدام Google Translate فجاء بغية الاطّلاع على اقتراحات الطّلبة للتحقّق من عدم استخدامهم له، غير أنّ هناك من يوظّف التّطبيقات بوفرة، أبرزها:

- Reverso و Google translate و ChatGPT لتحضير الترجمة، والتّدقيق فيها، ومراجعتها، وتنقيحها.

– Speechify للقراءة والاستماع إلى النصوص المكتوبة.

– Beecut لمعالجة الفيديو وتحويل المسموع إلى مكتوب، و Notta لتحويل التسجيلات إلى نصوص مكتوبة يمكن البحث في طياتها.

– Tv5 Monde لتعليم اللغة الفرنسية بطريقة تفاعلية ونشطة بالاستناد إلى تسجيلات الفيديو والأنشطة المرافقة.

برزت، في إجابات الأساتذة، إيجابيات تكاد تشكل فوائد مهمة في عملية التعليم، منها مواكبة التطور من خلال الاطلاع على أحدث التقانات والأدوات التي يمكن أن تكون مفيدة للمترجمين واللغويين، وإيصال المعلومات بطريقة سهلة، وتسريع وتيرة العمل بشكل يتكيف مع احتياجات الطلاب، وإمكانية البحث عن السياقات والمصطلحات الأكثر دقة، فضلاً عن المساعدة في إعداد مسارد اصطلاحية ومراجع مساندة. والأهم من ذلك، يمكن للذكاء الاصطناعي تقييم الطلاب بطريقة مستدامة، فضلاً عن التعلم الذاتي الذي يفضلونه بعضهم على التعلم الجماعي في تصفح مواد تعليمية، ومحتوى مخصص يلبي احتياجات كل طالب حسب الحاجة. وأشاد الأساتذة بالدعم الذي يمكن الإفادة منه سيما أن الطلاب يواجهون تحديات متنوعة، مثل حفظ المعارف الأساس، وإجراء التحليل اللغوي النقدي، وفهم المقروء بسهولة. وعلى الرغم من توافر الموارد وأساليب التدريس المتنوعة، فإن مسألة تحفيز الطلاب وتقوية دافعيتهم للتعلم بفعالية وإثراء نواتجهم المعرفية لا تزال قضية جوهرية تتطلب نقاشاً معمقاً.

لم تسلم الإيجابيات السابق ذكرها من سلبيات أجمعت على أن الذكاء الاصطناعي هو عامل مساعد وليس أساساً في التعليم. إن المشكلة الكبرى تكمن في عدم الاستخدام بشكل مناسب، أو في الاعتماد المفرط عليه في تعليم الترجمة أكثر من التركيز على بناء المعرفة. وهذه قضية ترتبط بخصوصية الفرد؛ إذ إن جمع البيانات الشخصية قد يؤدي إلى انتهاك الخصوصية الفردية. علاوة على ذلك، يتقلص دور الأستاذ، وتصبح بعض المواد التي يدرسها في لغة معينة غير مطلوبة أو شحيحة، فيتسّم الأستاذ عندها بالتبعية التي تؤدي إلى الركود حيث لا يتطور ولا يسمح عقله بمهام جديدة.

3.3- استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي

يقدم الذكاء الاصطناعي، في مجال الإنسانيات، إمكانيات جديدة في التعامل مع النصوص واللغات والنتائج الثقافية، لا سيما في اللسانيات والترجمة حيث تتيح معالجة اللغة الطبيعية تحليل النصوص، واستكشاف الأنماط الدلالية، وإبراز التناص، ورقمنة المواد، ما يدعم الباحثين في التعامل مع المدونات الكبيرة والمعقدة. وقد فتحت النماذج التوليدية الحديثة آفاقاً جديدة في الكتابة الإبداعية ومحاكاة الأساليب الأدبية، الأمر الذي يثير تساؤلات عميقة حول مسألة التأليف والأصالة، وي طرح تحديات جوهرية تطرق إليها أساتذة مركز اللغات والترجمة وطلابه في إجاباتهم عن استخدامهم أدوات الذكاء الاصطناعي.

1.3.3- في إجابات طلاب مركز اللغات والترجمة

1.1.3.3- استخدامات طلاب قسم الترجمة

يظهر الرسم البياني رقم (3) أن الطلاب لا يستخدمون تطبيقات الذكاء الاصطناعي بكثرة في الأبحاث، خصوصاً في كتابة المشاريع الأولية التي نالت أدواتها أعلى نسبة عدم استخدام. وأظهرت أوجه الاستخدام العام، وفق الجدول رقم (3)، مستوى مقبولاً في الغالب، مع عدم بلوغ أيٍّ من الأوجه المستوى «الجيد». بلغت الإجابة عن أسئلة البحوث الرتبة الأولى في الاستخدام بمتوسط حسابي (2.37)، وهي إشارة إلى اعتماد نسبي على أدوات الذكاء الاصطناعي في صياغة إجابات البحث أو تحليل المعطيات وتطويرها، وبانحراف معياري مرتفع (1.20) يكشف عن تفاوت ملحوظ بين المستخدمين في مستوى الاستخدام. غير أن وضع تصاميم البحوث بلغ أدنى مستوى في الاستخدام (1.80)، ما يشير إلى قلة الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في تحديد المتغيرات، والأساليب، والأدوات البحثية. فالانحراف المعياري المرتفع في معظم الأوجه يشير إلى تفاوت كبير في المعرفة والمهارة باستخدام الذكاء الاصطناعي لأغراض بحثية. وبناءً عليه، يمكن القول إن المستخدمين لا يتقنون أو لا يمتلكون الخبرة الكافية لاستعماله في هذا الجانب البنيوي من البحث.

يستخدم طلاب الترجمة محرك البحث Google بتفّرعاته كأداة؛ Google Search لاحتوائه على كمّيات كبيرة من المعلومات، و Google Scholar لإيجاد المراجع الموثوق بها للبحث، و Google translate الأقل استهلاكاً للوقت، إضافة إلى YouTube لمحتوياته المرئية-المسموعة الفعّالة والتّوضيحية.

وفي استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي، يكون اللّجوء إلى Scribbr للمساعدة في الشّواهد، و Semantic Scholar، و Gemini، و Chatly.ai. أمّا الأكثر استخداماً فهو ChatGpt¹، بمختلف وظائفه، لفرز الأفكار، ووضع تصاميم البحوث، والعثور على المراجع والمصادر، وتحديد منهجيات البحوث.

2.1.3.3 - استخدامات طلاب قسم اللّغات الحيّة التطبيقية

بلغت أعلى نسبة عدم استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث، وفق الرّسم البياني رقم (5)، في كتابة المشروع الأوّل، وأدنى نسبة عدم استخدام في الإجابة عن أسئلة البحث. وتباينت أوجه الاستخدام، وفق الجدول رقم (5)، بين المقبول والجيد ما يعني أنّ هناك إدراكاً لأهمية أدوات الذكاء الاصطناعي، لكنّ التّكامل ما يزال جزئياً.

بلغت الرّتبة الأولى تطبيقات الإجابة عن أسئلة البحث بمتوسّط حسابي (2.78)، ما يدلّ على اعتماد كبير على الذكاء الاصطناعي في صياغة الإجابات البحثية وتطويرها أو بناء الحجج، وانحراف معياري مرتفع (1.41) يدلّ على تباين كبير بين المستخدمين؛ بعضهم يستخدمه بكثافة، وبعضهم الآخر بالكاد يستخدمه. ونالت تطبيقات نقد الدّراسات السّابقة أدنى درجة استخدام بمتوسّط حسابي (2.07) وانحراف معياري (0.94) على الرّغم من أنّ النقد الأكاديمي يعدّ مؤشراً واضحاً على التّفكير النقديّ النّاضج، إلّا أنّه قد لا يوفّر تفسيرات دقيقة للمواقف العلميّة المتعدّدة.

وبناءً عليه، فإنّ أكثر الأدوات استخداماً ترتبط بالمهامّ التّطبيقية (التّوثيق، والإجابة، وجمع البيانات)، بينما المهارات التّحليلية والنّقدية تبقى أقلّ استخداماً (النّقد الأكاديميّ

1- تُظهر دراسة أجراها زيانغ زو (Ziyang Xu، 2025) أنّ «شات جي بي تي» يتصدّر أدوات المساعدة في الكتابة الأكاديميّة بنسبة استخدام بلغت 77% (من 168 ورقة بحثيّة استعانت بالذكاء الاصطناعي)، مع وجود فروق إحصائيّة دالّة في أنماط الاستخدام بين النّاطقين الأصليين وغير الأصليين بالإنجليزية (p=0.0483)، وكذلك بين الفرق البحثيّة الدوليّة وغير الدوليّة (p=0.0012)، كما تكشف الدّراسة أنّ الهدفين الأوّلين لاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي هما تيسير القراءة (51%) والتّدقيق اللّغوي (22%).

والمراجعة النظرية)، وهذا يُظهر فجوة معرفية في تدريب الباحثين على الاستخدام العميق للأدوات الذكية. يؤكد هذه الفجوة تفاوت الانحرافات المعيارية الذي يشير إلى عدم تجانس في مستوى المهارة والخبرة لدى المستخدمين.

هنا أيضاً، ولسهولة استعماله وسرعة أدائه، يغلب استخدام تطبيق «شات جي بي تي» للحصول على مراجع مفيدة، ومعلومات قد لا تظهر في المواقع، ولإبراز الأفكار الرئيسية. كذلك يبرز محرّك البحث Google، بتقّراته كافة، لأنّه يتضمّن كميات وافرة من المعلومات، ويساعد في اللّجوء إلى أكثر من مصدر واحد، ووجهات نظر وآراء مختلفة. بالإضافة إلى محرّك البحث Bing الذي يساعد في الأبحاث وتوليد الصّور، إلى جانب library.ai، وBooklet.ai، وQuora، وReddit، وYouTube. غير أنّ بعض الطّلاب يفضّلون الاطّلاع على المواقع الإلكترونيّة لما فيها من دراسات سابقة ومقالات لا على التّطبيقات في إنجاز أبحاثهم.

3.1.3.3 - خلاصة إجابات الطّلاب

يرى الطّلاب الكثير من الإيجابيات في استخدام التّطبيقات في الأبحاث، وأبرزها المساعدة في تأطير العمل البحثي الذي يشمل خاصيّة التّليخيص، واستخراج النّقاط الأساس من مقالة أو نصّ طويل، وفهم المواضيع المطروحة ودعمها بدلائل علميّة أو ثقافيّة مؤكّدة، وإعادة صياغة المخطّطات التّفصيليّة، وتنظيم الأفكار وتسلسلها، والقدرة على تحديد أهداف البحوث، فضلاً عن الحصول على موارد هائلة، ومعلومات جديدة وشبه موثوق بها مرتبطة بالأهداف، كأن تدلّ التّطبيقات الطّلاب على طرف الخيط ليصلوا إلى المراجع التي يبحثون عنها، ويميّزوا عدداً كبيراً من الآراء المختلفة بعد الاطّلاع عليها، بالإضافة إلى توفير الوقت والجهد في البحث عن المعلومات، وسهولة الحصول عليها. كذلك، تفيد التّطبيقات في ترشيد مواضيع البحوث، فأحياناً تقدّم معلومات قد تبدو غير مفيدة ولكنها تساعد في بلورة البحث وتجعله أكثر احترافيّة، وهذه المعلومات ذاتها قد لا تظهر في أيّ موقع إلكترونيّ عند البحث عنها. وهي أيضاً تزوّد الطّلاب برؤية حول كفيّة كتابة البحث. ويرى بعضهم أنّ الدّكاء الاصطناعيّ يلبي الحاجات الأولى كافّة بفضل فعاليّته، وسرعته، ومرونته، وهو مساعد ذكيّ في كلّ المجالات.

تقابل إيجابيات استخدام التطبيقات السابق ذكرها سلبيات، أبرزها الكسل والثقة المفرطة بإجابات الآلة التي قد تؤدي إلى الوقوع في أخطاء يكون من السهل تجنبها في حالة العودة إلى مراجع موثوق بها. فإن ضعف مستوى الطلاب لناحية الابتكار وتوليد الأفكار الجديدة، الناتج عن غياب تنمية التفكير النقدي لديهم، وعدم تمكنهم من المواضيع المعالجة بأنفسهم، يمنح الذكاء الاصطناعي المزيد من القوة والهيمنة على مستخدميه. هذا وإن الذكاء الاصطناعي ما زال ضعيفاً في اللغة العربية، وهذا يؤثر في مستوى مهارات الطالب الجامعي. ويزداد الأمر سوءاً إذا كان الأساتذة يعتمدون على مثل هذه التطبيقات اعتماداً كلياً، فيقلدهم الطلاب ويتجاهلون تقنيات البحث التي تحسن من أدائهم وتجعلهم من الأكفاء، ويقعون في أخطاء فادحة لجهة الإفراط في الاستخدام لغياب الدقة والسلسلة المنطقي، والأخطر أن هذه الحال تؤدي إلى أوراق بحثية مضللة في قوالب التصميم، والمشاريع، ومعالجة النصوص، وتحليل النتائج؛ لأنها تركز على تقنية النسخ واللصق، ولأن محاولة فهم المعنى لا تحقق أحياناً الغرض المطلوب.

في المحصلة، تبين أن الطلاب يستخدمون الذكاء الاصطناعي في مختلف مراحل البحث، لكن الاستخدام يتمركز بشكل واضح في المخرجات التحليلية المباشرة (إجابات البحث)، ويتراجع في المهام التقنية والتنظيمية (جمع المدونة واستخراج البيانات). تعكس الفروق في الانحراف المعياري تفاوتاً في الخبرة الرقمية؛ بعض الطلاب قادرون على استثمار الذكاء الاصطناعي بعمق، فيما لا يزال آخرون في المستويات الأولية. يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي مساعداً فكرياً أكثر من كونه أداة منهجية أو تقنية، وهو اتجاه بحاجة إلى إعادة التوازن في التدريب الأكاديمي.

باختصار، يمكن الاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العمل البحثي بالاشتراك مع الأساتذة الذين يوجهون طلابهم نحو استخدام تطبيقات موثوق بها، ويشرفون على كيفية توظيفها لتحقيق أهداف العمل البحثي، وبالنظر إليها أداة مساعدة في ترتيب الأفكار وتنظيمها، وفي وضع مخطط البحث، وتعلم منهجية العمل، والاطلاع على بحوث سابقة، وإعادة صياغة الأفكار العالقة، على أن يتم استكمال عملية التحقق من المراجع وتحديثها. فإن تحقيق التوازن بين استخدام هذه التطبيقات ومهارات الإنسان لهو ضروري بغية تحقيق الكفاءة والفعالية.

2.3.3- في إجابات أساتذة الترجمة

تكشف إجابات الأساتذة المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في الأبحاث، في الجدول رقم (4)، أن أوجه الاستخدام تراوحت بين مستوى «المقبول» و«الجيد جداً»، حيث لم تسجل أي تطبيقات عند مستوى «الضعيف»، وهذا يتناسب مع نسبة عدم الاستخدام التي بلغت أداها 44.44%، وفق الرسم البياني رقم (4). وقد جاءت تطبيقات الإجابة عن أسئلة البحث في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.8) وانحراف معياري مرتفع نسبياً (2.13)، ما يشير إلى أن شريحة واسعة من الباحثين تلجأ إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي لصياغة الإجابات وتفسير النتائج، لكن بدرجات متفاوتة للغاية؛ فبعضهم يعتمد عليها بكثافة، بينما لا يزال بعضهم الآخر يستخدمها بشكل محدود.

أما الأبعاد المرتبطة بمراجعة الأدبيات وتحديد الإطار النظري ووضع تصميم البحث فقد جاءت في المرتبة الثالثة بمتوسط (2.8) وانحراف معياري (1.87)، وهو ما يعكس دوراً بارزاً للذكاء الاصطناعي في هذه المراحل الأولى من البحث العلمي، وإن كان الاستخدام غير منتظم تماماً بين أفراد العينة. وتكرّر الأمر في كتابة المشروع الأولي، ونقد الدراسات السابقة، وتحديد منهجية البحث بمتوسط (2.7) وانحراف معياري (2.19)، حيث ظهر تفاوت أكبر بين المستخدمين، وهو ما يكشف عن إدراك متزايد لإمكانات الذكاء الاصطناعي في بناء المداخل البحثية، دون تجانس كامل في الممارسة. بينما سجل تطبيق جمع المدونات واستخراج بياناتها المتوسط الأدنى (2.5) بانحراف معياري (1.79) بدرجة «مقبول»، ما يشير إلى أن هذا الجانب التطبيقي لا يزال يواجه محدودية في الاستخدام، ربّما لصعوبته التقنية أو لغياب التدريب الكافي على أدوات الذكاء الاصطناعي الخاصة بتحليل البيانات اللغوية.

وتشير الانحرافات المعيارية المرتفعة (2.13 - 2.19) إلى وجود تباين ملحوظ بين الباحثين في درجة الاستخدام، ما يشير إلى أن الاستفادة من هذه التطبيقات ما زالت في طور التشكّل، وتحتاج إلى تدريب أكاديمي مُمنهج لتقليص الفوارق وتعزيز توظيفها بصورة أكثر تجانساً بين مختلف مراحل البحث العلمي.

يستخدم الأساتذة عدّة تطبيقات لتحليل الوثائق وتلخيصها، منها GPT-40. ومن أجل تدوين المراجع والهوامش، وإدارة الأبحاث، واستخراج البيانات وتخزينها، وجمع المصادر والمراجع، وترتيبها، ومشاركتها، يعتمدون على Zotero و Elicit و Mendeley. ويجدون في استخدام الذكاء الاصطناعيّ كسبًا للوقت، وعمقًا في التحليل، وتنظيمًا للعمل، وسرعةً في تحديد النقاط اللازمة للبحث، فضلًا عن المساعدة في التركيز على التفسيرات والاستنتاجات والنتائج المستقبلية، والسهولة في إتمام المهمة، والعثور على مراجع تتطلب التأكد منها للسيطرة على الانتحال.

لا تسلم إيجابيات الاستخدام السابق ذكرها من أضرار في رأيهم، وأبرزها الاعتماد الكليّ والمفرط على الذكاء الاصطناعيّ، وخصوصًا في إعداد الإطار النظريّ، وعدم إخضاع النتائج للفحص للتحقق منها. وهذا يؤديّ إلى كسل في الدماغ، وركود في العقل، وتقلّص قدرة تقديم الباحث أفكارًا مبتكرة، وانعدام التحليل الشّخصيّ، وتعرّض القدرة على فهم النتائج المعقّدة وتعليلها بشكل صائب. وللإفادة من التطبيقات بشكل سليم وهادف، اقترح الأساتذة تكريس حصص بحثٍ تحت إشراف اختصاصيين في منهجيات البحث العلميّ في الجامعة.

3.3.3- في إجابات أساتذة اللّغات الحيّة التطبيقية

نالت تطبيقات الإجابة عن أسئلة البحث أعلى الأوجه استخدامًا بمتوسط حسابيّ (2.3)، وفق الجدول رقم (6). وهذا يمكن تفسيره بأنّ الباحثين يميلون إلى استخدام الذكاء الاصطناعيّ لتوليد الإجابات المحتملة أو مراجعتها، وهذا النشاط يتطلب تحليلًا مرئيًا ومفتوحًا، وفق ما يظهره الرسم البيانيّ رقم (6) أيضًا، وهذه إشارة إلى الثقة بتطبيقات ذات مهاراتٍ أوليّة في الكتابة. أمّا الأوجه ذات الاستخدام الضعيف فجاءت لتطبيقات التوثيق وإنشاء لوائح المراجع ونقد الدّراسات السابقة بمتوسط حسابيّ (1.8). على الرّغم من ذكرهم أدواتٍ فعّالة -مثل EndNote، و Zotero، و Ref-N-Write، لا يزال الاستخدام ضعيفًا، وهذا يعود إلى قلّة الثقة في دقّة المراجع التي يقترحها الذكاء الاصطناعيّ، وغياب النّقد التحليليّ العميق، أو ضعف التّدريب على هذه الأدوات.

مرّة جديدة، برز استخدام «شات جي بي تي» في البحث العلميّ للإفادة من بعض التّوجيهات أو الاقتراحات التي قد لا يكون الأستاذ على دراية بها. أمّا الإيجابية الأكثر

فائدة في استخدام التطبيقات فهي السهولة والسرعة في إتمام المهام. وفي المقابل، برزت سلبية تسبب ضرراً في الاستخدام وهي عدم جودة الكتابة العلمية في غياب التوثيق السليم والتدقيق اللغوي. وبالنسبة إلى كيفية الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تحسين العمل البحثي، كان الاقتراح هو البحث عن أفضل التطبيقات المناسبة للاختصاص موضوع البحث وتجربتها.

4- مناقشة نتائج الدراسة

يتبين من خلال هذه الدراسة أنّ الذكاء الاصطناعي يشكّل حالياً أحد أبرز التحوّلات التي تؤثر بعمق في الممارسات الأكاديمية؛ إذ لم يعد دوره يقتصر على دعم البحث العلمي من خلال تحليل البيانات الضخمة أو تيسير مراجعة الأدبيات، بل امتدّ ليشمل تطوير المناهج التعليمية وتصميم محتوى أكثر تفاعلية وملاءمة لمتطلبات العصر. وفي مجال تعليم/تعلم الترجمة تحديداً، يقدّم الذكاء الاصطناعي أدوات متقدمة تساعد على ربط البعد النظري بالممارسة العملية، وتوسّع آفاق التدريب. ومع ذلك، فإنّ استخدام النّقانة في الحياة الأكاديمية يثير نقاشات جدية حول دور المعلمين، وحدود فاعلية الأنظمة الذكية، والحاجة إلى إيجاد التوازن في توزيع المهام بين الآلة والإنسان بهدف الحفاظ على مهارات التفكير والقدرة على الابتكار لدى الإنسان.

1.4- جودة الترجمة في زمن السرعة والمنافسة الذكية

في مركز اللّغات والترجمة، ما زال استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الترجمة، التحريرية منها والفورية، في مرحلة التّجريب المحدود؛ إذ لم يتجاوز مستوى «المقبول» في أيّ من التطبيقات. أمّا التطبيقات الأكثر استخداماً فهي تفيد التوثيق والمساعدة في الترجمة، وهي ترتبط بجانب الترجمة العملي وبسرعة إنجاز المهام. أمّا التطبيقات الأقلّ حضوراً فتعنى بالتسويق وتحليل النصوص وترتبط بالجانب الأكاديمي التقدي، ما يشير إلى فجوة واضحة بين النّعاطي التقني والاستخدام المعرفي العميق. والجدير بالذكر أنّ الانحراف المعياري المعتدل يوضّح وجود فروق فردية في الاستفادة قد تكون مرتبطة بالمهارات التقنيّة، والخبرة السابقة، أو طبيعة النصوص التي يتعامل معها الأفراد.

ومن أكثر المشكلات شيوعاً وخطورةً عند الترجمة بواسطة منصّات الذكاء الاصطناعيّ (شات جي بي تي مثلاً) هو أنّ هذه الأدوات تميل إلى الترجمة الحرفيّة، على خلاف المترجمين البشر الذين يأخذون في الاعتبار السياق والالتقاء الثقافيّ بين اللّغات. هذا يؤدّي إلى إنشاء جمل «غريبة» أحياناً، أو حتّى جمل «بلا معنى»، حيث إنّ بعض التّعابير أو العبارات القائمة في اللّغة الإنجليزيّة مثلاً تصبح مشوّشةً عند ترجمتها إلى لغات أخرى مثل العربيّة. هنا يجب أن يعود المستخدم ليتحقّق من المحتوى المترجم مع مراعاة السياق، ويستخدم أدوات أخرى للمقارنة. أضف إلى ذلك أنّ الترجمة بالذكاء الاصطناعيّ لا تزال عرضةً لأخطاء في النّحو والتّركيب، خاصّةً عند التّعامل مع جمل معقّدة أو لغات ذات قواعد لغويّة متشعّبة. فأحياناً، يمزج النّصّ الهدف أزمنةً مختلفة، أو ينقل الأفعال بشكل خطأ، أو يغيب التّوافق في الجنس. ومن الواضح أنّ الذكاء الاصطناعيّ يتعامل بشكل جيّد مع الجمل البسيطة، لكنّ النّصوص المعقّدة قد تسبّب له إرباكاً. فعند ترجمة النّصوص الطّويلة، غالباً ما ينتج ترجمات متناقضة من حيث اختيار المصطلحات أو الأسلوب. فعلى سبيل المثال، يُستخدم مصطلح في بداية النّصّ ثم يُستبدل لاحقاً بمرادف له، ما يربك القارئ ويشوّه الرسالة. وهنا نذكّر بأنّ نماذج الذكاء الاصطناعيّ مدربة على بيانات ضخمة، لكنّها غير متخصّصة في المجالات كافّة؛ لذا من المحتمل أن تخرج الترجمة من السياق الصّحيح وأن تُستخدم المصطلحات بشكل مفرط أو سيّئ خصوصاً في المجالات عالية التّقنيّة مثل الطبّ والقانون والهندسة والاقتصاد والدين، حيث الدّقة حاسمة؛ فتنترّب - عن أيّ خطأ أو غموض - عواقب وخيمة تعرّض الشّركات والعلماء للمساءلة، وتؤثّر بشدّة في سمعتهم.

في هذا الإطار، لا يمكن تجاهل مشكلة العمى الثقافيّ وعدم تناسق النّبر بين النّصّ المصدر والنّصّ الهدف. ومن الطّبيعيّ أن يفشل الذكاء الاصطناعيّ في التقاط الفروق الثقافيّة الدّقيقة بين اللّغات. فنتج، عن جهله، تشوّهات تجعل النّصوص جامدة جداً. غير أنّ الفكاهة، والسّخرية، والمعاني الضّمنيّة، والتّورية، واللّهجات المحليّة تمثّل تحديات جدّية في الترجمة. وفي بعض الأحيان، تتسبّب اللّهجات واللّغات المعياريّة الأكثر شيوعاً بتضليل المعنى عند الترجمة. وتؤثّر ازدواجيّة اللّغة في قرار الذكاء الاصطناعيّ، فتخرج ترجمات صحيحة لغويّاً ولكنّها غير ملائمة دلاليّاً وثقافيّاً، وتعجز عن مجازاة المترجم

البشريّ مثلاً في فهم البُعد الشعريّ للنصّ وإعادة إنتاجه.

وكما ذكرنا سابقاً، ليست كلّ اللّغات ممثّلةً بشكلٍ متساوٍ في بيانات تدريب الذكاء الاصطناعيّ، ما يؤثّر في أدوات الترجمة التي تتعامل مع اللّغات منخفضة الموارد، وقد تنتج عن ذلك أخطاءً جديةً في القواعد والمفردات. قد يكون الذكاء الاصطناعيّ فعّالاً في الترجمة إلى اللّغات الأكثر انتشاراً ومكانةً و«قوةً» (مثل الإنجليزية)، لكنّه أقلّ كفاءةً في التّعامل مع اللّغات النّادرة أو اللّهجات التي تفتقر إلى بيانات التّدريب، ما يدفعه أحياناً إلى استخدام الترجمة إلى الإنكليزيّة مرحلةً وسيطةً، مولّداً بذلك أخطاءً كثيرة. لذا، من الحكمة توخّي الحذر عند استخدامه لترجمة تلك اللّغات والتّدقيق في مخرجاته. ومن الضروريّ عدم تجاهل محدوديّة الأداة وتزويدها بتعليمات مرتبطة بالسياق تكون دقيقة ووافية بهدف تخطّي مشكلة الغموض في تفسير المعنى، وتفادي أن يختار الأنموذج مقابلاتٍ خطأً قد تغيّر معنى المرسلة بالكامل. كذلك، ينبغي تزويده بتعليمات توضّح المطلوب لجهة النّبر والأسلوب ومستوى اللّغة وسجلّاتها وخصوصيّة الجمهور المتلقّي. فبفضل التّوضيحات والأمثلة، يمكن توجيه الذكاء الاصطناعيّ نحو ترجمة أفضل. ويبقى الخطر الأكبر من استخدام الذكاء الاصطناعيّ في الترجمة هو الاعتماد الكامل عليه من دون مراجعة بشرية. حتّى وإن كانت النماذج فعّالة، فلها محدوديّتها وينبغي النّظر إليها كأداة دعم وليس كحلّ نهائيّ.

2.4- الواقع والمستقبل في إعداد المترجمين

اليوم، ومع انتشار أدوات الذكاء الاصطناعيّ، يبدو أنّ اختصاص الترجمة بشقيه التحريريّ والفوريّ أصبح مهدّداً بوهم الذكاء الاصطناعيّ. فتلحظ مدارس الترجمة حول العالم (مثال جامعة جنيف وجامعة أوتاوا) انخفاضاً في الإقبال على التّسجيل في هذا الاختصاص. والسبب، في رأي الاختصاصيين (Argiroffo, 2024، نقلاً عن Mathilde Fontanet)، هو الوهم بأنّ الآلات ستحلّ محلّ البشر. وهذا الظنّ وهمّ فعلاً نظراً إلى

1- مديرة قسم الترجمة في جامعة جنيف.

شدة ديناميّة أسواق الترجمة العالميّة، وتوقّعات نموّها بشكل ملحوظ في السّنوات القادمة¹. ومن المثير للاهتمام أنّه بالرّغم من سطوة الذّكاء الاصطناعيّ على عمل المؤسّسات، يؤكّد أساتذة الترجمة وطلّابها (أقلّه في مركز اللّغات والترجمة) أنّ العامل البشريّ سيبقى جوهريّاً في هذه المهنة، وهم مقتنعون بأنّه سيكون هناك حاجة دائمة لمراجعة بشريّة في التّرجمات. وفعلاً، بدأت المؤسّسات تعمل على دمج الذّكاء الاصطناعيّ في مناهجها، وإضافة مقرّرات تعلّم الطّلاب كيفيّة مراجعة النّصوص المترجمة آلياً وتحسينها. فهذا التّوجّه الذي تسلكه مدارس الترجمة يركّز على القيمة المضافة التي يمثّلها المترجم البشريّ ويعدّ الطّلاب للمنافسة في سوق العمل. في هذا الصّدد، تركّز فونتانيه (نقلًا عن Argiroffo، 2024) على أهميّة إنقائ أساسيّات الترجمة قبل الشّروع في استخدام أدوات الذّكاء الاصطناعيّ والتّمرّس في مراجعة التّرجمات الآليّة²؛ إذ إنّ النّصوص التي تنتجها الحواسيب قد تكون مقبولة لغويّاً إنّما تحمل عيوباً ترجميّة لا يفقهها سوى المترجم المتمكّن من اللّغة والثّقافة، وصاحب الفكر التّقديّ والبعد التّحليليّ والرّؤية التّرجميّة. حالياً، يتطوّر تعليم الترجمة ليشمل كفاياتٍ متنوّعة تجمع بين اكتساب اللّغات، والوساطة، والترجمة، والكتابة الإبداعيّة، والكتابة التّقنيّة.

بالفعل، يشهد سوق العمل نقصاً في أعداد المترجمين المحترفين، لا سيّما المترجمين

1- في العامين 2023 و2024، ضجّت مواقع التّواصل الاجتماعيّ (ici.radio-canada، lapresse.ca) بأخبار تعليق اختصاص الترجمة في جامعة أوتاوا وجامعة سيمون فرايزر (FSU) في كندا لأسباب متنوّعة منها تراجع عدد الطّلاب والحاجة إلى تعديل المناهج. وأبدى الاختصاصيون قلقهم حيال هذه التّدابير غير المدروسة والمرتبطة بدراسات ماليّة بحثية في زمن تبرز فيه الحاجة الماسّة إلى إعداد المترجمين وتدريبهم لمواكبة التّطوّرات المتسارعة، بخاصّة أنّ الطّلب على ترجمة النّصوص القانونيّة والماليّة والطّبيّة مرتفع جدّاً، وأنّه في بعض الحالات يُمنع استخدام أدوات مثل DeepL لضمان سرّيّة البيانات. وفي هذا الصّدد، يؤكّد جيس روبيشو (Jesse Robichaud، 2025، lapresse.ca)، مدير الشّؤون العامّة في جامعة أوتاوا، أنّ الذّكاء الاصطناعيّ لم يكن السّبب في تعليق برامج الدّراسات التّرجميّة حتّى سبتمبر 2026، إنّما الجامعة تتّجه نحو برامج ذات توجّه مهنيّ في الترجمة تتيح إعداد مترجمين معتمدين في فترة 18 شهراً.

2- « Les textes produits par les machines tiennent tout à fait debout au niveau de la grammaire et de l'orthographe, mais il peut y avoir beaucoup de petits défauts. Donc si on n'a pas acquis la compétence au préalable, on risque de manquer du recul nécessaire pour intervenir. C'est pour cela que nous avons décidé d'intégrer cette post-édition en fin de cursus. » (Mathile Fontanet in Argiroffo, 2024, <https://www.rts.ch/info/sciences-tech/>)

الفوريين¹ في داخل المؤسسات الدولية. وتسهم عدّة عوامل في هذا التراجع في امتهان الترجمة. أولاً، تتجه الأجيال الجديدة إلى اختيار مسارات أقلّ إرهاقاً، وأكثر ربحاً، وأعلى تقدّيراً في المجتمع؛ ثانياً، الإعداد في مجال الترجمة، التحريرية منها والفورية، يتطلب الكثير من الانضباط والجهد وهو لا يواكب احتياجات السوق بشكل كامل، فبعد تخرجه يعمل المترجم بشكل ذاتي على إعداد نفسه لسوق العمل فتكون المهمة شائقة؛ ثالثاً، يؤدي تقدّم الذكاء الاصطناعيّ إلى تراجع اختيار مهن الترجمة؛ لأنّ الرؤية لا تزال ضبابية ولا يستطيع طلاب الترجمة التكهّن بمستقبلهم وبما ستؤول إليه الأمور وكيف سيكملون مسيرتهم، ولذلك من الضروريّ توعية المهتمّين على أهميّة هذا المجال ودعمه عالمياً لحاجة الدول إليه، وعدم قدرة الذكاء الاصطناعيّ على تعويض النقص الحاصل فيه؛ رابعاً، وبشكل خاصّ في لبنان والدول العربيّة، لا يكافأ المترجم بشكل عادل، فتبقى المهنة غير منظمّة والأجور منخفضة جدّاً، تجعل المترجمين يغيّرون مسارهم نحو اهتمامات أخرى مثل التعليم، والصّحافة، والإعلام، والتّواصل في الشّركات، وهي مهن سهلة بالنسبة إليهم نظراً إلى المهارات التي يتمتعون بها إثر خوضهم مجال الترجمة.

في الحقيقة، في زمن الذكاء الاصطناعيّ، يتوقّع أرباب العمل سرعة أكبر في عمل المترجمين وزيادة في إنتاجيّتهم، ما يزيد من الضّغط عليهم وينهكهم، مع العلم بأنّ الترجمة الآليّة العصبيّة ليست جديدة بالنسبة إليهم، فقد كانوا سباقين باستخدام أدواتها منذ العام 2017، ولكنّ الضّغط النفسيّ يتّقل اليوم كاهل المترجم لزمّه في وضعيّة المنافسة مع الآلة. فمن وجهة نظر المترجمين، ليس الذكاء الاصطناعيّ سوى أداة تخفّف عنهم مهمّة البحث الأوّليّ وتساعدتهم في جمع البيانات المبدئيّة، ومطابقة المصطلحات، وتحليل الأنماط اللّغويّة على نطاق واسع، وتبقى المهمّة الأساس مراجعة النّصّ، وتصويبه، والتركيز على المهامّ والنّصوص الأكثر تعقيداً. إنّ الترجمة الحقيقيّة تتجاوز من بعيد عمل الذكاء الاصطناعيّ، فهي تتطلّب طلاقة لغويّة، وفهماً ثقافياً، وتحليلاً سياقياً، واتّصلاً عاطفياً، وهي عناصر لا يمكن أن يوفرها إلّا الإنسان.

1- نظراً إلى النقص في أعداد المترجمين الفوريين، أعلنت جامعة لافال (Laval) في كندا عن افتتاح برنامج مصغّر (قصير المدة) عالي المستوى في الترجمة الفورية.

2.4- أصالة البحث العلمي وقيّمته المعرفيّة في زمن الذكاء الاصطناعيّ

أكّدت هذه الدّراسة أنّ الذكاء الاصطناعيّ التّوليديّ قادرٌ على تعزيز كفاءة الباحث ودقّته وجودته، وتحسين إنتاجيّة البحوث، وتبسيط العمليّات التحليليّة المعقّدة، لكنّه في المقابل يثير اعتباراتٍ أخلاقيّة ومنهجية مهمّة وتساؤلات حول حقوق التّأليف، ومسؤوليّة النّاشر، ودور الباحث النّشط، وسلامة البحث، وطبيعة العمل الأكاديميّ المتغيّرة. ومع تزايد تركيز المؤسّسات التّعليميّة ومراكز البحوث على الإنتاج البحثيّ وسرعة الباحثين في التّأليف والنّشر، يزداد الضّغط على هؤلاء، ويلجأون إلى استخدام الأدوات الذكيّة لزيادة الإنتاجيّة، ما قد يؤدّي - من دون قصدٍ - إلى الإضرار بالمبادئ الأساس للنّزاهة الأكاديميّة، أو إلى إحداث خللٍ في شبكات التّواصل الأكاديميّ بسبب التّضخّم في حجم الأبحاث المنشورة.

وبالطبع، نظرًا إلى قدرته على التّدريب والتّطوير الذاتيّ، يعبّد الذكاء الاصطناعيّ التّوليديّ بتقدّم كبير في المستقبل، خصوصًا في قدرته على التّحليل والاستدلال المنطقيّ. فهو قد برهن عن تمكّنه، في التّحليل السّرديّ، من تحديد الأنماط المتكرّرة والموضوعات والمسارات العاطفيّة، ما يعزّز من قدرة الباحثين على فهم السّرديّات المعقّدة. وحتى في المنهج النّوعيّ المؤصّل الذي يستند إلى البيانات التّجريبية لبناء نظريّات جديدة، يستطيع الذكاء الاصطناعيّ دعم الباحث في تصنيف البيانات، والمقارنة في ما بينها، وإظهار العلاقات التي تربط فئاتها، واقتراح تصوّراتٍ نظريّة بناء عليها. ومع ذلك، لا تحلّ الآلات بالكامل محلّ البشر، وتبقى مهارات الباحثين النّقدية والإبداعية، وفهمهم للسياقات المرتبطة بتجاربهم السّابقة وبواقع حياتهم ومعارفهم، وقدراتهم التّأويليّة والتحليليّة، أساس المصداقيّة والعمق في الدّراسات التّوعيّة والنّظريّة والفلسفيّة.

والجدير بالذّكر أنّ المنظّمات الدوليّة والحكوميّة في بعض الدول قد اعترفت بفاعليّة الذكاء الاصطناعيّ في البحث العلميّ ووضعت توجيهاتٍ لاستخدامه. على سبيل المثال، تقدّم منظّمة اليونسكو (Miao & Holmes، 2023) الإرشادات والنّصائح للباحثين، من جهة، ليكونوا على وعيٍ بالممارسات السّليمة عند استخدامهم الذكاء الاصطناعيّ في تشكيل أسئلة البحث واقتراح المناهج، وأتمتة شرح البيانات. ومن جهة أخرى، توكّد أهميّة الاستخدام الأخلاقيّ والمسؤول للذكاء الاصطناعيّ في البحث العلميّ مع إبراز

إمكاناته ومخاطره التي أصبحت مألوفة مثل اختلاق المعلومات، وانتهاك الخصوصية، وتعزيز المعايير الاجتماعية السائدة على حساب التنوع الثقافي والاجتماعي. هذا وتشدد على الدور الحيوي لمشاركة الباحثين البشر في البحوث العلمية، وضرورة امتلاك الباحثين معرفة قوية بالمواضيع قيد الدراسة للتحقق من مخرجات التطبيقات الذكية والقدرة على تقديم التقييمات الناقدة. أضاف أن توصيات المنظمة تشمل ضرورة تقديم التوجيه والتدريب للباحثين ليدركوا فاعلية الآلات، ويطوروا استراتيجيات البحث الآلي، وينموا قدرات صياغة الأوامر لديهم (prompt engineering)، ويعوا كيفية استخدام الأدوات بمسؤولية ونزاهة. وبالرغم من الآراء المتباينة حول فوائد الذكاء الاصطناعي أو مشكلاته، شملت النصائح تجنب استخدام الأدوات الذكية في الأنشطة الحساسة مثال مراجعة أعمال الأقران أو تقييم البحوث.

أما التفاعل بين الإنسان والحاسوب (HCI) فلا يزال قيد الدرس، ولا يزال بعض المستخدمين يشعرون بانعدام السيطرة على أدوات الذكاء الاصطناعي، ما يؤدي إلى ارتفاع نسبة التوتر والقلق لديهم وانخفاض تقديرهم لذواتهم، وقد يُبدون الغضب أو العداء تجاه التقنية أو تجاه أرباب العمل الذين يلزمونهم باستخدامها، وهو أثر تم توثيقه على نطاق واسع في الأدبيات. إن الشعور بالتحكم هو عامل حاسم في قابلية استخدام أي نظام، ولذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند تصميم واجهات الاستخدام. لذا، يستحق أن يأخذ مفهوما التحكم والاستقلالية حيّزاً أكبر في الصناعات الرقمية، خاصة إذا كانت شركات التقنية تسعى إلى تعزيز القدرات الإدراكية لدى المستخدمين وتوطيد علاقتهم بالذكاء الاصطناعي والأتمتة¹.

3.4- استخدام الذكاء الاصطناعي للغش في الامتحانات وإنجاز الواجبات غير الصفية

في الحقيقة، يستخدم الطلاب أدوات الذكاء الاصطناعي لإنجاز أعمالهم. وبعضهم يستعملها لتجنب عناء التفكير. لكن الأمر ليس بجديد، فبعض الطلاب يستعينون 1- تشير الدراسات (Jiménez-Crespo, 2025) إلى أن المترجمين المحترفين، سواء أكانوا مستقلين أو عاملين ضمن مؤسسات، يشعرون بالسيطرة على تقانات الترجمة وطريقة دمجها في عملهم. وقد أفاد المترجمون بأن هذه التقانات لا تهيمن على أعمالهم، ما يشير إلى أن المخاوف المتعلقة بفقدان القدرة على التحكم في المستقبل قد تُعزى إلى عوامل اقتصادية ضمن صناعة الترجمة، وليس إلى الذكاء الاصطناعي أو تقانات الترجمة.

بالإنترنت منذ سنوات وينسخون واجباتهم من زملائهم. الذكاء الاصطناعي ليس سوى فصل جديد في القصة. ومع ذلك، فإن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي لا يعني بالضرورة أن الطلاب لا يفكرون. فبين العمل الخالي من أي مساعدة إلكترونية والعمل المنجز كلياً بواسطة الذكاء الاصطناعي أي من دون تدخل بشري، عالم من الاحتمالات. فطبعاً إن كان الطالب ينسخ ويلصق ردوداً من الذكاء الاصطناعي من دون أي جهد أو تفكير خاص به، نتفق جميعنا على اعتبار عمله غشاً وانتحالا. وفي المقابل، أن ينجز الطالب عمله من دون الاستعانة بالذكاء الاصطناعي أو حتى بالإنترنت، فهذا لا يبدو واقعياً، ولا يمثل العالم الذي سيعيش ويعمل فيه في المستقبل. أما إذا كان الطالب يفكر ويطور مهاراته في البحث، والقراءة، والكتابة، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة من التحدي والعمق، فهنا نبدأ بالنسأل عما إذا كان عمله يصنف في خانة الغش. وبالطبع تختلف الإجابة باختلاف نوع المهمة ومستوى الطالب وطبيعة المادة التعليمية والهدف من التعلم وغير ذلك. لذا، من الأفضل أن يحدد كل مدرس أساليب استخدام الإنترنت والذكاء الاصطناعي في صفوفه، ويوجه طلابه ويدعمهم بما يلزم من التوعية والاستراتيجيات المفيدة ليتمكن في ما بعد من مساءلتهم وتصنيف أعمالهم. ومع مرور الوقت، من الممكن أن تتغير تعريفات الغش، والانتحال، والسرقعة الأدبية تدريجياً مع انتشار الذكاء الاصطناعي في الحياة اليومية والمهنية.

وقد تكون الفكرة الأهم، أن الطلاب الذين يطورون كفاية استخدام هذه الأدوات بفعالية سيتفوقون على أقرانهم الذين لم يتلقوا أي تدريب أو توجيه بشأن استخدامها، ما يؤدي إلى تكوين فجوة رقمية من المستوى الثاني (second-level digital divide) – (Scheerder & al., 2017). وبالنظر إلى التنوع الواسع في أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي، وإلى دمجها المتزايد في أدوات الإنتاجية الرقمية (مثل Microsoft Office و Google Suite)، يبدو أن منع استخدامها غير قابل للتطبيق الفعلي.

ومن الاستراتيجيات الدفاعية المعتمدة لمواجهة استعمال الذكاء الاصطناعي في العمل الأكاديمي تطبيقات تعمل بالذكاء الاصطناعي عينه، أي إنها أنظمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي لكشف استخدامه، على غرار الأدوات الشائعة مثال Turnitin. غير أن هذه الأدوات أظهرت نسبة نجاح متدنية، وأنتجت عدداً من النتائج المغلوطة (false)

(positives)، ما أدى إلى اتّهام الطّلاب ظلماً بانتهاك النّزاهة الأكاديميّة، كذلك نقلت بعض التّقارير حالاتٍ عن مدرّسين لم يتمكّنوا من اكتشاف حالات الغشّ أو أخطأوا باتّهام الطّلاب بارتكابها (Lonas، 2023).

5- مقترحات لضبط استخدام الذّكاء الاصطناعيّ في البحث العلميّ

تظهر نتائج هذه الدّراسة أهميّة أن يتبنّى الأكاديميّون نهجاً مدروساً للاستفادة القصوى من أدوات الذّكاء الاصطناعيّ مع توخّي النّزاهة الأكاديميّة وضمان خلو الأبحاث من الانتحال. لذا، نعرض في ما يلي بعض المقترحات بهدف توجيه المهتمّين والدّفع بعجلة البحث العلميّ المحلّي نحو الأفضل.

- **تعزيز التّربية الرقميّة:** وذلك من خلال الاستخدام المتعمّد للتّقانة في التّعليم والبحث، وقدرته على تعزيز تفاعل المستخدمين وتوليد تجارب تعليميّة أكثر عمقاً وذات معنى. وما لا يقلّ أهميّة أنّ استخدام الأدوات الذكيّة بفاعليّة يتطلّب توظيف التّفكير النّقديّ وإنتاج أعمال أصيلة، في عالم بات فيه الاعتماد المفرط على الذّكاء الاصطناعيّ أمراً سهلاً ومغرياً.

- **التّكامل مع أدوات تحليل البيانات الأخرى:** للإفادة بشكل أكبر من الذّكاء الاصطناعيّ، من الأفضل أن يستخدمه الباحثون بالتزامن مع أدوات تحليل البيانات الأخرى. على سبيل المثال، يمكن استخدام الذّكاء الاصطناعيّ لتحليل البيانات الأوليّة، ثمّ استخدام أدوات إحصائيّة تقليديّة مثل SPSS لتحليل أعمق وأكثر دقّة للنتائج. فالتّكامل بين أدوات الذّكاء الاصطناعيّ والبرمجيّات التحليليّة يمكن أن يوفّر رؤيةً شاملةً ويزيد من دقّة البحث.

- **استخدام الأدوات المناسبة بحسب متطلّبات البحث:** على الباحثين توجيه استخدام الذّكاء الاصطناعيّ بما يتناسب مع مراحل البحث المختلفة، فيختارون الأدوات التي تتناسب مع احتياجات البحث، مثال أدوات إدارة المراجع، وأدوات كشف الانتحال. على سبيل المثال، يمكن استخدام ChatGPT و Jasper في المراحل التمهيدية، لجمع الأفكار وتنظيم المسودّة الأوليّة، وبعد ذلك، عند مراجعة الأدبيّات ونقدها وفي سبيل توليد أفكار جديدة، يعتمد الباحث على تحليله الخاصّ (Rivière، 2020).

فمن الضروريّ عدم الاعتماد الكليّ على الذكاء الاصطناعيّ في التحليل العميق؛ لأنّ أدواته غالباً ما تكون محدودةً في معالجة النصوص الفلسفيّة والنقدية¹.

- استخدام الذكاء الاصطناعيّ للتأكد من النزاهة الأكاديمية: إنّ أحد المجالات الأبرز لاستخدام الذكاء الاصطناعيّ في البحوث هو الكشف عن الانتحال. فبعض التطبيقات والمواقع مثل Turnitin و iThenticate قادرة على مراجعة النصوص والكشف عن أيّ محتوى منسوخ من مصادر أخرى متوفرة على شبكة الإنترنت، ما يساعد في الحفاظ نسبياً على النزاهة الأكاديمية. وتؤدي هذه الأدوات دوراً رئيساً في ضمان عدم استخدام الذكاء الاصطناعيّ لإنشاء محتوى مكرّر أو منتحل، وهو أمر مهمّ للباحثين.

- تعزيز الوعي بالتحيزات والتحديات الأخلاقية: على الباحثين أن يكونوا على دراية بالتحديات الأخلاقية المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعيّ، خاصة في ما يتعلق بالتحيزات البرمجية. تظهر دراسة بوسترم وآخرين (Bostrom & al., 2021) أنّ أنظمة الذكاء الاصطناعيّ قد تعكس تحيزات موجودة في قواعد البيانات التي تدرّبت عليها، ما قد يؤدي إلى نتائج منحازة. لذلك، من المهمّ أن يدقّق الباحثون في مخرجات الذكاء الاصطناعيّ ومراجعتها بتمعّن لضمان دقة النتائج وغياب التحيز.

- التحكم في إعدادات الذكاء الاصطناعيّ لتحقيق أفضل النتائج: إنّ التحكم في إعدادات أدوات الذكاء الاصطناعيّ يمكن أن يضمن مخرجات أكثر دقة وتناسباً مع مواضيع البحوث. فالتطبيقات الشائعة، مثل DeepL و Grammarly²، تقدّم خيارات قابلة للتّعديل بهدف تحسين أسلوب الكتابة، ويمكن توجيهها لتحليل فئات معينة من النصوص (Leclercq, 2022). لذلك، لا بدّ من أن يطور الباحثون فهماً أعمق لهذه الإعدادات لضبطها وفقاً لأهداف البحث.

1-بالإضافة إلى ChatGPT، نجد العديد من الأدوات الأخرى التي يمكن أن تساعد الباحثين في تحسين جودة أعمالهم الأكاديمية مثل Zotero (إدارة المراجع وتوليد استشهادات تلقائية)، و Mendeley (تنظيم المقالات والكتب العلميّة والمراجع، مع إمكانية الوصول إلى قاعدة بيانات ضخمة من الدراسات الأكاديمية)، و Quillbot (تحسين الكتابة الأكاديمية من خلال إعادة صياغة النصوص وتقليل التكرار وأُسنة الموادّ المولّدة آلياً).

2-تطبيق رقميّ يعتمد على الذكاء الاصطناعيّ لمساعدة المستخدمين في تحسين كتاباتهم. يقوم برصد الأخطاء النحوية والإملائية وعلامات الترقيم وأسلوب الكتابة، ويقدم اقتراحات لتعزيز الوضوح والإيجاز (<https://grammarly.com>).

- تحفيز التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي: بدلاً من التصدي للذكاء الاصطناعي وخشية اعتماده بديلاً للباحث، ينبغي التعامل معه على أنه مكمل للجهود البشرية. يُقترح استخدامه في المهام المتكررة والمملة مثال جمع البيانات أو الترجمة الأولية، بينما يركز الباحثون على التفكير النقدي والتحليل المعمق. في هذا السياق، تشير دراسة فلوريدي (Floridi، 2020) إلى أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يعزز التفكير الإبداعي من خلال توليد أفكار جديدة أو تقديم حلول غير متوقعة، لكن يبقى للباحث دورٌ أساس في تقويم هذه الأفكار وتطويرها.

- إعداد الطلاب والباحثين الجدد وتدريبهم على استخدام الذكاء الاصطناعي بمسؤولية: من الضروري أن يتلقى الطلاب والباحثون الناشئون تدريبات حول كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل مسؤول. ومن الضروري، أيضاً، أن تنظم الجامعات دورات تدريبية وورش عمل تعرض الأدوات المتاحة وتشرح كيفية استخدامها بطرق فعالة وأخلاقية لتحسين جودة الأبحاث. كذلك، نشدد على ضرورة إرشاد الطلاب في استخدامهم الذكاء الاصطناعي في أبحاثهم من دون الإخلال بقيم النزاهة الأكاديمية.

- مراجعة الأدبيات باستخدام الذكاء الاصطناعي: من البديهي أن يستخدم الباحثون الذكاء الاصطناعي لتسريع مراجعة الأدبيات، ولكن ينبغي توجيه الذكاء الاصطناعي لاستخراج المقالات الأكثر ارتباطاً بمواضيع البحوث وتجنب التحليلات السطحية. إن الأدوات الأكثر شيوعاً مثال Zotero و Mendeley تفسح المجال للتعاون مع الذكاء الاصطناعي في تنظيم المراجع وتوثيقها، لكن يبقى للباحثين الدور الرئيس في تقويم جودة المراجع واختيار الأفضل؛ إذ إن الذكاء الاصطناعي قادر على عرض نتائج شاملة في مراجعة الأدبيات، ولكن يبقى التحليل البشري ضرورياً لفهم السياق العلمي.

- تطوير الأدوات بما يتناسب مع الاختصاصات الأكاديمية: من المقترحات الأبرز، نذكر تطوير أدوات ذكية ترتبط بالاختصاصات الأكاديمية الدقيقة. بالطبع، يمكن لمجتمع البحث الأكاديمي التعاون مع علماء الذكاء الاصطناعي لتطوير أدوات جديدة تلبي احتياجات محددة في العلوم الإنسانية واللغويات والترجمة وغيرها من الاختصاصات. على سبيل المثال، يستخدم الباحثون أدوات مثال Voyant Tools لتحليل النصوص الأدبية، أو أدوات الترجمة الآلية التي تتيح ترجمة النصوص

الفلسفة بطريقة دقيقة ومناسبة للسياق.

خاتمة

يدرك الأكاديميون أهمية مهارات القرن الواحد والعشرين الأبرز وهي التفكير النقدي، والتعاون، والتواصل، والإبداع¹. لكنهم غالباً ما يغفلون عن عنصر بغاية الأهمية، من شأنه أن يثير الدافعية ويوجج حبّ التعلّم والتطوّر وهو الفضول. من المهم جداً ألا يغيب الفضول عن صفوفنا ولا عن أبحاثنا، ويمكن تغذيته من خلال استراتيجيات طرح الأسئلة التي تستفيد من قوة الذكاء الاصطناعي. وهو حجر الأساس في بناء كفايات التعلّم مدى الحياة، ويمهّد الأرضية للتعلّم العميق. ولتعزيز هذا التعلّم، ينبغي أن نُعيد التفكير بأساليبنا الأكاديمية، ونتبنّى طرقاً مبتكرة تشجّع أهل العلم، طلاباً وأساتذة، على الاستكشاف، والتعاون، وبناء روابط ذات مغزى مع المحتوى. في السابق، كان الوصول إلى الموارد وتجميعها مهمة شائعة تستغرق وقتاً طويلاً. أمّا اليوم، فقد توافرت الأفكار من شبكات رقمية ومصادر ذكية توفر الوقت والعناء. فجأة، أصبح لدى كلّ منا «مساعد افتراضي» يعاوننا في اختيار الموارد وفرز المعلومات شرط تزويده بالتعليمات المناسبة.

ومن أهمّ النصائح التي يمكن إسداؤها للمدرّسين والباحثين، أن يوكّلوا المهامّ الروتينية للذكاء الاصطناعي، ويحافظوا على قدرتهم على التفكير بأنفسهم. فلا يمكن أن يخلو العالم من الإنسانية، والطلاب بحاجة إلى ميزات الأساتذة البشرية، والإبداع والابتكار من الصفات التي تميّز الإنسان. فالإبداع ضروريّ أولاً لحلّ المشكلات بطرق جديدة، ولتعزيز النموّ والثقة والراحة، والتعبير عن الذات بشكل أصيل. نعم، الذكاء الاصطناعيّ قادر على محاكاة قدرات البشر، والتفوّق عليهم أحياناً، وهو منافس جدّي للإبداع البشريّ. ونرى ذلك في الجوائز التي تُمنح لأعمال فنية وأدبية أنتجت بالذكاء الاصطناعيّ. وهذا لا ينفي الحاجة إلى قدرات البشر وعقولهم وطرائق تفكيرهم، لأنّ الحواسيب تتدرّب على تقليد البشر وليس العكس. لذا نقول إنّ الذكاء الاصطناعيّ لا يتعدّى كونه عاملاً في مصانع أفكار البشر، يقوم بالمهامّ الروتينية، ويقدم الأفكار الأولية، وينقل البيانات المخزّنة لسنوات، فيما يحتفظ أهل العلم بقدرتهم على التفكير والتوليد والاستحداث والابتكار، ويفكّرون في كيفية استثمار أدوات هذا الذكاء وتطويرها.

1-The 4 Cs: Critical Thinking, Creativity, Collaboration, Communication.

وبناءً على هذا الإدراك لطبيعة الذكاء الاصطناعي وحدود إمكانياته، يمكن القول إنّ فرضيات الدراسة قد تحققت كلياً حيث أظهرت النتائج تبايناً في استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الترجمة وتعلّمها، وكذلك في البحث العلمي، وهذا ما يوضح دور التطبيقات في تسريع العمل البحثي وتيسيره، مع محدودية فاعليتها في ترجمة النصوص الأدبية والثقافية العميقة.

ختاماً، لم يعد مقبولاً في الوقت الحاضر الهروب من واقع الذكاء الاصطناعي وتجاهل أهمية التقنية ودور نماذج اللغات الكبيرة في تيسير عمليات الترجمة، في حين يعمل الذكاء الاصطناعي التوليدي على إنتاج ترجمات دقيقة يجري توطین محتواها وأقلمته. لا بدّ، إذًا، من أن يدرك المترجمون (ويتمّ إعدادهم لهذه الغاية) كيفية الاستفادة ممّا تقدّمه التقنية الذكيّة والأدوات الرقمية، وألاّ يخشوا استبدالهم بالآلات في المدى المنظور؛ إذ إنّ الآلات لم تتفوّق بعدُ على مصمّميها، إنّما هي منافسة شرسة لمن يخشاها ويخضع لها. لذا، أصبح من الضروريّ (والطّارئ) أن يجعل الأكاديميون من التقنية حليفًا يسندهم، وألاّ يألوا جهداً في سبيل مواءمة المناهج مع متطلبات أسواق العمل المحليّة والدوليّة، وأنّ يبدؤوا بإعداد طلابهم ليتقنوا الأدوات الرقمية، ويتعاملوا بذكاء ومرونة مع الذكاء الاصطناعي، ويتميّزوا في نهاية تحصيلهم الجامعيّ بمهاراتٍ تقنيّة عالية مع التّركيز على الكفايات الأساس والمعارف الإجرائيّة والقدرات الوظيفيّة والمعرفيّة، فيدخلون سوق العمل من بابه الواسع ويسهمون في تطوير مجال عملهم. وبدلاً من النّظر إلى الذكاء الاصطناعيّ منافساً، يرونه أداةً تمكينيّة، تعزّز إنتاجيّتهم، وتغني قدراتهم. ومن خلال دمج أدوات إدارة الترجمة (مثل Trados)، والترجمة الآليّة العصبيّة (مثل Lan-guage Weaver)، وتقويم الجودة بمساعدة الذكاء الاصطناعيّ (MTQE)، يتمكّنون من صقل المحتوى بمهارة وضمان الطّلاقة والدقّة والاتّساق.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

سّلوم، توفيق (كانون الثاني 2022). دليل مناهج البحث في علم النفس [طبعة إلكترونية]. لبنان: الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تم الاسترجاع من:

https://www.ul.edu.lb/files/announcements/annonce_5_9322_8666.pdf


ثانياً: المراجع باللغات الأجنبية

1. Afou, M. (2023). La suspension des programmes de traduction à l'Université d'Ottawa sème la controverse. <https://ici.radio-canada.ca/nouvelle/1979014/suspension-programme-traduction-universite-ottawa-bilinguisme-scandale>
2. Argiroffo, F. (2024). Comment le secteur de la traduction s'adapte au développement de l'IA. <https://www.rts.ch/info/sciences-tech/14628844-comment-le-secteur-de-la-traduction-sadapte-au-developpement-de-lia.html>
3. Bekkali, I. (2024). L'École de traduction et d'interprétation menacée d'extinction. <https://www.larotonde.ca/lecole-de-traduction-et-dinterpretation-menacee-dextinction/>
4. Boéri, J., & Baker, M. (2025). Against market ideologies and AI-powered translation: Advancing a humane approach to translation and open science. Encounters in Translation, 3. <https://publications-prairial.fr/encounters-in-translation/index.php?id=978>
5. Bostrom, N., & Yudkowsky, E. (2021). Ethics of artificial intelligence and robotics. In The Cambridge Handbook of Artificial Intelligence (pp. 102–124).
6. Bourcier, P. (2023). Textes écrits par IA et textes humains: Comment les différencier? Revue des sciences cognitives, 14(1), 92–110.
7. Carr, P. (2023). Generative AI: Friend or foe for the translation industry? Forbes Technology Council. <https://www.forbes.com/councils/forbestechcouncil/2023/08/11/generative-ai-friend-or-foe-for-the-translation-industry/>
8. Chan, C. K. Y., & Hu, W. (2023). Students' voices on generative AI: Perceptions, benefits, and challenges in higher education. arXiv. <http://arxiv.org/abs/2305.00290>
9. Chelli, M., Descamps, J., Lavoue, V., Trojani, C., Azar, M., Deckert, M., Raynier, J. L., Clowez, G., Boileau, P., & Ruetsch-Chelli, C. (2024). Hallucination rates and reference accuracy of ChatGPT and Bard for systematic reviews: Comparative analysis. Journal of Medical Internet Research, 26. <https://pmc>

ncbi.nlm.nih.gov/articles/PMC11153973/

10. Combs, D. (2018). Artificial intelligence and humanities: Exploring AI in cultural research. *Journal of Digital Humanities*, 12(3), 45–67.
11. Costa–Jussa, M. R. (2018). From feature to paradigm: Deep learning in machine translation. *Journal of Artificial Intelligence Research*, 61, 947–974.
12. Dupont, J., Bourcier, P., & Martin, L. (2021). L'intelligence artificielle et la recherche en sciences humaines: Opportunités et défis. *Revue française d'informatique*, 58(3), 217–233.
13. Editorial. (2025). The risk of letting AI do your thinking. *Financial Times*. https://www.ft.com/content/1f731d9f-5534-4435-b440-e1ded13202a8?utm_source=chatgpt.com
14. Farquhar, S., Kossen, J., Kuhn, L., & Gal, Y. (2024). Detecting hallucinations in large language models using semantic entropy. *Nature*, 630, 625–630. <https://www.nature.com/articles/s41586-024-07421-0>
15. Feynman, R. (2021). Exploring cultural contexts with AI: A new approach to linguistic research. *Linguistic Research Today*, 10(4), 87–109.
16. Floridi, L. (2020). The ethical challenges of artificial intelligence in higher education. *AI & Society*, 35(3), 705–717.
17. Gaillard, F. (2021). Les limites de l'IA dans l'analyse littéraire: Étude critique. *Journal des études littéraires*, 19(4), 332–348.
18. Herbig, N., Pal, S., Van Genabith, J., & Krüger, A. (2019). Integrating artificial and human intelligence for efficient translation. *arXiv*. <https://arxiv.org/pdf/1903.02978>
19. Hoffman, M. (2020). Machine translation and linguistic accuracy: A study of Google Translate. *Journal of Translation Studies*, 27(2), 105–122.
20. Hudáková, Z. (2024). Comparing the efficiency of source text pre-editing vs. machine translation post-editing. *L10N Journal*, 2(3), 42–59. <https://l10njournal.net/index.php/home/article/view/44/46>
21. International Organization for Standardization [ISO]. (2015). ISO 17100 – Translation services – Requirements for translation services. British Standards Institution. <https://knowledge.bsigroup.com/products/translation-services-requirements-for-translation-services>
22. Jiménez–Crespo, M. A. (2025). Human-centered AI and the future of translation technologies: What professionals think about control and autonomy in the AI era. *Information*, 16(5), 387. <https://doi.org/10.3390/info16050387>
23. Jones, P. (2022). Ethical implications of AI in academic research. *Journal of*

- Ethics in Academia, 34(2), 145–160.
24. Langley, C., Cuzzolin, F., & Sahakian, B. (2024). Neuroscience for AI: The importance of theory of mind. In M. Ienca & G. Starke (Eds.), *Developments in neuroethics and bioethics – Volume 7: Brains and machines: Towards a unified ethics of AI and neuroscience* (pp. 65–83). Elsevier. <https://doi.org/10.1016/bs.dnb.2024.03.001>
 25. Leclercq, M. (2022). Détection de plagiat par IA: Un outil indispensable pour la recherche académique. *Revue d'éthique et d'intégrité académique*, 11(2), 45–67.
 26. Leduc, L. (2025). Notre métier ne disparaîtra pas demain matin. <https://www.lapresse.ca/affaires/2025-05-10/traduction-et-intelligence-artificielle/notre-metier-ne-disparaitra-pas-demain-matin.php>
 27. Lonas, L. (2023). Professor attempts to fail students after falsely accusing them of using ChatGPT to cheat. <https://thehill.com/homenews/education/4010647-professor-attempts-to-fail-students-after-falsely-accusing-them-of-using-chatgpt-to-cheat/>
 28. Miao, F., & Holmes, W. (2023). Guidance for generative AI in education and research. UNESCO. <https://doi.org/10.54675/EWZM9535>
 29. Microsoft. (2024). Using artificial intelligence and large language models for translation. <https://learn.microsoft.com/en-us/globalization/localization/ai/ai-and-llms-for-translation>
 30. Narayanan, A., & Kapoor, S. (2024). AI snake oil: What artificial intelligence can do, what it can't, and how to tell the difference. Princeton University Press.
 31. Ray, P. P. (2023). ChatGPT: A comprehensive review on background, applications, key challenges, bias, ethics, limitations and future scope. *Internet of Things and Cyber-Physical Systems*, 3, 121–154. <https://doi.org/10.1016/j.iotcps.2023.04.003>
 32. Rivière, A. (2020). L'IA et la revue de littérature: Vers une automatisation totale? *Revue des méthodes de recherche*, 34(2), 119–135.
 33. RWS. (2025). Riding the AI shockwave report. <https://www.rws.com/about/riding-the-ai-shockwave/report/>
 34. Scheerder, A., Van Deursen, A., & Van Dijk, J. (2017). Determinants of Internet skills, uses and outcomes: A systematic review of the second- and third-level digital divide. *Telematics and Informatics*, 34(8), 1607–1624. <https://doi.org/10.1016/j.tele.2017.07.007>
 35. Schick, T. (2021). Natural language processing in linguistics: Advances and

- 
- challenges. *Computational Linguistics Journal*, 39(4), 332–348.
36. Stillman, J. (2019). AI and the researcher: Complementing human efforts in academia. *Journal of Academic Innovation*, 15(1), 12–30.
 37. Wu, L., Tian, F., Qin, T., Lai, J., & Liu, T. Y. (2018). A study of reinforcement learning for neural machine translation. arXiv:1808.08866. <https://arxiv.org/pdf/1808.08866>
 38. Xu, Z. (2025). Patterns and purposes: A cross-journal analysis of AI tool usage in academic writing. arXiv:2502.00632v1. <https://arxiv.org/pdf/2502.00632>
 39. Zhao, Y., & Wang, Q. (2024). Applying augmented reality multimedia technology to construct a platform for translation and teaching system. *Heliyon*, 10(7). <https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2024.e28700>
 40. Zoph, B., Yuret, D., May, J., & Knight, K. (2016). Transfer learning for low-resource neural machine translation. In *Proceedings of the Conference on Empirical Methods in Natural Language Processing*. <https://doi.org/10.18653/v1/D16-1163>

ملاحق الدراسة

أولاً: قائمة الجداول

جدول رقم 1

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتبة لاستجابات

طلّاب قسم الترجمة للسؤال الأول

أوجه الاستخدام	الرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات للكّاء الاصطناعي في تعلّم الترجمة التحريرية والترجمة الفورية؟
				لا استخدمه	ضعيف	مقبول	جيد	جيد جدًا	ممتاز	
مقبول	7	1	2.08	0	2	6	7	8	4	الترجمة الآلية (Google Translate or else)
مقبول	2	1.18	2.33	1	1	1	7	2	15	استخدام الأدوات المساعدة
مقبول	2	1.19	2.33	1	2	1	8	3	9	الترجمة بالكّاء الاصطناعي (ChatGPT or else)
مقبول	5	1.12	2.13	1	1	1	8	4	12	تحليل النصوص
مقبول	8	1.2	1.94	1	1	2	5	8	10	توسيع الترجمات
مقبول	3	1.19	2.3	1	2	5	6	6	7	إنشاء المصادر وقاعدات المصطلحات
مقبول	1	1.22	2.4	1	2	2	7	3	12	التوثيق قبل الترجمة
مقبول	6	1.1	2.1	1	1	3	8	6	8	رصد الترجمات المتوفرة على الإنترنت
مقبول	4	1.15	2.2	1	1	6	5	7	7	تصويب الأخطاء اللغوية

جدول رقم 2

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتبة لاستجابات

أساتذة قسم الترجمة للسؤال الأول

أوجه الاستخدام	الرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات للكّاء الاصطناعي في تعلّم الترجمة التحريرية والترجمة الفورية؟
				لا استخدمه	ضعيف	مقبول	جيد	جيد جدًا	ممتاز	
مقبول	3	1.13	2.1	0	1	2	2	3	1	قترح ترجمات
مقبول	1	1.13	2.3	0	1	2	2	2	3	إعادة صياغة نصوص
مقبول	2	1.1	2.2	0	1	0	3	1	3	التوليف
ضعيف	5	1.04	1.8	0	0	1	1	2	4	التحضير للترجمة الآلية
مقبول	4	1.42	2.0	0	1	0	1	2	4	التفحيط بعد الترجمة، الآلية
مقبول	4	0.82	2.0	0	0	1	2	1	4	وضع المصادر وقاعدات المصطلحات
مقبول	4	1.01	2.0	0	0	1	1	1	3	إعداد التوثيق
مقبول	1	1.24	2.3	0	1	2	1	2	2	تحويل النصوص إلى نصّ مكتوب
مقبول	4	0.82	2.0	0	0	1	2	1	4	إنهاء ذاكرة الترجمة

جدول رقم 3

المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة والرّتبة لاستجابات

طلّاب قسم الترجمة للسّؤال السّادس

أوجه الاستخدام	الرّتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات النّكاء الاصطناعي في الأبحاث؟
				ممتاز	جيد جدًا	جيد	مقبول	ضعيف	لا استخدمه	
مقبول	4	0.81	2.17	0	1	4	9	3	10	التوثيق وإنشاء لائحة المراجع
مقبول	6	1.16	1.89	1	1	3	6	6	10	مراجعة الأدبيّات وتحديد الإطار النظري
ضعيف	8	0.97	1.8	0	1	4	6	10	6	وضع تصميم البحث
مقبول	3	0.9	2.21	0	1	4	6	3	13	كتابة المشروع الأوّلي
مقبول	7	0.95	1.81	0	1	2	6	7	11	نقد الدراسات السابقة
مقبول	5	1.1	1.94	1	0	3	6	7	10	تحديد منهجيّة البحث
مقبول	2	1.07	2.33	1	0	5	6	3	12	جمع المدوّنة واستخراج بياناتها
مقبول	1	1.2	2.37	1	3	7	6	7	3	الإجابة عن أسئلة البحث

جدول رقم 4

المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة والرّتبة لاستجابات

أساتذة قسم الترجمة للسّؤال السّادس

أوجه الاستخدام	الرّتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات النّكاء الاصطناعي في الأبحاث؟
				ممتاز	جيد جدًا	جيد	مقبول	ضعيف	لا استخدمه	
جيد	2	1.87	3	1	1	1	1	1	4	التوثيق وإنشاء لائحة المراجع
جيد	3	1.87	2.8	1	0	1	1	1	5	مراجعة الأدبيّات وتحديد الإطار النظري
جيد	3	1.87	2.8	1	0	1	1	1	5	وضع تصميم البحث
جيد	4	2.19	2.7	1	0	0	1	1	6	كتابة المشروع الأوّلي
جيد	4	2.19	2.7	1	0	0	1	1	6	نقد الدراسات السابقة
جيد	4	2.19	2.7	1	0	0	1	1	6	تحديد منهجيّة البحث
مقبول	5	1.79	2.5	1	0	0	2	1	5	جمع المدوّنة واستخراج بياناتها
جيد جدًا	1	2.13	3.8	1	1	2	0	0	5	الإجابة عن أسئلة البحث

جدول رقم 5

المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة والرّتبة لاستجابات

طلّاب قسم اللّغات الحيّة التّطبيقية للسّؤال السّادس

أوجه الاستخدام	الرّتبة	الانحراف المعياريّ	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث؟
				ممتاز	جيد جدًا	جيد	مقبول	ضعيف	لا استخدمه	
جيد	2	1.23	2.65	2	3	8	10	3	12	التوثيق وإنشاء لائحة المراجع
مقبول	7	0.88	2.29	1	1	4	16	2	14	مراجعة الأدبيّات وتحديد الإطار النظري
مقبول	6	1.03	2.3	1	2	6	12	5	12	وضع تصميم البحث
مقبول	4	1.13	2.38	1	3	7	9	6	12	كتابة المشروع الأوّلي
مقبول	8	0.93	2.07	1	0	6	12	7	12	نقد الدراسات السابقة
مقبول	5	1.07	2.37	1	3	6	12	5	11	تحديد منهجية البحث
مقبول	3	1.28	2.53	3	2	7	11	5	10	جمع المدوّنة واستخراج بياناتها
جيد	1	1.41	2.78	3	4	10	6	5	10	الإجابة عن أسئلة البحث

جدول رقم 6

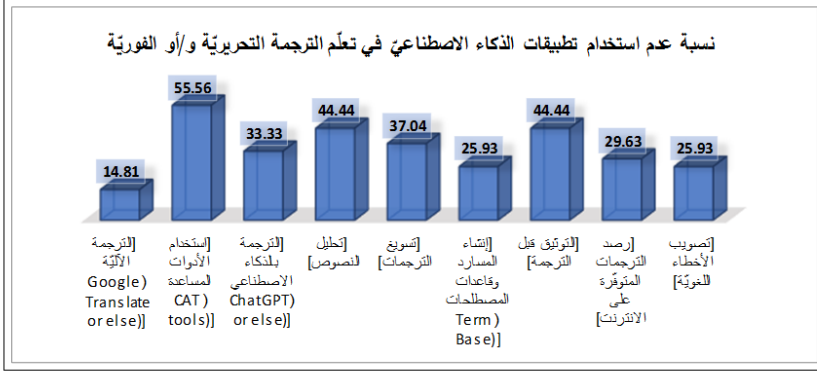
المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة والرّتبة لاستجابات

أساتذة قسم اللّغات الحيّة التّطبيقية للسّؤال السّادس

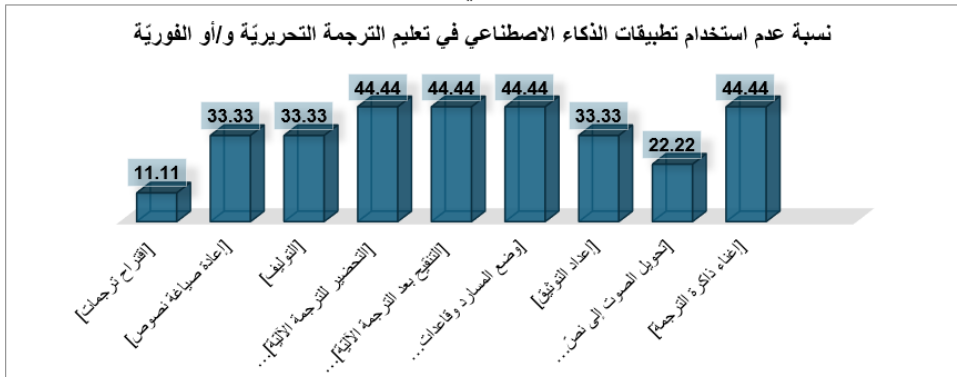
أوجه الاستخدام	الرّتبة	الانحراف المعياريّ	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام						ما أوجه استخدامكم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث؟
				ممتاز	جيد جدًا	جيد	مقبول	ضعيف	لا استخدمه	
ضعيف	4	1.04	1.8	0	0	1	1	2	4	التوثيق وإنشاء لائحة المراجع
مقبول	2	1.31	2.2	0	1	1	1	2	3	مراجعة الأدبيّات وتحديد الإطار النظري
مقبول	2	0.84	2.2	0	0	2	2	1	3	وضع تصميم البحث
مقبول	3	0.82	2	0	0	1	2	1	4	كتابة المشروع الأوّلي
ضعيف	4	1.04	1.8	0	0	1	1	2	4	نقد الدراسات السابقة
مقبول	3	1.23	2	0	1	0	2	2	4	تحديد منهجية البحث
مقبول	2	1.10	2.2	0	1	0	3	1	3	جمع المدوّنة واستخراج بياناتها
مقبول	1	1.24	2.3	0	1	2	1	2	2	الإجابة عن أسئلة البحث

ثانيًا: قائمة الرسوم البيانية

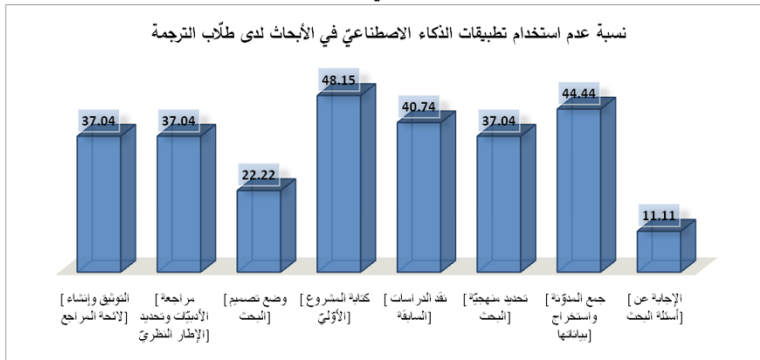
رسم بياني رقم 1



رسم بياني رقم 2

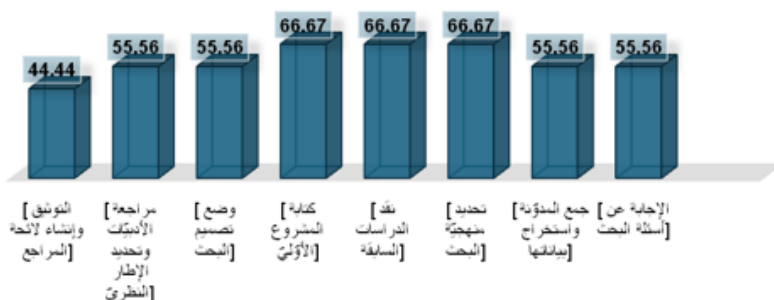


رسم بياني رقم 3



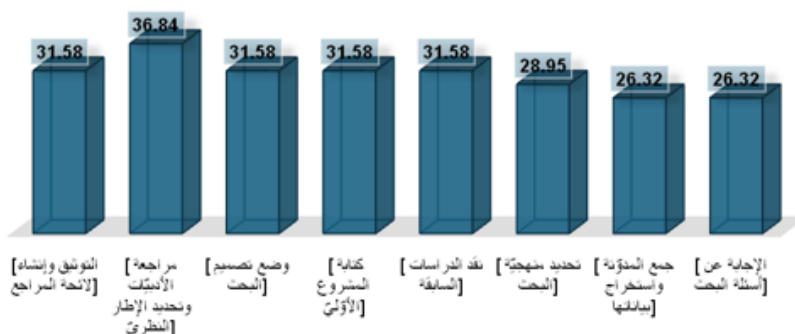
رسم بياني رقم 4

نسبة عدم استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث لدى أساتذة قسم الترجمة



رسم بياني رقم 5

نسبة عدم استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث لدى طلاب اللغات الحية التطبيقية



رسم بياني رقم 6

نسبة عدم استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأبحاث لدى أساتذة قسم اللغات الحية التطبيقية



الحواريّة في القرآن الكريم بين الصّراع وتقبّل الآخر

Dialogicality in the Qur'an: Between Conflict and the Acceptance of the Other

محمد عباس حشوش

Mohammed Abbas Hashoush

تاريخ القبول 2025 / 9 / 30

تاريخ الاستلام 2025 / 8 / 20

ملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن طبيعة الحوار في القرآن الكريم، من خلال تحليل جدلية الصّراع وتقبّل الآخر، بوصفهما ركيزتين تؤسّسان لفهم متوازن لمنهج القرآن في إدارة الاختلاف الإنساني، وتتطلق الدّراسة من الإشكاليّة المركزيّة التي تتعلّق بسوء توظيف مفهوم الصّراع في بعض القراءات المعاصرة، وما نتج عنه من ممارسات عنف وإقصاء، في مقابل الرّؤية القرآنيّة الأصيلة التي تجعل الحوار فعلاً إصلاحياً يتدرّج من النّصح والإرشاد والمجادلة بالحسنى، إلى ممارسة القوّة المنظّمة ضمن حدودها الشرعيّة لحماية العدل ودفع العدوان.

وتعتمد الدّراسة منهجاً مركّباً يجمع بين الوصفيّ التحليلي والموضوعاتي، مع الاستفادة من أدوات تحليل الخطاب؛ فرصت البنية اللّغويّة للحوارات القرآنيّة، وتتبع الأفعال الكلاميّة، وحلّت أدوار المتكلّمين، وتعدّد الأصوات داخل النّصّ.

كما تتناول الدّراسة مستويات الصّراع من بُعد الوجوديّ بين الحقّ والباطل، إلى تجلّياته البشريّة في صراعات الأنبياء مع سلطات دينيّة أو سياسيّة، وصولاً إلى أنماط الصّراع الفكريّ بين التقليد والتّجديد؛ وتفترض الدّراسة أنّ كلّ أشكال الصّراع في القرآن ذات وظيفة إصلاحيّة تهدف إلى تهذيب النفوس، وإقامة العدل، وترسيخ قيم الكرامة الإنسانيّة، وأنّ الحوار يشكّل الآليّة الأساس لتحقيق هذا المقصد.

وتخلص النّتائج إلى أنّ القرآن يقدّم نموذجاً حوارياً أخلاقياً، ومعرفياً متكاملًا يجمع بين ثبات المبدأ ومرونة الأسلوب، ويعلي من شأن الحجّة والبرهان، ويؤسّس لثقافة

التّفاهم والتّعايش بديلاً من ثقافة الصّدّام والإلغاء؛ وبذلك يسهم القرآن الكريم في بناء رؤية حضاريّة تُعيد تنظيم العلاقة مع الآخر على قاعدة الاعتراف، والعدل، ومسؤوليّة الإصلاح الإنسانيّ.

الكلمات المفتاحيّة: الحوار القرآنيّ - منهجيّة الحوار - أساليب الخطاب - الحياد في القرآن - الإقناع في القرآن - ضرب الأمثال - المحاجّة.

Abstract

This study seeks to explore the nature of dialogism in the Qur'an by examining the dialectic between conflict and the acceptance of the Other—two foundational dimensions that shape a balanced understanding of the Qur'anic approach to managing human difference. The research addresses a central problem concerning the misappropriation of the concept of conflict in some modern readings, which has at times resulted in practices of violence and exclusion, in contrast to the Qur'an's authentic vision that frames dialogue as a restorative act that progresses from counsel, guidance, and argumentation in the most courteous manner, to the regulated use of force within its legitimate boundaries to uphold justice and repel aggression.

The study adopts a composite methodology that combines descriptive-analytical and thematic approaches, while also drawing on tools from discourse analysis. It examines the linguistic structures of Qur'anic dialogues, tracks speech acts, analyzes speaker roles, and investigates the multiplicity of voices within the text. The analysis further considers conflict at its various levels—from its existential dimension between truth and falsehood, to its human manifestations in the struggles of prophets against religious or political authorities, and finally to its intellectual expressions in debates between tradition and renewal.

The study posits that every form of conflict in the Qur'an serves a reformatory function aimed at refining the human soul, establishing justice, and reinforcing the values of human dignity, and that dialogue constitutes

the primary mechanism for achieving these aims. The findings conclude that the Qur'an offers an ethical and epistemological model of dialogism that harmonizes principled steadfastness with methodological flexibility, privileging reasoned proof and argumentation, and promoting a culture of understanding and coexistence over one of confrontation and exclusion. Thus, the Qur'an contributes to constructing a civilizational vision that reconfigures the relationship with the Other on the basis of recognition, justice, and the shared responsibility of human moral reform.

Keywords: Quranic Dialogue; Dialogue Methodology; Discourse Styles; Neutrality in the Quran; Persuasion in the Quran; Quranic Analogies; Argumentation in the Quran.

المقدمة

قد لا نجافي الصواب إذا قلنا إنّ أزمة صدمات الأمة، وتطاحنات المجتمع، وتمزّق طوائفه، ونقطّع أوصاله هو غياب قيم الحوار، وأدبيّاته، وجانبه التّحسينيّ الجماليّ، سواء على المستوى العموديّ (بين الحاكم والمحكوم)، أم على المستوى الأفقيّ (بدءًا بالأسرة، وبين فئات ونخب المجتمع المدنيّ من مختلف توجّهاته الاجتماعيّة، ونخبة السّيّاسيّة، وتياراته الفكرية، وملله ونحله الإيديولوجيّة، وهيئاته النقابيّة، وتنظيماته الحركيّة)...

إنّ غياب قيم الحوار هذه تكاد تضعّف وحدة المجتمع، وتفقدّه رشده؛ ليزداد بذلك تشظّيًا وتجزئةً وتشردمًا، وتمزّق الأمة نفسها من جديد في نكد التّاريخ، وتباريح الأمة؛ والذاكرة لا تتسى أنّ بعض محطّاته كانت عبثًا - إلى يوم النّاس هذا - على تاريخنا الإسلاميّ والسّيّاسيّ، في لحظة كان يمكن تجاوز ذلك لو كان لبعض اللّقطات في التّاريخ رجل رشيد، يسمو بنفسه عن هذه الجراحات، ويتعالى عن استدعاء معارك التّاريخ التي لم تكن جزءًا منها، ويتصدّى لمعارك الحاضر، واستشراف المستقبل في وقت تتعرّض فيه الأمة لكثير من الهزّات العرقية والطائفية، ويجعل نصب عينيه قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾¹.

ولمّا كان القرآن الكريم هو المرجع المشترك، والأرضيّة العقديّة والفكريّة للفكرة الموحّدة بين المسلمين، منه وإليه يحتكمون، ويؤصّلون، وبينون، وينظرون، ويحرّرون مواطن الخلاف في مساحات التّاريخ المسكوت عنها، يحسمون في شأن المشاحنات الاصطلاحية، والمفاهيم المطاطة الرّجراجة... فإني أجعله - بحول الله - منطلقاً لبناء صرح جماليّة الحوار فيما سأدبّجه في هذه الأسطر.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

ما شجّعني على اختيار دراسة إشكاليّة الحوار في القرآن الكريم بين الصّراع وتقبّل الآخر موضوعاً للدراسة والتّحليل أسباب عديدة؛ لعلّ أبرزها:

- سوء تفسير معنى الصّراع في القرآن واستخدامه افتراءً، لأجل نشر دعوات القتل والإلغاء.

- القناعة الرّاسخة بإمكان تصويب المواقف الهدّامة، وأنماط السلوك العنيف التي أفضت إلى المجازر والدمار، وذلك عبر الحوار الصّادق، وفهم الآخر.

- انتشار هذا الموضوع على مساحة واسعة في القرآن الكريم، بما فيه من أنواع وتشعّبات، ولما له من نتائج مهمّة وفعّالة تلقي الضوء على منهجيّة التّواصل مع الآخر قرآنياً.

- هذا الموضوع يُعدّ ظاهرة تمسّ كلّ مجتمع إنسانيّ، وتتجلّى بأشكال متعددة تبعاً لأحوال البشر، وميولهم، ورغباتهم، ونوازعهم؛ فالحوار داخل بنية الصّراع القرآنيّ يعكس حالة من الديناميّة والتّفاعل بين أفراد الجسد الاجتماعيّ.

ثانياً: الإشكاليّة

يظهر الحوار في القرآن الكريم ضمن إطارٍ إلهيٍّ إرشاديٍّ وتقويميٍّ، يجعل منه فعلاً إصلاحياً وبنائياً في مواجهة جميع أنماط الرجعيّة والظلام؛ ويتدرّج هذا الحوار في مستوياته من الأساليب السلميّة القائمة على التّصحّح، والإرشاد، والمجادلة بالحسنى، والتّنبية، والتّحذير؛ إلى الأساليب القتالية المُنظّمة التي تمثّلها مصطلحات الجهاد، والقتال، والقصاص، والجزية، بوصفها إجراءات تُمارَس عند حدودها الشرعيّة الدّقيقة؛ وفي مقابل ذلك، تبرز حملات التّشويه، والتّأليب القائمة على الاتّهامات، والافتراءات

المدفوعة بالأحقاد، والمصالح السياسيّة، والاستعماريّة التي سعت إلى تصوير الإسلام دين عنف، وإرهاب، وقمع، وتجريده من رسالته الإصلاحية، وتصويره عبثاً على الإنسانية؛ ومن هنا ينهض السؤال المحوري:

هل يدعو النصّ القرآنيّ إلى العنف، والقتل من غير سبب، أو هدفٍ تطهيريٍّ، وبنائيٍّ، بحيث يُصبح الشرع مُلطّخاً بدم الأبرياء، وتُرفع فوقه رايات الإرهاب؟ أم أنّ القرآن يقوم على تهذيب النفوس، وفهم الآخر، وإشاعة منطق الحوار والمجادلة بالتّي هي أحسن؟ ويتفرّع عن هذا السؤال تساؤلات عدّة؛ هل تُعدّ هذه الصّراعات نمطاً تاريخياً عابراً، أم أنّها تستمرّ بتجدّد الوجود الإنسانيّ المتّسم بالمرونة والتمردّ والحركة؟ وهل يتجسّد هذا النمط الصّراعيّ في واقعنا المعاصر؟ وما منهجية الإسلام في التّفاعل مع المختلف؟ وهل الإسلام دين عنفٍ وإكراه، أم دين تسامح وقبول للآخر؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي التّفريق بين المواضيع التي تُستدعى فيها آليات المسامحة والمجادلة بالحسنى، وبين المواضيع التي يُلجأ فيها بالقوّة إلى الحفاظ على العدل، وصيانة المجتمع، ودفع العدوان، تحقيقاً للمقصد الإصلاحيّ والإنسانيّ للشريعة.

ثالثاً: الفرضيات

نفترض أنّ القرآن هو الحقّ، وفيه كمال العدل، والمنهج الإنسانيّ المتكامل الذي يقود البشريّة نحو النّطور والارتقاء، والقرآن بكلّ أحكامه وموضوعاته عنواناً للحقيقة الكاملة والسّعادة المطلقة؛ ومن هذه المعادلة، ننظر إلى مفهوم الصّراع والعنف في القرآن الكريم ضمن دائرة الكمال، وفعل الارتقاء، ومنهج الإصلاح والتّغيير، ومقاومة الرّجعيّة، والظلام، والانقلاب على الموروث الرّجعيّ، ومواجهة المعتقد الفاسد؛ والحوار في دائرة الصّراع في المنظور القرآنيّ له موجباته البنيويّة والبنائيّة التي التزم بها المنهج الإلهيّ لخير البشريّة دنيا وآخرة؛ وانطلاقاً من المبدأ القرآنيّ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾¹، يمكن أن نوظّف أشكال الحوار القرآنيّ وآلياته لخدمة الإنسان، وبذلك سينقلب العنف إلى إرادة تفاهم، ومحاولة تكامل مع الآخر.

ونفترض أيضًا أن مفهوم الحوار ضمن الصّراع القرآني يتدرّج من الإطار الأعم إلى الأخصّ، من الصّراع الوجودي بين الخير (الله) والشرّ (الشيطان) كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾¹ ومن ثمّ، يتجلّى هذا المعنى على المستوى البشريّ في الحوارات الإصلاحية التي قادتها نخب المجتمع الثقافية والفكرية والعسكرية، كما يظهر في الصّراع العالميّ الذي خاضه ذو القرنين مع العديد من التّجمّعات البشرية، بهدف تحقيق السيطرة والنّظام في المعمورة بأسرها؛ فيتنوّع الحوار بتنوّع خلفيات المتحاورين وانتماؤاتهم، فإن كان الحوار دينيًّا ستكون السّلطة المواجهة دينية، كالحوار ضمن الصّراع الدينيّ بين المسيح وسلطات المعبد من رجال الدين اليهود، كما يشير إلى ذلك القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِثِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾²، وصراع النّبي محمّد مع السّلطة السياسيّة في قريش المتمثلة بزعماء قريش المتستّرين بالدين (عبادة الأوثان والأصنام).

ونفترض أيضًا استمرارية الصّراع باستمرارية تطوّر العقل البشريّ الذي لا ينكفي عن المواجهة عندما يتخّم المجتمع بالموروثات في مختلف أنواعها، فيبقى الحوار ضمن الصّراع متوتّبًا حتّى يصل إلى خلاص النّفس الإنسانيّة كالصّراع بين التّقليد والتّجديد، فنرى التّقليد الموروث يحاور التّجديد والإبداع، والسّماء تحاور الأرض، في عبادة الأصنام لدى كفّار قريش، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾³، والتّجديد في دعوة التّوحيد والإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁴.

ونفترض أخيرًا أن كلّ أشكال الصّراع في النّصّ القرآني لا تتمحور حول العنف والقتل، بل هدفها إصلاحيّ بامتياز.

1 - الأنبياء: 18

2 - الصف: 14.

3 - الزخرف: 22

4 - البقرة: 163

رابعًا: منهج الدراسة

يعتمد هذا البحث منهجًا مركبًا يجمع بين الوصفيّ التحليليّ والموضوعاتيّ، مع الاستفادة من بعض آليات تحليل الخطاب؛ وذلك بهدف الكشف عن طبيعة الحوار في القرآن الكريم بوصفها إطارًا يوازن بين منطق الصّراع ومنطق تقبّل الآخر.

ويقوم المنهج الوصفيّ التحليليّ على رصد أنماط الحوارات القرآنيّة، وتتبع مؤشّراتها اللّغويّة والأفعال الكلاميّة فيها، وتحليل بنية الخطاب وأدوار المتكلّمين وتعدّد الأصوات داخل النّص؛ أمّا المنهج الموضوعاتيّ فيركّز على بناء ثنائيّة البحث الرّئيسة، من خلال دراسة الحوارات التي تجلّت في سياق المواجهة بين الحقّ والباطل، مقابل الحوارات التي ترسّخ قيم الاعتراف بالآخر، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويُسْتَعان بأدوات تحليل الخطاب للكشف عن طرائق بناء الحجّة، واستراتيجيّات الإقناع، وتتوّع الأساليب من استقْهام، وأمر، ونهي، وتوجيه، واحتجاج، بما يبيّن كيف يُعيد القرآن تشكيل العلاقات بين المتحاورين.

المبحث الأوّل: منهج الحوار في القرآن الكريم

أولًا: القرآن الكريم دعوة إلى الحوار لا إلى إقصاء الآخر

لقد قرّر القرآن الكريم في ثناياه الدّعوة إلى التّعارف بين البشر كافّة، موجّهًا الخطاب إلى «النّاس» كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹؛ واللفظ هنا شامل لكلّ البشر، سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين، داخل الدّائرة أم خارجها؛ ويؤكد القرآن في آخر الآية أنّ قيمة هذا التّعارف وغايته تكمن في التّعارف الرّوحيّ الذي يؤدّي إلى التّعاون على الخير ونشر المعروف، لا التّعارف على المنكر الذي تظهر مظاهره في سلوكيّات مثل الوقاحة، والانحراف عن الأخلاق السّليمة.

ويستلزم الحوار الاعتراف بالطّرف الآخر، وبحقّه في الوجود، وبحقّه في التّعبير عن رأيّه، وبحقّه في الاختلاف مع الآخر؛ ولعلّ أهمّ مؤشّر دالّ على حضور الحوار في النّص القرآنيّ هو تصرّف مادّة القول، أي فعل «قال» ومشتقاتها؛ إذ تتكرّر في القرآن

1- الحجرات: 13

1722 مرة، وتتوزع على تسعة وأربعين تصريحاً واشتقاقاً؛ ولو أنّ فعل «قال» جاء بتصريف واحد منسوب إلى الذات الإلهية فقط. كـ «قال» أو «يقول» أو «قلنا». لكان ذلك مؤشراً على خطابٍ أحاديٍّ يقوم على التلقين وعلى التّعالّي، وعلى الصوت الواحد والفكر الواحد. ولكن توزع المادّة على تسعة وأربعين اشتقاقاً تشمل كلّ أطراف المقام الحواريّ، من متكلّم، ومخاطب، ومستمع، ومحاور، ومقاطع، وغائب، وحاضر، ومذكّر، ومؤنث، ومثني، وجمع يشهد على اتّساع المقام الحواريّ في القرآن.

والحال إنّ النصّ القرآنيّ كلام الله نصّ متعال بطبيعته؛ لأنّه من ربّ خالق، وهو القائل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹؛ وقال جلّ في علاه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾²؛ ولكنه مع ذلك -جلّ في علاه- يكسر قاعدة المقام والمقال، وينزل مقامياً ومقالياً؛ ليخاطب، ويحاور المخلوق، والعبد على اختلاف رتبته ومستواه، الصّالح والطّالح، المتواضع والمتكبر، الجميل والقيبح الخسيس، التّائب والعاصي المتمرّد، الصّادق والكاذب، المؤمن والكافر، المهتدي والضّال، ثمّ بعد ذلك يحكي مقالاتهم على اختلاف مستويات شغبها وقبحها، وضلالاتها، وتشويشها، وانحرافاتهما، ومتعلقاتهما في فتح فتنة خالدة متكرّرة، متجدّدة بتجدّد الأجيال، صبغتها أن تفسد الفكر تصوّراً وممارسة... بل الأكثر من ذلك أن يجعلها خالدة في كتابه.

ف نجد في القرآن الكريم كلام الملحدين الذين ينكرون وجود الله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾³، وكلام اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾⁴، وكلام النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁵، وكلام ذوي الشبهات: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾⁶، وكلام المنسّيين تحت شبهة القضاء والقدر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ

1- الحشر: 21

2- فصلت: 11

3- الجاثية: 24

4- المائدة: 64

5- المائدة: 73

6- النحل: 93

مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا ﴿٢٥﴾ ١.

ثانيًا: الحيادية في القرآن الكريم

لا يزال المتأمل في القرآن الكريم يكتشف جماليّة حوارهِ، فأياته تظهر في أكثر من موضع، وقوفه على منتصف الطريق في الحوار، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ ٢؛ قال سيّد قطب رحمه الله: «وهذه غاية النصف والاعتدال والأدب في الجدل؛ أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين: «إنا أحدنا لا بدّ أن يكون على هدى، والآخر لا بدّ أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال، ليثير التدبّر والتّفكّر في هدوء لا تغشى عليه العزّة بالإثم، والرغبة في الجدل والمحال، فإنما هو هاد ومعلم يبتغي هداهم وإرشادهم، لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام» ٣.

ثم لا يزال عليه الصلّة والسّلام محافظاً على المنهج، متمسكاً بالمقصد نفسه الذي رسمه القرآن، وهو ابتغاء هداية المخاطبين، فيقترب منهم أكثر فأكثر، ويبسط لهم يده، ويستنطق ما في أعرافهم من قيم إيجابيّة، ويثمن ما تخترنه ذاكرتهم وتاريخهم من فضائل إنسانيّة مشتركة. وقد قال عليه الصلّة والسّلام: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ما أحبّ أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» ٤؛ لأنّه كان تجسيداً عملياً لتصورات القرآن ومنهجه واستراتيجيّته في الحوار؛ فهو أبعد ما يكون عن تكريس خطاب العنف، أو إرهاب الفكر؛ فقد كان يؤمن إيماناً راسخاً بمشروعه الحضاريّ: «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار، ولا يترك الله عزّ وجل بيت مدر ولا وبر، إلّا أدخله الله هذا الدّين، بعزّ عزيز، أو بذلّ ذليل عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاًّ يذلّ الله به الكفر» ٥؛ ولا يمكن أن يحقّق مشروعه الحضاريّ، إلّا بلغة حضاريّة، وحوار حضاريّ يؤلّف ولا ينفر، يحشد ويحشر، ولا يفرّق، يرعّب، ولا يرهّب، يطمئن، ولا يفزع، يبشّر، ولا ينفر، يبسرّ، ولا يعسرّ.

١- النحل: 35

٢- سبأ: 24

٣- سيّد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط 3، 3396 / 5

٤- أحمد بن حسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط 1، 2003، 360 / 6

٥- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط 3، 2002، 270 / 4

وقد امتدّ هذا الإنصاف الحواريّ إلى عمق البنية القرآنيّة شكلاً ومضموناً، وتجلّى على ثلاثة مستويات رئيسية:

الأول: «القرآن الكريم يفسح صدره ويفتح ذراعيه للرأي المخالف ويعطيه نصف مساحة القول، وهي نفس المسافة التي يعطيها الله لنفسه في القول، ولذلك نجد عدد اللفظ «قل» بالصيغة المتضمّنة لأمر الله 330 مرّة؛ وهو نفس العدد المعطى للرأي المخالف».¹

الثاني: استحضاره لرأي الآخر رغم شناعته وقبحه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾²؛ وهو قول في غاية الوقاحة؛ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.³

الثالث: القرآن الكريم لا يبتتر رأي الآخر بل يأتي به كاملاً، ويتركه يأخذ مده.

«ولا يقف القرآن الكريم عند حدود الإنصاف والتّسوية في الحوار، بل يرتقي في هذه الآداب إلى مستوى الإحسان قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾»⁴، فسمّى عمل الآخر عملاً بصفة محايدة، وسمّى عمل المؤمنين إجراماً بصفة قذحيّة، التفاتة منه إلى إيقاظهم إلى التأمّل، والتدبّر، والتفكير... واستماتة، واستبصاراً منه إلى استمراريّة جسر الحوار والتّواصل، ومواصلة الطّريق على الرّغم من حجم الإعراض الكبير الذي يلاقيه منهم، حرصاً منه على الوصول إلى الهدف».⁵

ولا يكتفي القرآن الكريم بالتخلّق بذلك، بل يأمر أتباعه من المؤمنين بالتّحلي بهذه الأخلاق العالية؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁶؛ فهو يعلي من إحسانيّة هذه الأخلاق حينما يتعلّق الأمر بالحوار مع الآخر؛ لأنّه إذا كان تصرف الإنسان مع أبناء أمته عموماً يستدعي أخلاقاً معيّنة -أي عملاً تعاريفياً مخصوصاً- فإنّ تصرفه مع غيره من الأمم الأخرى يتطلّب منه أخلاقاً تعلوها رقة وتنعوا -أي عملاً

1- إبراهيم بن عبد الرحمن السويلم، التكرار والتنوع في القرآن الكريم، الدّمام، المملكة العربيّة السّعوديّة، دار ابن الجوزي، ط 1، 2011، 4/ 227

2- المائدة: 64

3- يس: 47

4- سبأ: 25

5- خالد بن عبد العزيز الهويسين، آداب الحوار في القرآن الكريم، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط 1، 2010،

ص 232

6- العنكبوت: 46

تعارفياً أكبر - فوجوه الاختلاف بين أُمَّته وأممهم تكون أظهر وأشدّ، وحيثما اتّسعت دوائر الاختلاف تعاظمت الحاجة إلى العمل التّعاضُفيّ، القائم في جوهره على تبادل المعروف، وترسيخ أسس التفاهم.

ثمّ وجدنا أنّ القرآن الكريم يعطي القدوة والنّموذج منه، فما ادّعى دعوى إلاّ وكان له في نفسه عليها دليل؛ فالقرآن يأمر بالعدل والإحسان، وهو يمارس العدل والإحسان؛ ويأمر بالرّينة عند كلّ مجلس، وهو يتزيّن بجمال البلاغة؛ ويقول: «هاتوا برهانكم»، وهو يقدّم برهانه؛ ويدعو إلى الإقناع، وهو ينهج منهج الإقناع؛ ويبحث على التّسامي عن الضّعائن، وهو يتسامى عن الضّعائن؛ ويدعو إلى الهداية، وهو يمارس الهداية في كلّ حين ومقام.

ثالثاً: انتفاء الشّخصنة في الحوار القرآنيّ

وبعيداً عن منطق الشّخصنة الذي من شأنه أن يربط القرآن الكريم بظرف زمنيّ، أو مكانيّ محدّد، أو بأشخاص مقصورين بعينهم، لجأ النّصّ إلى استعمال الاسم الموصول في سياقات الحوار؛ ليمنح الخطاب قدرةً على التّجريد، ويُميّز بين الشّخص والحدث، ويتيح للفرد إمكان الانتقال من موقفٍ إلى نقيضه. فلو جاء القرآن مُشخّصاً، يذكر أشخاصاً بأسمائهم وما اتّصفوا به من صدودٍ، وعنادٍ، ومقاومةٍ للدعوة، ثمّ أسلم هؤلاء، لأضحى الخطاب غير قابلٍ للاستمرار حتّى في زمن نزوله ومكانه؛ لذلك صيغت قوانينه على نحوٍ كلّيّ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾¹، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾²؛ وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾³ قوانين عامّة لا يكاد يجد الإنسان إشارة صريحة إلى الحدث، إلاّ عندما يقرأ ذلك في كتب التّفسير التي هي حاشية على النّصّ القرآنيّ بمساعدة علوم نقلية هي أسباب النّزول، والمكّي والمدنيّ، ثمّ النّاسخ والمنسوخ... والقرآن في كلّ هذا ينطلق من الواقعة ثمّ يتجرّد عنها.

وبعضد هذا ما تنبّه إليه علماء الشّريعة حين صاغوا قواعد تفسيرية تتسجم مع هذه الروح الكليّة، وجعلوها ضوابط حاكمة للتّفسير، من أبرزها قاعدة: «العبرة بعموم اللفظ

1- النمل: 69

2- البقرة: 258

3- المجادلة: 1

لا بخصوص السبب»؛ لبيان أنها قوانين عامّة، لا تنحصر، ولا تموت، ولا تجمد عند الحدث.

-إذًا، فالقرآن الكريم ينسجم نسقيًا في استعمالاته ونتائج مع هذا التوجه العالمي، متحرّرًا من كلّ ما هو خصوصي من خلال استعمال الاسم الموصول 1446مرّة؛ ليجرّد النصّ من الأسماء الخاصّة، وينعتق من قيود التاريخ والجغرافيا والديموغرافيا، فيسبح في فضاء المواقف والأعمال والاختيارات، رابطًا بين أحكامه وسننه وحكمه.

ولا يقيّد النصّ القرآني نفسه بالقبائل أو الأشخاص، ولا بالمناطق أو الدّول، ولا بالملل أو الطوائف، ولا بالتحلّ أو الأجناس، ولا بالألوان أو الشّعوب، أو الجماعات، أو السلالات؛ أي إنّه يرفض كلّ تخصيص وامتيازات، ويعتمد على ثلاثة تصنيفات مرنة مفتوحة يدخلها كلّ من شاء، ويخرج منها من شاء: «الذين كفروا»، و«الذين آمنوا»، و«الذين نافقوا»، وهي تعكس الأعمال والاختيارات التي يُحاسب عليها كل مكلف.

وهذه القوانين والسّنن تشمل الجميع، بغضّ النظر عن الانتماءات القوميّة، أو الثقافيّة، أو اللّغويّة، فلا تقتصر على العربيّ أو التّركي، بل تشمل الأمريكيّ والصّينيّ، وما عداه من اختلاف الألوان، والثّقافات، والميولات، والأذواق والاختيارات؛ فالإسلام في هذا السياق لا يقيّد هذه الاختلافات، وإنّما يراها نعمًا، وآيات، وإبداعات؛ فالقرآن يخطّ قوانين وسننًا للحوار تتجاوز حدود الزّمان والمكان، متحرّرة من إفساد جنس الإنسان، مراعية الخصوصيّة؛ لتسبح في عوالم لا يقيدها التاريخ، ولا الجغرافيا.

رابعًا: انتفاء العنصريّة في الحوار القرآنيّ

كثيرًا ما يُعلن القرآن الكريم بصراحة أنّه حلقة من سلسلة الكتب السماوية، متصلة بوحى السماء، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (١٨)؛¹ ومن اللافت أنّه قبل أن يشير إلى كونه «مهيمنًا عليه»، قدّم القرآن ذاته بوصفه «مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب»، فيربط بين الاستمرارية التاريخيّة للوحي والرّقابة الإلهيّة عليه، فيرسّخ فهم القرآن كجزء من سلسلة تشريعيّة متكاملة؛ وليست الهيمنة هنا إقصاء، وإنّما هو التّصحيح والتّنبية إلى ما وقع من التّحريف في هذه الدّيانات، وردًّا لها إلى أصلها المشترك مع الدّيانة الإسلاميّة الذي هو

الأصل الإبراهيمي، أو الأصل الآدمي. والدليل على أن الهيمنة هنا هي مفهوم تكاملي، وليست مفهوماً إقصائياً، هو ما نلمسه على مستوى التصور والسلوك النبويين. قال عليه الصلاة والسلام: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة؟ قال فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»¹. فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدوره ولرسالته ولموقعه موقع لبنة صغيرة في ركن قصي من بيت كبير، وهذا ليس تكاملاً فقط، بل هو تواضع كبير، فلا يمكن لدين يرى نفسه مجرد لبنة في بناء ضخم أن ينفي هذا البناء، أو أن يزيله من الوجود بأي شكل من أشكال العنف، لكي يجعل اللبنة بديلاً للبيت.

وهذا التعبير يبرز أقصى درجات إنكار الذات عند النبي ﷺ، فالشخصية الإسلامية الخاتمة لرسالات السماء، المختارة بلا منازع، لا تلغي الخصوصية أو الذاتية؛ إلا أن حاجتنا إلى الحوار مع الآخر والتفاعل معه، ومن ثم تحقيق التكامل والانسجام، اقتضت هذا الانسلاخ المؤقت من الأنا، لإفساح المجال للتواصل البناء، والانفتاح على مختلف الأطراف.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني

يشتمل القرآن الكريم على مجموعة متنوعة من أساليب الحوار؛ وهذه أبرزها مع الأمثلة التوضيحية على النحو الآتي:

أولاً: التشويق وجذب الانتباه

وذلك من خلال بدء الحوار بأسلوب يمكن من خلاله جذب انتباه السامع والقارئ؛ كالسؤال أو النقاش، ثم البدء بالحوار في أجواء هادئة، كقول الله تعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾².

1- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، بيروت، دار طوق النجاة، ط 1، 2001، 4/ 108.

2- البقرة: 30.

ثانيًا: التوبيخ

ويُستعمل هذا الأسلوب عند كثرة الأخطاء، وعدم الانتفاع من أسلوب الرِّفق واللِّين، كتوبيخ الله تعالى لإبليس عندما عصاه ورفض السُّجود لآدم؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١٣﴾¹

ثالثًا: العتاب

ويُستخدم بعد تنبيه الشخص لأكثر من مرة، ثم وقوعه في الخطأ نفسه، وقد يُستخدم معه أسلوب التوبيخ، كعتاب الله تعالى لآدم بعد أكله من الشجرة، وقد نبهه على عدم طاعة الشيطان، والأكل منها قبل ذلك، ولكنه عصى أوامر ربه، فأكل منها بعد وسوسة الشيطان له، فقال تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢﴾²

رابعًا: الإقناع

وذلك من خلال استخدام الأدلة الواضحة والقاطعة؛ للوصول إلى الحقيقة، وإقناع الأطراف الأخرى، كقول الله تعالى لنبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمُرُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٠﴾³

خامسًا: ضرب الأمثال

وذلك من خلال الإتيان بأمثلة من الواقع المعاصر؛ لتكون أقوى في الحجة، كقول النبي -عليه الصلاة والسلام- للأعرابي الذي ولد له زوجته ولدًا أسود: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلَوَّاهُ قَالَ: حُمُرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى

1- الاعراف: 11 إلى 13 .

2- الأعراف: 22

3- البقرة: 260

كَانَ ذَلِكَ قَالَ: أَرَأَيْتَ عِرْقُ نَزَعُهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعُهُ عِرْقُ¹.

سادسًا: الاستفهام

وذلك لإشعار الطرف الآخر بأهمية الأمر، واستخراج القرارات السليمة منه، فيرجع الإنسان إلى فطرته وحُبّه للخير من خلال أسلوب الاستفهام، كسؤال النبي -عليه الصلاة والسلام- للرجل الذي جاء يستأذنه بالزنا إن كان يرضى ذلك الأمر لأمه، أو ابنته، أو خالته، أو عمته، وكان الرجل يجيبه عن كل مرة: لا، فأقنعه النبي -عليه الصلاة والسلام- بالبُعد عن الزنا باستخدام أسلوب الاستفهام.

وأيضًا عن طريق المُدارة: وذلك للأخذ بأقل المصالح ضررًا، كموقف الإمام علي بن أبي طالب ورفضه محو كلمة رسول الله أثناء كتابة صلح الحديبية، فسأله النبي -عليه الصلاة والسلام- عن مكان وجودها، ومحاها بنفسه.

والطريق المسدود: وهو الحوار الذي يبدأ بإعلان النتيجة، ولا يُهتم فيه بالرأي الآخر، كقصّة ابني آدم في قوله -تعالى-: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾².

سابعًا: التسفيه

وذلك من خلال التوجّه إلى حصر الحقّ والصّواب في جهة واحدة، وتسفيه الأطراف الأخرى، كقوله تعالى عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾³.

ثامنًا: التعجيز

وذلك من خلال النّظر إلى سلبيّات الآخرين وإظهارها، وينتهي ذلك بإحباط الأطراف المتحاورّة؛ وبالتالي عدم الوصول إلى نتائج، كقوله تعالى على لسان كفّار مكّة للنبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ فَتَعْلَمُ﴾⁴، والتسلّط: وذلك من خلال

1- صحيح البخاري عن أبي هريرة، ص 6847.

2- المائدة: 27

3- ق: 26

4- الأنفال: 32

استخدام الطَّرَف الأقوى لسلطته في تهديد الطَّرَف الآخر، وإِغائه لآرائه وكيانه، كقول أبي إبراهيم لابنه إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَابِرُهُمْ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) ¹.

تاسعاً: التَّبْطِين أو المَبْطُن

من خلال استخدام بعض الألفاظ الخفية؛ للسُّخرية من الطَّرَف الآخر، وعادة ما يُستخدم بهذا الأسلوب ما يُسمّى بالتَّوْرية، كقول إبراهيم -عليه السلام- لقومه: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكُونُوا كَآلِهِمْ﴾ (١٣) ².

عاشراً : السَّطْحِيَّة أو المُنَاوَرَة

وهو الحوار الذي يتمسك به أحد الأطراف بِحُجَجٍ ضعيفةٍ و سطحية، كقوله تعالى على لسان الرجل الذي حَاجَّ إبراهيم -عليه السلام-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ (٢٥٨) ³.

الحادي عشر: القصص

وتنوّع هذا الأسلوب في القرآن الكريم حسب الأشخاص، ومن الأساليب القصصية في القرآن ما يأتي:

1 - المُنَاوَرَة

كقوله تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام- لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ ⁴.

2 - الاستدراج

من خلال استدراج الطَّرَف الآخر للحقّ بالطف الألفاظ، كقول إبراهيم لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي

1- مريم: 46

2- الأنبياء: 63

3- البقرة: 258

4- الشعراء 75 إلى الآية 79

مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا¹.

3 - الاستفهام

كقوله تعالى على لسان نبيّه مُحَمَّد - عليه الصّلاة والسّلام - عند مُحاورته لِكُفّار قُرَيْش: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ²﴾ (١٩).

4 - الاستطراد

من خلال الخُروج عن الهويّة الحواريّة إلى التّعبير للطّرف الآخر وإجباره على الإصغاء، كقول الله تعالى على لسان موسى - عليه السّلام -: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى^{٥٢}﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى^{٥٣}﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ^{٥٤}﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ^{٥٥}﴾ (٥٥).

5 - الالتفات

من خلال التّقليل بين الغيب والشّهادة؛ لجذب الانتباه والذهن، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ^{٤٦}﴾ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^{٤٧}﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^{٤٨}﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ^{٤٩}﴾ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ^{٥٠}﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ^{٥١}﴾ (٤٩).

الثاني عشر: التقرير

«وذلك من خلال عرض الحقائق بصيغة المُسَلَّمات البديهية، وبطريقة غير قابلة

1- مريم: 42 و 43

2- الأنعام: 19

3- طه: 52 إلى 55

4- آل عمران: 47 إلى الآية 49

5- انظر: نادية قانا ونبيلة قعير، أساليب الحوار في القرآن الكريم سورة طه نموذجًا، الجزائر، كَلِيَّةُ الْآدَابِ وَاللُّغَاتِ جَامِعَةُ الْبَوْبَةِ، ص 18 - 20.

الإنكار، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ﴾¹

الثالث عشر: التلقين

من خلال توجيه الدعاة إلى ما يمكن به ردّ الشُّبهات، والردّ على أصحابها، وتنوع الأساليب في ذلك؛ كالترغيب، والتهديد، والتحذير، كقوله تعالى: ﴿فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ اهْدَىٰ﴾²

الرابع عشر: المحاجة

من خلال إقامة الحُجّة على المُشركين بالأدلة، والتحاكُم إلى الأشياء التي يُمكن إدراكها بالعقل، أو التجربة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظَمِينَ ۖ﴾³ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَبْقَعُونَكَ أَوْ يُصْرُؤُونَ ۖ

الخامس عشر: التذكير بالنعم والتخويف من العذاب

وذلك بِمُراعاة الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ؛ بخوفها من العذاب، ورغبتها فيما تُحِبُّ من النعم⁴؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا تَتَمَنَّوْنَ ۖ مَا لَمْ يَكُنْ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ﴾⁵ يَنْقُورِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۖ

الخاتمة

يُعدّ منهج الحوار القرآني بمثابة النموذج الأمثل للتواصل الفعّال بين البشر، حيث يجسّد أرقى صور الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر؛ وقد أكّدت الدّراسة أنّ هذا المنهج الإلهي لا يهدف إلى الانتصار للذات، بل إلى انتصار الحقّ والهداية إلى الصّراط

1- الأعراف: 73

2- طه: 47

3- الشعراء: 69 إلى الآية 73

4- انظر: نجوى قراقيش، ترشيد الخطاب الإسلامي من خلال أدب الحوار في القرآن الكريم، المركز الإسلامي للأبحاث، الجزائر، ط 1، 2014، ص 11 و12.

5- المائدة: 20 - 21

المستقيم؛ ويكمن دور هذا الحوار المحوريّ في تعزيز قيم التّعايش من خلال:

□ قبول الآخر بغضّ النّظر عن اختلافاته الفكرية والدينية.

□ بناء جسور التّواصل مع المختلفين عبر الحجّة والمنطق.

□ تجاوز الذاتية والتّحيّز لتحقيق الموضوعية في الطرح.

□ إثراء الفكر الإنسانيّ عبر التّنوّع في الأساليب والحجج.

ويسهم هذا المنهج الحواريّ بشكل فاعل في:

□ القضاء على العنف الفكريّ عبر ترسيخ مبدأ الحجّة والبرهان.

□ تثبيت مبادئ الحقّ عبر الأدلّة العقلية والمنطقية.

□ تحقيق التّكامل المعرفيّ مع الآخر عبر فهم وجهات النّظر المختلفة.

□ تعزيز ثقافة الحوار كبديل عن الصّراع والقطيعة.

لقد قدّم القرآن الكريم من خلال حواراته المتعدّدة نموذجاً حياً للتّواصل الحضاريّ، يجمع بين قوّة الحجّة وروح التّسامح، وبين ثبات المبدأ ومرونة الأسلوب؛ فهو منهج خالد لكلّ باحث عن الحقّ، ومرشد لكلّ راغب في بناء جسور التّفاهم بين البشر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري (الطبعة السلطانية). (بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 2001م).
2. البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى. (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2003م).
3. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. المستدرک علی الصحيحين. (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2002م).
4. السويلم، إبراهيم بن عبد الرحمن. التكرار والتنوع في القرآن الكريم. (الدمام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 2011م).

5. قانا، نادية، ونبيلة قعيمير. أساليب الحوار في القرآن الكريم: سورة طه نموذجًا. (الجزائر: كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، د.ت).
6. قراقيش، نجوى. ترشيد الخطاب الإسلامي من خلال أدب الحوار في القرآن الكريم. (الجزائر: المركز الإسلامي للأبحاث، الطبعة الأولى، 2014م).
7. قطب، سيد. في ظلال القرآن. (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثالثة، د.ت).
8. الهويسين، خالد بن عبد العزيز. آداب الحوار في القرآن الكريم. (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2010م).

من حَبَائِلِ الياسمين

الشاعر جعفر ابراهيم

وَرَقٌ عَلَى غَيْمٍ..
لِلَّتِي وَهَبَتْ ظِلَّهَا لِلصَّوَارِي...
لو أَنَّ قَلَمِي لِي..
لَعَنَيْتُهَا نَشِيدَ مَرُورٍ لِمَرَاسِي الْيَمَامِ
وَكَتَبْتُ الْأَصِيلَ بِاسْمِهَا...
هَذِي الَّتِي تُلْفَحُ أَبْجَدِيَّتِي بِلَهْيِبِ الشَّقَتَيْنِ
وَتُذْرِكُ بَأْتِي عَبَادَ جَسَدٍ وَقَمَحٍ
أَنْتُمْ بِالْحَصَادِ وَأَسْتَوْحِي النَّبِيدَ مِنْ كُرُومِ الرِّينِ!...
هَذَا كَأْسِي..
عَاقِرِي نِيَّ شَوْءِ الْوَمُضِ فِي اعْتِنَاقِ الْمَطَرِ..
تَتَأَوَّلِيْنِي..
ثُرَابِي شَبَقٌ وَنَارِكِ تَوْلُمٌ فِي رِيْعَانِ خِصْبِي..
زَيَّاحُ مَخَاضٍ أَنْتِ..
وَقَدْ أَنْ أَوَانَ الْخَلْقَ!...
زَنْتَرِي كَوْنِي بَوْضُوءٍ رَقِصَتِكَ
رُوحِي عَارِيَةٌ كَنَجْمَةٍ فِي لَيْلٍ
وَاحْضَنِي هَذَا الْفَلَكَ عَلَى خَفَرٍ أَرْعَنَ
قَدْ حَسُنَ الظَّنُّ بِالْعِنَاقِ

ومال ميزاني صَوَّبَ صَدْرِكَ الحاني على ألقِ الفَيْض...
خلخالُ وَرْدَتِكَ أنا..

أسامِرُ أُمومةٍ عطرِكَ إلى أن يولدَ السَّحَرُ من ناصِيَةِ شهوتِكَ الْبِكرِ
ويُجاهِرُ بِأَتَكِ وَلِيَّةِ الصَّفِيرِ
والى أن تُبَشِّرَ النّايَاتُ بالمطرِ
أُغَنِّي!...

قالتِ الياسمينُ:

هَبْنَا هذا الجنون وانتظر مِنّا ما لا يُنتَظَرُ..
قُلْتُ: أنا عاهدتُكَ على بُعْدِ النَّظَرِ!...

ياسمينتي عصابُ براءةٍ
تَصُكُ أُمْدِيَةَ الْبُوحِ لِعَنْدَلَةِ الْعِشْقِ
وتَخْطُ الْأَزْرَارَ لصلَاةِ السَّوَرِ!..
ياسمينتي..

سَجْدَةُ الْأَعَالِي تَرْقَعُ الْقَلَمَ عن شهقةِ الْحَبْرِ وسَرْدِيَّةِ النَّغَمِ!..
هذا أَنْتِ مَنْزِلَةٌ لا يعلو عليها تَنْزِيلٌ..

حَبْلُهَا يَقْطَعُ الْوَصَلَ بِسِرَّةِ الزَّمَنِ
لكي تَصِيرَ الْوَقْتَ إِذَا ما الْأَزَلُ انْهَمَرَ!...

قالت: إِذَا عَانَقَكَ اللهُ فلا تَبْتَكِرِ الْجَلْجَلِ
فِعْلُ الْقِيَامَةِ الْحُبِّ وَالْحُبُّ قِيَامَةٌ...

لا تُنْخِنِ قُبْلِي بِبُرُودِ شَفْتَيْكَ
خَيَالَةُ خَيَالِكَ أنا..

فضاء السَّردِ في كُنْهِ الأساطيرِ

وقداسة الخُرافة!...

دُلِّيني..

كَيْفَ أَرْتُقُ مِرْقَ الكَلِمِ

وكيفَ أُطْفِئُ النَّوَّ حِينَ يُبْجِرُ الوطن..

وكيفَ أَلُوذُ إِلَى سِرِّ أسرارِكَ..

سِرُّكَ أبهى..

أعمقُ مِنَ أَلْمِي..

أَشْرُسُ مِنَ فَقْدِي وَأَعْتَى مِنَ إِوَارٍ...؟!

قالت: لا عَلَيْكَ اسْتِيقَظْ إِذَ عَمَكَ بَصْرِي

وَمَسَكَ الدَّوَارَ!...

قُلْتُ: أَنَا عَلَى عُرْفَانٍ إِذْ حَلَلْتُ

إِبْنُ السَّوْسَنِ أَنَا

إِبْنُكَ..

ضَمَدْنِي

كَادَنِي الْيَاسْمِينُ وَلَمَّا تَزَلَّ جُروحِي تَبْكِي!...

Challenges in Translating the Meaning in Political Slogans

التحديات في ترجمة المعنى في الشعارات السياسية

Dr. Dana El Ahmar¹

د. دانا الأحمد

Sabriya Hamadeh²

صبرية حمادة

تاريخ الاستلام 2025 / 8 / 28 تاريخ القبول 2025 / 9 / 23

Abstract

Political translation extends beyond mere linguistic transfer to encompass texts, speeches, treaties, media discourse, and election slogans that carry cultural and ideological weight. In this field, accuracy alone is insufficient, as a single word can shift interpretation, influence public opinion, and even affect international relations. Election slogans represent one of the most challenging forms of political discourse, as they condense complex visions into short, emotionally charged phrases that mobilize voters and reinforce party identity. The central problem, however, lies in how translators can remain faithful to the ideological and cultural nuances of such slogans while ensuring their persuasive impact in the target language—a dilemma that raises questions about the limits of fidelity to the meaning. This raises the following question: How translators can effectively use fidelity to meaning while preserving the cultural and ideological impact when translating politically charged slogans? This study examines the translation of Lebanese political slogans during the 2018 and 2022 parliamentary

(1)– Head of Translation Department and Assistant Professor at The Islamic University of Lebanon,

(2) Sworn Translator, Instructor and Secretary of the Translation Department at the Islamic University Lebanon,

elections, focusing on fidelity to the meaning in the first place. Drawing on interpretative theory and a mixed-method approach, it analyzes translations produced by students and professional translators specializing in political media. The findings revealed that fidelity to meaning preserves the ideological and cultural depth of the electoral slogan, and enhances its reception by the target audience.

Keywords: political slogan translation, Lebanese elections, fidelity to meaning, literalism, interpretative theory.

ملخص

تتجاوز الترجمة السياسية حدود النقل اللغوي لتشمل نصوصاً وخطابات ومعاهدات وشعارات انتخابية تحمل أبعاداً ثقافية وأيديولوجية. ولا تكفي الدقة وحدها في هذا المجال، إذ يمكن لاختيار كلمة واحدة أن يغيّر التأويل ويؤثر في الرأي العام والعلاقات الدولية. وتُعدّ الشعارات الانتخابية من أصعب أشكال الخطاب السياسي، لأنها تختزل رؤى وبرامج معقدة في عبارات قصيرة وذات وقع عاطفي، تسهم في التعبئة وتعزيز الهوية الحزبية. وتتمثل الإشكالية في كيفية حفاظ المترجم على الأبعاد الأيديولوجية والثقافية للشعار الانتخابي مع ضمان أثره الإقناعي في اللغة الهدف، وهو المحافظة على المعنى المراد من الشعار في اللغة الأصل. تبحث هذه الدراسة في ترجمة الشعارات السياسية اللبنانية خلال الانتخابات النيابية لعامي 2018 و2022، مركزة على الأمانة للمعنى للنص الأصلي. وباعتماد على النظرية التفسيرية والمنهج المختلط، تم تحليل ترجمات أنجزها طلاب في قسم الترجمة في مرحلتي الإجازة (سنة أولى، سنة ثالثة) والماستر و مترجمون محترفون في الإعلام السياسي. أظهرت النتائج أن الأمانة للمعنى تحافظ على العمق الأيديولوجي والثقافي للشعار الانتخابي، كما تعزز قابلية تلقي الجمهور الهدف لهذا الشعار.

الكلمات المفتاحية: ترجمة الشعارات السياسية، الانتخابات اللبنانية، الالتزام بالمعنى، الترجمة الحرفية، النظرية التفسيرية.



I. Introduction:

Translation has long been recognized as one of the most enduring human activities, serving the essential purpose of interpreting and transferring meanings embedded within texts. It is conventionally defined as the process of rendering a source text from its original language into a target text in another language. Beyond being a mere linguistic exercise, translation operates as a bridge that conveys civilizations, cultures, and systems of thought, on the condition that the original meaning is preserved while simultaneously observing the grammatical and stylistic conventions of the target language.

Historically, translation was performed in an instinctive and spontaneous manner, as human beings—by nature social—were compelled through travel and trade to acquire the language of others in order to exchange goods and sustain social interaction. According to Baker (2005), the Arabs were the first to establish an organized and large-scale translation movement. This intellectual enterprise commenced under the Umayyad dynasty (661–750) and reached its zenith during the Abbasid era (750–1258), most notably under the reign of al-Ma'mun (813–833), which has since been celebrated as the golden age of translation. In 830, al-Ma'mun founded one of the most significant institutions of higher education in Islam, which eventually became the most renowned translation center in Arab history.

In the modern era, the demand for translation has expanded dramatically across a wide range of fields, including academic research, scientific inquiry, political discourse, and media communication. This expansion has led to the diversification of translation practices, encompassing literary, medical, scientific, media, and political translation, with the latter constituting the primary focus of this study. Among the most difficult and delicate types of translation is political translation, as it entails cultural differences and challenges that constantly place the translator in a difficult position.


Political Translation and Ideology

Political translation is considered as one of the most demanding fields within the discipline of translation due to its complex interplay of language, ideology, and culture. Unlike literary or technical translation, political texts—such as speeches, manifestos, treaties, and electoral slogans—carry not only semantic meaning but also social, cultural, and ideological weight. A single mistranslated word can shift the interpretation of a message, influence public opinion, or even affect international relations. The translator, therefore, must do more than convey literal meaning; they act as a cultural and ideological mediator, navigating nuanced expressions, rhetorical devices, and political sensitivities. This requires a high level of linguistic proficiency, deep understanding of the political context, and awareness of the target audience's perceptions.

Therefore, Political translation in particular frequently engages with the concept of ideology, which occupies a central place in political theory and analysis.

The term ideology originates from Greek, where *idea* denotes “thought” and *logos* signifies “science” or “authority,” thus designating the “power of ideas.” With the evolution of political thought, the concept came to signify a system of ideas and values through which individuals and groups interpret political reality. Today, ideology functions as a defining feature of political organization, demarcating parties—religious, leftist, socialist, liberal, or radical—on the basis of the doctrines they espouse.

It not only informs political agendas but also mirrors individual convictions, values, and beliefs, thereby shaping both personal orientations and collective practices within the political sphere. The emergence and development of ideology are deeply intertwined with political thought and the historical conditions within which societies evolve. Ideology often originates from the intellectual contributions of thinkers, gradually spreading through familial upbringing, formal education, social networks, and media exposure.



It is neither static nor immutable; rather, it adapts to social and political transformations, and numerous individuals and parties have redefined their ideological orientations in response to contextual pressures. While questions persist regarding its necessity, ideology remains inherent in every individual and organization—whether explicitly articulated or implicitly expressed.

The interconnection between translation and ideology has been extensively acknowledged in translation studies. Translation has never been detached from ideological influence; indeed, its origins are historically linked to missionary and political endeavors. As Lefevere (1992) argues, translation is invariably entangled with questions of power, legitimacy, and cultural sensitivity, rendering it the subject of ongoing debate. Anthony Pym advances this view by situating ideology not only within the act of translation itself but also within the translator's positionality, affiliations, and cultural identity. Venuti likewise observes that social and cultural institutions exert significant influence over translation practices and the construction of translators' identities, subjecting both to ideological constraints.

Consequently, translators often confront the complex dilemma of reconciling fidelity to the meaning of the source text with adherence to the expectations and norms of the target culture. This dilemma becomes particularly acute in the translation of political texts, especially electoral slogans, which constitute an essential component of campaign discourse.

Electoral Slogans as Political Discourse

Electoral slogans are designed to capture voters' attention and transmit political messages with clarity, concision, and rhetorical appeal. Their translation, however, is fraught with challenges, as the translator must preserve their persuasive force while also accounting for linguistic, cultural, and communicative factors.


Harrison (1995) defines democracy as the Greek concept of "rule of the people," emphasizing citizen participation as central to state welfare

and elections. Kadd (2012) similarly notes that a nation's political future depends on its collective awareness, which can lead either to genuine liberation or false illusions. From its origins in ancient Greece, democracy relied on popular vote to select leaders, later spreading to Europe, America, and eventually Africa and the Middle East (Andersen). Within this system, electoral slogans play a key communicative role, enabling candidates to convey ideologies, persuade voters, and express aspirations for societal change (Nakate, 2011).

Electoral slogans can thus be socially effective for several reasons: they reflect the personality and objectives of the candidate, and they often adopt memorable and appealing phrasing that remains in the voters' minds at the moment of casting their votes. A political slogan is generally characterized by a concise and well-constructed linguistic form, produced by a political entity such as a party, to express the key issues it intends to address. Within this communicative framework, the slogan has a sender (the political body producing it), a receiver (the voter, political opponent, etc.), a discursive context (the electoral environment in which it circulates), a medium (the language and rhetorical strategies used), and an imagined vision (the possible world that the slogan promises or calls for).

Electoral slogans are often described as instruments to attract voters or as a kind of "shop window" for candidates' political products, whose acceptance by the electorate depends on the quality of the "product" and the effectiveness of its presentation. Specialists define electoral slogans as an artistic method intended to influence voters' opinions and convictions through rhetorical devices designed to maximize appeal. They emphasize that such slogans must be simple, clear, non-contradictory, and closely connected to the reality of the electorate.

For this reason, candidates strive to select slogans that can persuade as many voters as possible and to present them in ways that resonate with public expectations, using everyday language that increases their



accessibility and appeal, much like a commercial product marketed effectively to achieve the anticipated demand.

For an electoral slogan to achieve its intended purpose, certain elements are indispensable. Scholars stress that in order to influence voters' attitudes and beliefs, a slogan must first and foremost capture attention, especially amid the overwhelming flood of competing campaign slogans surrounding the electorate from every direction.

The proliferation of candidates and their campaign advertisements across multiple platforms may, however, distract voters, which compels candidates to devise new strategies for capturing attention. Yet securing voters' attention in itself is of paramount importance, as it increases the circulation of a candidate's name among the public and thereby enhances the likelihood of electoral success. Moreover, the slogan must authentically convey the candidate's personality, intellectual orientation, and objectives. Some candidates make the mistake of relying excessively on humor or eccentricity in their slogans or campaign promotions, which can lead to perceptions of frivolity or lack of seriousness, ultimately becoming a source of ridicule.

Strategies such as condensation, borrowing, addition, and paraphrase are frequently employed to ensure that slogans remain intelligible and resonant in the target language. Among the most demanding tasks in this regard is the translation of specialized political terminology. Political terms are highly context-dependent, and they rarely admit fixed equivalents across languages. Given the profound cultural and civilizational differences between Arabic and English, translators must combine linguistic proficiency with a nuanced understanding of political and cultural contexts in order to achieve accuracy and relevance.


3. Challenges in Translating Lebanese Political Slogans

In Lebanon, the challenge of political translation is heightened by the country's intricate social and political landscape. Lebanese politics is deeply intertwined with sectarian affiliations, regional loyalties, and cultural identities, resulting in political discourse that carries multiple layers of meaning beyond the surface linguistic form.

Election slogans, therefore, serve as microcosms of broader political ideologies, often invoking historical, religious, or cultural references that may not be immediately intelligible to foreign audiences. Translating such slogans into English requires meticulous attention to cultural sensitivities, ideological undertones, and linguistic constraints, compelling the translator to balance fidelity to meaning with accessibility and persuasive impact for the target audience, because misinterpretations in translation can lead not only to a loss of rhetorical force but also to potential cultural offense or misrepresentation of political intent.

This challenge highlights that the central dilemma for translators lies in how to maintain strict semantic fidelity to the meaning that better convey ideological intent and persuasive function. Consequently, the primary research question guiding this study is: How can translators effectively use fidelity to meaning while preserving the cultural and ideological impact when translating politically charged slogans? This overarching question is supplemented by four sub-questions:

1. What are the primary cultural and ideological challenges in translating Lebanese political slogans?
2. How do literal, and interpretative theory affect meaning preservation and persuasive impact?
3. How does the translator's level of experience influence the balance between fidelity to meaning and literalism?



4. How can interpretative theory guide translators to achieve both semantic accuracy and audience resonance?

4. The Core of the Article:

Theoretical Framework:

This study is grounded in interpretative theory (Seleskovitch & Lederer, 1984), which prioritizes the transmission of intended meaning over word-for-word equivalence. This framework positions the translator as an active mediator, responsible for re-expressing source messages in ways that are both comprehensible and culturally appropriate for the target audience. As Seleskovitch and Lederer (1984, p. 15) emphasize, “The translator must first understand the sense of the message in the source language and then re-express it in the target language in a way that is comprehensible and culturally appropriate.” Interpretative theory is particularly relevant for political slogans, where ideological significance may be subtle, embedded in culturally specific references, or reliant on rhetorical devices that cannot survive literal translation without loss of meaning or impact.

Moreover, the framework is informed by the notion of translation as rewriting (Lefevere, 1992), which views translation as an act shaped by ideology, power, and cultural constraints. From this perspective, the translator does not merely transmit meaning but actively participates in the construction of discourse, potentially amplifying or attenuating ideological undertones in the source text. Political slogans, being highly condensed and ideologically charged texts, foreground the translator’s agency in balancing fidelity to the source with the persuasive force required in the target context.

Finally, this framework is reinforced by insights from classical rhetorical theory, particularly Aristotle’s tripartite model of persuasion: *ethos* (credibility), *pathos* (emotional appeal), and *logos* (rational argument). Political slogans often derive their persuasive power from a strategic combination of these rhetorical elements, and their translation must preserve not only semantic content but also rhetorical effect. For instance, a slogan

relying on pathos through emotionally charged metaphors may require creative translation techniques to evoke equivalent affective responses in the target culture. Similarly, ethos-based appeals rooted in national identity or collective values must be re-contextualized to maintain credibility, while logos-based arguments should retain their logical clarity and resonance. By integrating rhetorical theory, this framework acknowledges that effective translation of slogans is not merely about conveying meaning but about reproducing persuasive impact across cultural boundaries.

Taken together, interpretative theory, Lefevere's rewriting, and rhetorical theory frame translation not as a neutral act but as a process of cultural negotiation and persuasive re-articulation in which the translator plays a central role in preserving rhetorical impact, political intent, and cultural resonance.

Methodology

This study employed a mixed-methods qualitative-quantitative design to examine political translation strategies, combining the depth of qualitative analysis with the breadth of quantitative patterns. Three participant groups—undergraduate translation students, graduate students, and professional translators in Lebanon—were included to allow comparison across different levels of expertise. Data were collected through a corpus of political slogans from the 2018 and 2022 Lebanese parliamentary elections, alongside a structured survey in which participants provided English translations and brief justifications. Analysis combined qualitative content analysis with quantitative frequency analysis, guided by Interpretative Theory (Seleskovitch & Lederer, 1984) and Rewriting and Ideology (Lefevere, 1992) within an interpretative perspective, capturing both sense-making and ideological shifts. Translations were coded thematically, patterns identified, and nuances in decision-making interpreted. Reliability and validity were ensured through iterative coding, cross-checking, reflexive notes, and triangulation of corpus, survey, and theoretical frameworks.

Ethical safeguards included informed consent, anonymity, voluntary participation, and careful handling of politically sensitive material. Limitations include the Lebanon-focused sample, survey-based method, potential influence of political context on participants' choices, small sample size, and the researcher's interpretative lens, mitigated through triangulation and reflexivity.

Findings and Discussion

The forthcoming examples and their analyses in this study aim to demonstrate how translators navigate the complex cultural and ideological challenges inherent in Lebanese political slogans. These cases provide concrete evidence of the strategies employed to preserve meaning, maintain rhetorical impact, and convey ideological nuance, thereby highlighting the critical role of the translator as both a linguistic mediator and a cultural interpreter. The following table offers a comparative analysis of Arabic political slogans alongside their literal and interpretative translations, illustrating how different translation approaches affect the preservation of semantic, rhetorical, and cultural dimensions.

Arabic Slogan	Literal translation	Interpretative Translation
نحن الخرزة الزرقا يلي بتحمي لبنان	-We are the blue eye that shall protect Lebanon. "We are the blue Bead that shall protect Lebanon."	-From blue bead to bright future: our commitment to Lebanon. - "We are the "Kharzé Zara'" that protects the future of Lebanon.
معك والسما زرقا	"With you the sky is blue."	- "Under the blue sky, with you we stand high." -Standing by you where the future is vividly blue."
صوت لسعادتك مش لسعادته	"Vote for your happiness not his happiness".	- "Your future matters vote for your, happiness and dignity not for his highness." - "Vote for your, happiness and dignity not for his highness."

3.1. Example 1: “نحن الخرزة الزرقا يلي بتحمي لبنان”


The slogan “نحن الخرزة الزرقا يلي بتحمي لبنان” carries both **ideological** and **cultural significance** in the Lebanese political context, which makes its translation particularly challenging. Ideologically, the slogan conveys the political party’s message of **protection, loyalty, and commitment to Lebanon’s future**. The term “الخرزة الزرقا” (the Blue Bead) is not merely a decorative object; it functions as a **symbol of the party’s identity**, reflecting its core values such as trustworthiness, stability, and guidance. The color blue itself is ideologically loaded, signaling calm, confidence, and success, which aligns with the party’s desired image and emotional appeal to voters. However, translation attempts often fail to capture these nuances:

Approximately 90% of the undergraduate students relied on literal translation that failed to convey the intended ideological message: “We are the blue eye that shall protect Lebanon.”

This version is incorrect because the words were translated inaccurately: “الخرزة الزرقا” does not mean “the blue eye” in Reverso; it correctly translates as “the Blue Bead.” This demonstrates that literal translation is not always an effective method for conveying meaning, particularly in political slogans. while 50% of the master’s students also employed this approach. They translated the slogan as:

“We are the blue Bead that shall protect Lebanon.”

This literal translation is linguistically correct, as each word has been translated directly. For example, the term “الخرزة الزرقا” appears in the digital dictionary Reverso as “The Blue Bead”, confirming the accuracy of this translation. However, this approach fails to capture the implicit meanings embedded in the slogan, particularly those related to the future and the ideological message intended by the political party. Consequently, the slogan loses some of its motivational impact when rendered into a foreign



language. The color blue, for instance, symbolizes the political party associated with this slogan, representing calm, confidence, and success. The party deliberately uses blue in its electoral slogans to appeal to its audience and encourage voter support.

The prevalence of literal translation among students can be attributed to their limited academic and professional experience in translation.

In contrast, 30% of the master's students employed **faithfulness to meaning** in their translation:

"From blue bead to bright future: our commitment to Lebanon."

These students focused on the implicit meaning of the slogan, incorporating the party's ideological message through the keywords "blue" and "future." This approach reflects a strong understanding of proper translation methodology, which begins with analyzing the source text, conducting necessary research, identifying challenging terms, and finally rendering the intended meaning by using **addition** (to bright future, our commitment to Lebanon), a technique highlighted by Vinay and Darbelnet, in a way comprehensible to the target audience. This approach aligns with the **interpretive theory of translation**, which emphasizes conveying the underlying meaning faithfully.

Professional translators specializing in political media translation also prioritize **faithfulness to meaning**, applying borrowing and addition to convey the party's culture and beliefs without compromising the ideological message, while respecting the political culture of the target audience and preserving the source text. Their translation of the slogan was: "We are the Kharzé Zar'a that protects the future of Lebanon."

Here, the translator employed **borrowing**, transferring an expression directly from one language to another—a technique highlighted by Vinay and Darbelnet—rendering Kharzé Zar'a = الزرقا الخرزة to preserve the implicit meaning without altering the essence or ideological content of the

slogan. Additionally, the translator used **addition**: “the future of Lebanon” = مستقبل لبنان, to maintain the party’s core ideology and respect its supporters.

Example 2: “صوت لسعادتك مش لسعادتو”

This slogan, “صوت لسعادتك مش لسعادتو”, reflects key aspects of Lebanese political ideology, where deputies often rely on personal loyalty and sectarian networks rather than broad party programs. The wordplay in Arabic distinguishes سعادتك (“your happiness”) from سعادته (a formal reference to the deputy, “his highness”), subtly urging citizens to vote for their own interests rather than blindly supporting a political figure. Literal translations fail to capture this ideological nuance, reducing the slogan to a generic appeal. Interpretative translations, such as “Vote for your happiness/dignity, not for his highness,” preserve both the linguistic play and the political critique, demonstrating Lefevere’s principle that translation can serve as a strategy of interpretation. By prioritizing faithfulness to meaning, translators not only convey the text accurately but also maintain its cultural and ideological impact, allowing the target audience to grasp the original’s socio-political message.

Analysis of the translations shows that 95% of undergraduate students, 70% of master’s students, and 5% of professional translators relied on a literal translation, which inaccurately rendered the slogan from Arabic into English as: “Vote for your happiness, not his happiness.”

This literal translation fails to convey the implicit meaning of the slogan, which encourages citizens to vote for their own benefit and well-being rather than for the deputy (/ حضرته النائب / his highness). The wordplay in Arabic relies on the dual meaning of سعادته, which does not translate directly as happiness; rather, it refers to the deputy’s title or status. The creativity of the original slogan lies in this linguistic play, and the greater challenge—and artistry—resides in translating it effectively into another language.

In contrast, only 5% of undergraduate students, 30% of master’s students, and 95% of professional translators prioritized **faithfulness to meaning**,

resulting in the translation:

“Your future matters vote for your, happiness and dignity not for his highness.”

Professional translators were able to replicate the original **wordplay (jeu de mots)** in English, preserving both the aesthetic appeal and the intended ideological message of the slogan. This was achieved by following the **interpretive theory of translation**, emphasizing fidelity to meaning rather than literal word-for-word equivalence.

The translation— “Your future matters: vote for your happiness and dignity, not for his highness”—illustrates the principles of the **interpretive theory of translation** by using **addition** as a technique (your future matters). The translator first decodes the underlying sense of the Arabic slogan, recognizing that it conveys both a **political message** and a **cultural nuance**. The phrase your happiness and dignity re-express the voter’s personal interest and agency, while his highness preserves the reference to the deputy, maintaining the slogan’s critique of political dependency. By doing so, the translation goes beyond a literal word-for-word rendering and conveys the intended meaning, tone, and ideological content.

From the perspective of **Lebanese political ideology**, this translation captures the slogan’s socio-political critique: it urges citizens to prioritize their own well-being and civic responsibility over loyalty to individual politicians, reflecting the localized context of clientelist politics. By combining strategies like borrowing, addition, condensation or cultural substitution with interpretative theory, the translator ensures that both the **explicit message** and the **implicit ideological critique** are effectively communicated to the target audience.

Example 3: “معك والسما زرقا”

The slogan “معك والسما زرقا” carries significant **ideological and cultural weight** in Lebanon, a country where political symbolism and party identity

are deeply intertwined with everyday language. The color blue, used prominently in the slogan, is more than a descriptive term; it symbolizes the political party behind the message, conveying calm, trust, and confidence, while signaling loyalty and alignment with the party's ideology. Thus, the slogan functions as a subtle tool of political persuasion, appealing to citizens' emotions and cultural sensibilities rather than merely communicating literal information.

Analysis of student and professional translations reveals the following patterns:

Approximately 95% of undergraduate students and 70% of master's students relied on literal translation, rendering the slogan as:


"With you the sky is blue."

This literal translation is linguistically incorrect despite word-for-word correspondence. In Lebanese colloquial Arabic, *زرقا* refers to the sky, *معك* to blue, and *امعك* to with you. However, the word order and structure were mishandled, resulting in a translation that distorts the original meaning and loses the slogan's essence. More importantly, it fails to convey the implicit ideological meaning: the color blue symbolizes the political party behind the slogan, representing calm, trust, and success. Thus, literal translation alone does not suffice, particularly in politically charged contexts. The reliance on literal translation reflects the students' limited academic and professional experience.

In contrast, 30% of master's students used **faithfulness to meaning**, producing the translation:

"Under the blue sky, with you we stand high."

This version demonstrates creativity while maintaining the slogan's intended sense. The translator preserved both meaning and phonetic rhythm (sky, high) from the Arabic original, reflecting an understanding of proper translation methodology: analyzing the text's meaning, researching



challenging expressions, and re-expressing the intended sense for the target audience. Using **addition**, this approach aligns with the **interpretive theory of translation**, ensuring the implicit ideological message is conveyed with accuracy and integrity, while allowing for some creative expression.

Professional translators specializing in political media translation applied the same principle with greater precision, yielding: “Standing by you where the future is vividly blue.”

Here, the translator employed **addition** (e.g., where the future is vividly blue)—a technique described by Vinay and Darbelnet—to preserve the slogan’s implicit meaning without altering its essence or ideological content. This interpretative translation conveys the party’s cultural and political symbolism, respects the target audience’s context, and maintains the ideological integrity of the source text. Furthermore, the professional translation integrates linguistic creativity, enhancing the aesthetic and persuasive impact of the slogan.

The analysis of the three slogans demonstrates the crucial role of the **interpretive theory of translation** in conveying both meaning and ideological content in politically charged contexts. Literal translations, as produced by most undergraduate and some master’s students, often failed to capture the implicit messages and cultural nuances, resulting in distorted or weakened slogans. In contrast, interpretative translations by master’s students and professional translators successfully preserved the **ideological intent, cultural symbolism, and persuasive power** of the original texts.

Across all examples, translators who prioritized **faithfulness to meaning** were able to:


Decode the implicit sense of the source slogan, including political critique, symbolism, and wordplay.

Re-express this sense in the target language while maintaining clarity, creativity, and aesthetic impact.

Preserve the ideological and cultural context, ensuring the target audience receives the intended socio-political message.

Role of Translator Experience

The experience of the translator constitutes a critical determinant in the selection of translation strategies and the overall quality of the final product. Translators with substantial professional experience, having been exposed to a wide variety of texts and contexts, typically employ interpretative approaches that extend well beyond literal, word-for-word translation. Such experience equips translators with the ability to discern subtle ideological, cultural, and emotional nuances embedded within political slogans and to convey these effectively to the target audience. Experienced translators demonstrate advanced skills in analyzing source texts, identifying ambiguities, and making informed decisions regarding cultural references, symbolism, and persuasive intent. Conversely, less experienced translators often rely on literal translation methods, which may maintain linguistic accuracy but risk undermining the ideological, motivational, and rhetorical impact of the original message. This disparity underscores the vital role of experience in achieving a delicate equilibrium between fidelity to the source text and accessibility for the target audience. As Munday (2016, p. 89) emphasizes, "Literal translations often fail to convey the full persuasive and cultural impact of the original slogans; interpretative theory and strategies help preserve ideological meaning and emotional resonance." Furthermore, experienced translators are adept at employing strategies such as borrowing, addition, condensation or cultural substitution, thereby enabling the preservation of ideological content while aligning with the expectations, cultural norms, and interpretative frames of the target audience. Beyond these technical competencies, translator experience also fosters critical judgment, intuition, and the ability to



anticipate audience reception, all of which are indispensable in political translation where precision and persuasive effect are paramount. In essence, the translator's experience not only informs strategic choices but also ensures that political communication maintains its intended persuasive, cultural, and emotional impact across linguistic and cultural boundaries, highlighting experience as a central factor in effective and meaningful translation practice. Professional experience further enhances a translator's effectiveness in political contexts.

Additionally, experienced translators demonstrate a heightened capacity for nuanced decision-making, anticipating audience response, and balancing fidelity with communicative objectives (Schäffner, 2012). In Lebanon, seasoned translators were able to handle slogans containing sectarian references, historical connotations, or emotionally charged rhetoric with precision, whereas less experienced translators frequently produced literal renderings that diluted persuasive and symbolic content. This aligns with contemporary translation theory, which posits that professional competence encompasses not only technical skill but also experiential knowledge that informs interpretative judgment and strategic adaptation (Hatim & Mason, 1997).


5. Essential Skills and Ethical Qualities of Political Translators

Political translation constitutes a highly specialized professional practice that operates at the convergence of linguistic expertise, cultural literacy, ideological negotiation, and ethical responsibility. Within the framework of translation studies, scholars have emphasized that the mere ability to convert words from a source language to a target language is insufficient in politically charged contexts; rather, successful translation requires an integrated approach that combines theoretical understanding, practical skill, and ethical awareness (Chilton & Schäffner, 1997; Schäffner, 2004). Political translators are thus not simply bilingual intermediaries, but cultural and ideological mediators who must navigate complex socio-political

landscapes while maintaining fidelity to the source text and adapting content for target audiences.

Linguistic proficiency is a foundational requirement for political translators. This extends beyond lexical and grammatical knowledge to encompass style, register, rhetorical devices, and discourse strategies characteristic of political communication. Translators must be capable of reproducing persuasive elements such as slogans, metaphors, and ideological framings in a manner that preserves both their semantic content and their emotional and rhetorical force (Chilton & Schäffner, 1997). Empirical studies examining Lebanese parliamentary election slogans from 2018 and 2022 illustrate how professional translators successfully adapted political messages for target audiences, maintaining both ideological fidelity and persuasive impact. Conversely, less experienced translators often defaulted to literal translations that, while formally correct, failed to convey the symbolic and rhetorical depth of the original texts. These findings align with Lefevere's (1992) argument that translation involves both a technical and interpretative dimension, in which meaning is mediated according to audience expectations and sociocultural context.

Closely linked to linguistic proficiency is cultural and contextual competence. Political texts are situated within specific historical, social, and institutional contexts that shape meaning and reception. Hatim and Mason (1997) emphasize the importance of understanding socio-political structures, historical events, and ideological frameworks in translation. In Lebanon, where political expression is inseparable from sectarian identity and historical memory, cultural literacy enables translators to anticipate interpretive frameworks and avoid misrepresentation. The study of Lebanese electoral slogans demonstrates that culturally competent translators made strategic choices that preserved the significance of references to historical events, social dynamics, and political affiliations, ensuring that translated messages were both accurate and persuasive.



Interpretative and analytical skills are central to the practice of political translation. Political discourse frequently contains implicit meanings, ideological undertones, and strategic ambiguities that cannot be transmitted through literal translation alone (Lefevere, 1992; Schäffner, 2012). Translators must critically evaluate these layers and make decisions about what to retain, adapt, or emphasize to ensure that the target audience comprehends the intended meaning and persuasive intent. Analysis of Lebanese election slogans revealed that interpretative theory and strategies such as borrowing, addition, and condensation were employed to bridge linguistic and cultural gaps, illustrating the translator's role as an active mediator rather than a passive conduit. These strategies allowed translators to maintain the ideological integrity of the source text while ensuring its resonance with audiences of different linguistic and cultural backgrounds.

Ethical responsibility constitutes a critical dimension of political translation. Translators must exercise impartiality and objectivity, ensuring that personal political beliefs do not influence the translation process. Confidentiality and discretion are essential due to the sensitive nature of political materials, which can influence public opinion, diplomatic relations, or policy decisions (Schäffner, 2012). Furthermore, accuracy, reliability, and professional responsibility are indispensable ethical qualities, as errors or misrepresentation in politically sensitive texts can have substantial sociopolitical consequences (Lefevere, 1992). Ethical vigilance also extends to interpretative choices, where translators must carefully weigh the balance between audience comprehension and fidelity to the source text's ideological content.


In conclusion, political translators exemplify a highly specialized professional and scholarly profile that integrates advanced linguistic proficiency, cultural and contextual literacy, interpretative and analytical acumen, extensive professional experience, and rigorous ethical responsibility. The translation of Lebanese electoral slogans illustrates how these competencies

intersect to produce translations that are both persuasive and ideologically faithful. By bridging linguistic, cultural, and ideological divides, political translators perform a dual role as communicators and cultural mediators, demonstrating that political translation is simultaneously a technical, interpretative, and ethically grounded practice. The integration of empirical research, theoretical insights, and practical experience underscores the importance of political translation as a distinct and complex field within translation studies, one that necessitates specialized training, scholarly understanding, and professional expertise.

III. Conclusion

This study examined the translation of political slogans from Arabic into English, offering in-depth insights into how meaning is negotiated within politically charged contexts. The analysis revealed a clear distinction between professional translators and less experienced translators in terms of strategy selection, interpretive choices, and overall translation quality. Professional translators consistently prioritize fidelity to meaning, carefully balancing semantic accuracy, cultural resonance, and rhetorical effect, whereas undergraduate and graduate students often defaulted to literal translation strategies. Such literal approaches, while preserving formal linguistic accuracy, frequently compromise the persuasive, symbolic, and ideological depth of the original slogans. These findings underscore the critical role of professional experience, linguistic competence, cultural literacy, and ethical awareness in producing translations that are both precise and contextually appropriate.

Translators must navigate complex cultural markers, local political ideologies, and historical allusions that may be unfamiliar to target audiences. Furthermore, slogans often carry emotional resonance and symbolic meaning tied to Lebanon's specific socio-political context, making it challenging to preserve both the persuasive intent and ideological nuance in the target language. These challenges require translators to have deep



cultural competence and a nuanced understanding of ideological positioning, enabling them to mediate meaning without distorting the source text.

The study further illustrates how literal and interpretative translation strategies affect meaning preservation and persuasive impact. Literal translation, while maintaining formal accuracy, often fails to capture the rhetorical force and symbolic subtleties embedded in political slogans, leading to a weakened persuasive effect. In contrast, interpretative theory additionally to strategies such as borrowing, addition, condensation, and cultural substitution, allow translators to maintain semantic accuracy while also preserving the emotional and ideological resonance of the original text. These strategies and theory enhance audience engagement and ensure that the slogans retain their persuasive power, demonstrating that meaning preservation and rhetorical effectiveness are closely tied to the translator's strategic approach.

Moreover, the research highlights how the translator's level of experience influences the balance between fidelity to meaning and literalism. Experienced translators consistently navigate this balance more effectively, using interpretative theory judiciously to preserve both ideological and rhetorical elements of the source text. Less experienced translators, by contrast, tend to rely on literal approaches that prioritize form over function, often at the expense of persuasive and symbolic content. This finding underscores the importance of professional experience in developing nuanced judgment and the ability to mediate complex cultural and ideological dimensions inherent in political discourse.


Interpretative theory provides a guiding framework for achieving both semantic accuracy and audience resonance. By emphasizing the active reconstruction of meaning rather than passive word-for-word transfer, interpretative theory encourages translators to analyze the source text's multiple layers, including cultural, ideological, and rhetorical dimensions, and to render these effectively in the target language. Grounded in this

theory, translators are better equipped to produce translations that preserve the original intent, capture emotional undertones, and resonate with the target audience, ensuring that political messages remain persuasive and contextually meaningful.

Grounded in interpretative theory, this research emphasizes that translation extends far beyond a mere literal linguistic transfer; it involves a complex process of understanding the source text, deconstructing its multiple layers of meaning, and reconstructing it in the target language to achieve both fidelity and communicative effectiveness. Translators must capture not only the semantic content but also the author's intended ideological nuances, rhetorical strategies, and emotional undertones. In practice, this entails multiple interconnected stages, including comprehending the source message, analyzing its cultural, historical, and socio-political context, and producing a target text that conveys the original sense while remaining accessible and persuasive to the intended audience.

Interpretative translation views translators as active cultural and ideological mediators rather than passive conveyors of language. In political contexts, translators strategically balance fidelity to the source text with the expectations and cultural norms of the target audience, ensuring that messages remain persuasive, comprehensible, and culturally sensitive while upholding ethical responsibilities. Since misrepresentation or oversimplification can distort ideological meaning and undermine intercultural understanding, translators must combine linguistic competence, cultural awareness, critical analysis, and professional judgment. Fidelity, in this sense, is not absolute but a dynamic, context-dependent strategy. Political slogans, which often carry dense cultural memory, social values, and historical references, illustrate the complexity of this task. Successful translation therefore requires both technical precision and creative interpretation, highlighting translation as a practice situated at the intersection of language, ideology, and power.

Beyond theoretical implications, the study provides important practical



insights for translator training and professional development. Educational programs should emphasize the integration of interpretative theory and strategies, informed decision-making, ideological awareness, and rhetorical competence into the curriculum. Developing analytical and critical thinking skills, cultural literacy, and ethical judgment is essential for preparing translators to navigate politically and culturally complex texts. Exposure to such texts enables students to apply theoretical principles in practice, bridging the gap between classroom instruction and professional performance. Translators, as this study illustrates, serve as both linguistic intermediaries and cultural mediators, balancing fidelity to meaning with audience engagement, persuasive effectiveness, and cultural sensitivity.

Finally, this study opens new avenues for research by emphasizing the need to explore how translators navigate complex cultural, ideological, and rhetorical factors in politically charged texts. Translators must often balance professional guidelines, ethical considerations, and public expectations when making decisions that could influence interpretation and reception. Additionally, emerging technologies like artificial intelligence have the potential to assist translators by providing context-sensitive suggestions, detecting cultural nuances, and offering strategies for handling politically sensitive content without compromising accuracy or integrity. Two important questions for future research emerge: Who determines the boundaries of a translator's decisions in political texts: the Translators' Union, professional ethics, or societal expectations? How can artificial intelligence assist translators in making appropriate decisions when dealing with politically sensitive texts?

References

References in English

1. Baker, M. (2005). Translation and conflict: A narrative account. Routledge.
2. Baker, M. (2011). In other words: A coursebook on translation. Routledge.
3. Bernard, H. R. (2011). Research methods in anthropology: Qualitative and quantitative approaches (5th ed.). AltaMira Press.
4. Cao, D. (2007). Translating Chinese political discourse: Theoretical and practical perspectives. John Benjamins.
5. Eco, U. (2001). Experiences in translation. University of Toronto Press.
6. Gambier, Y., & van Doorslaer, L. (Eds.). (2016). Handbook of translation studies (Vol.4). John Benjamins.
7. Goddard, W., & Melville, S. (2004). Research methodology: An introduction (2nd ed.). Juta Academic.
8. Katan, D. (2014). Translating cultures: An introduction for translators, interpreters and mediators (2nd ed.). Routledge.
9. Lefevere, A. (1992). Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame. Routledge.
10. Munday, J. (2016). Introducing translation studies: Theories and applications (4th ed.). Routledge.
11. Pym, A. (2004). The moving text: Localization, translation, and distribution. John Benjamins.
12. Venuti, L. (2018). The translator's invisibility: A history of translation (3rd ed.). Routledge.
13. Chilton, P., & Schäffner, C. (1997). Discourse and Politics. In T. A. van Dijk (Ed.), Discourse as Social Interaction (pp. 206–230). Sage.

14. Hatim, B., & Mason, I. (1997). *The Translator as Communicator*. Routledge.
15. Schäffner, C. (2004). Political Discourse Analysis from the Point of View of Translation Studies. *Journal of Language and Politics*, 3(1), 117–150.
16. Schäffner, C. (2012). Rethinking Transediting. *Meta: Journal des traducteurs*, 57(4), 866–883.

References in Arabic

1. شريف، س. (2018). الشّعارات السّياسيّة، دراسات نظريّة أم تطبيقيّة. العربيّ للنّشر والتّوزيع.
2. موان، ج. (1994). المسائل النّظريّة في التّرجمة (لطيف زيتوني، تر.). دار المنتخب العربيّ للدراسات والنّشر والتّوزيع.
3. حاتم، ب.، & مايسون، إ. (1995). الخطاب والمترجم (جوزيف نعوم خطار، تر.). دار المشرق.
4. عمران، ك.، وآخرون. (سنة). التّرجمة ونظريّاتها. الجمهوريّة التّونسيّة: وزارة الثّقافة والإعلام، المؤسّسة الوطنيّة «بيت الحكمة».
5. عناني، م. (1996). فنّ التّرجمة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
6. حسني، ن. (2001). التّرجمة الإعلاميّة: الأسس والتّطبيقات. مكتبة الفلاح للنّشر.
7. صعب، ح. (1977). علم السّياسة. بيروت: دار العلم للملايين.

French References

1. Delisle, J. (1988). *Translation: An interpretive approach* (E. Logan & M. Creery, Trans.). University of Ottawa Press. (Original work published 1980)
2. Dynel, M. (2009). *Humorous garden path: A pragmatic–cognitive study*. Cambridge Scholar Publishing.
3. Ellis, R., & Oakley–Brown, L. (2001). *Translation and nation: Towards a cultural politics of Englishness*. Cromwell Press Ltd.
4. Henry, J. (2003). *La traduction des jeux de mots*. Paris: PSN.
5. Israel, F. (1990). *Traduction littéraire et théorie du sens*. In M. Lederer

- (Ed.), *Etudes traductologiques* (pp. 29–44). Paris: Minard Lettres Modernes.
6. Israel, F. (1999). Principes pour une pédagogie raisonnée de la traduction: Le modèle interprétatif. *Folia Translatologica*, *, 21–32.
 7. Lodico, M. G., Spaulding, D. T., & Voegtle, K. H. (2010). *Methods in educational research*. Jossey-Bass.
 8. Lefèvre, A. (1992). *Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame*. Routledge.
 9. Seleskovitch, D., & Lederer, M. (1984). *Interpréter pour traduire*. Didier Érudition.

Journal Articles

1. Chen, M., & Li, W. (2020). Translation strategies of political slogans: A case study of Chinese and English slogans. **Journal of Language and Politics*, 19*(4), 567–589. [<https://doi.org/10.1075/jlp.19045.chen>] (<https://doi.org/10.1075/jlp.19045.chen>)
2. Hassan, R. (2018). Translating political discourse: Ideology, culture, and strategy. **Translation Studies Quarterly*, 12*(2), 45–63.
3. Zheng, T. (2019). The cultural mediation in translating political slogans. **Meta: Journal des traducteurs*, 64*(2), 345–362. [<https://doi.org/10.7202/1065684ar>] (<https://doi.org/10.7202/1065684ar>)

Dictionaries and Online Sources

1. Merriam-Webster. (n.d.). Merriam-Webster online dictionary. [<https://www.merriam-webster.com>] (<https://www.merriam-webster.com>)
2. Reverso. (n.d.). Reverso online dictionary: Arabic-English/English-Arabic. [<https://www.reverso.net>] (<https://www.reverso.net>)

A Linguistic Analysis of Euphemistic Expressions in President George Bush's Speeches: A Critical Discourse

تحليل لغوي للتعبيرات الملطفة في خطابات الرئيس جورج بوش: تحليل خطابي
نقدي

Samar El Hachem¹

سمر الهاشم

Advisor: Prof. Talal Wehbe²

Co-advisor: Dr. Rabiha Nabhan³

تاريخ القبول 2025/9/21

تاريخ الاستلام 2025 /9/5

Abstract

This study explores how language influences ideologies and shapes people's understanding of world events, specifically analyzing George Bush's use of political euphemisms in eight speeches regarding the Iraq War. It delves into the underlying meanings of these euphemisms and illustrates how political speeches have evolved into strategic instruments for establishing credibility and spreading ideological messages. Utilizing a mixed-methods approach that integrates qualitative and quantitative analysis, this study investigates the use of euphemisms in the speeches under scrutiny. The data indicates a correlation between Bush's language and his ideological strategies that are characteristic of the general trends in politics. Bush used euphemisms in most cases to twist reality, particularly making use of the "victim euphemisms" to distort reality. In the end, his language proved effective as a means for information control, obfuscation, and justification of disputable actions, showing how political language is designed for the people's perception in a way that makes policies fit in a complex geopolitical setting.

(1) Holy Spirit University of Kaslik, USEK Email: alhashem.samar@gmail.com

(2)–Holy Spirit University of Kaslik, USEK Email: talal_wehbe@baylor.edu

(3)–Holy Spirit University of Kaslik, USEK Email: rabiha nabhan@usek.edu.lb

Keywords: euphemism, linguistic devices, political discourse, critical discourse analysis; ideology; doublespeak


الملخص

تستكشف هذه الدراسة كيفية تأثير اللغة في الأيدولوجيات وتشكيل فهم الناس للأحداث العالمية، من خلال تحليل استخدام جورج بوش للمحسنات اللفظية في ثمانية خطابات تتعلق بحرب العراق. تتعمق الدراسة في الدلالات الكامنة وراء هذه المحسنات وتوضح كيف تحولت الخطابات السياسية إلى أدوات استراتيجية لبناء المصداقية ونشر الرسائل الأيدولوجية. ومن خلال اعتماد منهجية مختلطة تجمع بين التحليل النوعي والكمي، تحقق الدراسة في أنماط استخدام المحسنات اللفظية داخل الخطابات قيد الدراسة وتشير البيانات إلى وجود علاقة وثيقة بين اللغة التي استخدمها بوش والاستراتيجيات الأيدولوجية الممثلة للتوجهات السياسية السائدة. غالباً ما لجأ بوش إلى هذه المحسنات للتلاعب بالواقع، لا سيما من خلال محسنات الضحية لتشويه الحقيقة. في الختام، يثبت تحليلنا أن لغة بوش كانت فعالة كوسيلة للسيطرة على المعلومات، التعمية، وتبرير الإجراءات المثيرة للجدل، ما يبين مدى تصميم اللغة السياسية لتلائم إدراك الجمهور في سياق جيوسياسي معقد.

الكلمات المفتاحية: المحسنات اللفظية، الأدوات اللغوية، الخطاب السياسي، تحليل الخطاب النقدي، الأيدولوجيا، الكلام المزدوج.

Introduction and Rationale

The use of language as a strategic tool is widespread. For instance, euphemisms can substitute words directed at disgracing someone's culture (Samoskait, 2011). Orwell (1946) notes an unsettling tendency among politicians to use politically charged and diluted vocabulary, depersonalizing the harsh realities of their actions. Speakers who opt to speak directly on unpleasant or sensitive issues are usually courting trouble, since not only are they likely to offend their audience, but they could also ruin professional relationships. Such communication problems are resolved with euphemisms, which may prevent the escalation of conflicts (Mwanambuyu, 2011). There is, however, a lack of comprehension of the distinguishing traits and application of euphemisms, and this has led to the ongoing exploration of former Bush's wartime public addresses. This research examines euphemisms in political speeches, specifically those



of Bush, and shows how pragmatics can help understand subcultural and politically correct language. The study employs a mixed-methods approach integrating qualitative and quantitative analysis to explore the strategic use of euphemisms in eight speeches regarding the Iraq War.

Justification of the Study

Studies of euphemisms in political discourse remain significant. Bostdorff (2011) expresses the importance of studying euphemisms as he discusses George W. Bush's use of epideictic language. Zarifovna (2021) notes that analyzing euphemisms in a language such as Uzbek or English contributes to linguistics, cognitive linguistics, and sociolinguistics. While investigating euphemisms in different languages or eras, scholars may find out how the development of a society, its traditions, and ways of communication have influenced communication patterns. Radulovic's (2017) work shows that euphemisms were not only used in the USSR but also in the English Renaissance and Modernist eras, demonstrating their relevance today. Additionally, the aftermath of the Iraq War still influences geopolitics, international relations, and military warfare. Studying euphemisms in this period allows people to draw conclusions about today's conflicts, diplomatic relations, and the general public reaction against conflict and international politics.

Review of Literature

Critical Discourse Analysis (CDA)

Critical Discourse Analysis (CDA) is an approach to studying real-life written texts intended for some type of social purpose (Wodak, 2009). Van Dijk (1993) first coined CDA, which addresses how people use texts to reproduce unequal relations of economic, cultural, and political power within a society. This perspective attempts to overturn social order in ways that are more equitable to all members of society (Caldas-Coulthard & Coulthard, 2003). CDA can shed light on President Bush's political speeches and actions, as the language he uses shapes his ideas, establishes his action

plans, and determines their outcomes.

The purpose of this article is to examine political speeches and the need for background on Political Discourse Analysis (PDA). Understanding how to interpret discursive texts on politics is crucial, and this understanding should guide the approach to PDA.


According to Van Dijk (1993), critical-political discourse examines the contexts and impacts of social-political injustices resulting from power imbalances. Political discourse can contribute to the rise of racism, particularly when it serves to legitimize injustices or reinforce ethnic or racial inequalities.

Historical Background of Euphemism

Euphemisms have been around for a while, with examples in *The Canterbury Tales* and Shakespeare's sonnets (Fionan, 2009; Samoskait, 2011). Many cultures have adopted them to conceal their intentions or perhaps for reasons of respect. The English term "euphemism" itself first appears in Thomas Blount's 1656 *Glossographia* (Blount, 1656), and euphemistic substitutions were common among both commoners (for crimes, money, and poverty) and the upper class (for intimate matters and death) in Early Modern England (Samoskait, 2011). Rawson's *Dictionary of Euphemisms* (1981) and Neaman & Silver's *Thesaurus of Euphemisms* (1983) further systematized these terms (Wang, 2013). Lexical or non-lexical, euphemisms fulfill the politeness demands of the particular communicative context.

Doublespeak

Doublespeak, a language that is rich in euphemism, deceives people instead of softening undesirable features or using pleasant language (Bakhtiar, 2012). Orwell (1946) and Lutz (1993) maintain that politics is prone to doublespeak because it entails an overuse of language while having little impact on the clear comprehension of issues. Rababah (2014)



differentiates between euphemism, dysphemism, and double-speak. The purpose of euphemisms is to mitigate and avoid intended harm, whereas dysphemisms are employed negatively, intended or unintended. As for doublespeak, it aligns with dysphemism since it obscures the truth.

Euphemism Strategies from a Pragmatic Point of View

Yule (1996) defines pragmatics as the study of speakers' words, context, and implicit meanings. Context plays a crucial role in euphemisms (Xiao-Yan, 2014), which are used in biology, politics, and military phenomena (Pan, 2013). Burrige (2012) delves into the communicative functions of euphemisms, introducing the term 'x-phemisms' as a catch-all for euphemism, dysphemism, and orthophemism. Both euphemisms and orthophemisms avoid offense, with euphemisms making indirect references; dysphemisms, however, are the literal and direct alternative (Allan & Burrige, 2006).

Classification of Euphemism

Euphemisms can be classified into positive, negative, and metaphorical categories based on their functions (Mwanambuyu, 2011).

Positive euphemisms enhance language; for example, using terms like "counsel," "healthcare professional," and "CEO" illustrates this concept (Rawson, cited in Mwanambuyu, 2011).

Negative euphemisms replace taboo words in religious, cultural, or private contexts (Mwanambuyu, 2011). Examples include using "absorption" for "assimilation," "peace" to justify violence, or "collaborator" for "traitor" (Holder, 2008; Radulovic, 2012).

Metaphorical Euphemisms

Politicians use metaphorical language to convey abstract concepts, raise morale, and gain support (Lakoff and Johnson, 1980). Some metaphors for "death" include "going to" one's "last home" and "resting in peace" (Mwanambuyu, 2011). The Bush administration, through metaphorical framing, conflated Iraq with the September 11 attacks; this illustrates their

power in shaping public opinion (Kellner, 2003).

Burridge (2012) identified six functions of euphemisms:

The protective euphemism – to shield and avoid offense

People typically use these euphemisms when discussing sensitive subjects like death or religion. For example, one could say “passed away” instead of “died.” Western taboos differ according to criteria like age, intimate matters, education, and social status.

The underhand euphemism – to mystify and misrepresent

The military, political, and medical domains employ underhand euphemisms to conceal or downplay reality or the effects of human suffering. For example, there was a coded language of Dutch fishermen to hide how certain strategies were carried out, with “collateral damage” meaning killing civilians or “Lipton tea” meaning various illegal things.

The uplifting euphemism – to talk up and to inflate

Uplifting euphemisms involve a significant distortion of language, often in pretentious terms. This can be seen in legal or planning documents which strive to be more legitimate. For example, legal documents use “meta-planning schemes” instead of “parking lots.”


The provocative euphemism – to reveal and to inspire

To add perspective, provocative euphemisms address taboo issues to reveal social problems or groups, much like in Orwell’s *Animal Farm*, which employs euphemisms to challenge political ideologies.

The cohesive euphemism – to show solidarity and to help define the gang

Cohesive euphemisms enhance the sense of integration within communities by utilizing shared language that may be unfamiliar to external parties. These are slang or jargon of some professions or social group.

The ludic euphemism – to have fun and to entertain



People use ludic euphemisms for fun, often incorporating more colloquial terms into their speech. An example is “hard-to-meet needs” for “serial killers.”

Features of Political Euphemism

Political euphemism serves specific purposes such as concealing scandals, spreading misinformation among populations, and manipulating reality (Zhao and Dong, 2010).

Deviation from the Signified

One of the founders of structural linguistics, Swiss linguist Ferdinand de Saussure, emphasized that a language sign consists of a signifier and signified. We can view euphemisms as surrogate signifiers, conveying the same idea (Zhao & Dong, 2010). Eliecer (2005) claims that euphemisms not only serve to deal with taboo themes but can also help mitigate speech acts. Therefore, such processes facilitate the maintenance of moral relations between speakers and listeners, allowing interactions to occur without any resentment or disputes.

Vague Meanings

Orwell (1968) highlighted the vagueness of political language, which can be demystified through euphemisms. Such euphemistic expressions often utilize the generalities of words instead of their specifics or substitute superordinate terms for their respective hyponyms, all while avoiding the use of offensive words. For instance, people referred to the “atomic bombs” during the Hiroshima attack as “the gadget,” “the device,” or simply “the things.”

Related Studies


Euphemisms are an essential part of political speeches, but limited studies specifically examine how American presidents employ them. Samoskait (2011) discovered that the use of metaphorical euphemisms and compound structures is prevalent. Yaseen and Wahid (2012) highlighted President

Obama's use of euphemisms in his references to combat missions. In the same vein, Xu (2010) found war, human, and journey metaphors in the six inaugural addresses of American presidents, which were able to spice up political discourses.

According to the available literature, using euphemisms in language is a face-saving strategy rather than a choice. A study done by McGlone and Batchelor (2003) also suggests that these expressions are socially constructed towards maintaining face. This goes against Orwell (1946) who believes that figurative language must be minimized. As pointed out by scholars, such as Lakoff, Leech, Brown, and Levinson (as cited in Eliecer, 2005), conflicts can be avoided by the use of euphemisms especially in speech situations whereby command or direct request is made. In light of the aforementioned, this literature review emphasizes the use of euphemisms in political speeches as a strategy for influencing the audience and gaining control over them. This study employs BurrIDGE's (2012) model to categorize the six core functions of euphemisms.

Methodology

Textual analysis is a qualitative approach, for it is concerned with particular properties of texts and is usually accompanied by quantitative analysis, a branch of corpus linguistics (Fairclough, 2006). Kakulu (2014) centers qualitative research on the inductive mode of reasoning, aiming to expand knowledge on specific events or phenomena experienced by individuals or groups. Rucker (2016) indicates that thematic content analysis is one of the most used qualitative techniques for analysis, where a researcher iteratively reads and labels a text, interprets information, searches for themes, and constructs a holistic story. Using a descriptive approach, this article detailed Bush's eight speeches on the US-Iraq war, paying particular attention to the euphemisms he used. We coded the speeches using R. W. Holder's Dictionary of Euphemisms and Rawson's Dictionary of Euphemisms and Other Doubletalk, then ran frequency counts in AntConc



(version 3.5.7), and presented results in Tables 1–8 (see Appendix A). Through comparison and correlation of the frequencies and functions of the euphemisms, the study sought to explain the impact of the use of euphemisms on the perceptions of people in particular situations, helping understand the guidelines for crafting appropriate speeches, enhance the awareness of the audience, and explain what makes some political speeches compelling.

Results and Discussion

The analysis of Bush's speeches reveals a consistent use of euphemistic expressions to protect public image, avoid negative emotional responses, and conceal true intentions, highlighting the strong relationship between language and power.

March 17, 2003

In the March 17 address, President Bush presented his ultimatum as an attempt to bring peacemaking and legitimacy to military action while claiming all other avenues had been pursued. To mitigate the full description of war, he depicted U.S. forces as reluctant enforcers instead of aggressors (Bush, 2003a).

"Saddam Hussein and his sons must leave Iraq within 48 hours. Their refusal to do so will lead to military conflict..." (Bush, 2003a)

March 19, 2003

Bush framed the decision to use force as the very last option taken only after countless disarmament attempts through peaceful measures. He referred to earlier operations collectively as peaceful efforts, claimed authority to act despite UN objections, and held out the promise of a coming liberation to obscure the reality of invasion (Bush, 2003b).

May 1, 2003

Opening with the declaration that “major combat operations have ended,” Bush argued that defeating America’s enemies was essential for peace and freedom, a simplification that masked underlying strategic motives. He recast the invasion as a liberation, then shifted focus to rebuilding—highlighting hospital and school construction as correcting Saddam Hussein’s neglect (Bush, 2003c).

“Major combat operations in Iraq have ended.” (Bush, 2003c)

December 14, 2003

Announcing Saddam Hussein’s capture, Bush asserted that coalition forces were restoring Iraqi sovereignty, dignity, and opportunity for a better life—using language of hope and freedom to downplay the occupation. He repeatedly invoked liberty to soften the occupation’s harsh realities and called on Americans to stand united in an ongoing struggle (Bush, 2003d).

June 28, 2005

Without mentioning UN approval, Bush described U.S. actions as taking the fight to terrorists and assisting Iraqis in building a free nation. He spoke of training Iraqi security forces, improving infrastructure, and hunting down terrorists—all under the banner of liberation and progress rather than invasion (Bush, 2005).

March 19, 2006

On the third anniversary, Bush praised Iraq’s reconstruction progress and argued that victory would secure America’s safety and lay groundwork for future peace, employing liberation language to obscure the continued military presence (Bush, 2006a).

June 13, 2006

Bush characterized U.S. goals in Iraq as a broader mission rather than war, invoking a grateful nation to rally support and framing troops as partners in advancing freedom and peace (Bush, 2006b).

March 19, 2008

Marking the war's fifth anniversary, Bush again described the campaign as a liberation initiative and foundation-building effort for peace—despite ongoing occupation—and reaffirmed his protective mission in the post-9/11 era (Bush, 2008).

Quantitative Presentation of Data

Protective Euphemism

	casualties	loved ones	Loss	sacrifice(s)
S1 March 17, 2003				1
S2 March 19, 2003		1		1
S3 May 1, 2003	1	1	1	1
S4 Dec14 2003	1			
S5 June 28, 2005		1	2	2
S6 March 19, 2006				
S7 June 13, 2006				5
S8 March 19, 2008		1		1

Table 1 Victims to Shield & to Avoid Offense

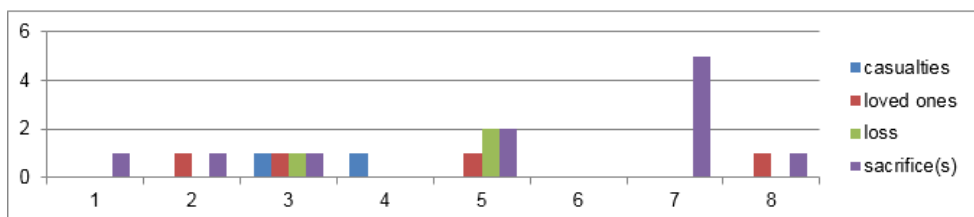


Figure 1 Victims to Shield and to Avoid Offense

Figure 1 and Graph 1 illustrate Bush's reliance on euphemistic expressions to mitigate the impact of sensitive subjects and avoid causing offense. In his third speech, delivered on May 1, 2003, he employed terms such as "casualties," "loved ones," "loss," and "sacrifices." Similarly, in his fifth speech on June 28, 2005, he used euphemisms like "sacrifices," "loss," and "loved ones." Notably, in his seventh speech on March 19, 2008, Bush reiterated the term "sacrifices" five times.

Victims to Reveal and Inspire

	S1 March 17, 2003	S2 March 19, 2003	S3 May 1, 2003	S4 Dec14 2003	S5 June 28, 2005	S6 March 19, 2006	S7 June 13, 2006	S8 March 19, 2008
people	10	7	5	4	13	1	24	11
civilians		1	2				1	3
citizens	1	3	1	2	4	1	1	1
innocent	2	3	3	1	4		1	4
free Iraq	1		1	1	1		4	4
free nation	3		1					2
troubled world		1						
our country	3				1	1	1	
nation	3	3	9	1	11	1	2	5
free societies					1			1
civilized world			2					
not making the journey home			1					
depart/ed	1							
no homecoming			1					
remains								1

Table 2 Victims to Reveal and Inspire

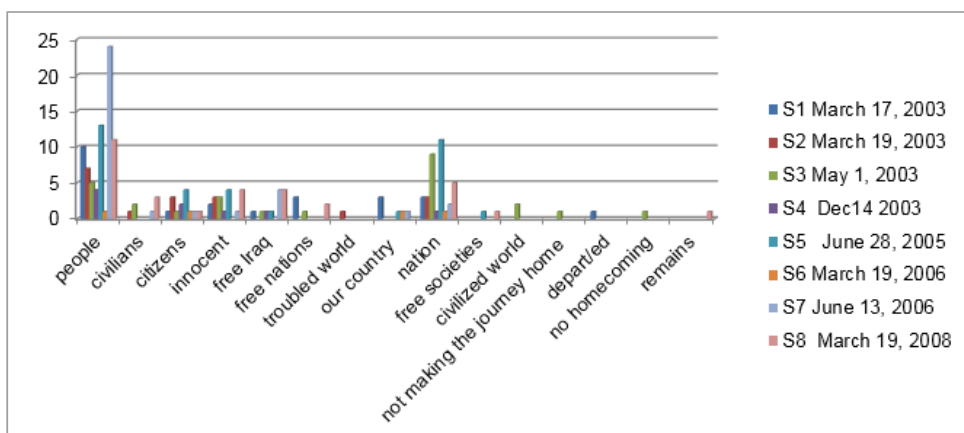


Figure 2 Victim to Reveal and Inspire

Table 2 and Figure 2 present the frequency of victim-focused euphemisms across Bush's eight Iraq-War speeches. Bush employed euphemistic expressions to depict the primary victims as "people" and "civilians" forced to live in a troubled world, unable to return home due to the actions of a villainous dictator. The term "people" was used 75 times, "nation" 35 times, and "citizens" 14 times. By framing the Iraqis as victims, Bush strongly urged the attack on Iraq, attempting to justify the war. The use of the term "citizens," which is synonymous with "people," achieves a similar effect but with a focus on legal rights, emphasizing the people's right to live in a free country. Additionally, the term "innocent" was frequently employed to portray the victims in Iraq, emphasizing them as part of a "free Iraq." Euphemistically, Bush implies that those who have chosen to resist their regime are already somewhat free, even though this may not be the case.

Military Solidarity to Define the Gang

	men and women	men and women in uniform	servicemen & women	deployment/ deployed/ re-deploy	timetable	personnel	Intelligence
S1 March 17, 2003	1					1	3
S2 March 19, 2003	1			1			1
S3 May 1, 2003	4		1	2			2
S4 Dec14 2003	2		1				1
S5 June 28, 2005	6		1		1	1	2
S6 March 19, 2006		2					
S7 June 13, 2006				1			1
S8 March 19, 2008	8	1		1			

Table 3 Military Solidarity to Define the Gang

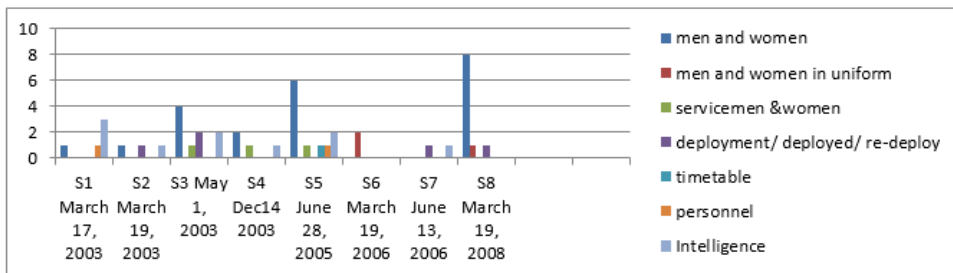


Figure 3 Military Solidarity to Define the Gang

Table 3 and Figure 3 reveal Bush's use of military terminology: the phrase "men and women" appears 22 times, "men and women in uniform" 3 times, "servicemen and women" 3 times, "deployed" 5 times, and "intelligence" 10 times. These expressions are strategically employed to enhance face-saving measures and create a camouflage-like effect, making these terms more readily accepted by the audience on a cognitive level.

Mystify and Misrepresent

	S1 March 17, 2003	S2 March 19, 2003	S3 May 1, 2003	S4 Dec14 2003	S5 June 28, 2005	S6 March 19, 2006	S7 June 13, 2006	S8 March 19, 2008
protect/ ing	2		1		3		1	2
defend/ing	1	3	3		11			1
free/ freedom	6	4	17	4	33		12	11
liberate/ liberated		1			1		1	3
liberation	1		2		2	2		1
liberty	3		4	2	2		3	5
Peace	5	3	2		3	1	4	1
Safety	2	1						
Victory	1	1				2		1
help/ing	1		2		14	1	6	6
rebuild/ ing			1		3			
build/ ing	1			1	5			2
restore control		1						
Security	4		1	1	14			
secure/ securing			2		3	1	2	
Stable		1			2			
Respect		1			1		4	
Reconstructing			1					
bringing order			1					

better life– the world is better – United States of America is safer	1	1	1	2				
democracy		1		5	1		3	
democratic				5				
Stable	1			2				
stability				1				
encourage				1				
govern itself				1				
sustain itself				1				
peaceful/ peacefully	6	1						
new Iraq	1		1	1				
patient and honorable efforts	1							
Prosperous	1							
avoid war/ without war	2							
diplomacy	2	1						
United	1							
law enforcement		1						
message of hope		1						
justice		2	1	1		2	1	
sovereignty			1	2				
Dignity			1			3		
Rights				2		2		
Prosperity				1				
Hope		2	1	2		1	2	
Tolerance				1				
Rescued							1	

Table 4 Mystify and Misrepresent

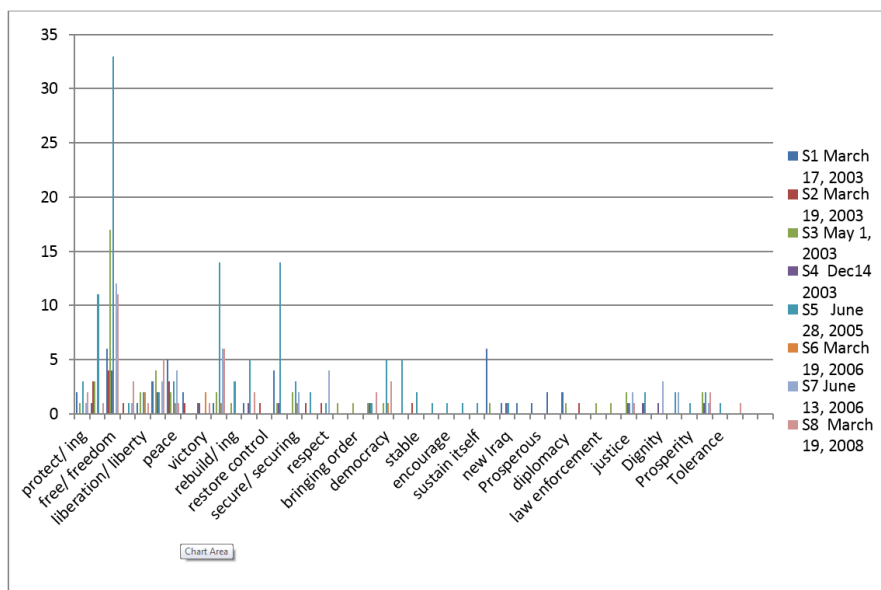


Figure 4 Mystify and Misrepresent

Table 4 and Figure 4 illustrate the euphemistic expressions Bush employed to mystify and misrepresent the true nature of the attacks, portraying them as ultimately aimed at achieving “freedom” and “liberty,” which the United States is depicted as guaranteeing. To justify the war, Bush repeatedly used terms such as “protecting,” “defending,” “freedom,” “liberty,” “peace,” and “safety.” Notably, the term “peace” was used 19 times, “freedom” occurred 87 times, and “liberty” appeared 19 times across his eight selected speeches. The use of these euphemistic terms serves to evoke an idealized image of peace, potentially triggering positive emotions among the public and aiding Bush’s administration in justifying the war. Similarly, by emphasizing “protecting” and “defending,” Bush conveys a strong sense of determination and readiness to safeguard victims.

To Talk up & Inflate

	S1 March 17, 2003	S2 March 19, 2003	S3 May 1, 2003	S4 Dec14 2003	S5 June 28, 2005	S6 March 19, 2006	S7 June 13, 2006	S8 March 19, 2008
Security Council	7							
sovereign authority	1							
Commander	1		1		3			1
The Department of Homeland Security	1							
share the honor		1						
Admiral			1					2
swiftest advance			1					
celebrating Iraqis			1					
Corporal			1					
unprecedented measures			1					
highest calling of history			1					
Coalition	3	4	6	2	11		1	5
welcomed our troops			1					
celebrating Iraqis			1					
General			1		1		1	4
President					1			
Defense Department								1
Ambassador						3		3
Chiefs								1
Sergeant								3
Captain			1					
medal of honor								1
Deputy Secretary								1
The Department of Defense					1			
Ministries of Interior and Defense					1			

Table 5 Talk up & Inflate

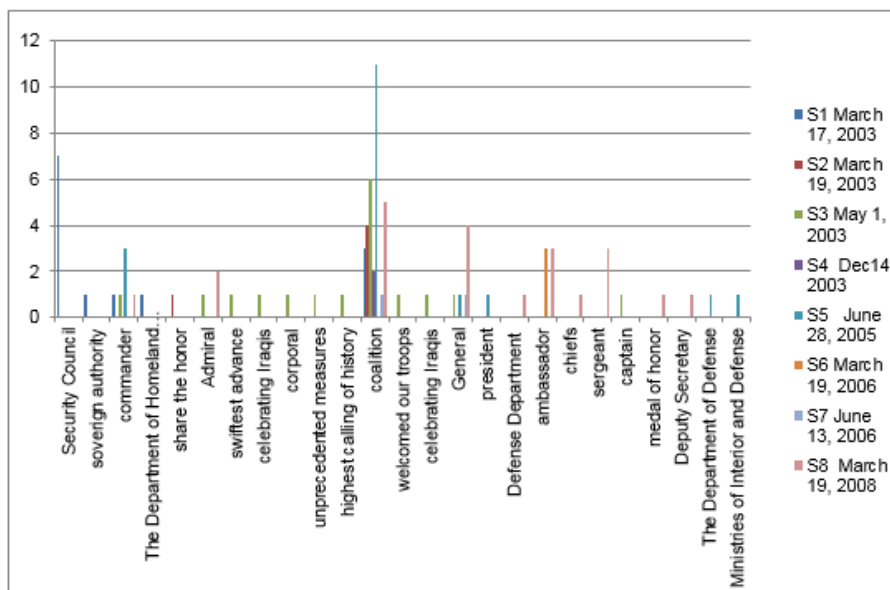


Figure 5 Talk up and Inflate

Table 5 and Figure 5 illustrate Bush’s use of euphemistic expressions to enhance and elevate specific ideas. Terms like “Security Council,” “commander,” and “coalition” are strategically employed to evoke public approval and reframe controversial concepts in a more positive light. By referring to military actions as part of a “coalition,” Bush aimed to create a sense of grandeur and acceptability. This tactic aligns with professional jargon that dignifies roles, like calling a “secretary” an “administrative assistant.” Such language not only aims to confer prestige on the speaker but also to obscure meaning and potentially intimidate the audience.

To Reveal and Inspire

	enemy/ enemies	regime/s	Saddam/ Hussein	Bin Laden	Fedayeen	Baathist	Taliban	Al Qaeda/ Al Qaida	dictator/s- dictatorship
S1 March 17, 2003	3	8	9					1	4
S2 March 19, 2003	2	1	2						
S3 May 1, 2003	7	6					1	4	2
S4 Dec14 2003		1	3			1			
S5 June 28, 2005	12	3	2	2			1	1	
S6 March 19, 2006									
S7 June 13, 2006	3		3						
S8 March 19, 2008	16	8	12	2	1			14	

Table 6 Villain to Reveal and Inspire

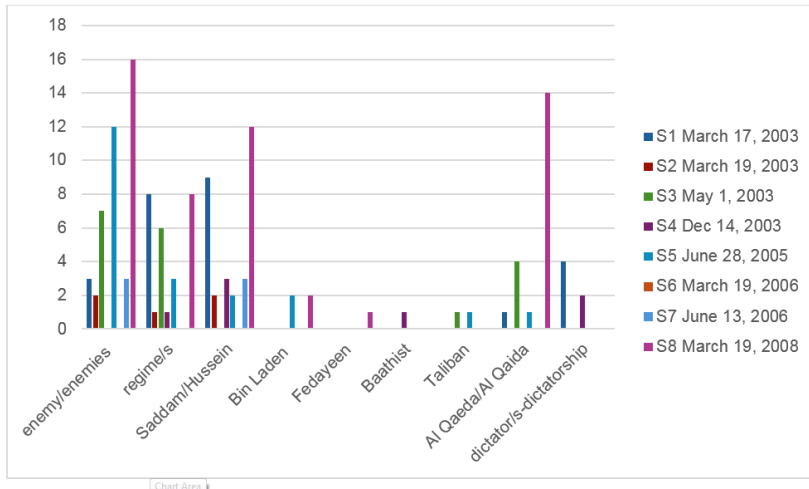


Figure 6 Villain to Reveal and Inspire

Figure 6 and table 6 reveal how Bush employs euphemistic expressions to portray America’s enemies, focusing on the Iraqi regime under President Saddam Hussein. He depersonalizes the enemy, increasing his urgency to strike. This intimidates the American public, reinforcing the connection between emotional stress and action. The intimidated public may accept Bush’s policies due to their inability to reason clearly.

War is Business to Reveal and Inspire

	effort/s	cost/s/ costly	job	work/ing/s	noble cause	mission	duty	service	accomplishment (s)
S1 March 17, 2003	2	1		3		1	2		
S2 March 19, 2003	1			2			1		
S3 May 1, 2003	1		1	5	1	2	1	1	1
S4 Dec14 2003	1			2		1			
S5 June 28, 2005	5		2	11		10	1	3	
S6 March 19, 2006				1					
S7 June 13, 2006	1		5	10		2	1	2	
S8 March 19, 2008	3	6	2	4		3			2

Table 7 War is Business

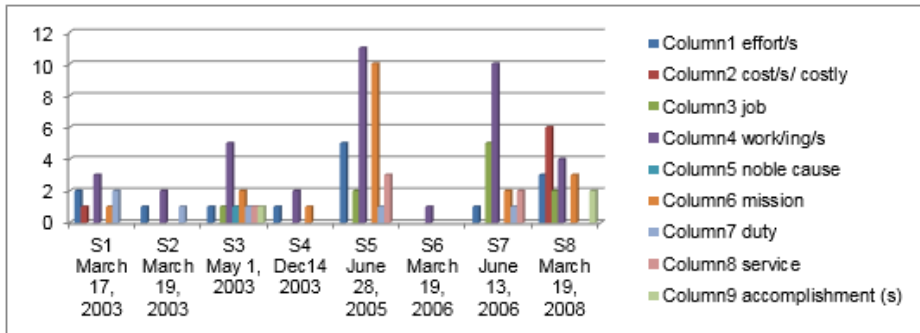


Figure 7 War is Business

Table 7 and Figure 7 portray Bush's view of the war as a challenging task, emphasizing the need for personal involvement and energy, potentially presenting certain administrations as diligent and reliable.

War to Mystify and Misrepresent

	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8
act/ed/ ing/ action/ inaction	10		2	1	1		4	10
conflict	4	3	1		1			
struggle					1		1	2
Operation(s)- Operation Iraqi Freedom	1	1	3	2	9			7
confront(ed)- confrontation	2	1	1		1			
force	3	1	1		3			
decision	1							2
offense			1		1		1	1
serve (d)/ ing		2	1	1	3	1		6
defense- self defense	1	1						
cause			4		2	2		1
fearful/ serious consequences	2							1
campaign	1	3	1		2			3

Table 8 War to Mystify and Misrepresent

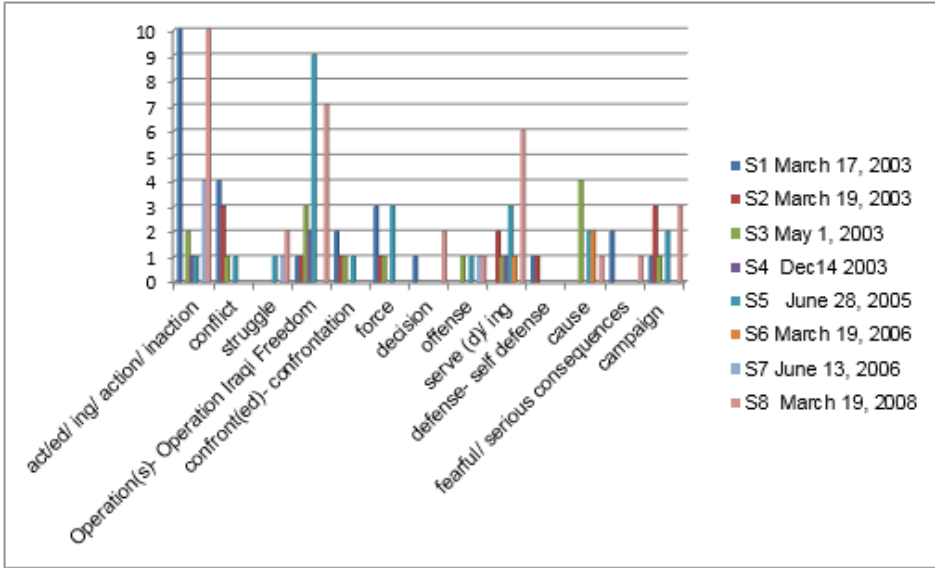


Figure 8 War to Mystify and Misrepresent

Figure 8 and table 8 reveal how Bush uses euphemistic expressions to misrepresent war, using terms like “action,” “operation,” “confrontation,” “defense,” and “self–defense.” He argues that the United States, as a leader promoting peace and harmony, should wage war against those threatening America’s security, as it is responsible for granting these values to other nations.

Total Euphemistic Numbers

Type of Euphemism	Frequency
victims to shield	20
victims to reveal and inspire	146
solidarity to define the gang	46
mystify and misrepresent	330
talk up and inflate	84
villain to reveal	135
war is business	99

Table 9 Total Euphemistic Numbers

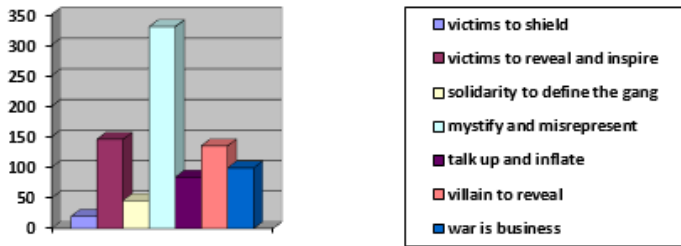


Figure 9 Total Euphemistic Numbers

Table 9 and Figure 9 demonstrate that Bush primarily used euphemistic expressions to mystify and misrepresent reality, framing military invasions as acts of freedom and war as danger removal. The second most frequently employed type of euphemism centers on portraying victims in a way that reveals and inspires, using provocative language. The third category involves casting President Saddam Hussein as a villain, using terms like “murderer,” “dictator,” “killer,” and “abuser.” Fourth, euphemisms depict war as a business endeavor. Fifth, expressions that talk up and inflate achievements are common. Sixth, euphemisms of solidarity—terms like “men and women in uniform” and “coalition”—help define the in-group. Lastly, euphemisms referencing victims serve to shield the audience from offense.

Conclusion

This study focused on euphemisms in George Bush’s warfare speeches from 2003 to 2008, to understand their effectiveness in achieving control and power. Euphemism was found to be a method in which harsh or contentious words would be substituted by softer and more gentle words, so that a message can be put across with minimal explosive reactions. The findings indicate that Bush’s use of language aligns with foreign policy and holds significant implications for linguistic, social, and political sciences.

Euphemistic expressions were shown to avoid disagreeable terms, el-

evate status, soften reality, distort facts, deceive, and support propaganda efforts. The study demonstrated that political discourse often constructs favorable messages through indirect language, hence emphasizing the need for public awareness of potential political motives. With access to the resources of knowledge and belief, and the media, Bush created the perception he wished the public to embrace. Effective persuasion requires speakers to align their ethics and reasoning with their audience's beliefs, reinforcing the power holder's agenda.

Overall, the results support previous research, emphasizing the power of language in shaping interpretation and the strategic use of euphemisms to maintain face and mislead the audience intentionally.

References


1. Allan, K., & Burridge, K. (2006). **Forbidden words: Taboo and the censoring of language**. Cambridge University Press.
2. Bakhtiar, M. (2012). Communicative functions of euphemisms in Persian. **The Journal of International Social Research**, 5(20), 7–12. Retrieved from http://www.sosyalarastirmalar.com/cilt5/cilt5sayi20_pdf/1_dil_edebiyat/BAKHTIAR_Mohsen.pdf
3. Blount, T. (1656). **Glossographia, or a dictionary interpreting hard words**.
4. Bostdorff, D. M. (2011). Epideictic rhetoric in the service of war: George W. Bush on Iraq and the 60th anniversary of the victory over Japan. **Communication Monographs**, 78(3), 296–323. <https://doi.org/10.1080/03637751.2011.589458>
5. Burridge, K. (2012). **Weeds in the garden of words: Further observations on the tangled history of English euphemism**. Macmillan.
6. Caldas-Coulthard, C., & Coulthard, M. (Eds.). (2003). **Texts and practices: Readings in critical discourse analysis**. Routledge.
7. Eliecer, C. F. (2005). Euphemistic strategies in politeness and face concerns. **Pragmatics**, 15(2), 169–196. Retrieved from <http://revistas.uca.es/index.php/pragma/article/download/116/127>
8. Fairclough, N. (2006). **Analysing discourse: Textual analysis for social research** (2nd ed.). Routledge.
9. Fionan, M. (2009). On features of English euphemism. **Studia Anglica Posnaniensia**, 44, 1–7.
10. Holder, R. W. (2008). **Dictionary of euphemisms and other doubletalk**. Crown.
11. Kakulu, I. I. (2014). Qualitative research strategies and data analysis

- methods in real estate research: An innovative approach using the BB model. **Journal of Real Estate Literature**, 22(1), 89–110.
12. Kellner, D. (2003). Preemptive strikes and the war on Iraq: A critique of Bush administration unilateralism and militarism. **New Political Science**, 417–440.
 13. Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). **Metaphors we live by**. University of Chicago Press.
 14. Lutz, W. (1993). Doubts and doublespeak. In G. Goshgarian (Ed.), **Exploring language** (8th ed., pp. 194–205). Addison–Wesley.
 15. McGlone, M. S., & Batchelor, J. A. (2003). Looking out for number one: Euphemism and face. **Journal of Communication**, 53(2), 251–264.
 16. Mwanambuyu, C. L. (2011). **A socio–pragmatic analysis of Silozi euphemisms** (Master’s thesis). University of Zambia.
 17. Orwell, G. (1946). Politics and the English language. In G. Goshgarian (Ed.), **Exploring language** (8th ed., pp. 194–205). Addison–Wesley.
 18. Orwell, G. (1968). Politics and the English language. **College Composition and Communication**, 19(3), 127–140.
 19. Pan, Q. (2013). A tentative study on the functions and applications of English euphemism. **Theory and Practice in Language Studies**, 3(11), 2107–2111.
 20. Rababah, H. A. (2014). The translatability and use of x–phemism expressions (x–phemization) in the medical discourse. **International Journal of Applied Linguistics & English Literature**, 3(9), 1–12.
 21. Radulovic, M. (2012). Expressing values in positive and negative euphemisms. **Facta Universitatis, Series: Linguistics and Literature**, 10(1), 19–28.
 22. Radulovic, M. (2017). Euphemisms through time: The rhetorical power

- of palliation. **Facta Universitatis, Series: Linguistics and Literature**, 15(3), 173–190. <https://doi.org/10.22190/full1602173r>
23. Rawson, H. (1981). **A dictionary of euphemisms and other doubletalk: Being a compilation of linguistic leaves and verbal flourishes for artful users of the English language**. Crown.
 24. Rucker, M. (2016). 3 straightforward methods for analyzing qualitative interview data. Retrieved from <https://www.qualres.org/HomeKaus-3609.html>
 25. Samoskait, L. (2011). **21st century political euphemisms in English newspapers: Semantic and structural study** (Master's thesis). Vytautas Magnus University.
 26. Van Dijk, T. A. (1993). **Principles of critical discourse analysis**. *Discourse & Society*, 4(2), 249–283.
 27. Wang, M. (2013). Corpus analysis of English euphemism in college English. **English Language Teaching**, 6(8), 156–161. <https://doi.org/10.5539/elt.v6n8p156>
 28. Wodak, R. (2009). **The discourse of politics in action: Politics as usual**. Palgrave Macmillan.
 29. Xiao-Yan, W. (2014). An analysis of the euphemisms in a press conference in the light of politeness principle. **Theory and Practice in Language Studies**, 4(3), 219–222. <https://doi.org/10.4304/tpls.4.3.219-222>
 30. Xu, J. (2010). A study on conceptual metaphors in presidential inaugural speeches. **Studies in Language and Culture**, 3(1), 1–12.
 31. Yaseen, H., & Wahid, A. (2012). Exploring the use of euphemisms in some speeches of President Obama: A pragmatic study. **International Journal of English and Literature**, 3(4), 93–99.
 32. Yule, G. (1996). **The study of language** (2nd ed.). Cambridge

University Press.

33. Zarifovna, R. N. (2021). The viewpoint to the study of euphemisms in different languages and epochs. **Academicia: An International Multidisciplinary Research Journal**, 11(2), 1600–1605. <https://doi.org/10.5958/2249-7137.2021.00558.9>
34. Zhao, X., & Dong, J. (2010). Study on the features of English political euphemism and its social functions. **English Language Teaching**, 3(2), 123–128.
35. **George W. Bush Speeches**
36. Bush, G. W. (2003a, March 17). **President says Saddam Hussein must leave Iraq within 48 hours** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2003/03/20030317-7.html>
37. Bush, G. W. (2003b, March 19). **Address to the nation on Iraq** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2003/03/20030319-17.html>
38. Bush, G. W. (2003c, May 1). **President Bush announces major combat operations in Iraq have ended** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2003/05/20030501-15.html>
39. Bush, G. W. (2003d, December 14). **President Bush discusses capture of Saddam Hussein** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2003/12/20031214-3.html>
40. Bush, G. W. (2005, June 28). **President addresses nation, discusses Iraq, war on terror** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2005/06/20050628-7.html>

- 
41. Bush, G. W. (2006a, March 19). **President Bush marks third anniversary of Operation Iraqi Freedom** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2006/03/20060319-6.html>
 42. Bush, G. W. (2006b, June 13). **President Bush makes surprise visit to Iraq, meets with Prime Minister Maliki in Baghdad** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2006/06/20060613.html>
 43. Bush, G. W. (2008, March 19). **President Bush discusses global war on terror** [Speech transcript]. The White House. <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2008/03/20080319-2.html>

Les mesures de la démesure dans L'interdit de Joumana Mouawad

مقاييس اللامقياس في المحرّم لجمانة معوض

Dr Marie L. Henri Manassa

د. ماري هنري منيسا

تاريخ الاستلام 2025 / 9 / 8 تاريخ القبول 2025/10/10

La blessure ne peut (ne doit avoir) qu'un seul nom propre. Je reconnais que je t'aime à ceci : tu laisses en moi une blessure que je ne veux pas remplacer. Il y a des choses comme des miroirs d'eau, et des images, une référence infinie de l'une à l'autre, mais plus de source, de source. (Derrida, 1997)

Résumé


Cet article expose l'apport philosophique à l'étude des rapports sexuels où se joue et se déjoue l'existence ; retrace le parcours théorique menant à la découverte phénoménologique de la notion du « toucher » (J-L. Nancy) ; propose une lecture déconstructionniste de Romy, personnage liminaire de L'interdit (2023) et enfin délimite et étaye le concept déconstructif de sexistence en formulant quelques réflexions définitoires.

Mots-clés : personnage liminaire- toucher- excès- narcissisme- transcendence.

الملخص

يبرز هذا المقال الإسهام الفلسفي في دراسة العلاقات الجنسية، حيث يتجلى الوجود وينهار في آن معاً. كما يرسم المسار النظري الذي يرمي إلى الاكتشاف الفينومينولوجي لمفهوم اللمس (عند جان-لوك نانسي)، ويقترح قراءة تفصيلية لشخصية رومي، الشخصية المحورية في رواية المحرّم (2003)، ثم يحدّد ويعزّز مفهوم «الوجود الجنسي المدمر» من خلال صياغة بعض التأمّلات التعريفية.

الكلمات المفتاحية: محورية - اللمس - الإفراط - النرجسية - شخصية - السمو.




Si les épreuves du Liban actuel ont alerté les écrivains des temps modernes, il n'est pas étonnant que Joumana Mouawad, journaliste libanaise, tente de se mêler au monde des Lettres et publie, en 2023, dans les éditions Vérone, un roman intitulé *L'interdit* (2023) nourri de dix-sept chapitres qui feront l'objet du vécu passionnel secret de Romy et Yvan à Beyrouth, mais également des répercussions tragiques et dévastatrices de l'explosion catastrophique du port sur la vie des habitants de la capitale. De fait, nous pouvons dire que le départ est vraiment donné, et les études sur le fond monstrueux et effroyable d'une ville désormais éteinte se multiplient. Cependant, l'intérêt que présentent ces pages est inégal. Cette fois, il ne s'agit pas en fait d'une réflexion pessimiste sur le mal de vivre, de la « difficulté d'être » (Cocteau, 1947) ¹ ou de la « vie à l'envers » (Bakhtine, 1970, p.180) selon une expression significative de Bakhtine, qui prend une telle ampleur de notre temps, mais de la richesse singulière d'un récit copieux (près de cent soixante pages) qui dépasse le cadre des modestes œuvres pour rendre hommage à l'amour qui transcende les défis géopolitiques et tente de reconnaître sa capacité « à résister aux tempêtes de la vie et à offrir un contrepoint à l'instabilité et à la douleur. » (Février, 2024)

Dès lors, nous ne pouvons manquer de porter à l'amour une attention toute particulière. L'amour témoigne d'une certaine façon d'être au monde. Toujours vivace au cours de l'histoire des hommes, l'amour pose maints problèmes à celui qui l'aborde et souhaite en parler de façon authentique. Dans ce sens, la dérive qu'il révèle en les protagonistes implique-t-elle une regrettable faiblesse ? ou au contraire un besoin d'autre chose, qui est peut-être signe de grandeur ?

De fait, un geste philosophique majeur de ce phénomène fut tenté par Jacques Derrida, l'une des figures les plus marquantes de la philosophie contemporaine. Ses analyses permettent de rencontrer une nouvelle méthode philosophique, la déconstruction, qui évoque le bouleversement

(1)– La difficulté d'être ; Titre d'un livre de Jean Cocteau, 1947.

qui déjoue et dérange « les identifications trop bien assurées du destin. » (Guibal, 2002, p. 361) Il s'agit pour Derrida, comme il l'écrit dans Points de suspension (1992), « de cette écriture pensante, de cette inspiration secrète » (Derrida, 1992, p.365) qui réinvente l'homme animé d'une sorte de « passion aporétique » (Derrida, 1972, p.25) qui le tourmente. Il est d'ailleurs intéressant de constater que Joumana Mouawad renoue très nettement dans L'interdit (2023) avec la pensée de Derrida. L'être– dans– le–monde, selon une expression chère à Heidegger, ce n'est pas répondre à l'étrange plaisir de souffrir qui travaille les protagonistes de L'interdit (2023) de l'intérieur et les emporte hors d'eux-mêmes, dans une sorte de « dérive indéfinie » (Derrida, 1967, p.116), c'est au contraire se réinventer ou se réattester à travers les épreuves, les difficultés, et les souffrances apportées par la passion d'une vie déchirée. Ou encore : « la possibilité de l'impossible » (Derrida, 2002, p.20–21), selon un terme cher à Derrida, qui leur permet de s'auto-dépasser ou s'auto-déconstruire, autrement dit, de re-commencer tout autrement. Bien d'autres recherches, bien d'autres directions, bien d'autres classements pourraient être envisagés. Les interprétations phénoménologiques de Jean-Luc Nancy, auxquelles nous nous sommes référées, correspondent exactement à « ces mécanismes de sortie de soi » (Premat, 2021, p. 3) et montrent excellemment par le biais de la « déconstruction du sexe » (Premat, 2021, p. 1) les modalités de la sexistence : il s'agit donc bien là de ce que Nancy nomme « un état de coexistence des êtres dans les relations de type sexuel » (Nancy, 2017, pp.22–24) parce que seule la sexistence invite « les protagonistes à « partager l'impartageable » (Nancy, 2017, p.67), comme il l'écrit dans Sexistence (2017) ; son but est donc à la fois intime, établir un contrat de proximité hors normes, et social, en le faisant par des voies sociales. En faisant ainsi jouer l'une avec l'autre, la démarche philosophique et l'analyse phénoménologique, nous avons voulu donner un contenu sans pareil à l'œuvre de Mouawad en insistant là sur l'importance que nous accorderons à ce type singulier de protagonistes problématiques ou



encore « liminaires » (Scarpa, 2009, pp. 25–35), selon un terme cher à Marie Scarpa, que le monde exige de leur part un perpétuel combat pour modifier la trajectoire de leur vie, et d’essayer alors, mais alors seulement d’avancer sur des chemins plus lumineux d’une nouvelle vie.

Il est temps pour nous d’analyser les parties et les chapitres de *L’interdit* (2023). Nous les avons en général commentés d’une façon discrète, préférant laisser le plus possible au lecteur une grande liberté d’interprétation. Il nous a semblé ici préférable d’étudier, dans une première partie, les personnages liminaires, c’est-à-dire les personnages qui, comme Romy, sont des mal ou non-initiés¹, « placés simplement au degré ultime de l’échelle du ratage initiatique qu’empruntent tous les personnages du roman moderne » (Scarpa, 2009, p.25), jouent des rôles, se fuient, s’échappent à eux-mêmes pour vivre dans un monde imaginaire, voire impossible, en refusant de regarder la réalité en face. Nous retrouverons ainsi, dans ce roman, des forces qui tourmentent les personnages et les obligent à apercevoir « l’amour cannibale » (Cixous, 2004, p.30) qui se retourne contre eux et les étreint ; ces forces que nous analyserons dans la deuxième partie du présent article. Nous essayerons donc d’approfondir, à partir de cette œuvre, le problème complexe « de l’automordillement de l’esprit dans son intimité », comme l’écrit Cixous dans *Ecrire d’une main sauvage*. » (Cixous, 2004, p.30) Un tel effort s’inscrit incontestablement dans cette ambition de cacher/ montrer qui pourrait faire de ce petit article un passeur pour les autres.

I. La possibilité de l’impossible

Entre Être avec ou Être

L’expérience de l’autre a toujours joué un rôle considérable dans la pensée derridienne, alors que son importance était très secondaire dans la philosophie classique. C’est au déconstructionnisme que nous devons d’avoir retrouvé un thème fondamental, où l’individu se découvre à travers

(1)– Nous donnerons à l’initiation une acceptation strictement anthropologique.

l'autre dans le cadre d'une « rencontre altérante, rendue possible par la distance-à-soi qui affecte et ouvre d'origine toute signification finie. » (Guibal, 2002, p.363) Quand Derrida, en 1967, publiait sa fameuse étude L'Écriture et la différence, il met heureusement en relief, dans ce livre, le processus de « débordement réciproque » (Derrida, 1967, p.124) dans les rapports vécus dans une atmosphère d'« hospitalité » (Derrida, 1967, p.167) où « l'autre est déjà entré, même s'il n'est pas invité. » (Derrida, 2004, p.28)

Le récit de L'interdit (2023) est, à bien des égards, l'expérience surprenante de l'absolument autre, qui prend ici un relief exceptionnel. Rien d'étonnant si l'année 2017 « était bien l'année de leur rencontre manœuvrée par le destin, une année gravée à tout jamais dans leurs esprits marqués par des cicatrices émotionnelles. » (Mouawad, 2023, p.13) Il y a bien Romy, la femme-fille « qui refusait l'attitude beaucoup trop sérieuse dans ses comportements et dans ceux de son entourage » (Mouawad, 2023, p.17), et lui, Yvan qui était « l'interdit, le secret, la passion, l'amour qu'elle avait tant désiré. » (Mouawad, 2023, p.13) Ce serait là, sans doute, le récit exemplaire dans lequel s'inscrit le « héros problématique » ¹dont parle Lukacs, ses péripéties semées de déceptions et d'épreuves brutales nous proposent de lire la trajectoire narrative de la jeune héroïne en termes d'initiation. Le dernier passage de L'interdit (2023) raconte bien le modèle liminaire, celui des transformations et épreuves où Romy à travers l'expérience de l'altérité joue la construction de son identité.

[...] Elle devra apprendre à aimer un autre, mais lui, lui, c'était l'Amour.

Ce secret, elle l'avait bien gardé. Elle ne désirait que vivre le moment, mais son lendemain s'est étalé sur des années d'amour, de retrouvailles et de rejets à la fois.

Restera de lui une trace Indélébile, un amour passionnel cicatrisé à

(1)– Lukacs, G. (1989). La théorie du roman. Paris: Gallimard.



jamais.

Finalement, tout s'oublie avec le temps, mais ce qui perdure, ce sont les souvenirs d'une passion.

Juin 2022

Ils se sont donné rendez-vous autour d'un café.... (Mouawad, 2023, pp.159-160)

Il nous faut en effet remarquer que l'exception à la règle constitutive du destin de Romy, compose le matériau dramatique de la fiction de Mouawad. Tout se passe comme si la protagoniste, abandonnée sans restriction hors « des ornières habituelles » (Scarpa, 2000, p.304) mène une « vie à l'envers » (Bakhtine, 1970, p.180) qui s'achève ainsi progressivement noyée dans un flot de désordre et d'anomalies qu'archive le roman moderne (Verdier, 1995, p.162) que le lecteur a peine à dominer sans migraine. Nous ne pouvons que nous décevoir sur un point qui complique le roman et l'alourdit. C'est en faisant référence à son histoire tragique que s'effectue ce passage de L'interdit (2023)

Engloutie dans ses pensées, Romy reconnaissait ses torts. Ses reproches, son désir de toujours vouloir davantage, mais surtout son tort d'avoir entamé une histoire avec un homme marié. [...] S'investir encore et encore engendrerait une noyade désastreuse et dévastatrice. Il fallait à toute force surmonter les émotions, maîtriser les pulsions du cœur, écarter la nostalgie des moments à deux et prioriser le bon sens. (Mouawad, 2023, p.127)

Il nous semble pourtant indispensable de nuancer ici la déception brutale ; c'est dans le recul, le sacrifice et la soumission que cet « être de travers » (Bakhtine, 1978, p.389) se contente de « s'écarter de cette trajectoire commune installe en soi non la folie temporaire du carnaval, mais celle, définitive, qui signifie aux yeux de tous qu'une des limites de la jeunesse n'a pas été parcourue. » (Fabre, 2000, p.151) Cette affirmation

n'est vraie, en ce qui concerne Romy, que dans l'exacte mesure où elle se boucle dans les phases de « marges sociales » (Van Gennep cité par Bakhtine, 1978, p.389) et comportementales ; c'est son destin même en rupture avec les codes des sociétés qui la met en écart, dans une phase de résistance qui correspond ici « à une revendication de la liminarité, une nécessité et un appel à l'entre-deux. » (Segalen, 1998, p.36) C'est pour cela que notre héroïne se caractérise le mieux par cette ambivalence qui forme d'elle une figure du « non ou mal-initié qui font coexister l'envers et l'endroit d'un même état. » (Scarpa, 2009, p. 29) Il est précieux, malgré tout, de relire ce texte décisif qui met l'accent sur des logiques du liminaire – soit de l'entre-deux, du seuil, de between and betwixt (Ménard, 2017) ou encore du « ratage initiatique » (Scarpa, 2009, p. 34) de cette « étrangère du dedans. » (Fabre et Blanc, 1982, p.147)

Elle allait vers l'interdit, et elle s'est retrouvée déchiquetée en mille morceaux. [...]

Faudra-t-elle prendre du recul ? Lâcher complètement notre relation ? Se contenter de ce statut quo ? Se sacrifier ? Faire de gros efforts ? Se soumettre ? Patienter ? Et patienter pour obtenir quoi au juste ? Yvan était bien clair et ferme par rapport à cette liaison, nullement il ne pourra me procurer ce dont je désire réellement et pourtant j'adhère aux règles du jeu... parce que tout simplement je l'aime... (Mouawad, 2013, p.84)

Rien de plus triste que cette relation où notre personnage liminaire, Romy, fait le détour par Yvan ; et la conclusion du roman ne fait plus de doute, Romy ne parviendra jamais à dépasser ce stade ou à revenir de cette altérité.

Entre renonciation et réappropriation

L'interdit (2023) donne une très grande place au problème de l'autre. Il faut, en effet, éviter l'erreur qui conduit à ne voir dans ce roman qu'un pessimisme intégral dû à la fameuse présentation conflictuelle de la relation

avec autrui. Mais qu'est-ce que l'autre dans *L'interdit* (2023) ? C'est essentiellement un moi qui n'est pas moi, un moi qui se substitue à moi, et qui « m'empêche de voir au dehors » (Derrida, 1978, p.200), écrit ainsi Derrida de manière significative. Derrida invoque d'ailleurs parfaitement dans sa théorie du fantôme ¹ une dialectique spectrale où « tout est laissé en suspens sans résolution, tout est destiné à tourner sans fin du côté de sa propre irrésolution. » (Lippit, 2015, p.106) Un passage de *Dérive du narcissisme* ² éclaire, de manière remarquable, cet art « de laisser revenir les fantômes : c'est advenir à soi-même comme un autre, comme un fantôme en deuxième personne, « toi ». Je m'adresse à moi-même, cet autre soi qui se sépare de moi et me revient, en deuxième personne. Je nomme ce narcissisme « toi ». « Narcissisme à la dérive ». Dans ces fantômes, c'est moi-même que je vois à la dérive. » (Derrida, 1996, p.74) Ce passage n'est vrai, en ce qui concerne *L'interdit* (2023) que dans l'exacte mesure où la protagoniste devient « l'être-en-vie et de l'absence » (Derrida, 2005, pp.219-237) ; c'est qu'elle laisse le fantôme parler pour elle, mais c'est son propre fantôme, dit Derrida, un fantôme qui ne revient qu'à elle.

Une telle analyse est incontestablement vérifiée dans le roman étudié, et nous comprenons que Mouawad ait pu l'illustrer par son personnage principal Romy. Dans certains tableaux débordants d'intimité fusionnelle, Romy cède à son fantôme, lui permettant de la remplacer.

Sans mot dire, œuvrant en silence, sans nulle réplique, elle offrit à ses yeux la danse d'une femme en solitaire, la danse des plus sensuelles, des plus langoureuses, et des plus immorales, la « Danse de Salomé. [...] Les

(1)– Derrida parle de « science du fantôme », là où l'anglais opte de préférence pour une « science of ghosts ».

(2)– Jacques Derrida, « Videor » in *Resolutions : Contemporary Video Practices*, ed. Michael Renov and Erika Suderburg, trans. Peggy Kamuf, Minneapolis, University of Minnesota Press, 1996, p. 74. Les commentaires de Derrida se réfèrent à sa collaboration avec l'artiste vidéo Gary Hill, *Disturbance (among the jars)* (1988). [Titre français : « Dérive du narcissisme ».]

envies et la soif de l'autre montaient entre eux, à distance. » (Mouawad, 2023, p.69)

Cette phrase est la meilleure illustration qu'une deuxième Romy apparaît à partir d'Yvan : c'est en lui, avant lui, qu'elle se découvre elle-même ; qu'elle se retrouve. Il serait impossible, à ce sujet, de s'aveugler à l'égoïsme de Romy qui la retient en otage. Toute proche d'Yvan et infiniment lointaine, dépouillée de toute conscience, elle ouvre la chance à l'irruption de l'incalculable.

Elle triomphait de joie et débordait d'énergie mais se figeait aussi soudainement, à des moments imprévisibles, alarmée, anxieuse à tel point d'avoir les yeux remplis de petites larmes. Ces larmes elles les craignait, elle appréhendait le moment d'une éventuelle séparation par la force des choses, par la force de son statut d'homme marié. Son bonheur serait bien éphémère, cela ne pourra durer éternellement sauf si le destin en décide autrement en faveur d'une tournure indélébile. (Mouawad, 2023, p.63)

Il faudrait revenir à un élément qui, dans l'itinéraire de Romy, représente une forme de déchirure qui jette mystérieusement le trouble et l'exaspération dans son esprit. Il y a les larmes qui blessent dangereusement ses yeux. Que voit Romy à travers ses larmes ? Les larmes, c'est en fait un voile qui l'empêche de voir. A travers elles, elle voit qu'elle ne voit pas. « Les larmes dans les yeux sont aussi des miroirs liquides. Moi-même reflété dans les liquides et les lacérations qui m'empêchent de voir au dehors. » (Lippit, 2015, p.105) C'est là que nous exposons en détail une notion aussi importante dans l'orchestration de la thèse romanesque de Mouawad, il s'agit du narcissisme qui est, selon Derrida, « la condition élémentaire de l'amour. » (Derrida, 2006, p.115) C'est par le narcissisme qu'une série « d'incorporations fantomatiques » (Lawrence, 1991, p.2) s'infinittise et se creuse : « une échopoïèse est à l'œuvre : effet obtenu dans le discours automatique d'écho. » (Lippit, 2015, p.109) Pour Derrida, la répétition d'écho est singulière et intraduisible. Il écrit par exemple dans *Voyous*

(2003) où le thème de l'autre langage d'écho est central : « Ce qui est intraduisible dans l'imitation d'écho, c'est son amour (« ton amour », dit-il à la deuxième personne comme s'il parlait directement à Écho), exprimé dans (au-dedans et à l'intérieur) de la parole d'un autre. (Derrida, 2003, p. 10) D'où la toute – puissance du narcissisme.

Non pas comme expérience du regard, mais comme le discours douloureusement ironique de l'aveu qui mime l'appropriation de l'inappropriable, toi, mon Écho, lorsque tu ruses, comme je le fais, avec le divin interdit, quand tu trompes pour parler en ton nom, et déclarer intraduisiblement ton amour, en faisant semblant de répéter la fin de mes phrases. (Derrida, 2000, p.327)


Autant dire tout de suite que dans L'interdit (2023) Romy parvient « à s'approprier »¹ (Ovide, 1955, p.83) le langage d'Yvan. Les mots utilisés sont très suggestifs « Idem » (Mouawad, 2023, p.48– 62– 84– 121– ...) et « Moi aussi » (Mouawad, 2023, p.129– 146–...) rendent son amour possible en lui permettant d'être elle-même en tant que lui, de s'exprimer dans son langage sans renoncement. Elle parvient, par stratégie, à répéter son langage, à lui répondre, à communiquer avec lui, et par suite à signer par là son propre amour. Elle le découvre pour revenir à la vie. Cette dépossession phonique serait-elle un signe de débordement d'amour ? Ce débordement d'amour parviendrait-il à sa dérive ? Cette chute la conduirait-elle à lui, c'est-à-dire à l'extériorité, l'altérité et le désir absolus ? Et ce grand narcissisme la mènerait-il au bout, à la mort ou selon les termes de Morel, « à tracer des chemins qui n'existent pas » (Morel, 2003, p.203) ?

(1)– À suivre la version qu'Ovide donne de ce mythe, le sort d'Écho lui a été jeté par Junon comme punition pour l'avoir empêchée de prendre Jupiter sur le fait, lorsqu'il est venu à la montagne pour la tromper avec les nymphes. Elle a utilisé, « pour retarder la déesse, un flot sans fin de paroles, tandis que les nymphes fuyaient » (p. 83). La parole d'Écho n'est pas le résultat de sa désincarnation, mais la précède.

II. L'interdit de l'intouchable

1. Entre le désir du Beau et du bien

Avant de pousser plus loin cette analyse en nous attachant plus particulièrement aux « terribles amours » (Platon, 1997, pp.124–125) auxquels s'abandonnaient dangereusement nos deux protagonistes, il est intéressant de développer la réflexion platonicienne de l'amour dont « le mouvement consiste dans le passage par des stades où l'aspect corporel et individuel est progressivement dépassé afin que le sens final, la beauté intouchable, puisse apparaître. » (Platon, 2018, p.157) Ce que Platon dit est confirmé dans la description que Mouawad fait, dans L'interdit (2023), de « l'ordre de l'éros. » (Platon, 2018, p.157) C'est dans une ascension bien ordonnée que Mouawad a exposé avec le plus de clarté la traversée de l'éros qui commence par l'attraction du corps. Elle écrit dans le chapitre deux intitulé La Rencontre : « Romy était entièrement sous le charme d'un être charismatique » (Mouawad, 2023, p.15) ou encore aux yeux d'Yvan « elle avait bel et bien la trentaine passée, mais elle représentait la douceur et la fraîcheur d'une femme d'une femme de douze ans sa cadette. » (Mouawad, 2023, p.14) Cependant, il est intéressant de constater que cette interprétation littérale de l'amour platonicien semble, en quelque sorte, étonnante. Le désir « du Bien et du Beau » (Platon, 2018, p.157) se heurte dans L'interdit (2023) aux scènes d'amour imaginaire qui apprendront aux deux amants ultérieurement à passer à l'acte. C'est en s'abandonnant durant ses « Nuits Platoniques » (Mouawad, 2013, p.53) à l'envie et au désir, au geste délicat et fragile des caresses « qui ne s'acharnent pas à prendre, qui tendent plutôt à donner, à donner ce que ni lui ni elle ne posséderons jamais, à tendre, à tendre le tendre » (Levinas, 1967, p.157) , à « L'Acte Charnel Fantasmé » (Mouawad, 2023, p.43), à la beauté « des Liaisons Dangereuses » (Mouawad, 2023, p.35) que Romy se soumettait à la difficulté d'une grande loi, de ce que Nancy nomme « la loi du tact : toucher sans toucher. » (Derrida, 2000, p. 81)



Dans sa rêvasserie, ses gémissements résonnaient, ses mots doux et indomptés à la fois, leurs corps fusionnant sous ses draps blancs, nus, et rougis par les caresses érotiques et charnelles, ne formant qu'un, fous de désirs, d'amour et d'envie. Leurs souffles chuchotant comme de la musique, elle ne souhaitait qu'une chose, concrétiser cette scène d'amour imaginaire. (Mouawad, 2023, p.35)

Le divorce avec la philosophie platonicienne semble imminent. Tout s'est passé donc comme si le couple n'est pas arrivé à freiner la tentation, a franchi l'interdit, est tombé dans l'incorrect, dans « l'incontrôlable » (Mouawad, 2023, p. 122), s'est incliné dangereusement.

La raison n'y sera plus, ils en étaient conscients. La vie ordinaire et conformiste non plus. Les bons comportements s'évaporeront, laissant place à la passion, à l'amour de l'autre, à la tendresse, à la séduction, au désir, à l'impatience et finalement à la beauté. Car l'envie de l'autre est une beauté, un goût inexplicable, une joie débordante et un bien-être incomparable. (Mouawad, 2023, p.33)


Il nous faut donc reconnaître que les protagonistes voient, très justement, dans le désir une joie et un plaisir (Premat, 2021) : ils éprouvent une dimension pulsionnelle immaîtrisable qui les porte à la limite de leurs pouvoirs. Dans la tension de cette poussée incontrôlable, « s'engouffre, s'abîme et s'écrit » (Derrida, 2000, p.60) toute l'écriture de Mouawad. Ce désir du contact avec l'intouchable n'est-il pas une voie nécessaire d'accès « déterminé par l'identification et l'appropriation de l'autre » (Nancy, 1993, p.100) ou plutôt un mode « d'un faire-monde et d'un être-au monde ? » (Nancy, 1993, p.100) Dans sa lecture de l'œuvre nancienne, Derrida se plaît à saluer la question « du corps, le toucher du corps dans l'eccléité d'un dedans-dehors » (Nancy, 2000, p.160) ; il affirme : « cette étrange extériorité m'affecte au plus intime, cet « ailleurs en moi » m'atteint et « m'expose excessivement », cet intrus « m'extrude, il m'exporte, il m'exproprie » jusqu'à tout envahir et soumettre à la loi de l'intrusion, l'existence même, vie et mort « intimement tressées l'une dans

l'autre, chacune faisant intrusion au cœur de l'autre. » (Nancy, 2000, p.23) Comme si le corps ne pouvait naître à lui-même et au monde, ne peut être libéré qu'en touchant. Ce travail terrible du corps, Mouawad l'a évoqué, dès les premières pages de son roman qui risque « de mettre de la chair partout » (Nancy, 2000, p.267) Romy vivait des soirées mémorables.

Etendue, à la lumière de la petite lampe de chevet, elle voyait tous ses mouvements. La tenant serrée dans ses bras et l'emprisonnant sous son corps, il contemplait les gémissements physiques de ses plaisirs. Sensuellement, il passait ses mains sur son ventre qui se refermait, puis autour de sa taille, tout en posant ses lèvres enflammées contre les siennes, bouches ouvertes, et le long de sa chair vulnérable. Le bruit de leurs respirations montait d'un cran, exprimant la jouissance des sensations voluptueuses. Elle frémissait sous l'emprise de ses caresses dosées, douces et abruptes à la fois, engendrant des moments de suspens et d'attentes hâtives face à ses balades le long de son corps. Il la possédait, et sans actes de résistance, elle se laissait emporter. (Mouawad, 2023, p.124)

Pour Yvan, le corps du monde vit dans le corps de Romy. Il en est de même pour Romy. Mouawad résume d'ailleurs parfaitement cette sorte d'amour du monde dans l'attention qu'elle porte dans L'interdit (2023) à la « singularité du corps érotisé » (Nancy, 2000, p.32) qui n'a pas de sens, mais qui est touché par le sens. Sans pouvoir donner ici toutes les références de L'interdit (2023) où la romancière aborde le sujet de « leur réunifications charnelles victorieuses » (Mouawad, 2023, p.138), il est précieux, malgré tout, de relire ce texte décisif qui laisse comprendre leur expérience érotique.

Nus et tremblants de désirs l'un pour l'autre, ils prirent le large. Noyés dans les draps blancs, leurs corps fusionnaient sous l'assaut des frôlements ardents et des baisers enflammés. [...] Elle s'abandonnait au poids de son corps qui la dominait, sans retenue, la clouant



fortement sous son emprise physique. Il déposait ses baisers le long de son corps, et de ses doigts il amorçait une pénétration préliminaire. Ses cris de plaisir résonnaient et sa respiration haletante de bonheur le poussait à engager des va-et-vient accélérés. Sa tête, renversée par l'intensité du plaisir, laissait ses cheveux frôler le sol et ses jambes se perdre dans les siennes. (Mouawad, 2023, pp.117–118)

Certes, il est question ici de l'expérience charnelle qui leur permet de dire, selon une formule célèbre de Nancy, « ce qui se passe entre eux » (Nancy, 2020, p.145), mais à cette question s'ajoute le « débordement » (Premat, 2021) des deux amants par le sexe, l'« excès » (Premat, 2021) qui leur permet, selon Nancy, de « vivre leur sexistence » (Nancy, 2017, p.33), c'est-à-dire de coexister malgré les tourments « de l'hécatombe du mardi 4 aout 2020 » (Mouawad, 2023, p.155), les hallucinations suite « aux images cauchemardesques apocalyptiques » (Mouawad, 2023, p.155) après l'explosion du port de Beyrouth, et la frustration de « savourer l'interdit, connaître une passion prohibée. » (Mouawad, 2023, p.13) Or, nous ne pouvons que nous décevoir sur ce point-là, estimant en effet que cet « excès » (Premat, 2021) complique et alourdit l'« être-au monde. » (Nancy, 1993, p.100) des deux personnages. Faut-il qu'il y ait accès à, pénétration et excès pour qu'il y ait être au monde et faire son monde ? Ou encore : l'éloignement, le nonaccès à et l'impénétrabilité ne permettent-ils pas « d'exposer l'autonomie à tous les dehors possibles » (Nancy, 2000, p.145) favorisant par-là l'identification et l'appropriation ? Ne faut-il pas qu'il y ait non-sens ou plutôt hors-sens pour qu'il y ait, donc, sens ? L'amour devient alors une faiblesse, une prison et une peur (Mouawad, 2023, p.26) et les deux amants s'égarent exaspérément dans le labyrinthe de l'« adultère. » (Mouawad, 2023, p.33)

2.Entre Béné-diction et bénédiction

Ce qui frappe le plus le lecteur de *L'interdit* (2023) c'est que Mouawad consacre plusieurs passages devant lesquelles Romy tombe en arrêt, paralysée de culpabilité, abandonnée à la paresse, au sommeil, « à la

langueur qui l’emmenait bien loin du présent » (Mouawad, 2023, p.78) et à la routine lassante. Sa conscience freina un élan si voulu.

Elle passait en deuxième plan en tant qu’amante, dans l’ombre, mais aussi envers les priorités sociales et les amitiés d’Yvan. Elle commençait à discerner un trait de caractère quasi égoïste de la part de son amoureux et cela la secouait davantage. Certes il fallait obéir aux consignes de la discrétion, aux absences régulières et s’adapter à un certain mode de vie complexe mais plus les jours passaient et plus son insatisfaction s’amplifiait. Elle cogitait sans cesse et se posait des tonnes de question. (Mouawad, 2023, p.84)

Prisonnière jusque-là de ses autopunitions, anxieuse et incertaine, elle cogitait sans cesse, et « réalisait que leur histoire d’amour ne sera jamais un long fleuve tranquille. » (Mouawad, 2023, p.78) Il semble même que nous assistons à la disparition de la « pure vie » (Nancy, 2000, p.31) de Romy, cette femme belle, « si belle de n’être ni morte ni vivante, éternelle mais perpétuellement mourante et survivante » (Nancy, 2000, p.63) Emportée par une rage qui ne la quitte jamais, elle lui reproche avec mécontentement d’avoir annulé leur dîner prévu pour rejoindre des copains autour d’un verre. Elle lui rédige un message.

J’essayais de retenir ma colère et ma déception face à ton comportement égoïste et indifférent mais je ne pourrais m’abstenir davantage. [...] Cela fait des semaines que je tente de calmer mes démangeaisons et mon agacement vis-à-vis de tes dérapages réguliers et de tes engagements incessants, d’autant plus que tes séjours à Beyrouth n’excèdent jamais une quinzaine de jours. Mon rôle ne se limite pas uniquement à tes désirs sexuels, je me lasse de cette situation, j’ai franchi mon seuil de tolérance. (Mouawad, 2023, p.125)

N’est-ce pas là, d’ailleurs, un travail de deuil cruel qui pourrait préluder incontestablement à une naissance imminente, ou selon une formule de

Nancy « à une venue au monde » d'une nouvelle Romy ? (Nancy, 2000, p.67) S'investir encore et encore dans cet amour impossible engendrerait-il une noyade dévastatrice et désastreuse ou l'élèverait-il jusqu'à la vérité et la spiritualité ? Romy se trouve prise dans une dynamique de « sublimation idéalisante. » (Guibal, 2002, p.446) Pour elle, « il fallait à toute force surmonter les émotions, maîtriser les pulsions du cœur, écarter la nostalgie des moments à deux et prioriser le bon sens. » (Mouawad, 2023, p.127) Comme si une menace la guette : « domestiquer l'inquiétante étrangeté du dehors » (Nancy, 2000, p.267) afin de ressembler à « Marie : la vierge, la repentante » (Guibal, 2002, p.445)¹, de tout vitaliser, se transcender, voire réapproprier. C'est là que la stratégie déconstructionniste de Derrida connaît sa force et sa plénitude, se démarque « de la tradition haptocentrée » (Nancy, 2000b, p.76) pour se hausser véritablement au niveau de la souveraineté. Nous comprenons alors qu'« il n'y a pas 'le' corps, pas 'le' toucher, pas 'la' res extensa. Il y a qu'il y a : création du monde, technè des corps. » (Nancy, 2000b, p.104) En rattachant aussi fortement, dans L'interdit (2023), le partage des sens de Romy à la souveraineté de sa présence et dont se dégage une impression spirituelle qui nous gagne peu à peu, nous trouvons que son corps ne touche le corps d'Yvan « qu'en s'expeusant, se modifiant, s'altérant et se croisant sans nulle identification fusionnelle : c'est à même l'ouvert (...) qu'a lieu cette traversée sans pénétration, cette mêlée sans mélange. L'amour est le toucher de l'ouvert », la joie et la peine d'un « se toucher toi », de la rencontre et du partage entre singuliers


(1)– Je prendrai ici le risque de simplifier ces « histoires exemplaires de la chair » en les réduisant à deux grandes orientations. L'une va de Biran à Chrétien en passant par Ravaisson et Bergson : elle se développe sous le signe d'une « christianisation du désir aristotélicien » qui porte la transitivity du toucher humain jusqu'à la transcendance de l'amour divin. La chair, ici, est lieu de passage, de rencontre et de transfiguration : les touches du Verbe la font frémir, l'enflamment et l'élèvent finalement jusqu'à la vérité de son sens spirituel. (Guibal, 2002, p. 446)

imprenables. » (Nancy, 2000b, pp.27–36) Il semble bien que le toucher représente pour Romy une possibilité exaltante et prometteuse d'interruption du continu et invite Romy « à un autre départ. » (Nancy, 1993, p.247)

De cet auto-dépassement qui n'a pas eu lieu, « le trouble-fête » (Guibal, 2002, p.449) ne saura évidemment s'absenter ; et c'est en femme incorrigible qui creuse infiniment « le désert dans le désert » (Derrida, 1996b, p.15) que Romy affirme avec vigilance et répète d'un « oui originaire » (Derrida, 1999, p.88) et fatal la possibilité sans fin renaissance d'une vie charnelle.

Cette sédation éprouvée, finalement, n'était que dormante. [...] Il suffisait d'un seul signe de son amant pour balayer radicalement les intrus, les barrages et les illusions en vue d'épurer le chemin de son bonheur, Yvan. (Mouawad, 2023, p.151)

Son corps qui résiste à « son idéalisation sacrificielle » (Nancy, 1998, p.505) s'abandonne à cet « excès d'enthousiasme » (Mouawad, 2023, p.158) et n'arrête pas de mourir sans que cette mort n'advienne jamais. Entre « la générosité absolue, plus généreuse que la générosité même » (Guibal, 2002, p. 450) qui engage Romy, la parieuse désespérée, dans la position invincible d'être avec, là même où elle séjourne sans dire non, mais « sans s'identifier à l'appartenance » (Derrida, 1990, p.109), il y a, sans nulle confusion, une scène apocalyptique et évangélique d'une auto-immunité qui ne cesse d'être menacée. Entre transcendance sacrificielle et l'incarnation du sensible, Romy a choisi. Nous prélèverons quelques exemples développés notamment dans le dernier chapitre du livre qui concernent cette auto-destruction terrifiante d'une femme qui n'en finit pas de se répéter puis de se relever. « Je suis là, en chair et en os, en amour aussi... tu m'as manqué, tu me manques tous les jours, toutes les heures, toutes les minutes... Fais-moi l'amour. » (Mouawad, 2023, p. 158) Ou encore.



Sur une banquette salon contemporaine, en velours noir, ils s'allongèrent, nus, fusionnant leurs corps en chaleur, réduisant en cendres les anxiétés perturbatrices. Il entamait des caresses lentes, des caresses d'homme éperdument amoureux, imprimant sa chair de baisers doux et sensuels. [...] Il la serrait fermement, elle s'abandonnait corps et âme, caressait son dos, ses courbes, sa nuque, tétanisée, gorge serrée, elle en demandait encore et encore... toute une nuit. (Mouawad, 2023, p.158)

Ou encore : « Juin 2022, ils se sont donné rendez-vous autour d'un café... » (Mouawad, 2023, p.160) phrase de clôture du roman. « Entre clôture idéologique et effraction sans retour » (Guibal, 2002, p. 451) Mouawad a choisi. A la problématique époquale d'un monde paradoxal, Mouawad nous laisse sur l'ouverture des partages des ou du sens : aporie du touchable– intouchable, du possible–impossible sans lesquels, probablement, il n'y aurait pas d'amour, ou aussi, « non–totalisation de l'expérience, sans laquelle il n'y aurait pas d'expérience. » (Nancy, 2000, p.165) Cependant, bénir ou euphémiser l'expérience de Romy risque–t-il de la sauver ? C'est plutôt le respect de Romy, cet être singulier et pluriel en même temps, qui va d'inconnu à inconnu, qui creuse en nous cet étrange ami–ennemi que nous portons du côté de chez nous s'annonce évident.

Mouawad nous apporte une œuvre véritablement en prise sur notre époque. Quel que soit le jugement porté sur *L'interdit* (2023), Mouawad peut être reconnue aujourd'hui comme une écrivaine marquant de notre temps. Narrer l'inénarrable sans honte, presque sans pudeur, raconter en mots ce qui tremble entre les lignes, penser la pluralité des échanges secrets et intimes, ce sont là des qualités exceptionnelles qui font d'elle un maître qui progresse dans les voies sacrées des fausses pudeurs et des interdits. Si elle choisit de représenter un couple par le bourreau et le supplicié, dénoncer un autoritarisme patriarcal, évoquer un amour qui se retourne contre nous, et qui surprend aussi par sa douceur, un amour

qui nous dévore sans nous tuer, sa littérature reconnaît la spécificité géniale de la possibilité de l'impossible (Derrida, 2002, pp20–21), incarne justement cette pratique ambivalente entre le bien et le mal, entre l'union et la séparation, entre l'attachement et le rejet, entre le dicible et l'indicible, entre le cru et le sacré, entre la vie et la mort. D'où la magie inquiétante de ce roman qui fait de ces personnages des « non–intiés sur–intiés. » (Scarpa, 2009, p.34) Dès lors, *L'interdit* (2023) sera le récit flottant d'une tentation d'aveu qui nous renvoie sans doute à l'effort conjugué de l'autrice et du lecteur qui brisera les interdits et nous obligera à revoir nos fautes, avouer nos culpabilités, et surtout repenser, refaire et relire les trajectoires de nos vies.

Références bibliographiques

Corpus

Mouawad, J. (2023). *L'interdit*. Paris : Vérone.

Ouvrage de critique et de théorie littéraire

Bakhtine, M. (1970). *L'œuvre de François Rabelais et la culture populaire du Moyen-âge et sous la Renaissance*. Paris : Gallimard.

(1978). *Esthétique et théorie du roman*. « Formes du temps et du chronotope. » Paris : Gallimard.

Cocteau, J. (1947). *La difficulté d'être*. Paris : Paul Morihien.

Derrida, J. (1967). *La voix et le phénomène*. Paris : PUF.

(1967). *L'Écriture et la différence*. Paris : Seuil.

(1972). *Marges de la philosophie*. Paris : Minuit.

(1978). *La vérité en peinture*. Paris : Flammarion.

(1990). *Mémoires d'aveugle*. Le Louvre : Réunions des Musées Nationaux.

(1992). *Points de suspension*. Paris : Galilée.

(1996a). « Videor » in *Resolutions : Contemporary Video Practices*, ed. Michael Renov and Erika Suderburg, trans. Peggy Kamuf, Minneapolis. University of Minnesota Press.

(1996b). *La religion*. Paris : Seuil.

- (1997). *Adieu à Emmanuel Levinas*. Paris : Galilée.
- (1999). *Sur parole*. Paris : Aube.
- (2000). *Le Toucher*, Jean-luc Nancy. Paris : Galilée.
- (2002). *La philosophie en effet*. Paris : Galilée.
- (2003). *Voyous*. Paris : Galilée.
- (2005). *The Ghosts of Critique and Deconstruction*. Stanford : Stanford University Press.
- (2006). *H.C. for Life, That Is to Say...*, trans. Laurent Milesi and Stefan Herbrechter, Stanford, CA. Stanford : University Press,
- Fabre, D. *Histoire de la France. Héritages. « Une culture paysanne »*, dans BURGUIÈRE A. et REVEL J. (dirs.). Paris : Seuil.
- Fabre, D. et Blanc, D. (1982). *Le Brigand de Cavanac. Le fait divers, le roman, l'histoire*. Lagrasse : Verdier.
- Lawrence, A. (1991). *Echo and Narcissus : Women's Voices in Classical Hollywood Cinema*. Berkeley : University of California Press.
- Levinas, E. (1967). *En découvrant l'existence*. Paris : Vrin.
- Morel, G. (2003). *Lignes sans retour*. Paris : L'Harmattan.
- Nancy, J-L. (1993). *Le Sens du monde*. Paris : Galilée.
- (2000). *Corpus*. Paris : Métailié.
- (2000b). *La Peau fragile du monde*. Paris : Galilée.
- (2000c). *Les arts se font les uns contre les autres*. in *Art, regard, écoute*, Vincennes, Presses Universitaires de Vincennes.
- (2017). *Sexistence*. Paris : Galilée.
- Ovide. (1955). Trans. Mary Innes. London : Penguin.
- Platon. (1997). *Phèdre*. trad. Luc Brisson. Paris : Flammarion.
- (2018). *Le Banquet*. trad. Luc Brisson. Paris : Flammarion.
- Scarpa, M. (2000). *Le Carnaval des Halles. Une ethnocritique du Ventre de Paris de Zola*. Paris : Littérature.
- Segalen, M. (1998). *Rites et rituels contemporains*. Nathan Université.
- Van Gennep, A. (1990). *Le Phénomène rituel*. Paris : PUF.

Verdier, Y. (1995). Coutume et destin. Paris : Gallimard.

Sites électroniques

Www. Icbeyrouth.com . Passions clandestines à Beyrouth dans « L'interdit » de Joumana Mouawad. Modifié le 06 mars 2024 à 06 :22

Articles et Revues

Cixous, H. (2004). Écrire d'une main sauvage. L'amour du loup et autre remords. Lignes fictives, 222p. spirale, (195), pp.30–31.

Derrida, J. (2004). Magazine littéraire. Avril 2004.

Guibal, F. (2002). Un étrange amour sur le style philosophique de Jacques Derrida. Etudes théologiques et religieuses. 82^e année. Page 361 à 378.

Lippit, A–M. (2015). Plus Surplus Love : Jacques Derrida's Echopoiesis and Narcissism Adrift, Discourse: Journal for Theoretical Studies in Media and Culture: Vol. 37: Iss. 1, Article 6. (L'échopoïèse et le narcissisme à la dérive de Jacques Derrida, traduit de l'américain par Carlos Lobo)

Ménard, S. (2017). Le « personnage liminaire » : une notion ethnocritique», Litter@ Incognita [En ligne], Toulouse : Université Toulouse Jean Jaurès, n°8 « Entre-deux : Rupture, passage, altérité », automne 2017, mis en ligne le 19/10/2017.

Nancy, J–L. (1998). Déconstruction du christianisme. Les Etudes philosophiques. Numéro 4. pp.505–519.

Premat, C. (2021). Jean–Luc Nancy, Irving Goh, The deconstruction of sex. University Press, 2021, 120 p., Afterword Claire Colebrook, ISBN : 978–1–4780–1435–5.

Scarpa, M. (2009). Le personnage liminaire. Romantisme. Numéro 145. P.25–35